ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܒܪܐ
ܐܘ ܦܫܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܥܡܗ ܒܥܘܠܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢܝ ܥܕܬܐ ܘܚܪܡܐ ܕܢܦܫܗ ܢܦܠ ܥܠܘܗܝ
ܥܕܡܐ ܠܗ ܗܦܟܐ ܠܗ ܢܗܘܐ ܫܘܒܩܢܐ ܥܕܡܐ ܠܗ ܗܦܟܐ ܥܡܗ
ܒܫܘܒܩܢܐ ܟܦܠܐ ܕܢܣܒ ܠܗ ܠܚܘܒܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

لُبابُ البَراهينِ الجليّة

عن

حقيقةِ امرِ الطائفةِ المارونيّة

منذ أوائل القرن الخامس الى أوائل القرن الثالث عشر

من القرون المسيحية

وهو درس تاريخي انتقادي

في اصل الطائفة المارونية واسمها وديانتها وأحوالها

للمطران يوسف دريان

النائب البطريركي الماروني في القطر المصري

عُفي عنه

فهرس الكتاب

صفحة

١ مقدمة الكتاب

١٠ المبحث الاول

في سيرة حياة القديس مارون الناسك ومقامه
وتاريخ الدير والرهبان المنسوبين اليه

١٠ الفصل الاول — فى سيرة القديس مارون وعصره ومنشئه ومقامه
١٤ الفصل الثاني — درس تاريخي انتقادي على ترجمة القديس مارون الكبير
٢٢ الفصل الثالث — في دير القديس مارون ورهبانه
٣١ الفصل الرابع — درس في زمان تأسيس دير القديس مارون وموقعه

٣٧ المبحث الثاني

في تاريخ الهرطقات الثلاث المشهورة أي النسطورية
والمنوفيزية والمنوثيلية ومبتدعيها — توطئة —

٣٨ الفصل الاول — في تاريخ البدعة النسطورية
٤٢ الفصل الثاني — في تاريخ البدعة المنوفيزية ومبتدعيها
٥٢ الفصل الثالث — في بدعة المنوثيلية ومبتدعيها

٦٢ المبحث الثالث

في أحوال رهبان دير مار مارون واتباعهم
بالنظر الى النسطورية والمنوفيزية — توطئة —

٦٣ الفصل الاول — في الهرطقة المنوفيزية والموارنة
٩٢ الفصل الثاني — في درس الاثار التي ضد الموارنة بهذا المعنى نفسه

صفحه

٩٦ الفصل الثالث — في زيادة (يامن صُلبت لاجلنا) على التريساجيون وفي وجه استعمالها من قديم الزمان عند الموارنة

١٠٧ الفصل الرابع — في درس شهادة القديس يوحنا الدمشقي التي ضد الموارنة بهذا المعنى نفسه

١١٦ المبحث الرابع

في أحوال رهبان القديس مارون واتباعهم الموارنة

بالنظر الى بدعة المنوثيلية — توطئة —

١١٩ الفصل الاول — في بطاركة انطاكية منذ أوائل القرن السابع الى أواسط الثامن

١٢٣ الفصل الثاني — في أحوال سورية الدنيـة منذ أوائل القرن السابع الى أواسط الثامن

١٣٣ الفصل الثالث — في النتيجة من الفصلين السابقين

١٤٤ الفصل الرابع — في مايدعم النتيجة السابقة من الاثار التاريخية

١٦٦ الفصل الخامس — في ما حصل بعد ذلك حتى أواخر القرن الثامن

١٧٩ المبحث الخامس

في سائر الشهادات التاريخية التي تتعلق بالموارنة

الى آخر القرن العاشر — توطئة

١٨٢ الفصل الاول — في الاثار التاريخية التي ظهرت في القرن التاسع مما يتعلقَ بالموارنة

١٩٤ الفصل الثاني — في الاثار التاريخية التي ظهرت عند كتبة القرن العاشر مما يتعلق بالموارنة

صفحة

٢١٤ المبحث السادس

في الآثار التاريخية التي تتعلق بالموارنة منذ القرن الحادي عشر
الى أوائل القرن الثالث عشر — توطئة

٢١٩ الفصل الاول — في مؤلف كتاب الهدى أو الناموس وتعريفه، والنسخ التي اتصلت بنا منه

٢٣٦ الفصل الثاني — في ماجاء في كتاب الهدى مما يتعلق بمعتقد الموارنة

٢٤٣ درس تاريخي انتقادي لاهوتي على هذه الشهادة

٢٥٢ الفصل الثالث — في توما الكفرطابي وكتابهِ المقالات العشر في المشيئة الواحدة

٢٦٩ الفصل الرابع — درس فلسفي انتقادي على حقيقة تعاليم الكفرطابي في المقالات العشر

٢٩٣ الفصل الخامس — في الآثار التاريخية التي تتعلق بالموارنة في القرن الثاني عشر

٣٠٩ الفصل السادس — في مسئلة لياذ الموارنة بالافرنج منذ دخلوا سورية واتصالهم بكنيسة رومية

٣٣٦ الخلاصة

٣٤٦ الخاتمة

مقدمة الكتاب

الحمد لله الازلي السرمدي الواجب الوجود . المثلث الاقانيم الاله الواحد المعبود . القديم الايام سبحانه وتعالى كثيراً عن كل ادراك وتاريخ محدود . أما بعد فمن المعلوم ان المسئلة المارونية . وهي ما يتعلق بتاريخ أصل الموارنة ونشأتهم ودياناتهم وأحوالهم . قد شغلت منذ عهد عهيد جمهوراً من الكتاب المدققين والعلماء المحققين . فذهبوا في هذه الامور مذاهب شتى على قدر ما وقع لهم من الآثار التاريخية مما يلامس هذه القضية ووالتهم القواعد المنطقية : ومع ذلك لم يتفقوا حتى الآن على تقرير حقيقة هذا الامر الذي لم يزل فيه متسع رحب لاهل البحث والتنقيب .

أما علماء الموارنة فهم حريصون أشد الحرص اتباعاً لزعيمهم الاسقف جبرائيل ابن القلاعي الشهير[1] على القول بان أمتهم منذ نشأتها في بهرة القرن السابع

(١) ولد جبرائيل المذكور في قرية لحفد من بلاد جبيل في جبل لبنان ويقال له ابن القلاعي أو ابن جوريه من اسم المحلة التي كان فيها بيت ابيه المدعو بطرس : وقد روى العلامة الدويهي انه اتصل برهبان مار فرنسيس الكبير في القدس الشريف وذهب مع بعضهم الى رومية حيث دخل في سلك هذه الرهبانية المباركة في سنة ١٤٧٠ واتقن اللغة اللاتينية والعلوم الطبيعية واللاهوتية . وعاد الى لبنان سنة ١٤٩٢ ومنه الى القدس الشريف حيث اخذ يصنف الكتب المفيدة والمقالات والرسائل باللغة العربية لفائدة أمته : وقد كتب في مدة ثلاث سنوات زهاء اربعمائة وخمس وستين رسالة ما خلا ما صنفه من الكتب والمقالات والرسائل المفيدة في مدة حياته التي قضاها كلها لفائدة الطائفة التي كانت في خطر عظيم من عمال اليعقوبية الذين توغلوا ذاك العصر في جبل لبنان وأضلوا بعض اهله : وفي جملة تصانيفه مقالات في قداسة مار يوحنا مارون البطريرك وطاعته وطاعة من خلفه من البطاركة لصاحب الكرسي الروماني : وكتاب دعاه « مارون الطوباوي » في ثلاثة اجزاء اودعها رسائل الاحبار الاعظمين من زخيا الثالث الى لاون العاشر وهي اربع عشرة براءة وغير ذلك من مثل هذه الآثار . ثم أبان صحة ايمان الموارنة وخضوعهم للكرسي الروماني المقدس على الدوام

واشتهارها بهذا الاسم من دير القديس مارون الذي على ضفاف العاصي بقرب حماة ومن القديس يوحنا مارون بطريركها الاول الذي كان من رهبان هذا الدير المبارك قد استمرت على الايمان الكاثوليكي القويم والاتحاد مع كنيسة رومية أم جميع الكنائس ومعلمتهن كما هم الآن بكل حزم وسلامة ضمير وخضوع لا تشوبه شائبة صريحة. وقد احتملوا في سبيل ذلك من الشدائد صنوفاً لم تكن لتوهن عزائمهم أو تخفض من صحة معتقدهم حتى انتصروا باذن الله أتم انتصار على نوائب الدهر وطارق الحدثان الى ان استتب لهم الامر تماماً في جبل لبنان المبارك حرزهم الحريز.

ولكن لسوء الحظ لم يدعم ابن القلاعي ما كتبه بهذا المعنى بما يثبت على النقد الصارم ولم يسند روايته التاريخية مما يسبق القرن الثالث عشر الى شواهد وآثار راهنة: وجل ما يمكن ان يقال فيها انها مأخوذة عن تقاليد هذه الامة من وجه التواتر بالرغم عما يعتورها من الخلل في التاريخ والخلط بين الحوادث: وعندنا انه قد يعذر في هذه الخطة التي اتبعها في هذا الموضوع مع قطع النظر عن غزارة علمه. لانه على ما يظهر لم يكن من غرضه ان يكتب ولا كتب في الحقيقة تاريخاً لأمته حتى يجد من نفسه اضطراراً للتدقيق والاسناد المطلوب لصحة الروايات. ولكنه كان يكتب ما كتب من المقالات والرسائل قصد تحريض أهل زمانه على الاستمساك بعرى الدين القويم على خطة أجدادهم الشريفة. ولهذا كان يورد أخبار السلف كأمثلة من شأنها ان تؤثر فيهم وتبعث في نفوسهم روح الحماسة والشهامة والغيرة على الدين والوطن والحرص على شدة التعلق بالكرسي الرسولي. الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد الادبية التي كان يتوخاها فيهم بحسب روح العصر مما لم يكن يضطره الى التدقيق في ما كان يورده من ذلك لهذه الغاية: شأن كل خطيب يقصد من كلامه الاقناع والتحريض والترغيب اذا أورد مثالاً

تاريخياً عن أحد الناس أو عن حادثة من الحوادث ملائمة لغرضه كما لا يغرب عن ذي بصيرة وذوق سليم (١)

وقد قام بعده بعض تلامذة المدرسة المارونية برومية العظمى منذ القرن السابع عشر . ولما كانوا قد تهذبوا تهذيباً حسناً وتثقفوا في العلوم العالية مما أحيا في نفوسهم حب أمتهم والغيرة على مفاخرها وآثارها الطيبة والعناية في تعريفها لاهل المغرب خاصة أخذوا يجدّون في التنقيب والتفتيش عن الآثار التاريخية التي تتعلق بها ليصوغوا لها تاريخاً حسناً على قدر الامكان : فاتخذوا روايات ابن القلاعي كقاعدة لهم وبذلوا جل الاجتهاد في دراسة تواريخ الاولين سعياً وراء ضالتهم المنشودة . فاستخلصوا مما وقفوا عليه من ذلك بينات شتى على صحة هذه القضية : وقد ناهضهم بعض كتاب هاتيك الاعصار من الاجانب في هذا المعنى حتى اضطروا الى المدافعة بكل جد وعناية عن صحة رواياتهم من هذا القبيل : وأول من كتب في هذا الموضوع على ما نعلمه انما هو العلامة مرهج بن نمرون الباني الشهير من تلامذة هذه المدرسة . ففي بهرة القرن السابع عشر قد وضع مقالة علمية تاريخية حسنة باللغة اللاتينية « في أصل الموارنة واسمهم وديانتهم » ونشرها بالطبع في مدينة رومية سنة ١٦٧٩ م أودعها كل ما وصلت اليه يده من الآثار التاريخية التي تتعلق بهذا الموضوع بكل دقة وتجرد واستنتج منها كل ما يثبت هذه القضية عينها ويرد ما عارضها من أقوال الخصوم الذين يعددهم واحداً واحداً في مستهل هذه المقالة ذاكراً آراءهم ومذاهبهم المختلفة بكل ايجاز في امر شذوذ الموارنة عن محجة الايمان الحق وتاريخ رجوعهم الى حضن الكنيسة المقدسة

ثم نهض في ذلك العصر نفسه العلامة المحقق الجليل البطريرك اسطفان

---

(١) ومن هذا القبيل ما نظمه من الزجليات المشهورة باسمه التي أودعها بعض هذه التواريخ القديمة ولكن على طريقة الشعراء وقد استشهدها بعض علماء الموارنة مراراً على علاتها

الدويهي لاهدني الشهير ايضاً وهو من أقطاب اهل عصره ومن نوابغ تلامذة المدرسة الرومانية المذكورة . فدوخ الارض بحثاً وتنقيباً عن الآثار التاريخية القديمة مما يتعلق بأمته منذ عهد القديس مارون الناسك أبيها وشفيعها المشفع حتى ايامه . وقد اجتمع لديه من ذلك شيء كثير : فدرس هذه القضية درساً نعماووضع في اثباتها كتاباً ضخماً باللغة العربية لفائدة بني أمته (وقد ترجم فيما بعد الى اللاتينية وهو نادر الوجود) وقسمه الى ثلاثة اجزاء أو كتب : وهذا عنوان كل منها بحروفه « الكتاب الاول — في أصل الملة المارونية . وفيه احد عشر فصلاً : الكتاب الثاني — في رد الجواب على التهمات الباطلة التي اصحاب التواريخ ثلبوا بها الموارنة . وفيه ثمانية عشر فصلاً : الكتاب الثالث — احتجاج بسبب الرزايا والبدع الذي بعض المصنفين ادعوا على الموارنة وأهل الشرق » وفيه اثنا عشر احتجاجاً أو مقالة يرد بها بعلم غزير وبراهين لاهوتية راجحة وحجج تاريخية راسخة نحو خمس وسبعين تهمة : وقد جمع في كتابه هذا كل ما وصلت اليه يده من الآثار التاريخية . وهو ثقة للغاية في ما يرويه لانه يشير الى مصادره لئلا ينال من القرة ما ليس لأصله . وهذا مما يدل على التجرد والاخلاص في البحث عن الحقيقة

وقام بعد ذلك العلامة الكبير والمحقق الشهير السيد يوسف سمعان السمعاني صاحب المكتبة الشرقية الطائرة الشهرة ومكتبة الحق القانوني الشرقي وكلندار الصقالبة المعتمد عندهم حتى الآن دون غيره على ماذكر لنا أحد علمائهم وفهرست المكتبة الواتيكانية برومية الذي لم ينسج على منواله وكتاب تاريخ ايتالية الى غير ذلك من الكتب الضخمة التي لا تقل شهرة عن هذه مما جعل له الكعب الأعلى بين أقرانه على ما هو معروف عند الجميع : فهذا لم يتوخ الكتابة في هذا الموضوع على حدة أي في كتاب مستقل . ولكنه لم يتسن له قط ذكر الموارنة أو شيء من تواريخهم وكل ما له علاقة بهم الا ذكره في مطاوي تآليفه الكثيرة . وهو على ما يظهر لم يخرج

كثيراً عن رأي من تقدمه في هذا الباب : ويقال انه كان قد افرد مجلداً ضخما بين مجلدات المكتبة الشرقية في تاريخ الموارنة وآثارهم بيد ان يد الزمان على ماقال بعضهم قد جعلته مطعماً للنار في جملة ما احترق من كتب هذا العلامة الكبير في آخر حياته كما هو المشهور : ومما يدل على صحة هذه الرواية انه قد ألمع الى ذكر هذا الكتاب غير مرة في مطاوي كلامه عن الموارنة واعداً باسهاب الكلام فيه عن أمرهم : فتباً للزمان الذي اودى بهذا الاثر النفيس أو على الاقل بالمواد التي كان قد أعدها هذا العلامة له لانه ولا ريب لم يكن أحط قدراً من امثاله في المكتبة الشرقية .

وقام بعد هؤلاء الاقطاب كثيرون من علماء هذه الامة فكتبوا في ظروف شتى بهذا الموضوع رداً على بعض المخالفين ودفاعاً عن هذه القضية عينها بيد انهم لم يأتونا بشيء جديد من تنقيباتهم ولا بآثار مدفونة لم يهتدِ اليها السلف بل كانوا عيالاً على من ذكرنا آنفاً : وقد جمع العلامة البطريرك يوسف اسطفان الشهير من تلامذة المدرسة الرومانية في القرن الثامن عشر شتات الآثار والبراهين مما وقع له في اثبات قداسة مار يوحنا مارون البطريرك الاول لهذه الطائفة في كتاب على حدة معروف بهذا العنوان : وكتب ايضاً في اواسط القرن التاسع عشر العلامة المحقق قطب اهل زمانه خاصةً في علم التاريخ نريد به البطريرك بولس مسعد السعيد الذكر والحميد الآثار وهو ايضاً من تلامذة المدرسة الرومانية كتابه المشهور بالدر المنظوم في الرد على مزاعم البطريرك مكسيموس مظلوم . جمع فيه ما استطاع من شتات الآثار والفوائد من كل جنس مما يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه . وهو كتاب نفيس في بابه ومشهور لدى الخاصة والعامة وقد أصبح الآن نادر الوجود . على ان مؤلفه المفضال لم ينكب عن خطة من تقدمه في هذا الباب لانه لم يصل اليه من الآثار التاريخية غير ما كان معروفاً من ذي قبل وبالرغم عن شدة ولوعه بالتنقيب والتفتيش على ما هو مشهور عنه لم يكن يتسع له المجال

للحصول على اكثر مما وجد وهو في اهم المناصب في جبل لبنان وقد كان عصره عصر النوائب والحدثان بسبب تقلبات الزمان

وظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عالم فاضل وكاتب مشهور يقال له الخوري يوسف داود من نواحي الموصل (وهو من طائفة السريان الكاثوليك ومن تلامذة مدرسة البروباغنده برومية وقد صار فيما يلي مطراناً لأمته على دمشق الشام) . فهذا قد وضع كتاباً في اللغة اللاتينية وطبعه برومية . في نحو سنة ١٨٧٠ عنوانه « تقليد الكنيسة السريانية الكلدانية في ما خص الاولية الالهيـة التي لبطرس الرسول وخلفائه الاحبار الرومانيين » وقد ذكر فيه ما مؤداه ان الطائفة المارونية قد سقطت هي ايضاً في بعض الهرطقات وخرجت على الكنيسة كغيرها من الطوائف الشرقية ثم عادت الى حضن هذه الأم الحنون في نحو القرن الثالث عشر . فتصدى له الخوري يوسف الياس الدبس احد كتبة اسرار البطريركية المـارونية في ذاك العصر (وهو الذي صار مطراناً في ما يلي على بيروت) وفند مزاعمه بكتاب مستقل طبعه في بيروت باسم « روح الردود » وهو مشهور في هذا العصر . اما الخوري يوسف داود المذكور فلم يقف على هذا الـكتاب حتى نهض بكل عزم لرد هذه الردود وتزييفها واثبات قضيته ضد الطائفة المـارونية متأثراً اشد التأثر مما أصابه من سهام خصمه الجارحة . وقد بذل كل ما في الوسع تفتيشاً وتنقيباً عن الآثار التاريخية مما قد يثبت هرطقة الموارنة . وعاونه في ذلك بعض مريديه في كل ناحية حتى اجتمع لديه من ذلك شيء كثير مما لم يسبقه اليه سواه وشحن به كتابه الاخير الذي وضعه في هذا الموضوع نفسه وسماه « جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوي الموارنة » وهو كتاب ضخم جداً حال دون نشره في حياة مؤلفه بعض الاحوال التي لا محل لذكرها هنا . وقد نشره بالطبع منـذ نحو سنتين فقط وعلق عليه بعض الحواشي والذيول اسناداً له رجل من اهل الغيرة اغفل اسمه واسم المكان والمطبعة وتاريخ السنة التي طبعه فيها كأنه كان يشعر في

ضميره انه قد أتى بنشره امراً إداً مع اننا وكل ذي أنصاف نرى غير ذلك : فجاء هذا الكتاب في نحو خمسمائة واربع وار بعين صفحة بقطع نصف وبحروف دقيقة وقد بعث هذه المسئلة على نحو ما ذكرنا من مواتها وكان قد اكل الدهر عليها وشرب وهي في نظر العقلاء ليست مما يستحق كل هذا العناء الذي تجشمه الاجانب في سبيلها ولو عذر الموارنة في ذلك لانهم انما يتعبون في أمر تاريخهم الذي يترتب عليه كيانهم الديني والادبي وهو لا يضر في سواهم اذا لم نقل انه لا يخلو من المنفعة للغير ايضاً : وقد انتبه الى هذه الملاحظة صاحب هذا الكتاب نفسه وذكرها في مقدمته باسهاب ملتمساً له عذراً في تجشم كل هذا النصب هو في الحقيقة غير ماحمله على بذل كل هذه العناية والاهتمام وتضييع الوقت الثمين في وصفه : وياليت هذا الكاتب الجليل لم يندفع بانفعالاته النفسانية الى جرح العواطف والتقريع وامتهان العلماء من السلف الطاهر الذين لا ينكر فضلهم عليه وعلى أمته الكريمة اذن لما تطرف كل هذا التطرف في استنتاجاته الخارجة عن حد المعقول حتى اضاع مزية كتابه وتعبه الشاق في درس هذه القضية : أما نحن فلا يسعنا هنا الا ان نخاطبه بقول الشاعر :

لئن ساءني ان نلتني بمذمة لقد سرني اني خطرت ببالكا

اجل لقد سرنا انه كشف لنا من الآثار التاريخية مما يتعلق بهذه القضية ما كان مجهولاً عندنا وعند سوانا ممن خاضوا عباب هذا البحث حتى تسنى لنا ان ندرسها من جديد حق دراستها . ونمحص تواريخنا المعروفة من شوائب التقليد الذي على الغالب لا يبقى فيه على ممرّ الزمان الا خيال الحقيقة . ونسد بعض الفراغ من مجاهله التي اورثتها الايام وأودت تقريباً بكل اثر لها

ذلك وما كاد يشهر هذا الكتاب حتى قام له بعض الناس من الأمة المارونية وقعدوا وساء العقلاء منهم ما جاء فيه من التعريف والتقريع والامتهان والاستخفاف ببعض علمائهم الاعلام الذين شهد لهم العالم اجمع بالفضل ولم يبلغ لهم

هو غبارا في مضمار بدليل ما تركا للعلم من المصنفات النفسية والآثار الجليلة التي هي حتى الآن مورد العلماء وموضع اعجابهم مما ليس له أقله : ومن ثم اخذ بعضهم يتحدثون في امر معارضته ورد ما يجب رده عليه ولم نكن نحن من هذا الرأي على الرغم من تحريض بعض الاخوان ووعدهم بكل مساعدة . لانه والحق يقال لما يقتضي نصباً وعناية شاقة دون جدوى تناسبها لا سيما ونحن نريد ان نتزه قلمنا عن الطعن والتقريع الشخصي مما لا بدّ منه عند تفنيد بعض مزاعمه التي لا توزن بميزان العدل والانصاف : وعندنا ان مثل هذا التحامل والكلام الجارح لا يحتاج الى مثل هذا الرد لانه لا يخلو من ان يقع إما بين ايدي العقلاء المنصفين فيمجه ذوقهم السليم وينبذونه هم انفسهم نبذ النواة ويحكمون على صاحبه حكماً صائباً . وإما بين ايدي غير هذه الطبقة من الناس وهؤلاء لا يعتدّ بهم

فبناء على ذلك رأينا ان نرمي الى هذه الغاية عن غير هذه القوس وندخل في هذا الموضوع من غير هذا الباب قصد اجلاء هذه الحقيقة لذي عينين بالتجرد والاخلاص الواجب دون ان نتعرض لاحد أياً كان من الناس عسى ان يكون في كلامنا فصل الخطاب

ولهذا عمدنا الى كل ما بين ايدينا من الآثار التاريخية الراهنة التي لا يختلف في صحتها اثنان من اهل العلم والتدقيق واخذنا نثبتها اثراً فأثراً بحسب مقاماتها من التاريخ وعقبنا كل اثر منها بدرس تاريخي انتقادي نذكر فيه ما يلوح لنا علمياً من الرأي القويم مما لنا او علينا مع قطع النظر عما قيل في امره او استنتج منه حتى الآن وذهب اليه الموارنة او خصومهم في هذه القضية : بحيث يرى كل من وقف على كتابنا هذا تجردنا التام عن كل عامل واعتدال خطتنا في البحث على مقتضى قواعد المنطق الصحيحة السالمة من كل مغالطة مذمومة

وقد قسمنا كتابنا هذا الى مباحث وكل مبحث الى فصول وكل فصل الى

أعداد بحسب تقسيم المواضيع ليكون سهل المأخذ على المطالع قريب المراجعة عند الاقتضاء : وحسبنا الله اننا لم نقصد به الا الاحسان وفائدة أهل العرفان لخدمة الحقيقة ومجده تعالى ائتماراً بقول الرسول « ان أكلتم أو شربتم أو صنعتم شيئاً فاصنعوا كل شيء لمجد الله » فان أصبنا الغرض المقصود والا فيشفع لنا حسن النية ومع ذلك

فمن ذا الذي ترضي سجاياه كلها   كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

المبحث الاول

في سيرة حياة القديس مارون الناسك ومقامه وتاريخ الدير والرهبان المنسوبين اليه

الفصل الاول

في سيرة القديس مارون وعصره ومنشئه ومقامه

عدد ١ — لم تترك لنا الآثار القديمة الثابتة عن القديس مارون الناسك أبي الطائفة المارونية وشفيعها المشفع سوى ترجمة مختصرة جداً كتبها رجل جليل القدر في بيعة الله: ألا وهو ثودوريطس أسقف قورس في نحو النصف الاول للقرن الخامس. فهذا الكاتب الكنسي الثقة قد ترك لنا تاريخاً حسناً باللغة اليونانية خصص باباً منه في النساك الذين اعتزلوا العالم انقطاعاً لعبادة الله في جبال القورسية ووهادها. وقد كتبه على ما يظهر بعد ان رقي الى كرسي هذه الاسقفية لفائدة أبناء رعيته خاصةً بناء على ما رآه بذاته وسمعه على ما قال من أولئك النساك الذين كثيراً ما كان يتردد عليهم ويتقصى أخبارهم بحيث يمكن القول انه مورخ عياني أو معاصر للذين أثبت تراجمهم في كتابه هذا:[1]

---

(١) ان ثودوريطس هذا قد ولد في أواخر القرن الرابع للمسيح في انطاكية وأتقن فيها العلوم الالهية ولموضع فضله وغزارة علمه وفصاحته قد جعل أسقفاً على مدينة قورس وتوابعها في سنة ٤٢٣ ورقد بالرب في سنة ٤٥٨ أي بعد المجمع الخلقيدوني ببضع سنوات:

اما قورس فهي حاضرة مقاطعة جبلية في سورية الثانية تنسب اليها وهي على نحو خمسة وسبعين كيلو متراً عن مدينة حلب الى الشمال واكثرها اليوم في قضاء مرعش:

في الفصل السادس عشر من هذا الكتاب أتى على ذكر ترجمة القديس مارون بمنتهى الايجاز: وها نحن مترجمون ذلك هنا عن الترجمة اللاتينية المعتبرة بكل تدقيق لنبني عليها بحثنا في هذا الباب: فقد قال ما ترجمته حرفياً: (راجع مجموعة الآباء لمين مج ٨٢)

الأثر الاول

« وبعد هذا (شبسياس الناسك) أذكر مارون الذي هو أيضاً « قد زين حلقة القديسين الإلهية »

« فهذا اذ عزم أن يقضي حياته في العزلة قد أمّ قمة جبل كان « يوماً ما ذا حرمة عند الاشرار . وبعد ان كرّس لله هيكلاً كان « هناك للابالسة نصب فيه مظلة صغيرة لم يكن يضوي اليها الا « نادراً[١] : ولم يكن ليكتفي بترويض نفسه على الاعمال المعتادة بل « كان يزيد على ذلك مما يبتكره من قريحته احتشاداً لغنى الحكمة . « لان المجاهد يوازن بين النعمة والاعمال : فأنعم عليه الكريم تعالى « بموهبة الشفاء عن فيض غزير حتى ذاع صيته في كل الاصقاع « واستجلب اليه الناس من كل صوب . وكان الخبر يحقق الخبر لانه « بندى البركة كانت تُرى الحميات تخمد والنفضة تهجع والابالسة

---

(١) وقد جاء وصف هذه الخيمة بعينها في ترجمة القديس يعقوب الناسك : قال ثودوريطس هناك انها كانت من بعض الجلود وكان القديس مارون يتقي بها شدة البرد والثلج وكل شدة غيرها : وهذا معنى قوله هنا انه « كان يضوي اليها نادراً »

« تهزم والامراض على اختلاف أجناسها تشفى جميعها بدواء واحد
« فالاطباء انما يصفون لكل داء دواء يلائمه أما صلاة القديسين فهي
« الدواء العام لكل الادواء : ولم يكن يقتصر على مداواة أمراض
« الجسد بل كان يعالج النفوس ايضاً بالادوية التي تلائمها . فكان يشفي
« هذا من البخل وذاك من الغضب ويعلم هذا طرق العفاف وذاك
« مبادئ العدالة ويحارب في هذا الدعارة وفي ذاك الخمول حتى انه
« بممارسة مثل هذه الحراثة قد أنمى كثيراً من اغراس الحكمة : وهذه
« الحديقة التي تزهو الآن في القورسية انما هو الذي قد غرسها :
« ومن فضل هذه الحراثة يعقوب الكبير الذي يصح ان يقال فيه
« بكل صواب تلك الآية النبوية وهي — الصديق مثل النخل
« يزهر ومثل الارز في لبنان ينمو — وغيره ايضاً سنذكرهم ان وفق
« الله : وبينما كان يجد على هذا الوجه بمعاناة هذه الحراثة الإلهية
« ويشفي النفوس والاجساد معاً اذ مُني بمرض قصير المدة دلَّ من
« جهة على ضعف الطبيعة ومن جهة ثانية على شدة حزمه فانتقل
« من هذه الحياة الدنيا : وقد حصل نزاع شديد بين اهل الجوار
« على جسمانه الا ان البلدة الأقرب والاكثر عدداً قد جاء أهلها
« بجملتهم فاستحوذوا على هذا الكنز الثمين بعد ان هزموا
« الآخرين : وقد بنوا له هيكلاً فخيماً جداً وهم لا يزالون الى يومنا
« هذا يكرمون هذا الظافر باحتفال باهر وينالون الكرامات : أما

« نحن فاننا نغنم ايضاً بركته على البعد وحسبنا ذكره تعويضاً عن
« مقامه[1] » اه

عدد ٢ — هذا ومن الآثار الثابتة التي جاء فيها ذكر القديس مارون رسالة أنفذها اليه القديس يوحنا فم الذهب من منفاه حوالي سنة ٤٠٤[2] وهي السادسة والثلاثون من مجموعة رسائله المشهورة : وقد رأينا أن نثبتها هنا قبل الدخول في درس هذه القصة لانها لا تخلو من الفائدة : وهذه ترجمتها الحرفية عن الترجمة اللاتينية ايضاً (راجع مجموعة الاب مين نفسها مج ٥٢)

الأثر الثاني

« الى مارون الراهب القس »

« ان علائق المودة والصداقة التي تربطنا بك تمثلك نصب عيننا
« كأنك حاضر لدينا لان عيون المحبة تخرق من طبعها الابعاد ولا يضعفها
« طول الزمان . وكنا نود أن نكاتبك بكثرة لولا بعد الشقة وندرة

---

(١) ولم يذكر ثودوريطس بعد ذلك هذا القديس في تراجم بعض تلاميذه الا مشفوعاً بأفخم الاوصاف . ففي سيرة القديس يعقوب الناسك (ف ٢١) يدعوه « مارون الاسمى » وفي سيرة تلاسيوس (ف ٢٢) « مارون العظيم » وفي سيرة رومنينا (ف ٣٠) « مارون الالهي » : وقد ذكر في سيرة حياة القديس زابينا الناسك ان مارونا العجيب كان يحبه ويجله كثيراً ويدعوه أباً ومعلماً لتقدمه في السن . وقد رقد بالرب قبله فأوصى قديسنا عند ما أدركه الاجل ان يدفن في ضريح زابينا هذا فلم يتسن ذلك لما كان من نزاع اهل الجوار على جسمانه كما رايت .

(٢) كان هذا القديس ملفان البيعة العظيم من مدينة انطاكية حيث تلقى العلوم الالهية ونبغ فيها بقدر ما اشتهر بقداسة السيرة . واشهرة فضله وعلمه السامي قد أقيم بطريركاً على قسطنطينية سنة ٣٩٧ . ثم نفاه الملك اركاديوس جوراً وكيداً الى كوكوزا في اقصى ارمينية في سنة ٤٠٤ حيث رقد بالرب سنة ٤٠٧ كما اجمع المؤرخون الثقات

« المسافرين الى نواحيكم . والآن فاننا نهدي اليك أطيب التحيات
« ونحب ان تكون على يقين من اننا لا نفتر عن ذكرك أينما كنا لما
« لك في ضميرنا من المنزلة الرفيعة فلا تضن انت ايضاً علينا بأنباء
« سلامتك فان اخبار صحتك تولينا على البعد أجل سرور وتعزية في
« غربتنا وعزلتنا فتطيب نفسنا كثيراً اذ نعلم انك في عافية . وجل
« ما نسألك ان تصلي الى الله من اجلنا » اه

الفصل الثاني

درس تاريخي انتقادي على ترجمة القديس مارون الكبير

عدد ٣ — من المعلوم انه لو لم تبق يد الزمان على هذا تاريخ العلامة ثودوريطس لم يكن بين أيدينا أقل أثر لترجمة هذا رجل الله العظيم . لان كل ما اتصل بنا عنه انما مرجعه الى هذه القصة الوحيدة الا ما شاءت قرائح الكتبة ان تتوسع فيه من وجه الاستنتاج أو الاستحسان الخالي من صحة الاسناد :

أما هذه الترجمة كما يرى المتأمل فلا تفي بكل المطلوب . لان هذا الكاتب الجليل القدر لامر لا نعلمه الا بالتخمين قد اغفل ذكر وطن هذا القديس المترجم ووالديه وزمان ولادته وسيرة حياته قبل ان أعتزل الدنيا ثم الزمان والمكان الذي تنسك فيه وتاريخ وفاته واسم البلدة التي استولت على جسمانه وبنت له فيها كنيسة عظمى على قوله . مع انه لا يمكن ان يقدّر بصواب انه كان جاهلاً لكل هذه الظروف وهو معاصر له تقريباً

ولربما رأى المتبصر ان هذا المؤرخ العلامة انما أهمل كل ذلك لحكمة وهي ان يكون هذا القديس العظيم الذي كان مزمعاً ان يصير مؤسساً وأباً لرهبانية

شهيرة ولأمة كبيرة تفاخر باسمه والانتساب اليه على مر الاحقاب نظير ملكيصادق الذي ليس له أب ولا أم ولا نسب ولا له بداية أيام ولا نهاية حياة . كما قال فيه رسول الامم (عبران ٧ : ٣) :

أما نحن فنرى ان لا بد من البحث في هذا الموضوع لاجل الكشف بقدر الامكان عن هذه المجهولات من هذه الترجمة اقتداء بمن قد خاضوا قبل في هذه اللجة وأبدوا في أمرها بعض الآراء بين مصيبة ومخطئة : ودونك أولاً بعض آرائهم :

عدد ٤ — فقال بعضهم ان منشأ هذا القديس كان من بلدة تدعى « مارونية » بالقرب من انطاكية . وربما استندوا في ذلك الى مماثلة الاسم : وقال آخرون بل مسقط رأسه انما كان في مدينة انطاكية مستنداً الى ما كان بينه وبين الذهبي الفم من المودة القديمة التي ظهرت من خلال رسالة هذا الملفان العظيم المذكورة آنفاً . فرأوا ان هذه الصداقة انما منشأها وحدة الوطن أو المدرسة التي تلقيا فيها العلوم معاً لانهما كانا متعاصرين : وذهب غيرهم الى انه انما كان من اهل قورس أو جوارها من بلاد القورسية لانه انقطع الى عبادة الله متنسكاً في احد جبالها : وكل ذلك على ما نرى ليس بثبت وانما الحقيقة هي انه لا يعرف له وطن معين وليس بين أيدينا مقدمات راهنة لمثل هذا الاستنتاج : وعندنا من المرجح ان يكون من أهل افامية أو جوارها كما سنبينه عند البحث عن مكان تنسكه ووفاته في ما يلي ان شاء الله تعالى :

أما من جهة تاريخ ولادته فقد قال بعضهم انه ولد في سنة ٣٥٠ م ولا مستند لهذا القول ايضاً . وجل ما يمكن ان يقدر بصواب انه ولد في بهرة القرن الرابع للمسيح واعتزل الدنيا عند ما مال الى الكهولة أي بعد ان أتقن العلوم التي كانت تطلب في ذلك العصر : وهذا التقدير وجيه جداً وخصوصاً اذا صح انه كان كاهناً لانه لا يتأتى ان يجعل في ذلك العصر كاهناً قبل الثلاثين من العمر وقبل ان

يتعلم العلوم الكافية . كما انه لا يقدر بصواب انه قبل هذه الدرجة المقدسة بعد تنسكه كما قال بعضهم : ومما يدل على انه كان متضلعاً من العلوم ما ذكره ثودوريطس من انه لم يكن يكتفي بتمريس نفسه على الاعمال المعتادة بل كان يزيد على ذلك مما يبتكره من قريحته احتشاداً لغنى الحكمة . . . وانه كان يعالج النفوس ايضاً بالادوية التي تلائمها . أي انه كان مرشداً روحانياً ماهراً يعلم الناس طرق العفاف والعدالة ويحارب كل رزيلة فيهم مما يقتضي علماً راسخاً كما لا يغرب . وبقوة علمه وفضله خط لتلامذته نهج الزهد والعبادة والعيشة الرهبانية حتى غرس حدائق النساك التي منها الحديقة القورسية على ما روى هذا المؤرخ الثقة :

عدد ٥ — ذلك ومن المجهولات أيضاً في هذا التاريخ مكان الجبل الذي انقطع فيه لعبادة الله . وجل ما في هذه القصة انه كان جبلاً عالياً ذا حرمة عند الاشرار وكان على قمته هيكل شهير للأبالس : اما محل هذا الجبل فرأي الجمهور الآن على انه في القورسية مستندين أولاً الى ان المؤرخ نفسه قد صرح بعد فراغه من تراجم النساك الذين اشتهروا في انطاكية وجوارها انه آخذ بكتابة تراجم الذين تنسكوا في القورسية (راجع مجموعة مين مج ٨٢ ص ١٢١٦) : ثم الى ماجاء في أواخر هذه الترجمة من ان هذا القديس المعظم هو الذي غرس حديقة النساك التي كانت ترى آنئذٍ في القورسية ومنها يعقوب الكبير الخ : وعندنا ان كل ذلك لا يثبت هذه القضية اثباتاً راهناً . واليك بيان رأينا هذا :

ان المستند الاول لا يصلح وحده لاثبات هذا الزعم الا اذا أثبت على الاقل ان الكاتب قد تقيد حقيقة في هذا الباب بذكر الذين تنسكوا في القورسية فقط . بيد اننا نرى كما يرى كل نقادة بصير انه لم يتقيد بذلك كما يظهر أولا من تعيينه في بعض هذه التراجم للمحلات التي تنسك فيها بعضهم من القورسية واغفال ذكر المحلات التي تنسك فيها غيرهم : فكأني به وهو يكتب لفائدة

أبناء ابرشيته التي هي نفس القورسية قد تحرى مثل هذا الايجاز الذي يأباه كل مؤرخ كتب بقصد الفائدة للملأ أجمع ممن يأتون بعده لانه انما كان يكتب لغرض مخصوص بأهل عصره وابرشيته الذين يكتب لهم : ومن ثم نراه قد اقتصر على ذكر الامكنة التي قدسها هؤلاء النساك بفضائلهم وتجهداتهم وكراماتهم من بلاد قورس واغفل غيرها لحسبانه اياها خارجة عن غرضه هذا كما يرى المتأمل : والاّ حُكِم على ثودوريطس بالعيب والتقصير المذموم لا محالة وهذا لا يصح عقلاً في كاتب مجيد نظيره كما يشهد له ما ترك من التآليف النفيسة والخطب البديعة التي دلت على سعة علمه وكثرة تدقيقه وفصاحة بيانه حتى عُدَّ بعد القديس يوحنا فم الذهب من أحسن كتّاب عصره بل من آباء الكنيسة المعوّل عليهم وقد أثنى عليه أبناء المجمع الخلقيدوني في حياته أطيب الثناء :

فمن الذين ذكر مكان تنسكهم من القورسية القديس يعقوب تلميذ مار مارون . فقد قال عنه انه « بعد ان سكن مدة مع معلمه جاء فسكن في جبل يبعد عن قورس ثلاثين غلوة » : ثم قال عن القديس تلاسيوس المعروف بليميناوس انه « تتلمذ أولاً للقديس مارون مع يعقوب المشار اليه ثم تنسك في أحد جبال قورس بالقرب من جرجلة » : وقال عن القديس موسى الناسك انه « تزهد على قمة جبل شامخ بالقرب من قرية راماص » : ثم عن يعقوب آخر انه « انقطع للنسك بالقرب من قرية تدعى سوزان وهو ابن تسعين سنة » : ثم عن دميانوس انه « تنسك في قرية تدعى نياره » : وقال خاصة عن ابراهيم الناسك انه « هو ايضاً كان ثمرة نمت في بلاد قورس وفيها كان مولده » :

عدد ٦ — هذا ومن الغريب ان هذا المؤرخ الفاضل قد اغفل ايضاً ذكر المحل الذي تنسك فيه القديس زابينا الذي كان له صلة قريبة أيام تنسكه بالقديس مارون وقد أوصى ان يدفن في ضريحه : وأهمل ايضاً مناسك أخرى مما له صلة به كأنه تعمد سد كل مجال لحل هذا المشكل ولو بالاستقراء : وقد

ذكر بين العذارى اللواتي تتلمذن للقديس مارون القديسة دومنينا ولم يذكر عن مكان تنسكها الا انها بعد وفاة والديها قد تنسكت في كوخ من هشيم الذرة اقامته لنفسها في بستان كان لامها . اما القديستان كوره ومريانه فيظهر من قوله انهما قد تنسكتا في مدينـة حلب لانه ذكر عنهما انهما قد ذهبتا على الاقدام صائمتين لزيارة الاماكن المقدسة ولم تذوقا طعاماً الا فيها ثم عادتا مشياً صائمتين ايضاً الى حلب (أي الى منسكهما) وهـذا برهان صريح على انه لم يقتصر على ذكر من تنسكوا في القورسية بهذا الكتاب : ويدعمه قوله بعد الفراغ من تدوين سـيرة القديسة دومنينا « ان كثيراً من النساء قد سلكن على هـذه الطريقة النسكية الا ان بعضهنَّ قد أثرن العيشة المشتركة فاجتمعن معاً حتى أربى عددهنَّ على المئتين والخمسين زاهدة . وكنَّ يأكلنَ طعاماً واحداً ويرقدنَ على الحصر ويغزلنَ الكتّان وهنَّ يترنمنَ بالتسابيح لله » ومع هذا لم يذكر المكان الذي تنسكن فيه : ولا يقدَّر بصواب انه كان في ضمن حدود القورسية : وقد قال ايضاً في الفصل الثالث والعشرين من هذا الباب « ان كثيرين من مثل هؤلاء الابطال قد عكفوا على مثل هـذا الجهاد في البراري والقفار لم يتسنَّ لنا ان نكتب تراجمهم واحداً فواحداً وهو يرمي بقوله هذا كما يظهر لنا الى ماهو أوسع كثيراً من حدود القورسية والا لما تأخر عن زيارتهم وتقصي اخبارهم كما صنع مع سواهم ممن كانوا في ضمن هذه الحدود :

فيستنتج من كل ذلك على ما نرى انه في الحقيقة لم يتقيد في هـذا الباب بذكر النساك الذين انقطعوا لعبادة الله في القورسـية فقط : ومن ثم لا يمكن القطع بان القديس مارون انما تنسك على احد جبال هذه المقاطعة : ونحن نرى انه انما ذكره هنا توصلاً الى بيان اصل الطريقة التي سلك على مقتضاها من قد تنسكوا في القورسية .

عدد ٧ — اما المستند الثاني وهو قول ثودوريطس ان الحديقة الروحية

التي تزهو الآن في القورسية انما كانت من غرس القديس مارون . . . فهذا نراه أوهن من الاول و بيان ذلك .

أولاً ان الكاتب انما يتكلم هنا على سبيل الاستعارة فلا يتحصل ضرورة من كلامه هذا ان الذي غرس هذه الحديقة قد كان فيها . بل ان النساك الذين تتقوم عنهم هذه الحديقة الزاهية انما هم ممن أخذوا عنه هذه الطريقة واهتدوا اليها بمثله وارشاداته ونصائحه . ومن الممكن ان يكون ذلك قد حصل في منسكه وهو خارج القورسية كما لا يغرب عن المتبصرين . بل نرى ذلك أقرب الى الصواب كما يدل عليه كلام المؤرخ نفسه في هذه القصة . فانه قال أولاً — ان صيت القديس مارون بما نال من الكرامات الالهية قد ذاع في كل الاصقاع حتى اخذ الناس يتقاطرون اليه من كل صوب للاستشفاء من أمراض الروح والجسد . . . ألا يمكن ان يكون قد بلغ صيته الى القورسية أيضاً فأتى اليه منها جمهور من الناس سعياً وراء الفائدة المطلوبة حتى تتلمذ له كثيرون واقتدوا به وعادوا الى بلادهم فساروا على مقتضى سيره الروحي ؟ والا فما معنى قوله عن تلميذيه يعقوب الذي يصفه بالكبير وليميناوس انهما بعد ما سكنا معه مدة غادراه وجاء الاول فتنسك على جبل يبعد عن مدينة قورس ثلاثين غلوة . وذهب الثاني الى أحد جبال قورس بالقرب من جرجلة ؟

ذلك فضلاً عن ان هذا المؤرخ يصرح قبل الفقرة المذكورة التي أخذت هنا مستنداً ان هذا القديس المعظم « بممارسته هذه الحراثة (حراثة شفاء النفوس من أدواء الرذائل) قد أنمى كثيراً من أغراس الحكمة » ثم يردف قوله هذا بالفقرة المذكورة وهي « وهذه الحديقة التي تزهو الآن في القورسية انما هو الذي غرسها لله » ومن ثمَّ فبأقل تدقيق يظهر لكل ذي ذوق سليم من هذه الفقرة الاولى ان هذا القديس قد غرس لله حدائق من مثل هذه في جهات مختلفة . ثم ان هذه التي في القورسية انما هي واحدة منها . فاذا صح ذلك لم يتحتم أن

يكون غارس حديقة النساك في القورسية قد سكن فيها والا تعددت مساكنه في آن واحد حيث ترى آثار أغراسه . وهذا محال

عدد ٨ — ومما يدعم برهاننا هذا ما جاء في آخر هذه القصة من انه لما رقد هذا القديس المعظم بالرب(١) قد حصل نزاع على جسمانه وان البلدة الاقرب الى محل منسكه قد استولت على هذا الكنز الثمين وبنت له هيكلاً عظيماً . . . . أما نحن (أي المؤرخ وأهل القورسية) فاننا نتمتع عن البعد ببركاته وحسبنا ذكره

---

(١) ومن المجهولات في سيرة حياة هذا القديس المعظم تاريخ وفاته ايضاً : فقد جاء في المعجم التاريخي الجغرافي لبوليا (بحسب الطبعة ٣١ التي اعاد النظر عليها عمدة من العلماء وهذبوها تهذيباً حسناً كما جاء في أولها) قال عند ذكر اسم « مارون » ما مؤداه « ان القديس مارون كان ناسكاً ورعاً في سورية في القرن الخامس وقد رقي الى درجة الكهنوت في سنة ٤٠٥ وتوفي سنة ٤٣٣ » وعندنا انه زعم لا مستند له ويعارضه ان ثودوريطس الذي كتب سيرة حياة هذا القديس انما كتبها بعد ان صار أسقفاً على قورس منذ سنة ٤٢٣ وهو يتكلم عنه بما يشعر انه كان قد رقد بالرب وبنيت الكنيسة على اسمه وهذا يقتضي على الاقل مدة عشرين سنة : ذلك فضلا عن ان ثودوريطس قد شاهد بعض تلامذة هذا القديس في القورسية ومنهم يعقوب الكبير وليميناوس وقد تلقى اكثر اخباره عنهما : ومن جهة أخرى نرى القديس يوحنا فم الذهب الذي نفي الى كوكوزة في أقصى ارمينية سنة ٤٠٤ وتوفي سنة ٤٠٧ قد كتب له من منفاه الرسالة التي أثبتناها في الفصل السابق : فلا غرو والحالة هذه اذا تعين زمان وفاة قديسنا هذا حوالي سنة ٤١٠ كما ذهب الاب روزيدس اليسوعي في حواشيه على تاريخ ثودوريطس

ومما أهمل هذا المؤرخ الجليل ذكر ما اذا كان هذا القديس كاهناً : وقد اختلف المتأخرون في ذلك ولو لم يكن من الاهمية بمكان : اما الذين ذهبوا الى انه كان كاهناً فلهم ادلة من وجه الاستنتاج منها التقليد القديم عند الموارنة كما تدل الآثار الباقية : ثم عنوان رسالة الذهبي الفم المذكورة آنفاً : وقد اعترض بعضهم على صحتها دفعاً لهذا البرهان ولكنها ثابتة عند المحققين . وليس من المعقول ان تدس بين رسائله من عهد بعيد لانها وجدت في نسخ خطية قديمة جداً . كما انه ليس من الغريب ان يكون قد جرى مثل هذا التعارف والتواد بين هذين القديسين المتعاصرين في بقعة واحدة : ومما يدل على انه كان كاهناً قول ثودوريطس نفسه عنه بانه قد كرس لله هيكل الابالس . . . وانه كان يشفي الامراض بالبركة : وهو كلام يستعمل عادة في اللغة الكنسية لعمل كهنوتي كما لا يخفى . الا اذا قيل انه انما استعمله هنا من باب التوسع والله اعلم

تعويضاً عن مقامه . فيظهر جلياً من هذه الفقرة الاخيرة ان الذين استولوا على جسد القديس مارون لم يكونوا من القورسية والا لم يكن من سبيل هنا لمثل هذا الكلام الذي من شأنه ان يدل على بعد شاسع بين القورسية ومقام هذا القديس بحيث لا يتسنى لهم زيارته والاشتراك بالاحتفالات الباهرة التي كانت تقام له في هيكله الجديد ولا يمكنهم ان يؤمّوه بسهولة للاستشفاع فيه . ولهذا فهو يعزّيهم على بعدهم عنه ويبين لهم مع ذلك امكان التمتع ببركاته وذكره : فاذا صح ذلك (ولا نخاله الا صحيحاً) تحتم ان يكون منسك مارونا هذا خارج القورسية لان الذين استولوا على جسمانه انما هم أهل البلدة الأقرب اليه وهي خارج القورسية كما حصل البرهان

هذا ومن المرجح عندنا ان الذين تحمسوا حتى نهضوا جميعاً نهضة واحدة وأخذوا جسمان هذا القديس عنوة الى بلدتهم حيث بنوا له ذلك الهيكل الفخيم وكانوا يكرمونه باحتفالات باهرة انما كانوا أهل بلدته الاصلية وفيهم من ذوي قرابته ولو لم يلمع المؤرخ الى شيء من ذلك لتعمده منتهى الايجاز

وعندنا ان دير القديس مارون الذي اشتهر في جوار افامية من سورية الثانية انما بني تدريجاً بجانب هذه الكنيسة التي ولا بدّ قد استغنت من كثرة النذور والاوقاف التي كانت ترد اليها من أهل التقى بسبب ما كان يؤتيهم الله تعالى من الكرامات بشفاعة هذا القديس المشفع على ما أشار ثودوريطس : ومن المعقول ان يكون قد جاورها في ذاك العهد أولاً جمهور من تلامذة هذا القديس لاجل خدمتها والتبرك من ذخائره المحفوظة فيها وهم الذين تسببوا ببناء هذا الدير أولاً صغيراً يكفي لسكناهم ثم كبر على التمادي : والا فأين كانت هذه الكنيسة الفخيمة جداً على ما وصفها هذا المؤرخ وكيف انتهى أمرها حتى لم يعد يظهر لها من أثر قبل هذا الدير الذي ظهر في جوار افامية بعد تشييدها بمدة أقل من ثلاثين سنة دون ان يعرف لتأسيسه من تاريخ ؟ وهذا ما سنبينه ان وفق الله

في الفصل الآتي : أما الآن فحسبنا أن نلمع اليه هنا بما تقدم حتى يمكننا ان نبين استنتاجنا من هذا البحث وهو كما يلي :

ان القديس مارون الناسك العظيم انما كان منشوءه على ما يظهر في جوار افامية منذ أواسط القرن الرابع . وقد تنسك في أواخره على أحد الجبال المجاورة لوطنه وقد جاء في الآثار التاريخية ان النساك قد كثروا هاتيك لايام في تلك النواحي لانها كانت صالحة جداً لمثل هذه الطريقة : واذ اشتهر في كل الاصقاع بقداسته وفضائله وحكمته الباهرة وما أنعم الله عليه به من عمل الكرامات والمعجزات أخذ الناس يقصدونه من كل صوب . وفي جملة من قصده وتتلمذ له بعض أهل القورسية الذين عاد بعضهم الى بلاده وسلكوا على منهاجه القويم : واذ أدركته المنية في نحو سنة ٤١٠ فلعلو منزلته في قلوب المؤمنين قد تنازع أهل الجوار على جسمانه واستولى عليها عنوة أهل البلدة الاقرب اليه والاكثر عدداً و بنوا له عندهم هيكلاً فخماً جداً ثم بني الدير المشهور هناك باسمه في جوار هذا الهيكل

الفصل الثالث

في دير القديس مارون و رهبانه

عدد ٩ — ان الآثار التاريخية الثابتة التي تتعلق بالقرن السادس للمسيح تستفيض بذكر دير كبير وشهير للقديس مارون بين الأديار الكثيرة التي في مقاطعة افامية في سورية الثانية : وانه كان من أهمها وله الاولية عليها كما يظهر من هاتيك الآثار على ما نحن مبينون هنا :

فمن هذا القبيل ما جاء في أعمال المجمع الخامس المسكوني وهو بمناسبة ما حصل لرهبان هذه الاديار من الحيف والدمار الذي أنزله بهم ساويرس

بطريرك انطاكية الدخيل منذ سنة ٥١٢[1] : فهذا الطاغية بعد ان عمل بكيده ودهائه على الاستيلاء على كرسي انطاكية جوراً قد صرح بحرم المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون الكبير بابا رومية وأخذ يضطهد أهل الايمان المستقيم وكان في جملتهم رهبان ناحية افامية الذين نكل بهم تنكيلاً وهدم أديارهم وقتل منهم ثلاثمائة وخمسين راهباً وهم الشهداء الذين تعيد لهم الكنيسة المقدسة في الحادي والثلاثين من شهر تموز باسم « تلاميذ مارمارون » وقد حصل ذلك حوالي سنة ٥١٧ : واذ هدأ الامر اجتمع أولئك الرهبان الذين نجوا من جور أصحاب ساويرس وقدموا عريضة الشكوى الى انسطاس الملك مما حلَّ بهم ولم يكونوا يدرون انه هو الذي سمح بذلك وعاون عليه . ولما لم يلتفت اليهم رفعوا عريضة ثانية الى قداسة البابا هرمزداس وهذه حفظت في مجموعة أعمال المجمع الخامس الذي عقد في قسطنطينية على عهد مينا بطريركها سنة ٥٣٦ مع جواب البابا المشار اليه عليها : وها نحن ذاكرون هنا ترجمة هذه الرسالة عينها عن اللغة اللاتينية بكل تدقيق لما فيها من وصف ما حل بأولئك الرهبان ثم لما جاء في آخرها من تواقيع رهبان دير القديس

---

(١) كان ساويرس هذا من مدينة سوزوبليس في اقليم بسيدية من آسية الصغرى وكان جده اسقف هذه المدينة وقد حضر مجمع افسس المسكوني الذي عقد ضد نسطور : وبعد موت والده ذهب الى الاسكندرية حيث أتقن اليونانية واللاتينية : ثم جاء مدينة بيروت لاقتباس علم الفقه ولم يكن بعد قبل سر العماد المقدس . فذهب مع بعض رفاقه الى طرابلس وقبل سر العماد في كنيسة القديس ليونت الشهيد وكان كفيله افغريوس : ثم دخل في السلك الرهباني وسيم قساً . ثم ذهب الى قسطنطينية فحظي بدهائه لدى الملك انسطاس وعمل على طرد مقدونيس بطريرك قسطنطينية الشرعي وتنصيب طيمثاوس خازن تلك المدينة مكانه . ثم جاء الى انطاكية وبامداد هذا البطريرك الدخيل والملك انسطاس نفسه قد عمل على طرد افلابيانوس بطريركها الشرعي ايضا وجلس مكانه واخذ من ثم يبث تعاليمه الملتوية ويجاهر بحرم المجمع الخلقيدوني ورسالة البابا لاون الكبير : وكان مذهبه في المنوفيزية مخالفا لمذهب اوطاخي وقد كتب ايضا ضده مقالات شتى وكان يصفه على الدوام بالغبي . وكان جوهر تعليمه ومذهبه الذي شايعه عليه جمهور من الناس انما هو ان المسيح طبع واحد مركب من طبعين : وكان فصيح العبارة قوي العارضة والحجة وقد كتب كثيراً في اثبات مذهبه واليعاقبة يعتبرونه قديسا الى اليوم

مارون : وسنذكر بعدها عنوان جواب البابا هرمزداس وكل ما جاء فيه ذكر لهذا الدير ورهبانه في أعمال المجمع المذكور (راجع مجموعة أعمال المجامع مج ٢ من سنة ٥١٤ الى سنة ٥٥١) : أما هذه الرسالة فهي كما يلي :

الأثر الثالث

« صورة رسالة رؤساء الاديار وسائر الرهبان الذين في سورية الثانية »

« في سنة ٥١٧ للمسيح »

« في وصف ما احتملوا لاجل الايمان الكاثوليكي من قبل
« الاوطاخيين الذين لم يهتم الملك لردعهم . والاستغاثة من ثمّ بالحبر
« الروماني بما انه الأب العمومي »

« عريضة التضرع والاسترحام »

« يقدمها الحقيرون رؤساء الديارة التي في معاملة سورية الثانية مع
« سائر الرهبان الى ذي القداسة والغبطة السامية هرمزداس بطريرك
« المسكونة بأسرها الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل »
« أما بعد فلما كانت نعمة المسيح مخلصنا جميعاً قد ألهمتنا ان
« نلجأ الى غبطتك كاللاجئ من تيار الامطار والعواصف الى مينا الامن
« لذلك نعتقد ان ما يحيق بنا من مثل هذه الامور لا ينالنا بضر : على اننا
« ولئن كنا نقاسي أشد الضيم تروننا نحمله بفرح لاعتقادنا ان آلام
« هذا الدهر لا تذكر في مقابلة المجد الابدي الذي سيتجلى لنا : وبما
« ان المسيح إلهنا رأس الرعاة العظيم قد أقامكم معلماً وطبيباً للنفوس

« بأجمعها رأينا من الواجب ان نوضح لكم ما ألمَّ بنا من الشدائد ونميط
« الستار عن حقيقة الذئاب الكاسرة الذين يعبثون برعية المسيح
« لتطردوهم بعصا السلطة من بين القطيع وتصححوا بكلمة التعليم
« وتعالجوا بالصلاة ما كان مختلاً فيه »

« واذا سألتم من هم هؤلاء وما الذي أثارهم ضدنا فاسمعوا اذاً
« يا صاحب الغبطة السامية : انما هم ساويرس وبطرس[1] اللذان لم
« يُحسبا قط في عدد المسيحيين لانهما لا يفتران عن التصريح كل يوم
« بحرم المجمع الخلقيدوني المقدس ولاون أبينا الاقدس ولا يحترمان
« اقل احترام أحكام الله بل يفسدان قوانين آبائنا المرعية جهد المستطاع
« ويمثلان بالاساقفة بقوة قاهرة ويجبراننا نحن ايضاً على الاستهزاء بالمجمع
« الخلقيدوني المقدس وهما يسومانا لذلك أشد العذاب »

« ومن ثم فاما كان بعض من ذكروا لم يستطيعوا ان يتحملوا كل
« هذه البلايا قد انتقلوا من هذا العالم وقد قتل من ذوينا جمهور غير
« يسير . لاننا اذ كنا ذاهبين الى دير مار سمعان في مصالح الكنيسة
« قد فاجأنا أولئك الاشرار الذين كانوا كامنين لنا في الطريق وقتلوا منا
« ثلاثمائة وخمسين رجلاً فضلاً عن الذين أثخنوهم جراحاً : ولم يتقوا
« الذين لاذوا بالمذابح المقدسة بل قتلوهم هناك وقد أحرقوا الديارة

---

(١) يراد به بطرس الافامي الاسقف الذي كان مناصراً بعزم لساويرس : ويقال انه هو الذي قاد عساكر الروم الى افامية ونكل برهبانها واديارهم ونهب وقتل وهدم على ما هو مذكور هنا :

« وأتلفوا الاوقاف البيعية ولم يبقوا على شيء من ذلك بواسطة جم
« غفير من الاشرار القساة الذين أرسلوهم عليها : وستقف غبطتكم
« على تفاصيل هذه الفظائع من الاوراق المقدمة بواسطة الاخوين
« المحترمين يوحنا وسرجيس اللذين كنا أوفدناهما الى قسطنطينية
« في طلب الاقتصاص عن هذه المظالم التي حصلت ولكن الملك لم
« يتنازل ولو بكلمة واحدة بل أهانهما وطردهما باحتدام متهدداً
« بالسوء كل من تجاسر على مخاطبته في هذا الموضوع : وهذا مما
« جعلنا نفهم ولو بعد حين كيف ان هذه الشرور البليغة والجسارة
« بالاعتداء على الكنائس انما كانت برضاه وايعازه »

« ولهذا فاننا نتوسل اليكم أيها الاب السامي الغبطة مسترحمين
« ان تنهضوا بالحزم والغيرة متألمين لهذا الجسم الذي تهشم لانكم رأس
« الجميع فتنتصرون للايمان الذي احتقر وللقوانين التي ديست وللآباء
« الذين شتموا ولهذا المجمع الذي حرم جوراً وبهتاناً . لانكم انما
« أعطيتم القوة والسلطان من لدن الله على الحل والربط والاصحاء
« لا يحتاجون الى طبيب : فانهضوا أيها الاب الاقدس وهاموا الانقاذنا
« متشبهين بربنا له المجد الذي انما انحدر من السماء الى الارض لينشد
« الخرفان الضالة : تمثلوا ببطرس زعيم الرسل الذي تجلسون بالعز على
« كرسيه وببولس الاناء المصطفى اللذين طافا المسكونة بأسرها وزيناها:
« فالجراح البليغة تحتاج الى عناية أبلغ »

« ان الاجراء اذا رأوا الذئاب آتية الى الخرفان تركوها لتبددها .
« أما أنتم فالرعاة الحقيقيون والملافنة الذين وكلت اليهم العناية بسلامة
« القطيع : فعلى القطيع والحالة هذه ان يعرف راعيه متى نجا من
« الوحوش الضارية وان يتبع صوت راعيه كما قال الرب ان خرافي
« تسمع صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني »
« فلا تتغاضوا عنا اذن أيها السامي القداسة نحن الذين كل يوم
« تهشمنا الوحوش الكاسرة : ولكي يكون ملاككم على ثقة تامة
« منا فاننا نحرم في عريضتنا هذه التي هي بمنزلة وثيقة كل الذين رفضهم
« وحرمهم كرسيكم الرسولي . ونريد بهم نسطور الذي كان أسقف
« قسطنطينية واوطاخي وديسقورس وبطرس الاسكندري المعروف
« بالالثغ وبطرس الانطاكي المعروف بالقصار ثم اقاقيوس الذي كان
« اسقفاً على قسطنطينية وكل اشياعهم مع كل ماينتصر لهؤلاء الهراطقة» اه

ثم تلي التواقيع على الترتيب الآتي

« ١ً انا الاسكندر القس برحمة الله رئيس دير القديس مارون
« تضرعت»

« ٢ً أنا سمعان القس رئيس الدير كما اعلاه »

« ٣ً أنا يوحنا الشماس برحمة الله رئيس الدير كما اعلاه »

« ٤ً أنا بروكوبيس القس برحمة الله رئيس الدير »

ويتبع ذلك نيف ومئتا امضاء اقتصرنا منها على هذه التي فيها ذكر دير القديس مارون حباً للاختصار

ودونك الآن عن المجموعة نفسها عنوان مرسوم الجواب من لدن قداسة الحبر الاعظم لهؤلاء الرهبان نجتزئ به لان المرسوم ليس فيه مايتعلق بهذا البحث

تابع الأثر الثالث

« هرمزداس الاسقف »

« الى القسوس والشمامسة ورؤساء الديارة الذين في سورية الثانية
« وسائر الارثوذكسيين الساكنين في أية ناحية من المشرق ممن لهم
« اشتراك مع الكرسي الرسولي »

عدد ١٠ — ولمزيد الفائدة نذكرهنا ما جرى على أثر ذلك : فانهذا البابا القديس قد كتب ايضاً رسالة ضافية الذيول الى الطاغية انسطاس في هذا الامر يحثه بها على اصلاح ما أفسد في بيعة الله والرجوع الى الصراط القويم وأرسلها مع وفد الى قسطنطينية أودعهم ايضاً صحيفة مجمعية تتضمن الاقرار بعقائد الايمان الحقيقي لتعرض على جميع الرؤساء لاجل اعتمادها والسلوك بحسبها : أما انسطاس فقد قسّى الله قلبه كما كان يقسي قلب فرعون أيام موسى النبي ليكون قصاصه مريعاً : ولهذا فقد أمسك رسل البابا وعنفهم أشد التعنيف وكلفهم رفض ماهم مرفدون لاجله والاعتقاد بمعتقده الوخم وهو المنوفيزية : وإذ أبوا عليه بكل شجاعة أمر بنفيهم الى أقاصي البلاد : ولكن الله عز وجل قد انتقم منه بصاعقة انقضت عليه وهو في منتهى عنفوانه وجوره أودت بحياته فوراً في سنة ٥١٨ :

فخلفه يستين المستقيم الرأي الذي اخذ حالاً باصلاح كل فساد وبسط رواق العدل وارجع كل شيء الى نصابه ونفى طيمثاوس البطريرك الدخيل ونصب

على قسطنطينية يوحنا المستقيم العقيدة . فعقد هذا البطريرك مجمعاً خاصاً في العاصمة اجتمع اليه اثنان وأربعون أسقفاً تحت رعاية الملك . وقد كتب اذ ذاك كايرس انطاكية ورهبانها عريضة الى هذا البطريرك بالشكوى على ساويرس المذكور كما ترى صورتها في أعمال المجمع المسكوني الخامس الذي عقد فيما بعد وفي ذيل هذه العريضة بين التواقيع اسم

« يوحنا راهب دير القديس مارون قدمت »

وكذلك أسماء رهبان آخرين على هذا الشكل . ويتلو هذه الرسالة رسالة أخرى رفعها رهبان الافامية الى هذا المجمع عينه وفيها وثيقة ايمانهم مع شكاويهم مما حلَّ بهم وفي ذيلها يقرأ بين التواقع أيضاً اسم

« زينوب القس رئيس دير القديس مارون في سورية »

فبحث هذا المجمع في أعمال ساويرس بنوعٍ خاص وحكم عليه بالضلال وحرمه مع كل مشايعيه : ثم رفع آباؤه صورةً عن قرارهم فيه الى قداسة الحبر الأعظم وأرسلوا مثلها الى نواحي سورية : وعلى أثر ذلك عقد مجمع لهذه الغاية في أورشليم وآخر مثله في صور وكانت نتيجة كل منهما على مقتضى ما كان في مجمع قسطنطينية المشار اليه من جهة تخطئة ساويرس وطعنه بالحرم مع كل مشايعيه ايضاً : و بناء على ذلك أصدر يستين الملك أوامره المشددة بكبت أولئك الطغاة وانزال العقاب بكل من يستحقه . فانهزم ساويرس من وجه العدالة لى مصر لابساً زي الرهبان وهلك أخيراً في نواحي الاسكندرية بين سنة ٥٣٩ وسنة ٥٤٢ : وجلس على كرسي انطاكية بعد طرد ساويرس بولس القويم الايمان واستتب الامان في الكنيسة : ثم توفي يستين الملك بعد زهاء عشر سنوات من ملكه وخلفه على العرش في سنة ٥٢٧ ابن أخته يستيانوس المعروف بالكبير وهو صاحب الشرائع المشهورة باسمه :

عدد ١١ — وعلى عهد هذا الملك العظيم اذ كان مينا بطريركاً على

قسطنطينية عقد المجمع الخامس المقدس في هذه العاصمة سنة ٥٣٦ : وقد رأينا بين أعماله فضلاً عما ذكر من شكاوي رهبان الافامية سنة ٥١٧ وما يليها أولاً وثيقة هؤلاء الرهبان الى يستنيانوس الملك . ثم وثيقتهم الى مينا البطريرك وفي ذيل كل منهما التوقيع الآتي :

« بولس الشماس برحمة الله معتمد دير القديس مارون الذي له

« الاولية على سائر الاديار المحترمة التي في سورية الثانية الخ »

ثم وثيقة ثالثة عنوانها على الشكل الآتي :

« وثيقة رهبان افامية الى اساقفتهم في مساوئ بطرس »

« صورة الكتابات التي قدمها مجمع رهبان افامية الى الآباء

« القديسين الذين في سورية الثانية . . . وقد امضاها كل رهبان

« مقاطعة افامية »

ومن ذلك التواقيع الآتية :

« ١ً الاسكندر القس رئيس دير القديس مارون قدمت

« الكتابات المذكورة وامضيتها بخط يدي »

« ٢ً سمعان القس برحمة الله رئيس دير القديس اغابيطس »

« ٣ً بروكوبيوس القس رئيس دير القديس ثودوسيوس »

ويليها كثير من الامضاءآت وقد كتب بعضها بالسريانية

وفي الجلسة الاولى من هذا المجمع وفي ذيل العريضة التي رفعها آباؤه عند ختامه الى الحبر الروماني بما حصل فيه يوجد بين التواقيع الاسماء الآتية مما يلامس غرضنا :

« بولس الراهب معتمد دير القديس مارون في سورية الثانية امضيت »

« سمعان الشماس معتمد دير القديس يعقوب في سورية الثانية
« امضيت »
« يوحنا الشماس معتمد دير القديس ثودورس في سورية الثانية
« امضيت عني وعن الرهبان الذين فيها »

هذا وقد ذكر بروكوب القيصري الذى كتب تاريخ الابنية التي رممها وشيدها يستنيانس الكبير وهو معاصر له (ك ٤ ف ٩) ان هذا الملك (الذي تولى الملك زهاء ثماني وثلاثين سنة) قد جدد أيضاً دير القديس مارون في الافامية الذي كان قد أحرقه أشياع ساويرس على ما ذكرنا آنفاً

الفصل الرابع

درس في زمان تأسيس دير القديس مارون وموقعه

عدد ١٢ — كل من تبصر أقل تبصر في الآثار التاريخية الراهنة التى أثبتناها في الفصل السابق يرى لا محالة انه في اوائل القرن السادس للمسيح قد كان في نواحي افامية من سورية الثانية دير شهير على اسم القديس مارون له الاولية على سائر الاديار التي كانت في تلك الاقطاعة وقد ضوى اليه عدد عديد من الرهبان تحت قانون واحد بحسب روح المعيشة المشتركة: مما يدل على انه لم يكن اذ ذاك حديث النشأة بحيث يمكننا ان نستنتج بسهولة انه انما تأسس في بهرة القرن الخامس أي بعد وفاة القديس مارون بمدة غير كبيرة

وعندنا انه انما كان في الاصل تلك الكنيسة الفخيمة التي بنيت لهذا القديس المعظم على أثر وفاته على ما روى ثودوريطس في آخر سيرة حياته : وقد بينا رأينا هذا بايجاز في ختام الفصل الثاني (عدد ٨) ونراه من الصواب بمكان خاصة اذا

صح رأينا الاول بان القديس مارون لم يتنسك في القورسية بل في جوار افامية : فليس من محل والحالة هذه للعجب اذا قلنا ان هذه الكنيسة قد ظهرت بالقرب من افامية و بني على التمادي هذا الدير بجانبها من نذور المؤمنين واوقافهم

عدد ١٣ — وقد يفيد في اثبات ذلك على ما نرى ما جاء أيضاً في تاريخ ثودوريطس المشار اليه من ان القديس مرقيان القورسي قد اوفد هاتيك الايام الى جهات افامية اغابيطس احد تلاميذه ليقيم فيها اديرة عديدة وعلى الخصوص عند « نقيرثا » وهي على قول هذا المؤرخ الثقة « بلدة واسعة كثيرة السكان ابتنى فيها اغابيطس معهدين لتعليم الحكمة السماوية دعى أحدهما باسمه[1] وقد جمع اليهما نيفاً ومئتي راهب انقطعوا لممارسة الفضيلة ولازموا التقى » الى ان قال « ومرقيان الالهي هو الذي انشأ كل اديرة بلاد افامية »

ومن المقرر بشهادة ثودوريطس نفسه ان كل الذين تنسكوا في القورسية بعد عهد القديس مارون انما كانوا من تلك الحديقة الروحية التي هي من بعض اغراس غيرته وتعاليمه : ولا نرى القديس مرقيان نفسه يستنكف من ان يكون من تلاميذه ولا اغابيطس ايضاً الذي انتدبه لاقامة الديارة في نواحي افامية : فنحن اذاً هنا بين امرين اي — إما ان يكون بعض تلاميذ القديس مارون قد اثروا ان يجاوروا هذا الهيكل الفخيم الذي بني على اسمه ووضعت فيه ذخائره المقدسة فابتنوا اولاً بجانبه بعض الغرف لسكناهم لاجل القيام بخدمته . وعلى تراخي الزمان قد كثرت هذه الصوامع واتفق اولئك الرهبان على اتخاذ العيشة المشتركة بمقتضى قوانين

---

(١) قد ورد بين التواقيع التي أثبتناها في الفصل السابق اسم « سليمان راهب القديس اغابيطس » : ثم اسم « سمعان القس برحمة الله رئيس دير القديس اغابيطس » وهو على ما نرى هذا الدير الذي يشير اليه ثودوريطس في « نقيرثا » والظاهر ان هذه البلدة كانت يوما ما شهيرة وقد ورد ذكرها غير مرة في الكتابات اليونانية . وجاء ذكر رئيس دير نقيرثا ايضا في جدول المخطوطات السريانية المحفوظة في المتحف البريطاني : وقد درست الآن هذه البلدة تماما حتى لم يعد يظهر لها حتى الآن من أثر يبين موقعها في جوار افامية

وضعوها اذ ذاك على ما يوافق الروح الرهباني الذي اقتبسوه عن روح أبيهم ومعلمهم الجليل القدر وهكذا صار هذا المقام ديراً لهم نال فيما بعد كل هذه الشهرة — أو ان أغابيطس تلميذ مرقيان اذ امَّ نواحي أفامية ليصدع بامر معلمه قد اهتم لهذا الأمر هو بنفسه واقنع الأهلين به وجلب اليه الرهبان من كل صوب حتى قام هذا الدير الكبير في مدة قريبة ودعي باسم القديس مارون صاحب المقام : وكلا الوجهين مقبول عقلاً كما يرى كل متبصر لبيب (١)

عدد ١٤ — فلا غرو والحالة هذه اذا قلنا ان هذا الدير بصفة كونه ديراً فيه جمهور من الرهبان يعيشون عيشة مشتركة قانونية انما قد تأسس منذ أوائل الربع الثاني للقرن الخامس : ويؤيد ذلك قول صاحب حمص الملك المؤيد أبي الفداء في تاريخه « تقويم البلدان » (ص ١١٤) أن الملك مرقيان قد وسع دير القديس مارون المذكور في السنة الثانية لملكه وهي سنة ٤٥٢ : مما يدل دلالة صريحة على وجوده قبل ذلك الحين بمدة وعلى شهرته حتى اهتم هذا الملك له على هذا الوجه : ولا يمكن أن يقال ان ابا الفداء قد اخترع هذه الرواية من عند نفسه وهو من المؤرخين المدققين على ما هو مشهور عنه . بل عندنا انه قد اقتبسها ولا بد عن أثر تاريخي قديم لم يصل الينا : وليس من مانع يحول دون صحة هذه الرواية لا من جهة تاريخ وجود هذا الدير كما رأيت . ولا من جهة الملك المنسوب اليه توسيعه وهو الموصوف عادة بالحسن العبادة و بعنايته قد عقد المجمع الخلقيدوني المقدس واذيع وكان خير نصير في ذلك العهد للديانة الكاثوليكية . ثم ولا من جهة ابي الفداء الذي

---

(١) ان هذا الوجه الاخير يتفق مع قول ثودوريطس عن مرقيان القورسي انه هو الذي قد انشأ كل اديار بلاد افامية : وقد رأيت انه انما انشأها بواسطة تلميذه اغابيطس المذكور الذي أرسله الى هناك لهذه الغاية . ونحن نرى في هذا القول بعض المغالات لانه لا يقدر ان اغابيطس قد انشأ كل هاتيك الاديار وهي كثيرة جداً : الا اذا قيل انها لم تكن على عهد ثودوريطس بهذه الكثرة التي كانت عليها في القرن السادس والله أعلم

لم يكن له من غاية تحمله على اثبات ذلك سوى حب الحقائق التاريخية[1]

ومما يؤيد هذا الرأي بكل اطرافه وجود ذخائر هذا القديس المعظم في ذلك الدير على ما اتصل بنا بالتواتر : وقد جاء في الآثار المارونية انه عند ما دمر الاعداء هذا الدير وطردوا رهبانه قد جاء أحدهم برأس هذا القديس المعظم الى جبل لبنان حيث بني له دير في جوار قرية كفرحي من بلاد البترون اشتهر بدير «ريش ماران» أي رأس سيدنا . وقد نقله من ثمة أحد رهبان القديس مبارك في عهد الصليبيين الاول أي سنة ١١٣٠ الى مدينة فوليني من بلاد ايتالية (على ما روي المؤرخ لدوفيك بن يعقوب في كتابه عن قصص القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينة فوليني) وقد بنيت على اسمه كنيسة كبرى حيث يكرم حتى الآن أجل اكرام وتعطى منه ذخائر مقدسة للمؤمنين وعند الموارنة عدد وافر منها مستجلب من مقامه هذا :

عدد ١٥ — أما موقع هذا الدير الجغرافي فقد ذهب فيه الكتبة مذاهب شتى : فمنهم من قال انه قد كان بالقرب من انطاكية ولكن دون مستند : ومنهم من جعله على مقربة من مدينة حماه الحالية مما يلي حمص حتى زعم بعضهم انه في الرستن ما بين حمص وحماه : وقد فات هؤلاء أن يلاحظوا التقسيم الجغرافي الذي

---

(١) ومن رواية ابي الفداء ان هذا الدير انما كان في حمص : وعندنا ان عدم صحة هذه لا يؤثر على صحة تلك لان غيره من قبله قد توهم مثل هذه الوهم : وربما أراد بذلك انه كان في عمل حمص . لان هذه المدينة قد نالت حظاً وافراً بعد الفتح العربي حتى صارت من اكبر مدن سورية في شمالها الشرقي وجعلت اقطاعة أو جنداً (بحسب اصطلاح ذاك العصر) دخل تحت حكمها مدينتا حماه وافامية وتوابعها كما كانت هذه الاخيرة على عهد ملوك الروم تقريباً : وفي عهد هذا المؤرخ وهو صاحب حمص عينها قد زادت هذه العاصمة شأناً وامتدت الى ما بعد قلعة المضيق التي قامت على اطلال افامية حتى صارت تحسب هذه الاقطاعة كلها من عمل حمص : فبكل صواب اذن يمكننا ان نوجه كلام ابي الفداء هذا الى انه لم يرد به ان هذا الدير انما كان في نفس حمص حيث لم يكن له من اثر يدل عليه ويوهم هذا المؤرخ الجليل بذلك . بل في معاملة حمص لذاك العهد . وهذا لا يمنع انه كان في ضواحي افامية كما يرى المتأمل

كان معتمداً عند الجميع في تلك الايام التي صرَّح فيها رهبان هذا الدير نفسه انه انما كان في نواحي افامية من سورية الثانية بحيث لا يمكن أن يكون قطعياً في أحد هذه المحلات وهي محسوبة من سورية الاولى المعروفة بالمجوفة التي كانت قاعدتها مدينة انطاكية وكانت حمص وما يليها تابعة لها : أما سورية الثانية وهي المعروفة عندهم بالطيبة فكانت حاضرتها افامية التي درست بتوالي الفتن والحروب وقامت على اطلالها « قلعة المضيق » المعروفة الآن . وكانت حماه في ذلك العهد من ضمن حدودها :

ذلك وقد توهم بعضهم ان مدينة حماه الحالية انما هي نفس افامية التي جاء ذكرها في هاتيك الآثار وغيرها . لاعتقادهم ان هذا الاسم معرَّب عن اسم افامية القديمة : مع ان الواقع ان حماه كانت تسمى في تلك الاعصار الخالية « إبيفانية » كما هو ثابت الآن تمام الثبوت عند المحققين وهي تبعد عن افامية القديمة مسافة غير قليلة :

عدد ١٦ — ثم ان الكتبة الذين طرقوا هذا الموضوع قد اجمعوا حتى الآن على ان هذا دير القديس مارون قد كان مجاوراً لنهر الأرنط وهو العاصي ولم يرد في الآثار الأولى ما يذكر ذلك أو يشير اليه الا ما اكتشفه مؤخراً حضرة العلامة المحقق الاب ناو الافرنسي الشهير وهو أثر خطي قديم جداً نشره من عهد غير بعيد في مجموعة الآثار المارونية التي وجدها في بعض مطالعاته وتنقيباته : وقد جاء في هذا الاثر التاريخي ان دير القديس مارون قد كان « قريباً من افامية في وادي العاصي » مما أزال كل محل للريب لان صاحب هذا الاثر انما كان من رهبان هذا الدير :

وقد قال المسعودى المؤرخ الشهير وهو من كتبة القرن العاشر للميلاد في كتابه « التنبيه والاشراف » (ص ١٥٣) ما مؤداه « وكان له (أي للقديس مارون) دير عظيم يعرف به شرقي حماه وشيزر ذو بنيان عظيم حوله اكثر من ثلاثماية صومعة فيها الرهبان وكان فيه من الآلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم . فخرب هذا

الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وحيف السلطان . وهو يقرب من نهر الأرنط نهر حمص وانطاكية » . فكأني به وقد وصفه الى هذا الحد لم يندَّ عنه موقعه وهو على ما يظهر قريب العهد من تاريخ خرابه فشهادته اذن معتبرة جداً من هذا القبيل : أما « شيزر » التي يذكرها هنا فهي شيجر الحالية على مايقال وموقعها في نصف الطريق بين حماه وافاميـة التي هي اليوم « قلعة المضيق » . فلا غرو والحالة هذه ان يقال ان هذا الدير قد كان ما بين حماه وافامية ممـا يلي هذه الاخيرة على ضفاف العاصي من شرقي شيجر : فمن الواجب على من يريد ان يحدد نقطة مكانه الحقيقي بدقة ان يبحث عن آثاره في هاتيك النواحي دون غيرها لعل يد الزمان قد أبقت على شيء من أطلاله لا سيما وقد عرف الآن من الآثار التاريخية انه قد بقي قائمـاً وفيه الرهبان الى أوائل القرن التاسع للميلاد[1] .

---

(١) وقد ذكر العلامة الاب ناو نفسه انه قد وجد ايضاً في المتحف البريطاني في لندن تحت عدد ١٧١٦٩ كتاباً سريانياً قديم العهد جداً نسخه رجل يدعى سرجيس سنة ٥٨١ للمسيح واشتراه لمكتبة دير القديس مارون أحد رهبانه في سنة ٧٤٥ كما جاء في كتابة علقت على آخره وهي كما تلي ترجمتها « فليكن ذكر صالح وعادل امام الله الاب القدير على كل شيء وامام ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وامام روحه الحي القدوس للقس مار متى من قرية قولاب من بلاد صودانية القاطن في دير مار مارون الطوباوي وللاميذه الذين اشتروا انفسهم هذا تأليف يوحنا الراهب وغيره من الكتب التي تماثله لاجل فائدتهم . ومن ثم فقد دخل هذا الكتاب في خزانة كتب دير القديس مارون سنة الف وست وخمسين (يونانية وهي سنة ٧٤٥ م) . . . . . »

فمن الواضح ان هذا الدير كان قائمـاً لهذا العهد : وقد وجد في آخر هذا الكتاب عينه مكتوباً ما بين القرن التاسع والعاشر (كما ارتأى العلامة ريت المتمشرق الشهير من شكل الخط) انه وهبه لكنيسة ام الله التي للسريان في الاسقيط من بلاد مصر راهبان اخوان من تكربت أحدهما اسمه متى والآخر ابراهيم : مما يشعر انه لم يصل اليهما الا بعد خراب هذا الدير في ذاك الغضون

المبحث ثاني

في تاريخ الهرطقات الثلاث المشهورة
أي النسطورية والمنوفيزية والمنوثيلية ومبتدعيها

توطئة

عدد ١٧ — منذ أوائل القرن الخامس حتى أواخر القرن السابع للمسيح قد ظهر في الشرق عدد عديد من المبتدعة الذين كثيراً ما أقلقوا بيعة الله بما اخترعوا من الآراء الوبيلة مما سوله لهم ابليس الرجيم ونفث في صدورهم في ما يتعلق على الخصوص بكنه المسيح الفادي الالهي حتى كادوا يهدمون صرح الايمان القويم ويقيمون على انقاضه هيا كل الضلال المبين : ولكن الله سبحانه الذي بنى بيعته على الصخرة الثابتة وجعلها عمود الحق في العالم أجمع ووعد بان يكون معها الى منتهى الدهر فلا تقوى عليها أبواب الجحيم أبداً قد أقام لها في كل عصر ابطالاً عظاماً يذودون عن حياضها بكل عزم وثبات مناضلين حتى الدم عن الايمان الحق تحت راية رأسها المنظور الذي انما هو الحبر الروماني الاعظم خليفة القديس بطرس الرسول : فغاروا غيرة للرب مؤيدين بالروح القدس . ولم يدخروا وسعاً في كشف الستار عن كل ضلال وشنار أراد أعداء الحق ان يدسوا سمه في قلوب المؤمنين : وعلى هذا الوجه قد أقروا الدين القويم بتعاليمهم الراسخة واحكامهم المبرمة وتحديداتهم الثابتة قولاً وكتابة واهتموا بقطع كل عضو فاسد من جسم الكنيسة وكل غصن يابس من هذه كرمة الحق الالهية وألقوه في النار حتى بلغت الينا وديعة الايمان الرسولي المقدس خالصة من كل شائبة وخالية من كل شين ومين على يد

الكنيسة الرومانية المقدسة أم جميع الكنائس ومعلمتهنّ على الدوام :

ولما كان لهذه الفترة من الزمان علاقة كبرى بتاريخ أصل الطائفة المارونية وايمانهم الذي هو موضوع هذه المباحث على وجه الخصوص رأينا لا بد من ذكر تاريخ هذه الهرطقات الثلاث المهمة في هذا البحث بكل ايجاز وتدقيق ليتسنى لنا ان نرى ما اذا كان الذين انتسبوا الى القديس مارون الناسك المعظم منذ ذاك الحين فصاعداً قد تلطخوا حقيقة باقذار هذه البدع الوخيمة كما زعم بعض المؤرخين والكتبة أم لا : وبما ان البدعة النطسورية هي أول هـذه البدع الثلاث تاريخياً وأصلها مبدئياً لزم ان نشرع ببيانها أولاً فنقول وبالله المستعان :

الفصل الاول

في تاريخ البدعة النسطورية

عدد ١٨ — ان هذه البدعة الوخيمة تنسب الى رجل مضل اسمه نسطور من أصل فارسي نشأ في مدينة جرمانيقة وهي الآن مرعش من أعمال سورية في أواخر القرن الرابع : وذلك ليس لانه هو الذي ابتدعها على ما يظهر . بل لانه كان أول من تولى نشرها بين الناس جهراً وتحمس لمناصرتها بكل جسارة حتى اشتهرت باسمه الى يومنا هذا :

ومن ترجمة حياة هذا الرجل انه ضمّ في أول أمره الى دير القديس أبريبيوس في انطاكية حيث تلقى العلوم وصير كاهناً على الكنيسة الانطاكية وقلّد تعليم عقائد الايمان للموعوظين . وقد اشتهر جداً بزلاقة اللسان وفصاحة الكلام كما اشتهر بالتقى والفضيلة مما ستر تحته روح الكبرياء حتى جعل بطريركا على قسطنطينية في سنة ٤٢٧ على عهد الملك ثودوس الصغير : وما كاد يتربع في دست هذا الكرسي المهم بالنظر الى وجوده في عاصمة المملكة حتى أخذ ينفث ما كان يبطن

من سم الكفر والضلال في الدين مما كان قد تشربه من ذي قبل من تعاليم ديودورس أسقف طرسوس وثودورس أسقف المصيصة : وكان هذان المضلان قد اتفقا على تعليم مستحدث في بيعة الله في ما يتعلق بلاهوت المسيح الفادي وكانا يبثانه بكل تستر وتحفظ بين المؤمنين وقد استغويا نسطورهذا في جملة من استغوياهم من تلامذتهما فتشرب عنهما هذا الرأي الفاسد حتى الدم ولم يكن ليجسر هو أيضاً في أول الامر على المجاهرة به : ولكنه مذ ارتقى الى هذا المقام السامي أخذ يبثه سراً بين مريديه والمقربين اليه من أهل ثقته ثم شرع يجاهر به بكل جسارة وقحة على الشعب بخطبه ومواعظه في الكنيسة وخارجاً عنها كما سنحت الفرصة : وقد استعمل لهذه الغاية كل ضروب الفصاحة والخداع والمواربة والتضليل والمغالطات في الكلام حتى أفسد ضمائر الناس واضعف ايمانهم وكاد لولا عناية من لدن الله يفلح افلاحاً باهراً في خدمة ابليس الرجيم ابي الكذب :

عدد ١٩ — اما هذه التعاليم الفاسدة فهذا ملخصها — ان السيد المسيح مخلص العالم له المجد انما كان انساناً بحتاً وان الله الكلمة انما حل فيه حلولاً واتحد به اتحاداً دائماً على نحو ما كان يحل في الانبياء ويتحد بهم الى زمان : غير ان اتحاد الله الكلمة بيسوع قد كان بنوع اسمي وعلى الدوام : وكان يستنتج من ذلك أولاً ان للمسيح اقنومين اقنوماً انسانياً واقنوماً الهياً بحيث صار أثنين عدّا متحدين اتحاداً غير منفصل : وبالتالى ان الذي ولد من مريم العذراء والذي كان يرى والذي كان كاهناً أو حبراً والذي تألم ومات انما كان انساناً بحتاً والله الكلمة هو غير هذا الانسان تماماً ولو كان حالاً فيه ومتحداً به على الدوام : ومن ثم لا يمكن أن يقال قط بصواب ان مريم العذراء قد ولدت الله الكلمة ولا أن تدعى والدة الله بوجه من الوجوه اذ انها لم تلد سوى الانسان يسوع الذي حل فيه الكلمة واتحد به كما حل الروح القدس مثلاً في يوحنا المعمدان فولد وهو مملوء منه ولم يقل أحد مع هذا ان اليشباع أمه هي والدة الروح القدس . ثم ان هذا اتحاد الكلمة بيسوع

الانسان البحت لما كان نظير اتحاد الله بالانبياء فكما دعي موسى « اله فرعون » واسرائيل « ابن الله » وشاول وقورش « مسيحاً » الى غير ذلك من النعوت التي وصف بها بعض الناس في الكتاب المقدس . كذلك قد دعي الرب يسوع . « الله وابن الله والمسيح والقدوس الخ » بحيث ان هذا الاشتراك في الاسماء والنعوت الحاصل بين هذين المتحدين لا يتناول الاشتراك في المقام والشان ولو كان مقام الانسان المسيح أسمى من مقام أولئك الانبياء — الى غير ذلك مما ينتج عنه والعياذ بالله من الكفر والضلال ما يقوض أركان الدين الصحيح ويبطل معنى الفداء الالهي الذي حصل بربنا يسوع المسيح كلمة الله المتجسدة على حسب ماجاء في الانبياء الاعلام وتعاليم الرسل الكرام والكنيسة المقدسة على الدوام

عدد ٢٠ — وقد اشتهرت هذه الاضاليل حتى اتصلت بمسامع القديس كيرلُّس الاسكندري[1] الملفان العظيم فهب بغيرة شماء وهمة لا تعرف الكلل لمناضلة هذا المبتدع المضل بسلاح البراهين القاطعة . وقد أتاه أولاً من باب النصح الاخوي فكتب اليه يرشده الى الاقلاع عن رأيه هذا وعن تعاليمه الفاسدة بعد أن زيفها وبين بطلانها وأثبت له بسديد البرهان حقائق الايمان الارثوذكسي القويم في هذا الموضوع : اما نسطور فلم يشأ أن يقتنع ويرعوي عن غيه بل زاد في القحة والجسارة حتى اضطر القديس كيرلس أن يرفع أمره الى الحبر الروماني الاعظم باسطاً لديه تعاليم نسطور المستحدثة وبطلان ضلاله هذا الذي اقلق به ضمائر المؤمنين بما لزم من الاسهاب : وقد كتب نسطور نفسه أيضاً الى الحبر الاعظم يدافع عن نفسه وعن تعاليمه الفاسدة : فعند ما وقف القديس قالستين البابا على كتابات الفريقين بهذا الشأن عقد مجمعاً في رومية العظمى في شهر آب سنة ٤٣٠

---

(١) ان هذ القديس المعظم قد اقيم بطريركاً على الاسكندرية سنة ٤١٣ ورقد بالرب سنة ٤٤٤ وهو من ملافنة البيعة العظام وينعت عادة بالبرج المنيع لشدة ما بذله من الغيرة على الايمان القويم في مقاومة نسطور وبدعته الوخيمة :

وبعد البحث المدقق في مزاعم نسطور المخالفة للايمان القويم طعن بالحرم تجاديفه تلك وتهدده بالحط عن مقام الاسقفية اذا لم يرجع رجوعاً تاماً عن أضاليله بعد بلوغ التنبيه اليه بعشرة أيام : وقد كتب أيضاً الى القديس كيرلس واكلاً اليه مهمة تنفيذ هذا الحكم : فاسرع هذا البطل الى العمل بأمر قداسته وأرسل ذلك الى قسطنطينية مع اربعة أساقفة من مصر ابلغوه الى نسطور المبتدع : ولكن هذا قد أصر على طغيانه وأبى أن يخضع لهذا الحكم السامي . فأبلغوا أمره الى القديس كيرلس وهذا عرضه على قداسة البابا مشغوفاً بعريضة التماس من جمهور من المؤمنين في طلب عقد مجمع عام لاجل تقرير عقائد الايمان القويم وحرم كل ما يخالفها : فامر البابا بعقد المجمع ولتعذره عن الحضور اليه بنفسه قد استناب عنه الاسقفين ارقاد وفروّات وفيليب القس مع القديس كيرلس الذي جعله المتقدم الاول في المجمع وأمر أن يكون كلامه الحكم الفصل في قضية نسطور : فكتب الملك ثودوسيوس الى اساقفة المملكة لاجل الاجتماع في مدينة افسس بعد عيد العنصرة من سنة ٤٣١ فعقد هذا المجمع العام فحضر جمهور منهم وفي الوقت المعين عقد المجمع ودعي اليه نسطور المبتدع فابى ولما قطع الامل من امتثاله بعد التنبيهات القانونية شرع بأعمال المجمع قانونياً في ٢٢ حزيران سنة ٤٣١ وتليت فيه أولاً رسائل القديس قالستين الحبر الروماني التي بها يحكم بفساد تعاليم نسطور وحرمها ويحطه عن مقام الاسقفية اذ بعد عشرة أيام من وصول التنبيه اليه لم يرجع عن ضلاله : ثم أخذ الآباء يبحثون بحثاً مدققاً في تعاليمه الفاسدة فاتفقوا على رفضها [illegible] وديودورس أسقف طرسس وثيودورس أسقف المصيصة وكل من [illegible] وانتصر له ثم حكموا بحط نسطور عن درجته وبعد ذلك قرروا حقائق الايمان المستقيم الرأي وختموا هذا المجمع العام ورفعوا أعماله الى قداسة الحبر الاعظم :

عدد ٢١ — اما نسطور فبقي مصراً على غيه وقد نفاه الملك ثودسيوس الى بتراس في بلاد العرب ثم اذن له بالعود الى دير القديس أبريبيوس الذي

كان قد ضوى اليه اول امره في انطاكية : ولما لم يكن لينفك عن الدفاع عن بدعته والثناء الشغب في تلك النواحي نفي ثانية الى جهات ثيبة في صعيد مصر حيث هلك بعد مدة : ولكن هذه البدعة لم تهلك معه بل تولى نشرها بعده خاصة في بلاد الكلدان والفرس بعض مشايعيه مثل كيهيبا الذي تولى اسقفية الرها سنة ٤٣٥ وبرصوم الذي تغلب على أسقفية نصيبين في السنة نفسها و بعض تلامذة مدرسة الرها الشهيرة بذواتهم و بواسطة تآليف نسطور وديودورس وثودورس التي ترجموها الى اللغة السريانية واهتموا بنشرها في هاتيك الاصقاع : وقد امتدت بعد ذلك هذه البدعة الى جهات عديدة من بلاد العرب والهند والصين والملابار ومصر الخ وهي باقية الى يومنا هذا في جهات العراق والعجم خاصة ويعرف تباعها بالنساطرة ولهم بطريرك واساقفة وطقوس على حدة منذ ذاك العهد باللغة السريانية الكلدانية : وقد رجع قسم منهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة من عهد عهيد يعرفون اليوم بالكلدان الكاثوليك . ولهؤلاء ايضاً بطريرك واساقفة وطقوس على حدة نظير اولئك الا انها على مقتضى العقائد والقوانين الكاثوليكية وهم خاضعون للكرسي الرسولي الروماني المقدس في كل احوالهم ولو كانوا مستقلين على نوع ما استقلالاً ادارياً وطقسياً :

الفصل الثاني

في تاريخ البدعة المنوفيزية ومبتدعيها

عدد ٢٢ — ان هذه البدعة التي هي المنوفيزية ومعناها « الطبيعة الواحدة » انما مصدرها ما حصل من شدة التحمس والاندفاع والتطرف في مضادة بدعة نسطور المذكورة آنفاً ومحاربتها حتى غدت النسطورية والمنوفيزية على طرفي نقيض : وكان رجل اسمه اوطاخي رئيس دير كبير بالقرب من قسطنطينية فيه زهاء ثلاثمائة

راهب . وكان ذا مقام وشأن في بلاط الملك ومن أشد المجاهدين في محاربة هذه البدعة الجديدة . حتى بلغ به تحمسه الى التطرف في أمر طبيعتي السيد المسيح كما هو شأن الذين يندفعون عادة في محاربة قضية ما وهم على غير علم كاف وذكاء متوقد فيقعون في نقيضها من أقرب الطرق : فاخذ اوطاخي المذكور يعلم اولاً رهبانه وكل من لاذ به ان الطبيعة الانسانية في المسيح الفادي قد امتزجت بالطبيعة الالهية امتزاجاً كلياً حتى تلاشت في لجة اللاهوت العظيمة كقطرة خل وقعت في بحر خضم فضاعت فيه حتى لا يبقى لها من وجود أو كالهشيم ألقي في تنور مسجور فاكلته ناره . ولهذا كان اقنوم المسيح واحداً وهو الالهي : ولم يكن من ثم ليطيق أن يقال امامه أن المسيح كان مساوياً لنا في جوهر الناسوت كما هو مساوٍ لله أبيه في جوهر اللاهوت : لانه كان يعتقد انه لم يبق شيء في المسيح من الطبيعة الانسانية بل قد استحالت كلها على نوع ما الى الطبيعة الالهية : وذلك لانه على ما يظهر لم يكن ليفهم كيف تقوم الطبيعة بدون اقنوم ذاتي لها وهذا هو بعينه سبب ضلال نسطور أيضاً كما يرى المتأمل : وقد اشتهر اوطاخي بهذا التعليم الحديث والرأي الزائف في سنة ٤٤٨ أي بعد المجمع الافسسي الذي حرم نسطور وبدعته بنحو سبع عشرة سنة

عدد ٢٣ — وأول من انتبه الى زيغ هذا التعليم عن محجة الصواب انما كان الاسقف اوساب الدوريلي الذي كان صديقاً لاوطاخي فبذل أولاً قصارى الجهد في اقناعه ببطلان هذا المذهب وفي ارجاعه عنه . ولكنه اذ رآه مصراً على عناده شكاه الى القديس افلبيانس بطريرك قسطنطينية وقد استحلفه بكل عزيز لديه ان يعير شكواه التفاتاً لئلا يستفحل أمر هذا التعليم الحديث فيتسع الخرق على الراتق : وكان اذ ذاك مجتمعاً عند هذا البطريرك زهاء الثلاثين أسقفاً للنظر في أمر خلاف كان قد طرأ بين أسقف فلورنس واثنين من معاونيه . فعرض الامر عليهم وقرروا جميعاً أن يستدعوا اوطاخي المذكور الى مجمعهم للنظر في تعاليمه

المستحدثة : فاخطروه مراراً لاجل الحضور لديهم وهو يختلق اعذاراً لاطائل تحتها الى أن تهددوه بالنزع والحط من وظيفته حتى اضطر ان يمتثل : ولما لم يخشَ من أن يصرح أمام المجمع برأيه الوخيم : ولم يرد أن يرعوي عن غيه وعناده حكموا عليه بالتجريد من مقامه الكنسي وبالحرم أيضاً ومنعوه من العود الى ديره ودفعوا اليه صورة الحكم :

عدد ٢٤ — وكان لاوطاخي مريدون كثيرون في حاشية الملك ثودوسيوس الصغير فأغروه على الاخذ بناصره وقبول تظلمه من هذا الحكم فأمر الملك بعقد مجمع لهذه الغاية في مدينة أفسس يترأسه ديسقورس بطريرك الاسكندرية . وكان هذا صديقاً حميماً لاوطاخي وعدواً لدوداً للقديس افلبيانس . واذا اجتمع هذا المجمع ووصل اليه معتمدو الحبر الروماني عمل ديسقورس على رفضهم بحجة كونهم لدى وصولهم الى قسطنطينية اجتمعوا بافلبيانس بطريركها وهو خصم اوطاخي في هذه القضية : ومن ثم لم يحفلوا برسائل البابا لاون الكبير بل افتتحوا المجمع بتلاوة أعمال مجمع قسطنطينية الخاص الذي حُكم فيه على اوطاخي : وعندما بلغ القارىء الى قوله ان اوساب الدوريلي قد بذل جهده عبثاً في حمل اوطاخي على الاقرار بان في المسيح طبيعتين حتى بعد التجسد هتف المجمع ان يحرق اوساب حياً ويقطع ارباً ارباً لانه أراد أن يقسم المسيح : وقد هتفوا أيضاً بايعاز ديسقورس ان كل من يضع في المسيح طبيعتين فليحرم بل فليطرد بل فليقتل ويمزق تمزيقاً : وشُبر على الاثر اوطاخي ارثوذكسياً وأعيد الى مقامه وأثبت على رئاسة ديره كسراً للحكم الذي كان قد صدر عليه سابقاً : وكان ديسقورس قد دبر حكماً جائراً بحط افلبيانس عن الاسقفية فتحايل على المجمع وتلاه علناً فاحدث لغطاً واضطراباً كبيراً في جمهور الآباء وترامى كثير منهم على أقدام ديسقورس لكي يرجع عن هذا الحكم القاسي ويعامل افلبيانس بالحلم . فاقسم انه لئن يقطعوا لسانه أحب اليه من أن يلفظ كلمة واحدة تؤثر على قوة هذا الحكم : واذ رأى اصرار أولئك الاساقفة على التماسهم

هذا ادخل وكيل الحاكم الى الكنيسة ومعه عدد كبير من الجنود المسلحين واقفل أبوابها على الجميع مما زاد في القلق والشغب حتى لم يكن يسمع الا التهديد بالحط والنفي لكل من لا يريد أن يطيع ديسقورس : ثم نهض أحد الاساقفة وهتف ان افلبيانس وأوساب لا يكفي لهما الحط بل بل يلزمهما قطع الرأس أيضاً : واذ ذاك القي افلبيانس الى الحضيض وديس بالارجل وناله من الالكم واللطم ما سبب له الموت بعد هذه الحادثة ببرهة وجيزة : وقد حط ديسقورس كثيرين من الاساقفة الاجلاء ونصب مكانهم أساقفة من شيعته و بمثل هذه الفظائع ختم هذا المجمع الزور :

عدد ٢٥ — وقد خادع الملك ثودسيوس بعض وزرائه والمقربين منه حتى اثنى على هذا المجمع وأثبت كل ما حصل فيه من الحيف والظلم بمنشور اصدره لكل المملكة كالعادة : وقد بذل القديس لاون الكبير بابا رومية قصارى الجهد عبثاً ليقنع الملك بعقد مجمع آخر شرعي لاجل اعادة النظر في أمر افلبيانس واوطاخي : الا ان الملك قد اصر على اعتقاده بصحة هذا المجمع الزور وكان يجاوب على إلحاحات البابا ان هذه القضية قد نُظرت وحُكم فيها نهائياً ومن المستحيل ان يعمل اكثر من ذلك في هذا الموضع :

ثم توفي هذا الملك وخلفه مرقيان الحسن العبادة في سنة ٤٥٠ . وكان على غير هذا الرأي وكانت بلوخارية زوجته التي تسببت باجلاسه على العرش تحترم كثيراً بابا رومية ولهذا قد عمل هذا الملك الصالح على عقد مجمع شرعي في خلقيدونية (وهي الآن قاضي كري بالاستانة) في كنيسة القديسة اوفيمية سنة ٤٥١ : فاجتمع اليه ستماية وثلاثون أسقفاً من كل ناحية وترأس عليه قداسة البابا بواسطة نوابه وهم فسكان أسقف ليلبية في صقلية ولوفنس اسقف اسكرلي و باسيل و بنيفاق كاهنا الكنيسة لرومانية : وكان ديسقورس نفسه في جملة المجتمعين مع لفيفه الذي على رأيه الوخيم : فنظر الآباء أولاً في القضايا اللازمة وحكموا ببطلان كل ما جرى في مجمع افسس المذكور وارجعوا الاساقفة المنحطين الى كراسيهم : ثم حرموا مذهب

أوطاخي وديسقورس وقرروا صورة الايمان الـكاثوليكي وقد اثبتوا فيها قانون مجمع نيقية ومجمع قسطنطينية ومجمع افسس الاول ورسائل القديس كيرلس الاسكندري الى نسطرر وتلوا علناً رسالة البابا لاون الـكبير التي أرسلها مع نوابه الى هذا المجمع وعند الفراغ منها هتف جمهور الآباء بصوت واحد « اننا هكذا نؤمن كلنا أجمعين ولقد نطق بطرس بفم لاون ومن لا يؤمن هكذا فليكن محروماً » :

اما ديسقورس فبعد جدال عنيف قد اعتزل المجمع مصراً على عناده فشهره نواب البابا بعد التنبيهات اللازمة محروماً ومحطوطاً عن مقام الاسقفية باسم الحبر الاعظم . وحكم عليه الآباء بأجمعهم بالنفي الى مدينة غنغرة في بفلاغونية من آسية الصغرى حيث قضى بقية حياته مستمراً على اصراره :

وهذه خلاصة ما تقرر كقاعدة للايمان الصحيح في ذاك المجمع — انه تبعاً لاقوال الآباء القديسين نؤمن بمسيح واحد فرد هو ابن الله الوحيد كاملاً في لاهوته وكاملاً في ناسوته ومساوياً لله الاب في جوهر الالوهية ومساوياً للانسان في جوهر الانسانية: فهو من ثم طبعان متحدان بلااختلاط ولاتغير ولاتقسم ولاانفصال . وكل طبع منهما حافظ خواصه بتمامها. وكلاهما يقومان باقنوم واحد هو الاقنوم الالهي وهو غير منقسم على الاطلاق بل يتأتى عنه مسيح واحد وهو ابن الله الوحيد كما قيل في قانون المجمع النيقاوي — وقد أثبت كل ذلك بالاجماع : وهكذا علمت الـكنيسة ضد نسطرر انه ليس في المسيح سوى شخص او اقنوم واحد بمفرده : وضد اوطاخي ان المسيح ذو طبيعتين الهية وانسانية : وقد ارفض هذا المجمع المسكوني المقدس بعد ذلك في اوائل شهر تشرين الاول سنة ٤٥١ : واصدر مرقيان الملك منشوراً عمومياً كالعادة بوجوب اعتباره والعمل بأحكامه : ثم عززه بمنشور آخر وعاقب اوطاخي والرهبان الذين تسببوا بكل هذا القلق عقوبات صارمة عملاً بحكم مجمع قسطنطينية الخاص الذي أثبت في المجمع الخلقيدوني وقد نفاه وصمت التاريخ عنه منذ سنة ٤٥٤ ؛

عدد ٢٦ — ذلك ومع كل ما بذله مرقيان الملك من الجهد والغيرة في سبيل ملاشاة هذه البدعة قد بقي لها انصار اشداء نفث فيهم ابليس الرجيم روحه فأخذوا يخادعون الشعب بالترهات والافتراء على المجمع الخلقيدوني والملك والقديس لاون الكبير بانهم انما عملوا على احياء بدعة نسطور من حيث اقرار الطبيعتين في المسيح الفادي له المجد وكان الجميع ينفرون من هذه البدعة أشد النفور حتى كان يؤذي سماعهم كثيراً ذكر الطبيعتين دون انتباه الى امر الاقنوم او الاقنومين فيهما : وكان راهب اسمه ثودسيوس في جملة من شهدوا هذا المجمع ولم يذعنوا لاحكامه وتشيع له بعض الرهبان الذين على شاكلته فجاءوا الى نواحي اورشليم وقد زور هذا الشقي قانون الايمان عن لسان هذا المجمع على ما يوافق بدعة نسطور واستعان به على خداع رهبان فلسطين اولاً حتى هاج الشعب كله بواسطتهم : وكانت اودكسية أرملة الملك ثودسيوس الصغير معتزلة في جهات هذه الاتاعة وكانت ممن ينتصرون لاوطاخي فساعدت هذا الراهب على عمله المذموم واخذت بناصره حتى افلح في مهمته الشيطانية وتوصل اخيراً الى التغلب على كرسي اورشليم فنودي به اسقفاً عليها : ولما نمي امره الى مرقيان الملك ارسل عليه قوة كبيرة فطرده من كل فلسطين وارجع السلام الى نصابه فانتبه الشعب الى ما وقع فيه من الضلال وارعوى واستتب الامان على هذا الوجه : وكذلك برصوم الارشيمندريت السرياني بعد عوده من هذا المجمع وهو مصر على رأي اوطاخي وديسقورس صديقه قد أفسد بسم طغيانه بعض السريان من سكان سورية والعراق و بعد أن هلك في سنة ٤٥٨ نهض تلميذ له اسمه صموئيل فبث هذه البدعة في بلاد الارمن مما يجاور سورية ومن هناك تسرب هذا الضلال الى كل بلاد ارمينية : وكان لديسقورس في بلاد مصر وخاصة في الاسكندرية مشايعون كثيرون فلم يهن عليهم ما حل به وقد ثاروا ثورة شديدة على مناوئيه وقاموا على القديس فروثير البطريرك الذي نصب مكانه تنصيباً شرعياً ووقفوا في وجه الحكومة أيضاً بالسلاح حتى اضطروا العساكر الى الاحتماء بالكنائس

مع البطريرك فاحرقوها بهم : اما الملك مرقيان فقد كبحهم وعاقبهم أشد العقاب ومع هذا قد ستمر أهل الاسكندرية خاصة مصرين على التمسك بضلالة اوطاخي وديسقورس حتى اضطر الملك ان يجدد الاوامر الصارمة ضدهم سنة ٤٥٥ : ولكن دون فائدة الا ما زاد هذا الحزب تعصباً وقد نادى بديسقورس بعد موته قديساً وهو يكرمه بهذه الصفة الى يومنا هذا

عدد ٢٧ — وبقي لهذه البدعة بعد موت مرقيان الحسن العبادة اشياع كثيرون في كل جهة كامنين كالنار تحت الرماد : وقام بعده لاون فمشى على أثر سلفه ولم تطل مدة ملكه. فخلفه زينون وكان على الرأي القويم أيضاً فخرج عليه باسيليق واغتصب منه العرش وكان على مذهب اوطاخي وشديد الانتصار له فعقد مجمعاً ضد المجمع الخلقيدوني المقدس واجبر الاساقفة على تحريمه وتحريم رسالة لاون الكبير وقد حط من قاومه منهم عن كراسيهم : ولكن الله سبحانه قد نصر عليه زينون فاسترجع منه الملك بعد مدة غير طويلة و بطل كل ما كان عمله ذاك المغتصب من هذا القبيل : ثم انصرف هذا الملك الى تدبير شؤون المملكة ورد غارات العدى عنها ولهذا لم يكن يظهر تحيزاً لا الى الكاثوليك ولا الى الاوطاخيين ولكنه لاجل رعاية الامان والسلام في المملكة والكنيسة كان يسعى كثيراً في التوفيق بين الفريقين : وكان في الظاهر قد انحصر الخلاف في أمر المجمع الخلقيدوني فالكاثوليك كانوا متمسكين به أشد التمسك : وكان الاوطاخيون يصرون على طلب ابطاله بحجة كونه يفيد النسطرية من حيث القول بالطبعين المتميزين بعد الاتحاد مع قطع النظر عن مسئلة الاقنوم أو الاقنومين في المسيح : فارتأى الملك والحالة هذه لاجل التوفيق بينهما ان يذيع حرم نسطور وأوطاخي وتعاليمهما وابطال المجمع الخلقيدوني لانه لا يبقى له اذ ذاك من محل ظاناً منه انه بذلك يرضي الفريقين ويصلح ذات البين بينهما فتستريح المملكة من هذه المحاربات الدينية : ولهذا قد أصدر أمره المشهور بمنشور التوفيق على هذا المعنى . ولكنه لم يفلح بل زاد في غيظ الفريقين

وكوّن حزباً ثالثاً مجرداً عنهما أي على رأي هذا المنشور فازداد القلق والاضطراب وأصر الملك على تنفيذ منشوره ولم يبلغ من ذلك وطراً الى أن مات سنة ٤٩١ : فخلفه انسطاس وهذا قد حاول أولا ابرام الاتفاق بحسب منشور سالفه فاخفق سعياً نظيره ولكنه قد مال بعد ذلك بكليته الى الاوطاخيين ونصرهم في كل أمر على الكاثوليك الذين نكل بهم في كل مكان تنكيلاً كما فعل برهبان دير مار مارون وسائر أديار الافامية على ما ذكرنا في البحث السابق . و بقي على هذه الحال الى أن هلك مصعوقاً في سنة ٥١٨ : فخلفه يستين وكان على المذهب القويم فاصلح ما كان قد أفسده انسطاس واعاد السلام الى الكنيسة وعقد مجمع قسطنطينية الخاص برئاسة يوحنا بطريركها وارجع الاساقفة الكاثوليكيين الى كراسيهم : وعقدت على عهده عدة مجامع خاصة ضد هذه البدعة وانصارها وقد ملك زهاء عشر سنين وقام بعده ابن اخته يستنيانس المعروف بالكبير صاحب الشرائع المشهورة فسلك في الرعية مسلك خاله : وقد عقد على عهده المجمع المسكوني الخامس في قسطنطينية اذ كان مينا بطريركاً عليها سنة ٥٣٦ : وكانت زوجته الملكة تودورة أوطاخية في الباطن وكانت تعضد أهل شيعتها سراً ويقال انها استمالت الملك اليها : وقد بقي على العرش الى سنة ٥٦٥

عدد ٢٨ — وفي هذه الاثناء قد انقسم الاوطاخيون على أنفسهم وتفرقت كلمتهم الى مذاهب شتى وأخذوا يحرمون بعضهم بعضاً شأن من لا رابطة تجمعهم ولا مرجع حقيقي يرجعون اليه فيصبحون فوضى في كل أعمالهم وأطوارهم : وقد قام منهم بطرس المعروف بالقصار وتغلب على كرسي انطاكية سنة ٤٧١ ثم خلع وعاد اليه مراراً الى أن هلك سنة ٤٨٨ بعد أن ابتدع مذهب الثيو بسقيين أي مولمي اللاهوت وقد أضاف لذلك على التقديسات الثلاث المعروفة بالتريساجيون قوله « يامن صلبت لاجلنا » قصد اضلال الناس بان الثالوث الاقدس قد تألم بالمسيح : ثم يليانس أسقف مدينة الكرنس في ليقية من أسية الصغرى وابتدع مذهب الخياليين وتبعه خاصة

الارمن منذ سنة ٥٤٥ وقد دعوا بهذا الاسم لاعتقادهم ان جسد المسيح كان من طبعه منزهاً عن قبول الفساد وجميع الآلام بحيث لم يكن يشعر بالجوع والعطش والتعب وسائر الاوجاع الا خيالياً خلافاً لتصريحات الكتاب المقدس : وقام أيضاً راهب سرياني اسمه يعقوب البرادعي فاغتصب كرسي أسقفية الرها من سنة ٥٤١ الى سنة ٥٧٨ التي هلك فيها : وكان يتظاهر بالتقى والتهجد ويبذل الجهد بذاته وبواسطة اعوانه في ضم كل فروع الاوطاخيين فاجتمع على كلمته بعض الفروع فأُطلق عليهم اسم اليعقوبيين أو اليعاقبة نسبة اليه وقد شاع هذا الاسم حتى صار يطلق بالفساحة على كل فروع هذه البدعة بقطع النظر عما بين كل فرقة منهم وغيرها من الخلاف : أما الاسم الذي يجمع الكل حقيقة فهو « المنوفيزيون » وهي لفظة يونانية يراد بها أصحاب الطبيعة الواحدة : ولم تزل هذه البدعة منتشرة الى يومنا هذا بين السريان وهم المعروفون باليعاقبة ويتبعهم قسم من نصارى الملابار في الهند ارتدوا اليهم من النسطورية : وبين الاقباط ويتبعهم الاحباش : وبين الارمن وهم المعروفون بالغريغوريين : ولكل فئة من هذه الثلاث بطريرك وأساقفة وطقوس على حدة ولا تشترك احداها مع الاخرى الا بروح هذه الهرطقة : وقد رجع من كل فئة منهم قسم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية : فمن الاولين السريان الكاثوليك ثم القبط الكاثوليك ثم لارمن الكاثوليك على ما هو مشهور : هدى الله الجميع الى محجة الصواب وأرجعهم الى مركز الوحدة الكاثوليكية فتصير الرعية كلها واحدة لراعٍ واحد كما قال الرب واحب ان تكون كنيسته على الدوام

الفصل الثالث

في بدعة المنوثيلية ومبتدعيها

عدد ٢٩ — قد رأيت مما مرَّ بك في تاريخ المنوفيزية كم عمل ملوك الروم منذ أواخر القرن الخامس حتى أواخر السادس في سبيل التوفيق بين الارثوذكسيين والمنوفيزيين لاجل توطيد السلام ووحدة الايمان في المملكة والكنيسة فضلاً عما بذله خلفاؤهم أيضاً في هذا السبيل ولكن دون فائدة لان جوهر الخلاف انما كان على أمر العقيدة لا على الكلام كما كان يظن بعضهم : والظاهر ان بعض علماء هاتيك العصور أخذوا يفكرون في أمر التوفيق بين الفريقين من الوجهة العلمية أيضاً فابتدعوا مذهباً لاهوتياً جديداً قوامه ان في المسيح طبيعتين واقنوماً واحداً ولكن ليس لكلتيهما سوى مشيئة واحدة وفعل واحد : وذلك لان الاقنوم وهو عندهم مبدأ الافعال والقوى في الجواهر المتحدة به انما هو واحد كالانسان له ارادة واحدة وفعل واحد مع انه مركب من جوهرين مختلفين طبعاً هما النفس والجسد ، أو كالصانع يطرق بالمطرقة فيصدر عنهما فعل واحد ينسب الى اقنوم واحد وهو الانسان وانما المطرقة آلة لا فعل لها بذاتها الا اذا استعملها الانسان بحسب غرضه : وقد فات هؤلاء ان الجسد ليس له بذاته لا فعل ولا ارادة طبعاً وانما يقتبس ذلك من مجرد تركيبه على نوع ما مع النفس التي هي صورة هذا المركب وقوامه فيحصل عن كليهما وحدة ذاتية ومن ثم فعل واحد وارادة واحدة : وان المطرقة وهي غير عاقلة وغير متحركة بذاتها تحفظ هي أيضاً خواصها الجوهرية والعرضية مما يجعلها صالحة لهذا العمل الذي تستعمل لاجله : أما طبيعة المسيح الانسانية فليست كذلك لانها انما هي كاملة بذاتها ككل انسان لها عقل وارادة وفعل بذات طبعها والكلمة الالهية عند ما اتخذتها لم تنقص منها شيئاً بل حفظت كل خواصها التي هي هذه

القوى عينها على وجه الخصوص : فمثل هذا التشبيه اذاً لا يصح في اتحاد طبيعتي المسيح باقنوم واحد كما يرى المتأمل :

عدد ٣٠ — وقد دعي هذا المذهب عن اليونان بالمنوثيلية أي المشيئة الواحدة وهو على ماوصفنا يخالف أولاً المذهب النسطوري لانه يسلم بطبيعتين متحدتين في اقنوم واحد وانما النسطورية على انهما طبعان واقنومان ولو حصل بينهما اتحاد كلي حتى يتأتى عنه فعل واحد وارادة واحدة كالعامل والآلة التي يستعملها لغرض من أغراضه فالله الكلمة العامل والانسان يسوع الآلة على رأيهم : — ويخالف ثانياً المنوفيزية لانه يسلم بطبيعتين واقنوم واحد فقط . وانما هذه على ان ليس في المسيح سوى الطبيعة الالهية أما الطبيعة الانسانية فقد امتزجت بتلك امتزاجاً كلياً حتى لم يبقَ لها من قوام كقطرة الخل ألقيت في بحر خضم : ومن ثم فالمشيئة والفعل وكل ما يصدر عن هذا الامتزاج الكلي لا يكون الا واحداً طبعاً : بيد ان اصحاب هذا المذهب لم يعارضوا المنوثيلية كثيراً لرجوعها بالنتيجة الى مذهبهم ولو ميزت في الظاهر بين الطبيعتين : ولهذا نرى اكثر المنوفيزيين قد سلموا به وعلموه خلافاً لغيرهم — ويخالف ثالثاً بلا اشكال المعتقد الكاثوليكي لانه يقرر مشيئة واحدة وفعلا واحداً يصدر عن تينك الطبيعتين المتحدتين باقنوم واحد على ما وصفنا بحيث لم يبقَ للطبيعة الانسانية أقل شيء من خواصها الجوهرية فلا يمكن والحالة هذه ان تعدَّ تامة اذ ينقصها أهم شيء وهو قوة العمل بحسب جوهرها الخاص

وقد صدر أصحاب هذا المذهب الجديد عن مقدمة فاسدة وهي ان مبدأ الفعل انما هو الاقنومية : مع ان تعليم الآباء والمجامع المقدسة انما هو ان الطبيعة الانسانية في المسيح قد حفظت كل خواصها سالمة بحيث كان جل شأنه مساوياً للناس في الجوهر كما هو مساوٍ لابيه في الجوهر : ولا يصح ان يكون الانسان تاماً في جوهره الا اذا صح فيه التحديد الفلسفي العام بانه حيوان ناطق أي ذو عقل بشرى وارادة وأفعال انسانية : أما قولهم بان الاقنوم انما هو مبدأ الفعل فهو باطل عند المسيحيين

خاصة الذين يرتشدون بالوحي الى الحقائق الراهنة : والدليل على بطلانه انما هو في الثالوث الاقدس فانه ثلاثة أقانيم بطبيعة واحدة : فلو صح رأي الخصوم تأتي عنه لا محالة ان الله المثلث الاقانيم ثلاث ارادات وثلاث قوى أو مبادىء للافعال وهذا محال : وليس من مسيحي يسلم الا ان الله المثلث الاقانيم له ارادة واحدة وقوة واحدة وسلطان واحد وفعل واحد : فيمكن والحالة هذه أن يستنتج بكل صواب ان الطبيعة انما هي مبدأ الافعال فحيث هي واحدة فالفعل واحد ولو تعددت الاقانيم كما في الثالوث الاقدس . وحيث الطبيعتان ففعلان ولو كان الاقنوم واحداً كما في السيد المسيح له المجد :

عدد ٣١ — ومن ثم فان هذا مذهب المنوثيلية قد زاد في الطنبور نغمة فزاد في التفريق لانه كوّن حزباً رابعاً يمكن أن يعد من مذاهب المنوفيزية التي كما ذكرنا غير مرة قد تفرقت شتاتاً كالخياليين والثيو بسقيين وغيرهما ومن نتائجها كلها الفعل الواحد في المسيح بسبب وحدة الاقنوم : أما من ابتدع هذا المذهب وعلمه فلا يُعلم على مايظهر بتوكيد : وانما المعروف والمسلم به عند الجميع هو انسرجيس بطريرك تسطنطينية في الربع الاول من القرن السابع كان أول من تظاهر به وعلمه على هذا الشكل المشروح(١)

---

(١) قلنا على هذا الشكل اي من حيث ان في المسيح طبيعتين متحدتين باقنوم واحد فمشيئة واحدة وفعل واحد على مارأيت : والا فان التعلم بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد انما هو نتيجة لازمة المذهب النسطوري الذي يحمل الطبيعة الانسانية لمستقلة باقنومها كآلة صماء يستعملها الله الكلمة الحال فيها حلولا ملازما كما اراد : ثم المذهب المونفيزي الذي من اركانه ان الطبيعة لانسانية في المسيح قد تلاشت في الطبع الالهي كنقطة خل في بحر خضم من حيث لم يبق لها من عمل ذاتي ومن ثم لا ارادة ولا فعل وانما افعال المسيح على هذا الشكل وارادته كلها الهية :

وقد جاء في مقالة لانسطاس السيناوى عنوانها « شرح مختصر الايمان » (راجع مجموعة الاباء اليونان للاب مين مج ٨٩ ص ١٢٥) وهو من كتبة القرن السابع على ما يظهر بعد ان اثبت المشيئتين والفعلين في السيد المسيح بحسب التعليم الكاثوليكي واستطرد الى افعال المسيح المشتركة بين اللاهوت والناسوت اي التي تصدر عن كليهما معاً مثل شفاء الاعمى بالطين وبعث ابن رئيس

وكان سرجيس هذا من سورية وكان في الباطن على مذهب المنوفيزية لان أبويه اللذين كانا من اليعاقبة قد أرضعاه اياه مع اللبن ونشّآه عليه حتى امتزج بدمه : وكان على ما يظهر داهية زمانه وقد تظاهر بالاعتراف بالمجمع الخلقيدوني حتى تربع في دست البطريركية : ولاجل مخادعة المؤمنين وردهم الى روح المنوفيزية قد اخترع هذا المذهب الوخيم وأخذ يدس سمه بين أهل المكانة حتى يعد له جنوداً يناصرونه به متى ابرزه جهراً : وقد نال ثقة الملك هرقل الى حد انه لما أراد أن يخرج لمحاربة الفرس في سنة ٦٢٢ قد وكل اليه والى البطريق بونوز معاً العناية بابنه قسطنطين الذي اقامه اذ ذاك نائباً على المملكة وكان عمره عشر سنين :

عدد ٣٢ — هذا وكان سرجيس قد وضع رسالة مزيَّفة أودعها ما يوافق مذهبه ونسبها الى مينا البطريرك سالفه الذي عقد على عهده المجمع المسكوني الخامس زاعماً انه كان قد بعث بها الى البابا ويجيل : وزيف أيضاً كثيراً من أقوال الآباء والملافنة لهذه الغاية القبيحة وأخذ يغري الناس بمثل هذه الامور على التمسك بهذا المذهب الحديث : فوافقه اولاً على ذلك ثودورس أسقف فاران وراهب مشهور في أرمينية اسمه بولس ثم قورس أسقف فسيداية الذي صار فيما بعد بطريركاً على

المجمع باللمس ولعازر بالصوت وتكثير الخبز بالبركة وشفاء الاصم بواسطة الاصبع الخ ما ترجمته حرفيا « ان الهراطقة بعد ان نظروا الى هذه الافعال الصادرة من المسيح بالاشتراك طبعاً اي بما انه اله وانسان معاً اخذوا يرفضون الاعتراف بان له فعلا الهيا وكذلك فعلا بشريا حيويا : ولكن مما يجب اعتباره كامر حقيقي ومؤكد ان الهراطقة ونسطور ايضا انما يعارضون ويرفضون في المسيح بلا فتور الارادة البشرية وفعل جسده ونفسه (اي الافعال البشرية المحضة) عن كيد واغراء من الشيطان اما المنوفيزيون . . . فيمكن ان يقال فيهم انهم انما اخترعوا من دماغهم وحدة الارادة والفعل كما بينا وسنبين فيما يلي » وانسطاس هذا على ما ارتأى العلامة لكويان في كتابه المشرق المسيحي هو غير انسطاس البطريرك الانطاكي الذي عاش في اواخر القرن السادس ومات سنة ٥٩٩ : وانه كان راهبا من دير طورسينا ولهذا يقال له السيناوي وقد عاش وكتب في النصف الاول من القرن السابع أي بعد ظهور الاسلام : خلافا لما زعم بعضهم من انه هو نفس البطريرك القديس المذكور آنفا :

الاسكندرية سنة ٦٣٠ وكان أول من جاهر بهذا الضلال (١) فقد عقد مجمعاً خاصاً في الاسكندرية ضم فيه اليه أولا فرقة المنرفيزيين اشياع ديسقررس ثم شرح هذا المذهب الجديد فراق لهم واثبتوه جميعاً بقرار قانوني : وكان اذ ذاك في الاسكندرية راهب فاضل من نواحي أورشليم اسمه صفرون فنهض لمعارضة قورس المذكور بغيرة متوقدة وأخذ يبين له وخامة هذا الضلال وفساد هذا التعليم من الآباء والمجامع والكتب المقدسة : ولما رأى ان تعبه معه ذاهب سدى توجه الى قسطنطينية فشكا

---

(١) ويقال ان اثناس بطريرك اليعاقبة في سورية كان أيضاً من المائلين على هذا الرأي وقد روى ثوفان المؤرخ الرومي الشهير في تاريخ سنة ٢٠ لهرقل انه : لما انتهى هذا الملك في سنة ٦٢٨ من حرب الفرس وقد عاد منتصراً انتصاراً باهراً على ما هو مشهور لاقاه اثناس هذا بطريرك اليعاقبة فحدثه الملك في شأن التسليم بالمجمع الخلقيدوني ووعده ان يصيره بطريركاً على انطاكية اذا اذعن له : فاجاب اثناس بخداع انه اذا سلمنا بطبيعتين في المسيح فهل يلزمنا ان نعتقد بمشيئتين وفعلين او بمشيئة واحدة وفعل واحد : فاجل الملك الجواب الى ان استشار قورس اسقف فسيدالية وسرجيس طريرك قسطنطينية واذ جاوبه كل منهما على حدة على ما يوافق مذهب المشيئة الواحدة اغتر الملك بذلك معتقداً ان هذا هو الايمان الحق : وقد انكر جمهور المحققين صحة هذه الرواية : والظاهر انها غير صحيحة لانها في الحقيقة لا توافق ما بين ايدينا من الآثار التاريخية الراهنة : ومن ذلك ما روى ابن العبري الجاثليق اليعقوبي في تاريخه السرياني (قسم ١ ص ٢٧٤) عن ديونيسيوس التلمحري بطريرك اليعاقبة المؤرخ الشهير المعاصر لثوفان المذكور وهو اخبر بتواريخ أمته . قال ما ترجمته « واذ بلغ الملك (اي هرقل وهو عائد من حرب الفرس سنة ٦٢٨) الى منبج مثل لديه البطريرك اثناس ومعه اثنا عشر اسقفا : فطلب منهم جميعا صورة ايمانهم واذ تلاها اوسعها مدحاً ولكنه لم يغفل عن تكليفهم بقبول المجمع الخلقيدوني واذ ابوا غضب الملك عليهم وكتب الى كل المملكة ان من لا يسلم به (اي بالمجمع الخلقيدوني) يجدع انفه وتصلم اذناه ويؤخذ بيته ...» فيتحصل من ذلك ان رواية ثوفان المذكورة آنفا لا يجوز القطع بصحتها لمعارضة هذه الرواية المعتبرة لها كما يرى المتأمل : لان التلمحري المؤرخ المشهور بالتدقيق في رواياته انما هو اولى بالتصديق لانه يرويها عن قومه وربما اخذها عن سجل بطريركيته او عن مؤرخ معاصر من امته : لا سيما وانه لم يحصل ما ذكره ثوفان من وعد هرقل لاثناس بجعله بطريركاً على انطاكية اذا صح اعترافه بالايمان على ما ذكرنا : لانه لم يذكر احد المؤرخين اثناس هذا بين بطاركة انطاكية بل جميعهم على ان هذا الكرسي قد خلا بعد انسطاس الثاني الشهير اي منذ سنه ٦١٠ حتى اقيم عليه مقدونيس المنوثيلي سنة ٦٤٠ في قسطنطينية ولم يخرج منها

أمره الى سرجيس بطريركها وهو لا يعلم انه انما كان أصل هذا الضلال . فعقد سرجيس أيضاً مجمعاً خصاً في كرسيه اثبت فيه هذا المعتقد الحديث . فكتب اذذاك صفرونيس يشكوهما الى البابا هونوريوس وكان سرجيس نفسه قد كتب لهذا الحبر الاعظم يتنصل من تهمة الهرطقة ويخادعه بالكذب كعادته من مثل ان التصريح بالمشيئتين والفعلين لم يكن له من محل في ذاك الحين لانه من شأنه أن يشكك السذج من المؤمنين فيأخذونه بمعنى ان الارادة البشرية في السيد المسيح تضاد الارادة الالهية فتفعل هذه ما لا تريده تلك على نحو ماهو جارٍ فينا نحن البشر الضعفاء : الى غير ذلك من مثل هذه الترهات والمواربات : فأجابه الحبر الاعظم وهو لا يدري بحقيقة ما كان من أمر هذه البدعة برسالته المشهورة التي بها يتساهل في مثل هذا المعنى مع سرجيس ويصرح بان لا لزوم لوضع مسئلة الارادتين والفعلين تحت البحث والجدال لئلا يستنكر ذلك الضعفاء ممن لا يفهمون القصد من القول بالمشيئتين والفعلين : فتسلح سرجيس الخبيث بهذا الجواب الذي كان على مقتضى الخطاب ولهذا اتهم بعضهم هذا البابا بالتشيع لهذه البدعة : أما الراهب صفرونيس فانه عاد الى أورشليم حيث انتخب بطريركا عليها لما كان مشهوراً من فضله وعلمه وقداسته : وما عتم ان عقد مجمعاً خاصاً في كرسيه فحرم فيه هذه البدعة الحديثة ومن يعلم بها وينتصر لها وأقر الحقيقة الكاثوليكية : ولم يفتر بعد ذلك عن محاربتها وتزييفها بالقول والكتابة والعمل كما يشهد ما تركه لنا من الكتب والمقالات العديدة بهذا الموضوع مما يدل على غزارة علمه وقوة حجته وحزمه وشدة غيرته على سلامة الايمان الرسولي من كل شائبة :

عدد ٣٣ — وكان الملك هرقل مذ انتهى من حرب الفرس ظافراً كثير الاهتمام في ضم شمل الرعية ونزع الاختلافات الدينية من بينهم لانها سبب الشقاق والتباعد الذي أدى الى التضاغن كما روى ثوفان المؤرخ الشهير : وكان ينتصر بكل

عزم للمجمع الخلقيدوني ويود أن يجمع كل الفرق عليه[1] غير انه بعد عوده الى العاصمة رجع الى لهوه وحظه واغفل شؤون المملكة حتى توغل العرب في فتح سورية كلها وهو لا يكترث لهم كما كان ينبغي : وكان البطريرك سرجيس الطاغي ينتهز الفرص الملائمة هو وأعوانه لحمل الملك على التمسك ببدعته والانتصار لها: وكان قد أعد منشوراً لكل المملكة بشرح هذه البدعة على ايثاره فتوصل في سنة ٦٣٩ الى اقناع الملك بتوقيعه واذاعته وتكليف الجميع الى الاعتراف بحسبه : وهو منشور هرقل المشهور باسمه « اكتيزيس » أي « الشرح الوافي » : وما كاد يذيع هذا المنشور حتى أقام المؤمنين وأقعدهم وقد ناهضه خاصة أساقفة أفريقية فعقدوا مجمعاً وحرموه بكل جرأة : وفي تلك السنة عينها عقد البابا يوحنا الرابع مجمعاً في رومية حرم فيه هذه البدعة مع منشور هرقل المذكور . وقد بلغت هرقل هذه الاحوال وما جرَّ عليه منشوره هذا وعلى المملكة من البلايا الجديدة التي لم تكن في الحسبان فوجد نفسه مضطراً الى التبرؤ منه . وقد روى باجيس الشهير في تاريخ سنة ٦٤٠ ان الملك هرقل قد كتب هذه السنة للبابا يوحنا رسالة يقول فيها ما مؤداه « انني لم انشيء انا هذا « الشرح » ولم آمر به وانما الذي انشأه هو سرجيس البطريرك وبعد عودي الى قسطنطينية حملني على توقيعه واذاعته فانقدت اليه واذ رأيت الآن

(١) كما رأيت مما رويناه في الحاشية السابقة عن التلحري بحسب رواية ابن العبري وكما يظهر أيضاً جلياً من كلام آخر لهذا المؤرخ عينه وهو قبيل الفقرة المذكورة آنفاً واليك ترجمته عن السريانية : قال ما مؤداه « لما ابن كسرى ملك الفرس اغتال والده استرجع سورية هرقل ملك قسطنطينية وجاء الى الرها فسار امامه الشعب والكهنة والرهبان : واذ رأى كثرة عدد الرهبان قال للذين على مذهبه لا يصح ان ندع شعباً كثير العدد والفضل نظير هذا بعيداً عنا : ودخل يوم عيد الى كنيسة اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وجاد على الشعب كله بهبات نفيسة ليحمله على التمسك بالمجمع الخلقيدوني : وفي آخر الذبيحة تقدم الملك ليشترك بالاسرار حسب عادة الملوك المسيحيين فاحتدم اشعيا مطران الرها غيرة وابى ان يتيح الاسرار للملك قائلا له اني لست موليك اياها الا اذا حرمت المجمع الخلقيدوني كتابة : فاستشاط الملك غيظاً وطرد الاسقف اشعيا من الكنيسة ودفعها الى أشياع المجمع المذكور »

ما تأتي عنه من الاختلافات الدينية فاني أصرح ببراءتي منه وباني لم اكن انا مؤلفه»

ولم يصل هذا المنشور الى سورية حيث كانت الحال فوضى لان العرب كانوا قد استولوا عليها جميعها وقلصوا ظل الروم عنها . ولم يكن على انطاكية بطريرك يدبر شؤون هذا الكرسي فأقام سرجيس عليها مقدونيس سنة ٦٤٠ وكان على مذهبه ولكنه لم يستطع أن يأتي الى انطاكية في هاتيك الظروف بل استمر في قسطنطينية الى آخر حياته . مما يدل على ان هذه البدعة لم تعرف لذاك العهد في سورية

عدد ٣٤ — ثم مات هرقل سنة ٦٤١ وخلفه ابنه قسطنطين وقتل مسموماً بعد جلوسه على عرش والده بأربعة أشهر . فخلفه ابنه قسطان حفيد هرقل : ومات أيضاً سرجيس وخلفه بيرس على كرسي قسطنطينية . ومات قورس وخلفه بطرس على كرسي الاسكندرية وكلاهما على هذا المذهب . وقد ظهر في هذا العصر القديس مكسيمس المعترف يناهض هذه البدعة بكل عزم وغيرة في العاصمة نفسها وخارجاً عنها . وله محاورة شهيرة مع بطريركها بيرس المذكور أفحمه بها ورده عن ضلاله ولكنه ارتد فيما بعد اليه ومات مصراً عليه . وخلفه بولس وكان أيضاً منوثيلياً . واذ كان قسطان الملك قد عول على ارجاع منشور جده للعمل به لانه كان هو أيضاً على هذا المذهب لم يستحسن هذا البطريرك ذلك بل اقنع الملك أن يعمل منشوراً آخر في منع كل جدال في هذه القضية أي هل للمسيح مشيئتان وفعلان أم مشيئة واحدة وفعل واحد . لان المملكة وقد غار عليها العرب واستولوا على قسم كبير منها كانت أحوج الى الالفة والوئام منها الى الشقاق والخصام بسبب العقائد الدينية. فاقتنع الملك واصدر في سنة ٦٤٨ منشوراً عاماً بهذا المعنى مشهوراً باسم « تيبيكون» أي الصورة أو المثال . وقد تهدد به كل من يخالف مضمونه بعقوبات صارمة . واذ بلغ الامر الى القديس مرتينس الاول الحبر الاعظم عقد مجمعاً في رومية سنة ٦٤٩ فحرم بدعة المشيئة الواحدة ورفض هذا المنشور . فاغتاظ الملك من ذلك وعده تعرضاً لسلطته ونفي هذا البابا القديس الى الخرسونيز حيث قضي نحبه سنة ٦٥٤ .

ثم توفي بولس بطريرك قسطنطينية وخلفه بطرس من اشياع هذه البدعة أيضاً . وفي عهده أجرى قسطان مظالم فظيعة على الايمان القويم بدلا من أن يهتم في أمر المملكة التي فتح العرب قسماً كبيراً منها حتى كادوا يبلغون العاصمة

عدد ٣٥ — وفي سنة ٦٦٨ توفي هذا الملك وخلفه ابنه قسطنطين الصالح المعروف باللحياني لكبر لحيته وكان قويم العقيدة . فغير كل ما أجراه والده من هذا القبيل وانصرف الى العناية في أمور المملكة بالحزم واصالة الرأي : و بعد ارتقائه الى العرش بعشر سنين كتب الى دمنس الحبر الروماني يسأله ان يرسل اليه بعض العلماء المحققين في الاسفار المقدسة وأمر عقائد الايمان للمباحثة مع رؤساء كنائس الشرق في هذا الموضوع حسماً لكل نزاع وتسكيناً للقلاقل التي طال أمرها واستفحل في المملكة والكنيسة : فبلغت هذه الرسالة الى رومية سنة ٦٧٩ بعد وفاة هذا البابا فتلقاها خليفته اغاثون بكل سرور وارتياح واستدعى أساقفة المغرب وعقد مجمعاً لهذه الغاية في ٢٧ اذار سنة ٦٨٠ اجتمع اليه مئة وخمسة وعشرون أسقفاً و بعد المداولة في هذا الامر المهم انتدبوا وفداً الى الملك واتفقوا على كتابة رسالتين اليه والى أخويه هرقل وطيبار احداهما بامضاء الحبر الاعظم والثانية بامضاء الاساقفة المذكورين أودعوهما شرحاً مسهباً لهذه قضية الايمان : وقد أناب البابا عنه ثودورس وجرجس الكاهنين ويوحنا الشماس . والاساقفة قد أنابوا عنهم ايضاً يوحنا أسقف برتو وأبندنس أسقف بلسترين ويوحنا أسقف ريجو ورفعوا الرسالتين اليهم : واذ وقف الملك على ذلك أمر بعقد المجمع العام سنة ٦٨٠ في نفس العاصمة بحضرته وهو المجمع السادس المسكوني ولم يجتمع اليه سوى عدد قليل من الاساقفة و بينهم جرجس بطريرك قسطنطينية ومكاريس بطريرك انطاكية الذي كان مقيماً في هذه العاصمة وكان كلاهما منوثيلياً : اما بطريرك أورشليم و بطريرك الاسكندرية فقد أنابا عنهما بعض الكهنة : وانما حصل هذا التأخر عن المجيء الى هذا المجمع بسبب الحروب واستيلاء العرب على اكثر بلاد الشرق

فرأس نواب البابا جلسات المجمع بحضرة الملك وحاشيته ودار البحث الدقيق على هاتيك الامور المختلف فيها وعلى كل الذين ابتدعوا هذه البدعة وناصروها من أول أمرها في كل بلاد الشرق حتى احصوهم جميعاً : ورجع جرجس بطريرك قسطنطينية عن ضلاله مذعناً للحق . اما مكاريس بطريرك انطاكية فعلى الرغم من انغلابه للبراهين الساطعة وبيان تزييف مستنداته قد بقي مصراً على عناده واعتزل المجمع هو وتلميذ له اسمه اسطفان ومن شايعهما على هذا الضلال : وكان في خلال الجلسات يفد بعض الاساقفة المتأخرين عن الميعاد بسبب طوارق الحدثان في ذاك الزمان فيراجع لهم كل ما تمَّ في غيابهم ويستجوب كل منهم عن رأيه[1]

---

(١) ومما يذكر من هذا القبيل ان قسطنطين كاهن كنيسة افامية من سورية الثانية قد استجوب في الجلسة السادسة عشرة من جلسات هذا المجمع كما هو مذكور في أعمالها فقال في هذا الموضوع — اني اعترف بطبيعتين على مقتضى تعليم المجمع الخلقيدوني وبخاصتين لهما ولا اريد الجدال في مسئلة الفعلين بل اقر بمشيئة واحدة في اقنوم الكلمة : — فسئل : هل هذه المشيئة تختص بالطبع الالهي أم البشري : فأجاب — بل بالطبع الالهي — ثم سئل : هل كان للطبع الالهي مشيئة : فاجاب — كان له مشيئة الى ان مات على الصليب : اما بعد القيامة فقد تعرى عن الجسد المائت تاركا مع اللحم والدم المشيئة البشرية — وصرح أيضاً بانه انما تلقى ذلك عن مكاريس بطريرك انطاكية : ولما كانت الحقيقة ان ما كان اتخذه الله الكلمة لم يتركه قط ولن يتركه أبداً وقد اصرَّ قسطنطين على زعمه هذا حرمه المجمع :

ومما يجب الانتباه اليه هنا أولا ان قسطنطين هذا لم يكن منوثيلياً بحتاً في اعترافه هذا بل كاثوليكياً من حيث المشيئتين والفعلين في المسيح الى حين موته على الصليب : ولكنه اخطأ في عدم الاقرار بذلك من بعد القيامة ايضا : اما المنوثيلية فهي على نفي المشيئتين والفعلين في السيد المسيح منذ تجسده كما لا يغرب :

ثانيا لما كان قسطنطين هذا من افامية وهو كاهن كنيستها كما صرح هو نفسه يتبادر بكل صواب الى الذهن انه انما كان على العقيدة التي كان عليها اهل سورية الثانية من الخلقيدونيين واخصهم رهبان دير القديس مارون واتباعهم : ويظهر من سياق هذه القصة ومن ملاحظتنا آنفا ان الرجل لم يكن منوثيلياً ولم يعرف هذه البدعة الا بقدر ما لقنه مكاريس بطريرك انطاكية الذي لم يقابله الا في العاصمه لانه لم يخرج منها كما هو مقرر : ومع كل ذلك قد اعترف بالمعتقد الكاثوليكي من هذا القبيل ولم يعلق في ذهنه مما لقنه أباه مكاريس الا ما غلط به في اعترافه هذا : مما يدل دلالة صريحة على ما نرى ان أهل افامية وسورية ورهبان دير القديس مارون خاصة لم يعرفوا في ذاك الحين ضلالة المنوثيلية بسبب قطع المواصلة بعد الفتح العربي مع قسطنطينية :

ثم ان المجمع قد قرر قاعـدة الايمان الحق وكل ما كان قد تقرر في المجامع الخمسة المسكونية السالفة وحرم مبتدعي المشيئة الواحدة ومن انتصروا لها وعلموها ذاكراً على وجه التخصيص ثودورس الفاراني وسرجيس وبيرس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية . وقورس البطريرك الاسكندري .ومكاريس وتلميذه اسطفان ثم أثبتوا رسالتي البابا اغاثون وأساقفة المغرب بعد ان أوسعوهما ثناء وحكموا بالاجماع ان في السيد المسيح مشيئتين طبيعيتين وفعلين وان المشيئة البشرية هي خاضعة للمشيئة الالهية ولا تضاد بينهما : ونهوا نهياً باتاً عن التعليم بما يخالف هذه الاحكام تحت طائلة أشد العقوبات الكنسية : ثم ختموا هذا المجمع بكل سلامة وسرور وارتياح ووقع كل الموجودين أسماءهم عليه وكانوا مئة وستين أسقفاً ووقعه أخيراً الملك ثم أذيع بحسب الاصول القانونية المعتادة : وكان الفراغ منه سنة ٦٨١ ، ولما كان مكاريس بطريرك انطاكية قد حرم في هذا المجمع وحط عن مقامه قد اختاروا بدلاً منه على هذا الكرسي الانطاكي ثوفان الغيور على حقيقة الايمان كما ظهر منه في هذا المجمع وأقام هو ايضاً في قسطنطينية . أما مكاريس فقد ذهب الى رومية لتبرئة نفسه وبقي فيها حتى مات : وهكذا انتهى أمر هذه البدعة ولم يبق لها الآن من أثر :

المبحث الثالث

في أحوال رهبان دير مار مارون وأتباعهم بالنظر الى النسطورية والمنوفيزية

توطئة

عدد ٣٦ — ان أول هذه الهرطقات وهي النسطورية قد ظهرت كما رأيت في النصف الاول من القرن الخامس : والثانية وهي المنوفيزية قد ظهرت بعد الاولى بنحو ثماني عشرة سنة : اما الثالثة وهي المنوثيلية فلم يظهر أمرها ويقلق الكنيسة بأسرها الا في النصف الاول من القرن السابع : وقد وافق ظهور هذه الهرطقات الثلاث أول العصر الذي ظهر فيه دير مار مارون ورهبانه على ما رأيت مما قيل حتى الآن : فسبيلنا والحالة هذه ان نبحث هنا عن حالة رهبان دير مار مارون والذين تتلمذوا لهم وانتموا اليهم من المؤمنين في هذه الحقبة من الدهر :

فالنسطورية لم يكن لها على ما يظهر من أثر عندهم لانها من جهة رفضت تمام الرفض في كل سورية وانما انتشرت في العراق و بلاد فارس بواسطة تلاميذ نسطور كما بسطنا في محله : ومن جهة أخرى لم نجد حتى الآن من يتهمهم بها على الاطلاق فلا نرى والحالة هذه من حاجة الى الاستفاضة في البحث من هذا القبيل :

اما المنوفيزية فقد وجد لها انصار وأشياع كثيرون في سورية وكان منهم بطاركة على انطاكية كبطرس القصار وساويرس حتى أوائل القرن السادس وكان لهذا الاخير شأن يذكر مع الموارنة كما رأيت : ومع هذا قد وجد من اتهمهم في

الاعصر المتأخرة بالجنوح الى هذه البدعة . ومن ثم نرى من اللازم اللازب ان نبحث في هذا الموضوع هنا فنقول و بالله المستعان :

الفصل الاول

في الهرطقة المنوفيزية والموارنة

عدد ٣٧ — ان الآثار التاريخية القديمة الراهنة تبين بما هو أصرح من الشمس ان رهبان دير مار مارون قد كانوا من أخص المتمسكين بتعاليم المجمع الخلقيدوني المنتصرين له حتى الدم منذ أوائل القرن السادس بدليل ما احتملوا في سبيل ذلك من الشدائد على يد ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل و بطرس الافامي وانسطاس الملك الغاشم في نحو سنة ٥١٧ حتى زينوا تاج الكنيسة الكاثوليكية المقدسة بثلاثمائة وخمسين شهيداً على ما روينا غير مرة باسهاب : ومن المعلوم ان المجمع المسكوني الخامس الذي عقد في قسطنطينية سنة ٥٣٦ على عهد يستنيان الملك انما كان خاصة لاجل اعادة السلام الى الكنيسة وقد أثبتت فيه احكام المجمع الخلقيدوني وكل المجامع التي قبله تعزيزاً له : وقد شهده نواب عن رهبان دير مار مارون وسائر أديار سورية الثانية وأمضوا بهذه الصفة مع آباء هذا المجمع كما رأيت في الفصل الثالث من المبحث الاول من هذا الكتاب : بحيث لم يبق من محل للريب في انهم كانوا من أخص أشياعه الخاضعين له . لاسيما وقد استفادوا منه ايضاً فائدة جلى حتى ان يستنيان الملك قد جدد لهم بناء ديرهم هذا كما روى بروكوب القيصري المؤرخ الشهير : فلا يمكن والحالة هذه ان يقال بعد ذلك ان رهبان دير مار مارون واتباعهم لم يكونوا كاثوليكيين ومسلّمين بالمجمعين الرابع والخامس في ذاك العصر :

عدد ٣٨ — هذا وعندنا برهان آخر دامغ على استمرارهم على هذه الحال

حتى أوائل القرن السابع : وهو أثر تاريخي يرتقي الى ذاك العهد قد وجده حضرة العلامة المفضال الأب ناو المتمشرق الافرنسي الشهير بين المخطوطات السريانية القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني في كتاب منها نُسخ منذ القرن الثامن وهو تحت عدد ١٢١٥٥ : ففي الصفحة ١٦٣ من هذا الكتاب القديم العهد قد عثر على رسالتين باللغة السريانية احداهما من رهبان دير مار مارون الى رؤساء الحزب المنوفيزي . والثانية جواب هؤلاء للرهبان المذكورين : وتاريخ حصولهما يرتقي الى ما بين القرن السادس والسابع كما برهن الأب ناو المذكور في توطئة علقها على هاتين الرسالتين اذ نشر ترجمتهما في نحو سنة ١٩٠٣[١] وقد نشرهما هو نفسه فيما بعد بالاصل السرياني وعنه ايضاً غير واحد من الكتبة الموارنة في بعض مؤلفاتهم التي بهذا الصدد :

---

(١) قال العلامة الاب ناو بهذا الصدد ما مؤداه « ولاجل تحديد الزمان الذي كتبت فيه هاتان الرسالتان يمكننا ان نستلفت النظر أولا الى ان موضوعهما يتعلق بجدال قد حصل في انطاكية وببطرس (القلينيقي) : ثم الى ما نعلمه من جهة ثانية من انه بعد موت بطرس هذا الذي كان بطريركا على اليعاقبة منذ سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٩١ على ما روى ابن العبري قد حصل اجتماع في انطاكية من رهبان هاتيك النواحي لاجل الجدال في أمر العقائد الدينية : فيمكن والحالة هذه أن يستنتج ان هاتين الرسالتين انما كتبتا في هذه الاثناء اي بعد سنة ٥٩١ بمدة قليلة :

وبالواقع قد روى ديونيس التلمحري على ما يستشهده العلامة السمعاني في المكتبة الشرقية (مج ٢ ص ٧٢) ان العالمين البليغين « فروبس ويوحنا بربور » بعد ان كانا مواليين لبطريرك اليعاقبة بطرس القلينيقي في مصر وسورية قد انتهيا بان يقلبا له ظهر المجن اذ قبلا بالمجمع الخلقيدوني واحدثا شغباً بين اليعاقبة في نواحي انطاكية : فيقدر بصواب ان المذكورين بعد موت بطرس هذا بطريرك اليعاقبة قد طلبا الى البطريرك انسطاس (الذي كان على انطاكية منذ سنة ٥٥٩ الى سنة ٥٩٩) أن يستدعي كل الرهبان الى انطاكية للمناظرة في أمر الايمان لاجل تزييف تعليم بطرس المذكور الذي بالرغم عن تسليمه باختلاف الطبيعتين ينكر كونهما اثنتين في المسيح : ولاجل بيان كونه تعليما مستحدثاً في الكنيسة : ومن ثم المجيء الرهبان للمجيء الى انطاكية والقيام فيها مدة ستة اشهر لهذه الغاية . فعلى اثر هذا الاجتماع حصلت كتابة هاتين الرسالتين اللتين نحن بصددهما :

وأليك ترجمة هاتين الرسالتين عن الاصل السرياني بالحرف الواحد :

الأثر الرابع

« وهذه بنود الرهبان الموارنة كما يلي »

« من الرهبان الارثوذكسيين الموارنة أبناء البيعة المقدسة
« الكاثوليكية »
« الى فرقة الحلق اتباع بطرس التي هي احدى الفرق الكثيرة من
« اتباع أوطاخي وساويرس الذين يخفون أسماءهم وأديارهم كالجواسيس
« واللصوص »[1]

---

(١) قد ترجمنا هنا قوله ܕܒܝܬ ܡܪܘܢ بالموارنة لاعتبارنا هذا التركيب في السريانية من قبيل النسبة وهو الاصح بدليل قوله في هذه الفقرة عينها ܕܒܝܬ ܐܘܛܘܟܐ ܘܣܘܝܪܐ وهو يريد الاوطاخيين والساويريين لا محالة وهما من زعماء المنوفيزية الذين كما رأيت في البحث السابق قد انقسموا الى فرق شتى وكل فرقة نسبت الى زعيمها : والظاهر ان بطرس المنسوبة اليه هذه الفرقة التي يوجه اليها هؤلاء الرهبان الموارنة رسالتهم انما هو بطرس القلينيقي بطريرك اليعاقبة كما ذكرنا في الحاشية السابقة وكان قد ذهب في امته مذهباً جديداً بشأن الطبيعتين في المسيح ووافقه عليه جمهور منهم نسبوا اليه :

ومما يدل على ان هذا التركيب عندهم انما هو من قبيل النسبة انه كثيراً ما ورد في كلام السريان بقصد تعيين الحزب المنتسب الى احد الناس : وقد قرأنا في آخر الاوراق التاريخية التي نشرها مؤخراً العلامة الاب ناو المشار اليه في مجموعة الاثار المارونية ما مؤداه — ان ابن خالد (وهو عبد الرحمان بن خالد بن الوليد) عندما حاصر بجنوده حصن سيلوس صنع له احدهم منجنيقاً لدكه — الى ان قال — ܘܗܝ ܐܬܬܝܗ ܕܒܝܬ ܚܠܝܕ ܒܡܓܢܝܩܐ ܘܡܚܘܗܝ ثم ان الذين كانوا على الحصن خرجوا اليهم كمون بهم قائلين ܐܬܬܝܗ ܕܒܝܬ ܚܠܝܕ ܒܡܚܘܬܐ ܡܢ ܡܬܠܬܝܗ ܐܬܦܢܝܘ ويريد الكاتب هنا لا محالة جند خالد او اصحاب خالد اي المنسوبين اليه : وجاء ايضاً في انجيل مرقس (فصل ٢٣) ܐܢܫܐ ܡܢ ܦܪܝܫܐ ܘܡܢ ܕܒܝܬ ܗܪܘܕܤ اي من الهيرودسيين : وهذا كاف بهذا الصدد :

« قال الكتاب الالهي — ان الوقحين لا يستحون ولا يفقهون
« التأنيب — ولقد صدق فيكم خاصة مثل هذا القول اذ كان لكم وجوه
« من نحاس أبت الا الوقاحة والمكابرة والا لقلتم للجبال اسقطي علينا
« وللآكام غطينا »

« اننا قد طولنا لكم خمسة أيام لتجاوبونا على البنود الخمسة التي
« سقطتم فيها فلم تستطيعوا : ثم بعثنا لكم برسالة ننشدكم بالله في هذا
« الصدد بواسطة الجليل المحروس بالله ماري قسطنطين ولم تجاوبونا :
« وها نحن الآن ننبهكم بكتابنا هذا نفس التنبيه الذي ارسلناه اليكم في
« مدينة الله (انطاكية) ان تتقوا الله وتجاوبونا اذا قدرتم وكان لكم من
« حجة كما ينبغي على هذه البنود الخمسة التي لنا عليكم بشهادة اهل المدينة
« وسائر الاجانب الذين كانوا بيننا وبينكم بحيث يكون الجواب من
« أقوال مشاهير العلماء القديسين الذين لا خلاف في أمرهم لا عندنا ولا
« عندكم ولا عند كل مسيحي : وذلك قولكم »

« اولاً — ان المسيح لا يوصف بانه مضعف »

« ثانياً — ان المسيح هو طبع واحد مركب »

« ثالثاً — ان الطبع والقنوم والشخص انما هو واحد في المسيح »

« رابعاً — ان ديسقورس معلمكم قد حرم اوطاخي بعد ان
قبله في شركته

« خامساً — انكم تطعنون بالحرم من يقولون ان في المسيح «طبعين قبل الاتحاد أو بالاتحاد أو بعد الاتحاد» (١)

« هذا : اما المحامون الذين لكم فان قبلوا على نفسهم ان يحتجوا « هم ايضاً عن هذه التهورات التي تهورتموها فليكن احتجاجهم أولاً « عن هذه البنود الخمسة التي ذكرناها آنفاً : ثم اذا كان عندهم بعد ذلك « مايقولونه بالحق ويودون ان يسمعوا الجواب عليه فلا يضنوا علينا به : « اما اذا لم يروا ان يحاموا عنكم في مثل هذه السماجات فليحرموا بخط « ايديهم القضايا الاربع المذكورة آنفاً ويبينوا لنا ان ديسقورس قد « حرم اوطاخي : وحينئذ لا نستنكف من ان نأتي الى التباحث معكم بدون « ابطاء لأي أمر كان عما اذا كان يجب ان يقال ان المسيح طبعان أم لا « غير اننا نستحلفكم بالثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر وبزيكم « العزيز اذا كان عزيزاً اليكم ان تطلعوا على هذه الرسالة كل اساقفتكم « القريبين منكم بنواحي المشرق وان تردوا الجواب كما كتب آنفاً» اه

---

(١) يظهر انه عند حصول هذا الجدال لم تكن افكار الاحزاب متنبهة الى مسئلة المشيئة او المشيئتين في المسيح لانه ليس من ذكر لذلك فيه : وهذا مما يدل ايضا على ان هاتين الرسالتين قد كتبتا في نهاية القرن السادس او على الاكثر في بداية القرن السابع حيث لم يكن من اهتمام للاحزاب الدينية بهذه القضية : اما من جهة الخلقيدونيين فلاعتقادهم ان الطبيعتين في السيد المسيح قد حفظت كل منهما خواصها بحسب تحديد المجمع الخلقيدوني ورسالة البابا لاون الكبير : واما المنوفيزية فلاعتقادهم ان تقرير امر الطبيعة الواحدة فيه تباركت اسماؤه يستوجب المشيئة الواحدة والفعل الواحد ولهذا كانوا يصرفون همهم الى اثبات هذه القضية : فلا يستنتج من ذلك اتفاقهم على هذا الامر :

عدد ٣٩ — وهذه ترجمة جواب الرهبان اليعاقبة على هذه الرسالة عن الاصل السرياني بما أمكن من التدقيق :

تابع للأثر الرابع

« احتجاج وحل اعتراضات بالاختصار »

« فيما يتعلق بالخمسة بنوداً التى أرسلها الرهبان الموارنة المعروفين
« بالحلق من قرية ارمع بعد خروجهم من انطاكية الى الرهبان
« الارثوذكسيين القاطنين في الاديار المقدسة بجزرا »

« ثودورس الاخ »

« أصغر أهل البيعة المبنية على كف الله وأسوارها من الحجارة
« الكريمة أي بطرس الرسول وكل من خلفه من الرسل والانبياء
« وأئمة العلم . وأقوالهم المكذبة للآراء الملتبسة السقيمة المخالفة
« للحق ولموضحيه »

« الى فسل كرم خلقيدونية ولحاء عرق لاون والنبت الحامض
« الذي خرج من كرم ثودوريطس [1] وأقول بالاجمال الى أهل البدعة

---

(١) قوله هنا « لحاء عرق لاون » يراد به القديس لاون الكبير بابا رومية الذي سعى بعقد المجمع الخلقيدوني واسنده برسالته المجمعية المشهورة التي على مقتضاها تقررت هذه العقيدة فيه بحيث ان الذين تمسكوا بهذا التعليم القديم انما تمسكوا به بحسب تعليم هذا القديس العظيم فدعاهم هذا الكاتب المنوفيزي على سبيل الامتهان بلحاء عرق لاون اي قشوره : اما قوله « كرم ثودوريطس » فنظن انه اراد به ثودوريطس اسقف قورس الذي اخذنا عنه ترجمة القديس

« العظيمة الرئيسية التي نشأت في البيعة وفصلت أعضاء المسيح وجزّأت
« جسده الى أجزاء كثيرة الذين ما فتئوا يزيفون الايمان الذي نادى
« به الرسل القديسون بما استطاعوا اليه سبيلا أي الى هذين اللذين
« لهما اسم الحلق فيليفس وتوما المارونيين العائشين عيشة نسكية الله
« أعلم بها ولعل أمرهما غير مجهول عند الاكثرين »

« اما بعد فان ماتبيناه في رسالتكم من الاهانة والشتيمة التي
« ألحقتموها بنا لم تسبب لنا كدراً ولكنها ملأت أفئدتنا فرحاً كثيراً
« اذ قد علمنا منها ضعف آرائكم وعجزكم عن الدفاع عن بدعتكم الوخيمة
« فكان ان جددتم في الهرب والتلبس والشتائم وصح فيكم ما قاله
« الثيولوغس [1] في الافاعي من خطبة له في مجيء الاساقفة قال — ويعملن

مارون : فهذا الرجل العظيم بعد ان كان قد طغي بمذهب نسطور تربه في طلب العلم ودافع عنه جهده قولا وكتابة كما هومشهور واضطهدلاجله في مجمع افسس الزورالذي كان يرأسه ديسقورس قد رجع عن هذا الضلال رجوعا تاما استحق ثناء آباء المجمع الخلقيدوني : ومن ثم فتعويضا عما كان قد فرط منه اخذ يدافع عن تعليم هذا المجمع المقدس دفاع الابطال كما تشهد رسائله وكتبه العديدة التي لم تزل محفوظة الى الآن : فيظهر من نسبة الخلقيدونيين اليه هنا بهذه العبارة انه هو الذي اهتم بنشر تعليم هذا المجمع فى سوريه والمناضلة عنه حتى اقره فيها بفضل غيرته الرسولية واعتمد اتباعه خاصة على كتابته واقواله بالمحاماة عن هذه العقيدة المقررة : ولهذا كان الخصوم يعيرون اهل الايمان القويم على هذه الصفة :

ومما يجب الانتباه اليه ان لا ذكر في هذه الرسالة للملك مرقيان ولا لنسبة الخلقيدونيين اليه : فلو صح ما ذهب اليه بعضهم من ان الخلقيدونيين كانوا منذ ذاك الحين او قبله يدعون بالملكية نسبة الى هذا الملك الصالح العبادة لانه اهتم بعقدهذا المجمع واسناده بكل عزم لما فات هذا الكاتب المنوفيزي ان يلمع هنا الى ذلك كما يرى المتأمل : ومن الغريب ان اسم « الملكية » للخلقيدونيين لم يظهر قط قبل القرن الثامن فما حجة اصحاب هذا الراي ؟

(١) هو القديس غريغورنس النزينزي المعروف بهذا اللقب الذي معناه اللاهوتي :

« أحجرة ليصدنَ وهنَّ مختبئات أو ليكنَّ من اغتيالهنّ ممتنعات —
« فأنتم على هذا الشكل تماماً لانكم لما كنتم لاقول سديد لكم تجاوبون
« به على الأمور التي تقاضا كم اياها تلاميذ الحق في انطاكية كتابة ولساناً
« قد سترتم عواركم بالكلام المهين وطلبتم الهرب بالحيلة حذراً من
« اغتيالكم : وما كفاكم هذا ولكنكم بينما تقولون ان الرب لا يبصر والذي
« غرس الآذان لا يسمع والذي يؤدب الامم لا يبكت (مز ٩٣ : ٩)
« تطوفون في كل مكان مستبشرين للاشيء وتعتمدون على الكذب
« وتتسترون بالخداع وتطغون الاغبياء وتتفوهون بالاحلام الكاذبة
« كما قال النبي فيكم وفي أمالثكم (ارميا ٩ : ٥) وقد كتبتم وقلتم
« بالكذب ـ اننا طولنا لكم خمسة أيام لتعطونا جواباً عن البنود
« الخمسة التي سقطتم فيها ولم تقدروا عليه ـ أما متى وفي أي يوم وزمان
« ودقيقة فعلتم ذلك أي كتبتم لنا في انطاكية فلا سبيل لنا ان نعرفه :
« وتزيدون نفاقاً على نفاق وترفعون جبين الخيلاء بانكم كتبتم الينا
« تنشدونا الله بواسطة قسطنطين الذي لو كان ممن لا يعنيهم أمركم ثم
« نوشد بالثالوث الاقدس لم يكن عند ظني ليصانعكم ويستر الحق
« من أجلكم فيرضى اذ ذاك بظلمكم . ولقد تم فيكم قول سليمان ـ ذو
« العين الشريرة يحرص على المال ولا يعلم ان العوز يدركه (امثال ٢٨ : ٢٢)
« لانكم تظنون على ما يظهر ان مالكم انما هو تعنيفكم لنا وبئس المال
« الذي لم تقتنوه بالعدل : فما أنتم الا كما قال ارميا — كالحجلة تحضن

« مالم تلد (١٧ : ١١) — ولقد خسرتم بعون يسوع الاله ليس على تمادي
« الايام بل فور صدور الكلمة (كما حسن لداود الالهي) التي هي قولكم
« لنا — ان أمكنكم وكان لكم من حجة كما ينبغي على هذه البنود الخمسة
« التي لنا عليكم بشهادة أهل المدينة وسائر الاجانب الذين كانوا بيننا
« وبينكم بحيث يكون الجواب من مشاهير العلماء القديسين الذين
« لاخلاف في أمرهم لا عندنا ولا عندكم ولا عند كل مسيحي وذلك
« قولكم أولاً : ان المسيح لا يوصف بانه مضعف — »

« فيحق لي أن أتعجب منكم أو بالاحرى من قلة علمكم اذ انكم علماء
« افرام (أي اسرائيل) وتجهلون هذه الامور : فان مثلكم مثل من
« يطلب في الساعة الثالثة أو السادسة أو التاسعة دليلاً على ان الشمس
« اكثر نوراً من الكواكب : فاذا طلبتم دليلاً على هذه الامور التي
« هي أوضح من ان تفتقر الى دليل دونكم القديس قورلّس الذي هو
« وحده لا خلاف فيه عندنا بل نسلم به بكل خضوع العقل ونعول على
« تعاليمه الانجيلية كل التعويل ونعتبره كالفأس القاطع لأجناس البدع :
« فهذا في رسالته العظيمة المشهورة التي كتبها الى نسطور عدو الله يظهر
« انه يقول عند حكمه بان المسيح لا يوصف بكونه مضعفاً كما يلي —
« ان كلام الانجيل في مخلصنا لا يفرقه الى قنومين ولا الى شخصين لان
« الذي هو وحده المسيح ليس باثنين وان علم انه اجتمع فيه شيئان باتحاد
« غير منفصل كالانسان يعرف من نفس وجسد وليس هو اثنين بعد

« ولكنه واحد من كليهما ثم يأتي لاجل تحقيق ذلك بكلام مخلصنا في
« حينه حيث يقول من له أذنان ليسمع فليسمع . وما أقوله لكم
« فللجميع أقوله — وهكذا قد برهن بهذا الكلام ان المسيح ليس
« باثنين وسلم ايضاً بان الانسان لا يصح ان يوصف بانه اثنان بل واحد
« من كليهما : »[1]

« واذا شئتم أن تسمعوا أيضاً لان شهادة واحدة غير كافية عندكم
« فها كم ما قال هذا الملفان نفسه في الرسالة الثانية ضد تجاديف نسطور
« الاثيم — لا لان الابن الكلمة اتخذ جسداً وصار انساناً يقال انه
« اثنان[2] — وهذه أيضاً شهادة تنقض وهمكم في انه باتخاذه جسداً
« وصيرورته انساناً صار يحق لكم أن تقولوا انه اثنان وقد استأصلته من
« شروشه وأصله وأساسه كما يقال : وكأني به يناديكم : أيها الموارنة أصحاب
« الطبيعتين مع كل جماعة الخلقدونيين ليس لان الابن الكلمة الذي
« من الله اتخذ جسداً وصار انساناً يسمى لذلك اثنين : فاذا أردتم أنتم
« معارضة القديس قورلس العلامة الحكيم واجترأتم بعد حكمه السديد

---

(١) ان المنوفيزيين لايخرجون من أحد امرين عند ما يستشهدون بكلام القديس قورلس من مثل هذا لاثبات قضيتهم اي اما انهم لا يفهمونه او انهم يحبون المغالطة في جدالهم مع الخلقيدونيين لاجل المكابرة : فمن لا يرى ان قول القديس قورلس انما هو لنفي الاقنومين لا لنفي الطبعين المتحدين بالاقنوم الواحد في المسيح ؟ . . .

(٢) ان المغالطة هنا واضحة فان القديس كيرلس يكتب ذلك رداً على مذهب نسطور بان المسيح طبعان باقنومين فاثنان متحدان اتحاداً ادبياً او حبياً بلا انفصال ولهذا نراه على الدوام ينكر ذلك بحدة ولكن من هذا الوجه فقط لا من وجه انه هو طبعين متحدين بلا ختلاط ولا امتزاج ولا انفصال كما حدد المجمع الخلقيدوني :

« ان تقولوا ان المسيح هو اثنان سألتكم بأي وجه وقول تقولون
« ذلك بعد ان فسق هذا العلامة بما تقدم من قولهزعم الزاعمين انه من
« حيث صار انساناً واتخذ جسداً ذانفس ناطقة وجب أن يكون اثنين
« فان كان عندكم قول آخر يطابق كتاب الله جاوبونا به والا فكمّوا
« شفاهكم وكفوا بحسب وعدكم عن التقريف الذي كتبتموه لنا اذ
« قلتم — أرونا انساناً نهى عن ان يقال المسيح اثنان — فهوذا تقريفكم
« الاول لنا قد دقوسحق كالاناء من خزف حتى لم يعد يوجدمنه شقفة
« لاخذ نارمن الموقد او لغرف ماء ولو قليلاً : كما قال اشعيا (٣٠:١٤) »
« أما البند الثاني فما شأنكم فيه ؟ ربما خيل لكم انكم تقولون شيئاً
« لمن يسمع لكم ويسلم بضلالكم : أما المتوطدون على صخرة المسيح
« الثابتة فانهم يضحكون أو بالحري يبكون من هذه السخافات الصادرة
« عن قلة العقل : لانكم تظهرون نفسكم اذ تقولون وتكتبون مثل
« ذلك انكم لا تعرفون ولا هذه الامور التي يسلم بها الاكثرون بلا
« خلاف ان من مشاهير العلماء أو من الذين عهد اليهم آباؤكم بالمحاماة
« عن تعليمكم وكأني بكم تعامون انكم غير متأدبين في الكلام ولا
« خبيرين بالكتب : أو بعبارة أوضح كأنكم أظهرتم ذواتكم غرباء
« عن كتب العهدين وعن كتب الاباء الذين فسروها على الخصوص :
« ومن ثم طلبتم منا كما يلي — بينوا لنا ان المسيح هو طبع واحد مركب
« — وانما انتم أشبه بالذين عرفوا ان فلان قد نام فطلبوا ان يكشف لهم

« رجل آخر ما حلم هو به: لانكم بينما تسمعون العلماء الالهيين يعترفون
« ان المسيح هو طبع واحد متجسد لا ادري باي كلام تسألون عما اذا
« كان طبعاً مركباً الا اذا أنكرتم انه متجسد وتجاسرتم ان تقولوا عن جهل
« ان الذي يتألف من اثنين هو بسيط : اما اذا شئتم فاننا نقدم لكم
« من نفس المعين الاقرب الى الاسرار الالهية وهو فورلس لتشربوا :
« فان كنتم عطاشاً تردون الماء . كما قال اشعيا (٥٥ : ١) فقد قال فورلس
« في السقوليون (الحاشية) ١٣ كما يلي - فمتى رأينا شيئين لا يتشابهان
« بالطبع قد اجتمعا حتى صارا واحداً بالتركيب لا يسوغ أن نميزهما
« الى اثنين وان يكن احدهما في ضمن الآخر . لان الاتحاد الحاصل
« بوحدة لا تفك بطريقة من الطرق انما هو ما يتم عن كليهما ولو قدرنا ان
« نسمي كل واحد من المتحدين وحده — وقد علمنا هذا الملفان بذلك انه منذ
« وضع هذا التركيب لم يتبين ما اجتمع الى واحد وما أتم أقنوم الكلمة وطبعه
« الواحد الذي تجسد : ومن ثم أيها الفاضلون ان لم تقرروا التركيب
« والاجتماع الى وحدة طبيعية واقنومية بالحق أجحفتم بالاشياء التي
« اتحدت كما قال العلامة التَّقي : أما اذا قلتم انه لا يمكن أن يقال عنه انه
« مركب لان مفهوم الواحد لا يصدق على المركب فهلموا كلوا من خبز
« الحكمة الذي يقدمه لكم هذا العلامة في رسالته الثانية الى سوفنس
« حيث كتب هكذا — ان مفهوم الواحد لا يصدق في الاشياء البسيطة
« في الطبع فقط بل وفي الاشياء المتحدة بالتركيب ايضاً . كالانسان

« مثلا . فانه شيء مركب من نفس وجسد هما مختلفان في النوع وغير
« متساويين في الجوهر . فلما اتحدا أتما طبع الانسان الواحد — أفرأيتم
« كيف يقول هذا العلامة القريب من الاسرار الالهية ان ما اجتمع
« بالتركيب الى وحدة غير متفرقة انما يتم طبعاً واحداً : ثم ان هذا
« العلامة الحكيم عند ملامه اندريا الشميصاطي المنافق من اجل لفظة
« — معاً أو جميعاً — التي استعملها في قوله — يجلس الابن مع جسده
« جميعاً والاب — واحتج عليه بها فاضل القديس عن ذلك في الفصل
« الثامن قائلاً كما يلي — فاذا كان الشخص والطبع والاقنوم واحداً
« وكان الكلام في ما هو متركب تركباً طبيعياً ساغ استعمال لفظة
« (معاً أوجميعاً)له واستمر يعرف في التركيب بانه واحد وغير متجزئ الى
« اثنين — فياله من سهم خرج بعزم جبار من يدي ابن الشبيبة (مز ١٢٦
« عد ٦) ودك تقريفيكم الثاني والثالث اللذين كانا في ضمن سور من
« خزف كما قال اشعيا (٢٩ : ٦) فكان لصوت سقوطه دوي عظيم .
« ويالالحجر غير المقطوع بالايدي كيف سحق كلا التقريفين وذرّاهما
« كالعصافة من البيدر أيام القيظ ولم يدع لهما مستقراً ولو صغيراً .. لانك
« بكلمة واحدة صادرة من الروح القدس قد بينت ان الطبع والقنوم
« والشخص المركب هو شيء واحد في المسيح وحافظت على الواحد
« في التركيب وهو الذي تمَّ من كليهما بنوع يفوق كل وصف وبدون
« اختلال » :

« فهذا ما سألتم على هذا الوجه عن الواحد وهو المسيح عينه هل « هو طبع وقنوم وشخص : وأنا أسألكم أيضاً ماذا تقولون أنتم عن « المسيح أهو طبع وقنوم وشخص أم هو شيء آخر وآخر ؟ فان قلتم « ان هذه كلها انما هي واحد بعينه كان سؤالكم ولجاجكم في هذا الامر « بخلاف غرضكم . وان قلتم انها ليست كذلك لزمكم أن يكون « المسيح ثلاثة أشياء أي الطبع والقنوم والشخص . بل لزمكم أن « تعترفوا باشياء أخرى كثيرة فيه ككونه ابناً ورباً وكلمة والهاً الى غير « ذلك مما يسمى به في كتب الوحي بالروح . فان تصورتم مثل هذا وجب « عليكم ان تعترفوا لا بطبعين وقنومين فقط كما جدفتم أنتم وزعماؤكم الى « الان [1] وان تسجدوا ايضاً منذ الآن لا لرابوع بدلاً من الثالوث . « بل ولكل هذه الامور الاخرى التي قلناها آنفاً : وتأتى عن ذلك « جنون وجهل يولد النفاق الذي اعتمدتم معه ومكثتم فيه كل أيام « حياتكم حتى الآن . اما اذا كنتم لم تسألوا عن هذا وتحبون ان « تتعلموا خصوصاً انكم لا تعرفون ان تسألوا الا عن الطبعين اللذين

---

(١) كل من له المام في المنطق والفلسفه وعلم اللاهوت النظري يرى لا محالة مغالطة المنوفيزيين في جدالهم مع الخلقيدونيين اي اصحاب الايمان القويم : وقد بينا سابقاً عند كلامنا عن تاريخ هذه البدعة كيف ان اصحابها هم كالنساطرة لا يمكنهم ان يتصوروا الطبيعة بدون الاقنومية ولهذا لم يستطيعوا او لم يريدوا ان يفهموا ان المسيح طبعان باقنوم واحد فقالوا بل هو طبع واحد مركب من طبعين حتى يقرروا وحدة الاقنوم فيه ومثلوا لذلك بالانسان وقد بينا في ما سلف عدم موافقة هذا التمثيل بمعناهم والا كان كل ما وقع على المسيح من العذاب والصلب والموت وقع على الطبع الالهي ايضاً لانه انما يقع على هذا المركب كما في الانسان ومن هنا بدعة مولمي اللاهوت عندهم :

« تركب منهما وقام مسيح واحد نريد بذلك اللاهوت والناسوت أي
«أقنوم الله الكلمة وجسده الواحد المتنفس بنفس ناطقة وعاقلة الذي اتحد
« به طبيعياً وقنومياً بوحدة طبيعية وقنومية . فاعلموا جيداً اننا اذا اعترفنا
« ان عمنوئيل مركب من طبعين أي قنومين لسنا نعترف انه من
« شخصين ونحن نعتمد في ذلك على علماء الكنيسة المتوشحين بالله
« وخاصة القديس قورلس النحرير الذي كتب في رسالته الى نسطور
« كما يلي . — لا يجوز أن نجزئ الرب الوحد يسوع المسيح الى ابنين
« فان هذا لا يوافق القول السديد في الايمان[1] لان الكتاب لم يقل ان
« الكلمة اتحد بشخص الانسان. وانما قال انه قد صار جسداً — وكذلك
« في الفصل الاول من تفسيره لرسالة بولس الى العبرانيين قال — اجدر
« بنا ان نعتقد ان الوحـدة حصلت بتجاري الطبعين من ان نقول انها
« حصلت بتجاري الشخصين وندخل اذ ذاك في تعليم الكنيسة فكراً
« مبتسراً لا يثبت على البرهان — .وقال ايضاً مثل ذلك في الفصل الثالث
« من الكتاب نفسه كما يلي — وهذا قلناه نقلاً عن الكتب المقدسة.
« فالذين اعتنوا قليلاً في أمر الوحدة الحقيقية أي الوحدة القنوميـة
« وجدوا ان وحدة الشخصين أقرب الى الفهم وهم لا يقبلون لذلك ان

---

(١) ليس اصرح من هذا الكلام ابيان المقصود من كلام القديس كيرلس بهذا المعنى من حيث انه ينكر القول بقنومين للطبعين الالهي والبشري فيتأتى عن ذلك كون المسيح ابنان اي اثنان عداً : اما الخلقيدونيون فيقولون انه طبعان باقنوم واحد فلا يتأتى عن ذلك الا ان المسيح واحد فرد بوحدة الاقنوم ذو طبعين طبع الهي وطبع انساني كما لا يغرب :

«يسموا عمنوئيل ابناً حقيقياً — وكذلك القديس يوليس أسقف رومية
«في رسالته الى فرسدوق رسم ما يشبه هذا اذ قال كما يلي . — ان الذي
«تجسد من مريم وحل في البشر ينادى بانه ابن الله استكمالاً للايمان
«وليس ذلك لانه اتحد بالانسان . اذ انه عند الانبياء والرسل اله تام في
«الجسد وانسان تام في الروح . وليس بابنين احدهما ابن حقيقي اتخذ
«الانسان والآخر انسان مائت اتخذه الله . وليس بواحد من شخصين
«ولكنه واحد مفرد في السماء والارض — وبعيد ذلك يقول — فان
«قال احد ان يسوع الذي من مريم انما هو انسان اتخذه الله وان
«الشخصين التامين قد صارا شخصاً واحداً . فليعلم هذا القائل انه بعيد
«جداً عن المواعيد الالهية (أي عن ملكوت السماء)

«ولما كان أبونا البطريرك القديس ساويرس قد اتبع هؤلاء المعلمين
«الماهرين كتب هو ايضاً في هذا المعنى كما كتب في سائر المعاني
«الفصل الحادي والعشرين من المقالة الثانية رداً على غرماطيقس حيث
«قال له كما يلي — واذا قرأت جيداً الرسالة التي كتبتها أنا الى مارون
«وجدت فيها ايضاً الاعتراض الذي اعترضته أنت وايراد حله مني بهذه
«الكلمات — وبعيد ذلك يقول ايضاً — ولكن الخصم قد يجسر ويرد
«علينا هكذا . فما بالكم تقولون ان عمنوئيل هو من طبعين وقنومين
«ثم تقولون انه من شخصين . والجواب على هذا ايضاً انه متى كان كل
«من القنومين قائماً بخاصته ومتميزاً عن الآخر فهناك يُحمل على كل

« خاصة شخصها . أما متى حصل من تجاريهما وحدة طبيعية أي طبع
« واحد واقنوم واحد من دون أقل اختلاط على حد مانراه في الانسان
« فحينئذ هذان اللذان يتأتى هذا الواحد عن اتحادهما لا يظهران بالخواص
« التي منهما ولهما في شخصين — وكتب مثل هذا الايضاح في رسالته
« الى توما القس وشماسه اذ قال كما يلي — واذا اتضح الامر هكذا فقد
« تبين مستغرباً على الذين يسلمون بالوحدة القنومية ان القنومين أي
« الطبعين اللذين تجاريا بنوع يفوق الوصف الى واحد بحيث يحصل عنهما
« عمنوئيل يقال لهما شخصان . ولهذا يتحاشون ان يقولوا ان الاتحاد
« انما حصل من الشخصين وهذا شأن الذين يسلمون ان هذا الاتحاد
« يجب ان يسمى كذلك بالفساحة وهم الذين يجعلون قوام الانسان
« والاله منهما ولهما مع حفظ القوام الذاتي لكل منهما ويجدون لهما هذا
« الاتصال من السلطان والمساواة في الاسم — (١)

« هذا ما رأينا أن نبينه في أمر الكلمة نفسها : وقد حان أن نأتي
« الى تقريفكم البارد السخيف التافه لنا في البند الرابع مما لا يليق ايراده
« ولا من الصبيان اللاعبين في الاسواق عن الذين يتبجحون بمثل هذه

---

(١) اعلم ان تعليم ساويرس هنا اي في الشهادة الاولى المأخوذة عنه هو مخالف تمام المخالفة لتعليم الكنيسة الكاثوليكية القويم الذي انما هو انه لم يحصل عن اتحاد الطبع الالهي بالطبع الانساني طبيعة واحدة بل انهما قد اتحدا معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تبلبل بحيث قد حفظ كل طبع منهما خواصه وهذه الخواص ليس مصدرها او مبدأها الاقنوم او الشخصية كما يريد المنوفيزيون والنساطرة بل الطبيعة كما رأيت في كلامنا عن هؤلاء اما في هذه الشهادة الثانية فانه يعارض النساطرة وهو يتفق مع تعليم الكنيسة بهذا المعنى : كما يرى المتأمل

« العظائم وينزلون أنفسهم منزلة العلماء الفاضلين وهم في الحقيقة ممن
« يصح فيهم قول الثيولوغ بأنهم انما هم حكماء الساعة الذين ليس لهم من
« من الحكمة الا أن يسألوا فقط : »

« أما القصبة المرضوضة التي جعلتموها عماداً لكم فهي — ثم بينوا
« لنا كيف ديسقورس امامكم قد حرم اوطاخي بعدان قبله في شركته —
« وقبل كل شيء فاعلموا هذا : ان تقريفكم هذا الذي تقرفوننا الآن
« لهو ابرد وأقبح وأدل على جهلكم من كل تقريفاتكم التي هي كلها
« قبيحة جداً وخالية من كل فطنة : ولقد كان الاجدر بكم أن تسألوا
« أولاً آباءكم لا ايانا وتتقدموا اليهم تقدم المستفيدين من أعزائهم المطلعين
« على الخفايا قائلين لهم هكذا : قولوا أيها العظماء أتعلمون ان ديسقورس
« قد حرم أوطاخي المعتوه صاحب الاوهام بعد ما قبله في شركته وذلك
« حين عرض صورة اعتقاده واعتقاد أصحابه في افسس ؟ فان جاوبوكم
« بلا فاعترضوا أنتم عليهم قائلين : فلماذا حين كنتم تكثرون اللغط والكلام
« في خلقدونية من أجل الامر لم تبكتوا انثوليوس رئيس العاصمة ساعة
« نادى على رأس المجمع كله ان ليس حرم ديسقورس من اجل
« الايمان ولكن من أجل انه منع قراءة رسالة البابا لاون . ودعي ثلاثة
« مرات ولم يحضر . وقد حقق ذلك الملك يستنيان في منشوره الذي
« اعتمده المجمع الذي تسمونه أنتم بالخامس [1] حيث قال — انه

(١) ان في هذه الفقرة لشهادة صريحة ان الموارنة كانوا في اوائل القرن السابع يسلمون بالمجمع الخاص المسكوني خلافاً لما يتهمهم به بعض الكتبة كما سترى :

« ديسقورس ما زلَّ في شيء من الايمان — فكان لواجب أن تقولوا له :
« أيها الشهم لماذا لم تضع أيضاً انه لم يشأ أن يحرم أوطاخي صاحب الاوهام
« مع انه كان من العدل أن يذكر ذلك · أو كيف ان كل المجمع عند
« ما سمع انثوليوس يصرخ : ليس حرم ديسقورس من أجل الايمان
« قد سكت عن هذا الامر ولم يكن له ولا لهم أيضاً ما يقولونه بالحق ؟
« واذا كانوا صمتوا عن الحقيقة فقد تركوا باولى حجة محلاً للشكوى
« منهم : والا فبينوا لنا ان المجمع قد اجاب انثوليوس عن هذا أو فاسألوا
« كما قلنا سابقاً المجمع الخامس والملك يستنيان وما يقول لكم جاوبونا به:
« أما نحن فاننا مع المعترفين ديسقورس وطيمثاوس لنحرمنَّ أوطاخي
« ونسطور والمجمع الخلقدوني ونحصي هذه الفرق الثلاث ممن راموا أن
« يقاوموا دين الله مثلهم بين الذين لم يؤمنوا : فراجعوا أنتم نفسكم وادخلوا
« مخادع ضمائركم وتبصروا في ما نقوله لكم : فاذا كان المجمع الذي حرم
« ديسقورس بغير حق لم يحرمه بسبب الايمان على ما شاءت الحقيقة أن
« تصرح بفم انثوليوس لانه (أي المجمع) كان يعلم ان ديسقورس ما كان
« ليحرم أوطاخي المجنون . بقي ان المجمع الخلقيدوني قد رضي عن ايمان
« اوطاخي الكافر واعتبره . ونحن لا نزال نحفظ بين أيدينا الى اليوم
« رسالة لاوونكم التي تدعو اوطاخي الابن الروحاني والشريك في المعتقد
« وتفوض اليه اصلاح ما اعتل من اراء نسطور : واني أراني قد استفضت
« في ماقلته حتى الآن فاذا كان من الموافق ان أبين تعريفكم هذا كالتعريفات

« الاخرى بالكلام المسهب وأدكه بتحقيق البرهان كما دك غريغوريس
« الثيولوغ بلينانس الكافر وسخافاته هلموا اسمعوا فأخبركم كما كتب :
« وأنا أتقدم الى شهيد الام المسيح (أي ديسقورس) ليدفع عن نفسه
« تقريفكم الباطل الذي وجهتموه اليه وهو يبسط لكم ما صرخ به بصوت
« جهوري في ضمن مجمعكم الغير القانوني مجمع خلقيدونية حين شجب أوطاخي
« بالحرم حيث قال — فان كان أوطاخي يرى غير ما تعلّمه الكنيسة
« لا يستوجب أعظم حرم فقط بل النار أيضاً : فان الذي يهمني امر الايمان
« لا امر الانسان اياً كان — ثم في رسالته التي كتبها الى المجمع من
« غنغرة وهو في المنفى لاجل المسيح قد قال كما يلي — اني اعرض عن
« اشياء كثيرة وآتي الى ما هو قائم الجدال عليه الآن ومن ثم اقول :
« فلا يقولنَّ احد ان الجسد الذي اخذه ربنا من مريم القديسة بواسطة
« الروح القدس بالكلمة التي يعلمها هو نفسه انما كان غريباً عن جسدنا وبعيداً
« عنه : فانه كان ذلك كتجديف أولئك تأتى عنه ان بولس قد تكلم
« لامحالة بالكذب اذ كتب لنا : انه لم يأخذ من الملائكة ولكن من
« زرع ابراهيم قد أخذ لان مريم لم تكن غريبة عن ابراهيم كما يمكننا ان
« نبينه بسهولة من كتب كثيرة : ومن ثم قال انه كان يجدر به ان يتشبه
« باخوته في كل شيء : فقوله — في كل شي — لا يستثني شيئاً من طبعنا
« البتة حتى العروق والشعر والاوردة والعظام والترب والقلب والكلى
« والكبد والرئة وبعبارة واحدة كل ما نحن متركبون منه قد تركب منه

«أيضاً (بر نشرّا) الذي ولد من مريم أي فادينا المتنفس بنفس ناطقة
«فقط من دون زرع رجل وامرأة فلو لم يكن الامر كذلك كما هرف
«الهراطقة المنافقون فكيف دعي أخاً لنا وقد أخذ جسداً غريباً وأجنبياً
«عن جسدنا . وكيف حقق هو ذلك اذ قال لابيه لأُنادي باسمك على
«اخوتي : فانفروا واشمئزوا من الذين يتفوهون بمثل هذا الكلام
«لانه انما كان عندنا مثلنا ولاجلنا لا بالوهم ولا بالحدس على
«حسب هرطقة المانويين المنافقين — حاشَ — ولكنهُ بالحقيقة الصريحة
«قد خرج كما شاء من والدة الله مريم واذ رمم الميناء المتهدم بواسطة مجيئه
«الآن الينا فهو يعترف به بكل عدل وصواب انه عمنوئيل الا انه قد
«أفقر نفسه كما قال بولس لنغتني نحن بفقره (قرنت ٨ : ٩) او صار مثلنا
«في السيرة لنكون نحن مثله من أجل رحمته . وصار انساناً دون ان يفقد
« كونه ابن الله لنكون نحن بالنعمة أبناء الله : وهذا ما نعترف به ونعتمد
«عليه : اما اذا تجاسر أحد ان يرتئي ما يخالف ذلك فهو بمعزل عن ايمان
«الآباء والرسل — . . .»(١)

«وكتبتم في جملة ما كتبتموه ما يلي — انكم تقطعون بالحرم كل
«من يقولون ان في المسيح طبعين قبل الاتحاد او في الاتحاد او بعد
«الاتحاد انما نستشهد على هذا لامر رب الارباب كما قال ميخا

(١) ان حضرة ناشر هذه الرسالة للاب ناو قد ترك هنا قسماً منها وقال « ان المؤلف هنا يبين ان كلام ديسقورس المذكور يشجب في الحقيقة اوطاخي ثم يأتي الى السؤال الخامس»

«الالهي في حينه من أجل أثم الشعب الاسرائيلي : فلنتآمر قليلاً نحن «وأنتم : فهل أنتم الذين تقرفوننا هذه التفريقات تسلمون بكل هذه «الاقوال بلا خلاف : فان صح ظني وان لم يصح يجب عليكم ان تميزوا : «ومن ثم لماذا اذ تعترفون بالطبعين قبل الاتحاد لا توالون اوطاخي الذي «علّم بذلك عن جنون ؟ ثم لماذا تقبلون مجمع خلقيدونية جاعلين كل حرمهِ «على رؤوسكم ؟ والذي يدل كل محبي الحقيقة على انكم تسلمون بهذه «الاقوال الثلاثة انما هو تبكيتكم للذين لا يسلمون بها وطلبكم من العلماء «ان يبينوا لكم حرمها جميعها كأنه أمر لا سبيل اليه او كأنكم كنتم تجهلون «انه لا يعسر علينا ان نبين لكم حرم احداها أي كلمة — قبل الاتحاد — «مما حدده مجمع الشعب في خلقيدونية : ولكن لو كان لكما أئمة ومعلمون «بافيلبوس وتوما لطعنوكما بالحرم الوقت اللائق بكما الى ان تتنصلا كما «ينبغي من زلتكما هذه : الا ان أبصار هؤلاء وأبصاركما لا تطمح الى «أمر آخر غير الهذيان والهرج في الكلام تقريفاً لتلاميذ الحق كالمتملقين «لا يهتمون الا في نسبة أقذارهم الى أشخاص انقياء :

«أما ما تطلبانه من البيان عن حرم من يقولون بالطبيعتين قبل الاتحاد «وفي الاتحاد وبعد الاتحاد فمن لا يعلم مهما كان قصير النظر ان الجواب «على هذا انما هو أسهل مما سلف أيضاً : وها نحن مبينون ذلك بلا عناء

» . . . . (١)

---

(١) اعلم اولا انه من قبيل الجواب على الخامس اي منذ قوله « تقريفاً لتلاميذ الحق » حتي اخر هذه الرسالة ليس بين ايدينا اصله السرياني وانما هو عن ترجمة الاب ناو الافرنسية :

«وهذا كلام يوليوس أسقف روميـة عن الذين يعارضون أمر
«التجسد الالهي ان البتول مذ ولدت الجسد قد ولدت الكلمة أيضاً
«فهي اذن ام الله : واليهود اذ صلبوا الجسد قد صلبوا الله أيضاً : وليس
«في الكتب المقدسة من تمييز بين الكلمة وجسده بل هو طبع واحد
«وقنوم واحد وشخص واحد وهو نفسهُ كله الله وكله الانسان — . . .

«ولما كنتم قد نشدتمونا الله ان نعرض لنظر آبائنا تقريفاتكم اي
«رسالتكم الحقيرة التي اودعتموها مفهوماتكم القاصرة وأرسلتموها الينا
«من ارمع بواسطة اسحق وسمعان بعد انسلالكم سراً لدن أُبكمتم في
«انطاكيـة فنحن بحسب طلبكم قد فعلنا لاجل خلاصكم واليمين التي
«استحلفتمونا وعرضنا ذلك على الاباء القديسين الذين كانوا هنا : بيد
«ان عملكم هـذا لما كان مما لا يستحق ان يعارض بكلامهم القوي
«كالحديد الذي يقطع الصخور الصلدة كما كُتب عهدوا اليَّ انا الحقير
«الاخ ثودورس من دير مار اباس ان اجاوب على اعتراضاتكم وأعطيكم

ثانياً قال الاب ناو نفسه بعد ان وضع هذا السطر من النقط « ان مؤلف هذه الرسالة يستشهد هنا القديس كيراس في شرح رسالة بولس الى العبرانيين : ثم بروتس في رسالته الارمن : ثم بولس أسقف رومية في كلامه عن الذين يعارضون التجسد الالهي » ويكتفي الاب المذكور بايراد هذه الشهادة كما اثبتنا نحن هنا عنه — وليس بين ايدينا مايدل على ان هذا الكلام هو حقيقة لهذا الحبر الروماني : ونراه في كل حال مما يمكن تفسيره بالمعنى الكاثوليكي : لان قوله « بل هو طبع واحد الخ » انما يراد به انه شخص واحد فرد ذو طبعين الهي وانساني بدليل قوله « كله الله وكله الانسان » : — ثم قال الاب ناو بعد ايراد هذه الشهادة « ويتبع ذلك شهادة من غريغوريوس النيصي في خطاب عن خلقة الانسان الخ الخ . . . وكل ذلك يقع في خمس صفحات : ثم آت الى ترجمة ختام هذه الرسالة وهو كما نحن مترجمون هنا عنه في المتن:

«الحل الموافق لها كما فعلت بحسب قواي الواهنة : ومن ثم فاني أناشدكم
«انا أيضاً بالثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر والمتميز وهو لم يزل
«واحداً والواحد بالرغم من تميزه ان تقرأوا كتابنا هـذا الحاوي حـل
«تقريفاتكم على مسمع من جماعة الموارنة لعلكم تجدون فيه فائدة اذا أصغيتم
«اليه جيداً وكنتم مستعدين للاقتناع واذا تركتم ترهاتكم راجعين
«الى الله كقول النبي بوحي روح القدس : على اني لو استحلفتكم
«بزيكم الموقر كما صنعتم معنا لاخالفتم كما أعتقد لانه غير موقر عندكم بل
«هو حقير في عيونكم أنتم الاجانب عنه على ما يظهر لانكم تحملون العصي
«وتضربون وتطردون وتضطهدون وتحتقرون الكهنة والمؤمنين بالمسيح
«ممن لا يرضون ان يشاركوكم في مفاسدكم يا من تحاكون اللصوص
«والخطفة الذين يأوون الى الجبال والاماكن المقفرة وفي الاخربة توصلاً
«لاغراضهم التي هي أشبه باغراضكم . ولكنكم ستنالون جزاء كجزائهم
«من لدن الله الذي يجازي كل انسان بحسب أعماله في دينونته العادلة
«القويمة كما هو مكتوب

«انتهى كتاب حل الاعتراضات الغير المعقولة اعتراضات الرهبان
«الموارنة الذين في أرض افامية[1]

---

(١) هذا الختام هو من نص الكتاب القديم الذي وجدت فيه هذه الرسالة وهو على ما لاحظ الاب ناو من كتب اليعاقبة وانما حفظ هذه الرسالة للمارونيين لانه كان يعتقد ان الجواب كان مفحماً فذكر الخطاب والجواب معاً لفائدة قومه : وعندنا انه لا بد من ان يكون الموارنة قد جاوبوا ايضاً على ذلك ولم يحفظ جوابهم

لقد ظهر مما تقدم بيانه الى الآن ان الموارنة قد كانوا خصوماً ألداء لكل فئة من المونوفيزيين حتى آخر القرن السادس : ومن ثم قد كانوا على الايمان القويم ومن أخص المنتصرين للمجمع الخلقدوني في سورية حتى دعاهم خصومهم بالخلقيدونيين بحيث صار الاسم الماروني والخلقيدوني سيين :

عدد ٤٠ — ولدينا فوق ذلك أثر آخر معتبر جداً يدل نفس الدلالة السابقة على ما كان عليه الموارنة وأشياعهم من قويم الايمان في بهرة القرن السابع أيضاً وقوامه شهادتان تاريخيتان راسختان احداهما للتلمحري بطريرك اليعاقبة في القرن التاسع أودعها الجاثليق اليعقوبي غريغوريس بن العبري الشهير من كتبة القرن الثالث عشر في تاريخه السرياني المعروف عند ذكر تاريخ سنة ٦٣٠ (ص ٢٧٤)[1] فقال ما ترجمته بكل تدقيق :

الأثر الخامس

« لما ابن كسرى اغتال والده (سنة ٦٢٨) استرجع سورية هرقل « ملك قسطنطينية وجاء الى الرها فسار أمامه الشعب والكهنة والرهبان :

---

(١) ان ابن العبري ولو كان عصره متأخراً قد أجمع المحققون على صحة رواياته لانه اعتمد فيها على مؤرخين معتبرين تقدموه : اما كون هذه الرواية قد اخذها عن التلمحري فقد صرح هو نفسه بذلك اذ قال في الفصل ٢٠ من المقالة ١٠ ما حكايته « لما كان ديونيسيس البطريرك المعروف بالتلمحري قد ابتدأ تواريخه من هذا الزمان (أي من سنة ٥٨٢) رأيت ان انقلها هنا واورد قبل كل شيء مقدمة ديونيسيس برمتها » والتلمحري على ما قال بعض واصفيه في مقدمة المؤلفين الذين نبغوا في امته نحو القرن التاسع وقد ارتقى الى المقام البطريركي على اليعاقبة بحسب روايه ابن العبري نفسه في سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٤٨ : وقد سبق لنا ان اثبتنا هذه الشهادة في حاشيتين على عدد ٣١ وعدد ٣٣ من هذه المباحث :

«واذ نظر كثرة عديد الرهبان قال للذين على مذهبه لا يصح ان ندع «شعباً كثير العدد والفضل نظير هذا بعيداً عنا : ودخل يوم عيد الى « كنيسة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وجاد بهبات كثيرة «لكل الشعب ليغريه على التمسك بالمجمع الخلقيدوني : وفي آخر الذبيحة «تقدم الملك ليشترك في الاسرار حسب عادة الملوك المسيحيين فاحتدم «أشعيا مطران الرها غيرة وأبى ان يتيح الاسرار للملك قائلا له اني «لا اوليك اياها الا اذا حرمت المجمع الخلقيدوني كتابةً : فاستشاط الملك «غيظاً وطرد الاسقف اشعيا من الكنيسة الكبرى ودفعها الى أشياع «المجمع المذكور :

«واذ بلغ الملك الى منبج زاره البطريرك اثناس ومعه اثنا عشر أسقفاً «فطلب منهم جميعاً صورة ايمانهم وما كاد يتلوها حتى أوسعها مدحاً وثناء «بيد انه لم يغفل عن تكليفهم بقبول المجمع الخلقيدوني. واذا أبوا عليه ذلك «غضب الملك وكتب الى كل المملكة انه اذا وجد من لا يسلم به يجدع «أنفه وتصلم أذناه ويؤخذ بيته : وحينئذ تركنا كثيرون واخذ رهبان «مارون الذين في منبج وحمص[1] يظهرون قسوتهم فهدموا كثيراً من

(١) قوله رهبان مارون في منبج وحمص — يستدل منه كما يرى المتأمل اولا ان هؤلاء الرهبان لم يقتصروا على الاقامة في ديرهم بقرب افامية ولكنهم كانوا يتجولون في كل جوارهم وفي سورية لعمل الرسالة المسيحية اهتماماً بالمؤمنين وتثبيتاً لهم على التعليم الحق ببذل الغيرة والارشاد :

ثانيا انه كان لهم والحالة هذه اتباع ومريدون في هاتيك الاصقاع ممن كانوا يهتمون بهم ويجتهدون في اثباتهم على الايمان القويم بحسب تعاليم المجمع الخلقيدوني : وكانوا بواسطتهم يصلون

« الكنائس والاديرة وكان هرقل لا يسمح لاصحابنا شكوى ولكن إله
« النقمة قد أرسل العرب لينقذونا من الروم....

عدد ٤١ — والشهادة الثانية بهذا الصدد نفسه هي أهم من هذه وقد عثر عليها العلامة نلدكه المتمشرق الالماني الشهير في مخطوط سرياني قديم العهد وجده في المتحف البريطاني تحت عدد ١٧٢١٦ ونشره في المجلة الاسيوية وقد وصفه هناك وصفاً حسناً : ثم نشره عنه حضرة العلامة الأب لامنس اليسوعي في مجلة المشرق العربية التي تطبع في بيروت (٢ : ٢٦٥) وأثبت قيمته عن المتمشرق المذكور : ثم نشره أيضاً حضرة العلامة الأب ناو الافرنسي في مجموعة الآثار المارونية التي طبعها في باريس سنة ١٨٩٩ : وهذه الشهادة هي كما تلي ترجمتها بالحرف الواحد :

الأثر السادس

« وفي سنة ٩٧٠ وهي السابعة عشرة لملك قسطان (١) في شهر حزيران

عند الاقتضاء اليعاقبة وغيرهم من اهل البدع حرباً عواناً من كل وجه ذوداً عن حياض مذهبهم القويم وعن قومهم كما يشير المؤرخ هنا وكما جاء في آخر جواب اليعاقبة المذكور آنفاً حيث قيل ما مؤداه « لانكم (ايها الموارنة) تحملون العصي وتضربون وتطردون وتضطهدون وتحتقرون الكهنة والمؤمنين بالمسيح ممن لا يرضون ان يشاركوكم في مفاسدكم » اي من جماعة اليعاقبة : وهذا كان امراً دارجاً في هاتيك الاعصار الخالية عند كل فريق تغلب على خصمه كما فعل اليعاقبة بالموارنة ورهبان الافامية في اوائل القرن السادس على ما رأيت : ثالثاً ان هؤلاء المؤمنين الذين كانوا على مذهب مارمارون قد اخذ اليعاقبة وغيرهم من خصومهم يعرفونهم منذ ذاك الحين تميزاً بحزب رهبان مارون واصحاب مارون ثم باتباع المجمع الخلقيدوني الذي اشتهروا بالانتصار له والاستمساك بتعاليمه : ثم بالموارنة او الخلقيدونيين كما اشتهروا اخيراً :

(١) اعلم ان تاريخ السنين هنا انما هو للاسكندر المقدوني وهو المعروف ايضاً باليوناني وبينه وبين التاريخ المسيحي نحو ثلاثمئة واحدى عشرة سنة فيكون موافقا هنا لتاريخ سنة ٦٥٩ المسيحية وقسطان هذا ملك الروم قد تولى العرش بعد والده هرقل من سنة ٦٤١ الى سنة ٦٦٨ ومحل النقط من هذه الشهادة كان تاريخ زلزال حصل في نواحي فلسطين تلك السنة لا محل لذكره هنا :

«جاء الى دمشق ثودورس وسبخوت أسقفا اليعاقبة [١] وتجادلا امام معاوية «مع اصحاب مارمارون في أمر الايمان ؛ ولما افحم اليعاقبة أمر معاوية ان «يقدموا عشرين الف دينار وأمرهم ان يلزموا الصمت : وضرب هذه «العادة على أساقفة اليعاقبة بان يدفعوا هذا المبلغ كل سنة لمعاوية لئلا يرخي «اليد بهم فيضطهدهم أبناء الكنيسة

عدد ٤٢ — وعندنا أيضاً شهادة ثالثة على ان الموارنة قد كانوا على اختلاف في المذهب مع اليعاقبة في القرن الثامن وما بعده أيضاً ليست أقل قيمة مما سبق اثباته هنا وهي عن ابن العبري عن التلمحري اللذين وصفناهما آنفاً. فقد جاء في تاريخ ابن العبري السرياني (ص ١٢٦ و١٢٧) ما ترجمته بكل تدقيق :

الأثر السابع

«وفي هذا الزمان (أي زمان المهدي الخليفة العباسي) اشتهر ثوفيل «ابن توما الرهاوي المنجم الماهر الذي تبع هرطقة الموارنة : وله كتاب «عجيب في التاريخ بالسريانية ولو طعن فيه على مستقيمي الايمان وقرَّفهم [٢]

---

(١) ان ثودورس هذا انما هو على ما لاحظ الاب ناو بطريرك اليعاقبة كما جاء في تاريخ ابن العبري السرياني (٢٨٢) وسبخوت هو اسقف قنسرين كما ذكره ابن العبري ايضا (ص ٢٧٦) :

(٢) قوله « هرطقة المواونة » انما يراد به على ما يظهر انه كان من اشياع المجمع الخلقيدوني الذي يتمسك به الموارنة ويلعنه ويحرمه اليعاقبة بكل معنى حتى صار اشياعه عندهم يسمون هراطقة بالنسبة اليهم بدليل قوله بعيد ذلك « ولو طعن فيه على مستقيمي الايمان وقرفهم » وهو يريد بهم اليعاقبة قومه كما يرى المتأمل :

وجاء أيضاً في تاريخه « مختصر الدول » الذي كتبه باللغة العربية (ص ٢١٩ و٢٢٠ من طبعة بيروت) ماحكايته :

«وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من «مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميرس الشاعر «عن فتح ايليون من قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية مايكون «من الفصاحة[١]

فمن هذه الشهادات التاريخية المعتبرة شرعاً يظهر لكل ذي ذوق سليم محب للحقيقة أولاً ان الموارنة منذ اول نشأتهم حتى أواخر القرن السابع على الاقل

---

(١) ان ثوفيل هذا قد كان على عهد المهدي الخليفة العباسي كما أشرنا في الفقرة الاولى على ما ذكر بن العبري : وقد تولى المهدي الخلافة في سنة ٧٧٥ ومات في سنة ٧٨٥ من السنين المسيحية . وتوفي ثوفيل قبله بمدة قليلة : وروى ابن العبري في المحل المذكور من تاريخه العربي ما حكايته « حكي انه لما هم المهدي بالخروج الى ماسبذان تقدم الى حسنة حظيته ان تخرج معه. فأرسلت الى ثوفيل بن توما النصراني المنجم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي قائلة له : انك أشرت على أمير المؤمنين بهذا السفر فجشمتنا سفراً لم يكن في الحساب : فعجل الله موتك وأراحنا منك . فلما بلغته رسالتها قال للجارية التي أتته بها : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه الاشارة ليست مني . واما دعاؤك علي بتعجيل الموت فهذا أمر قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي ان دعوتك استجيبت . ولكن أعدي لنفسك تراباً كثيراً . فاذا مت فاجعليه على رأسك : فما زالت متوقفة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد عشرين يوماً : وكان ثوفيل هذا على مذهب الموارنة الخ (كما في الفقرة المذكورة في المتن هنا)

اما قوله في هذه الفقرة عينها وهو من كتبة القرن الثالث عشر بان ثوفيل « كان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى » فيتحصل منه ان الموارنة كانوا في هذا القرن الثالث عشر ايضا على اختلاف تام في المذهب مع اليعاقبة : لان الظاهر من عبارته هذه انه يريد بهم موارنة عصره الذين كانوا قد انحصروا اذ ذاك في جبل لبنان فعرفهم هنا للذين كان يكتب لهم بما كان مفهوماً عندهم عن الموارنة وأحوالهم التي كانوا عليها في عصره بجبل لبنان

هذا وسوف نرى في الآثار الآتية حتى نهاية هذه الابحاث ما يدعم هذه القضية من حيث استمرار الموارنة واليعاقبة على طرفي نقيض بل على الخصومة والخلاف والمنافرة في الامور الدينية خاصة بحيث لم يتفقوا قط في المعتقد ولا في سواه : وبهذا القدر غنى الآن

قد حافظوا على الايمان الكاثوليكي وكانوا من اخص انصار المجمع الخلقيدوني والمجمع المسكوني الخامس الذي عزز المجمع الخلقيدوني والخلقيدونيين (وهم الموارنة في سورية) بحيث لا يمكن ان يقال بصواب انهم لم يكونوا يقبلون هذا المجمع الخامس المقدس و باولى حجة المجمع الرابع الذي هو الخلقيدوني نفسه :

ثانياً انهم اي الموارنة كانوا خصوم المنوفيزيين و بالاخص اليعاقبة في كل وقت وفي كل أمر بحيث لا يمكن ان يُشتبه في انفصالهم عنهم تمام الانفصال على الدوام وعدم جنوحهم اليهم بوجه من الوجوه كما زعم بعض الكتبة المتأخرين :

ومن ثم قد غدا من السهل جداً رد اعتراضات المعترضين الذين يدعمونها ببعض الآثار التاريخية القديمة مما جاء فيه ان الموارنة لم يكونوا يقبلون المجمع الرابع والخامس وخصوصاً هذا الاخير : وها اننا مثبتون هنا هذه الآثار بعينها مع ملاحظاتنا الانتقادية من هذا القبيل فنقول و بالله التوفيق :

الفصل الثاني

في درس الآثار التي ضد الموارنة بهذا المعنى نفسه

عدد ٤٣ — قد اثبت كمبفيس في المجلد الثاني من كتابه عن تاريخ المنوثيلية (ص ٤٥٩ وما يليها) مقالة لطيمثاوس القسطنطيني « في من يتقدمون الى الكنيسة » جاء فيها اولاً تعداد الموارنة بين أهل البدع الثانوية ثم وصفهم بانهم على غير الايمان المستقيم فقال ما ترجمته بالتدقيق :

شهادة طيمثاوس القسطنطيني

«ان الموارنة يرفضون المجمع الرابع والخامس والسادس ويضيفون «الصلب على تسبحة التريساجيون ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد

«في المسيح : وقد سموا موارنة من ديرهم المسمى مارون في سورية

فاتخذ بعض العلماء هذه الشهادة كحجة قاطعة على ان الموارنة انما كانوا يوماً ما من الهراطقة : وتمسك بها بعض خصومهم في هذه العصور المتأخرة مع قطع النظر عن التدقيق المطلوب عند أهل البحث والتحقيق وعما ورد من احتجاجات علماء الموارنة على صحة هذه الفقرة شأن من يريد ان يتغلب على خصمه ولو ببهرجة الكلام الظاهر دون التفات الى الحقيقة : مع انه من المقرر الان عند اهل النظر ان هذه الشهادة لا يمكن ان تكون لطيمثاوس المذكور على الاطلاق : لانه من الثابت تاريخياً ان طيمثاوس هذا انما كان في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس وتغلب على كرسي قسطنطينية في سنة ٥١١ بعد طرد مقدونيس بطريركها وقد كتب هذه المقالة على ما يقال اذ كان بعد كاهناً لكنيسة هذه العاصمة : ومن ثم كان قبل المجمع الخامس بمدة وقبل ظهور بدعة المنوثيلية بأكثر من قرن :

ومما يثبت ذلك ان العلامة كوتيلار قد أثبت فيما بعد هذه المقالة عينها في الكتاب الثالث من تأليفه في اثار الكنيسة اليونانية (٣٧٧) عن نسخة معتبرة جداً ولا أثر لذكر الموارنة فيها البتة : مما دل دلالة صريحة على ان هذا الكلام عنهم قد دسته في نسخة كمبيفيس يد مجهولة في زمان متأخر بحيث لم يبقَ لها من قيمة على الاطلاق

ولا يعارض هذه الحقيقة ما جاء في كتاب « جامع الحجج الراهنة » للمطران يوسف داود السرياني (ص ٣١٦) وهو قوله بعد اثبات هذه الشهادة كما يلي « لا يخفانا ان كثيراً من المحققين زعموا ان هذه الكلمات ليست من قلم طيمثاوس المذكور بل هي مزيدة على كتابه : ولكننا نحن لا نستشهد بها من حيث هي من قول أحد المؤلفين بل من حيث هي دليل على رأي الكنيسة اليونانية من جهة الموارنة : فان الكتاب المشار اليه هو كتاب كنيسة لا كتاب افرادي : فالذي زاد تلك الكلمات لم يزدها لنفسه بل للكنيسة كلها : أما صاحب هذه الكلمات فقد توهم

بقوله ان الموارنة كانوا يرفضون المجمع الرابع والخامس وان كنا لا نستغرب قوله هذا بحيث انهم كانوا في أمور كثيرة يتزايون بزي اليعاقبة الذين كانوا ينكرون المجمع الرابع والخامس حتى ظن كثير من القدماء ان الموارنة أيضاً كانوا يرفضون هذين المجمعين » اه

فكل ذي ذوق سليم يرى في كلامه هذا مايزيد حجتنا السابقة رسوخاً : وقد أبان من حيث لا يريد ان الذي دس هذه الشهادة في هذا الكتاب كان جاهلا تمام الجهل في أمور نصارى سورية فركب الوهم والشطط معاً ونسب الى الموارنة ما هم براء منه وخالط بينهم و بين اليعاقبة خصومهم بدون ترو ولا تدقيق حتى لم يبقَ لكلامه من قيمة عند أهل التحقيق لانه لم يكن يعرف حقيقة الموارنة الذين ذكرهم هنا ولا حقيقة معتقدهم ٬ ومع ذلك فعلى من يريد ان يتمسك بكلامه هذا ان يبين لنا في أي عصر كان هذا المتطفل وما هي قيمته بين الكتبة الثقاة او بأي سلطان فعل ذلك : وعندنا مع هذا انه مهما يكن من امره لاقيمة لكلامه هذا وهو يهرف فيه بما لا يعرف .

عد ٤٤ — ثم ان الاب مرتينوس اليسوعي في كتابه المعروف بتاريخ لبنان الذي لم يزل محفوظاً بخط يد المؤلف في خزانة الاباء اليسوعيين في بيروت (ص ٢٧٢٧) قد أورد شهادة ثانية بهذا الصدد عن القديس جرمانوس بطريرك قسطنطينية منذ سنة ٧١٥ الى سنة ٧٣٣ من كتاب مشهور له في مجموعة الاباء اليونان للاب مين (مج ٩٨ عمود ٣٩ —٨٨) عنوانه « في الهرطقات والمجامع » وضعه ايجاباً لسؤال الشماس انتيمس بعد استقالته من كرسي قسطنطينية التي حصلت في سنة ٧٢٩ وقد أثبتها عنه مؤخراً ناشر كتاب « جامع الحجج الراهنة » المذكور (ص ٤٩٣) باصلها اليوناني مع ترجمتها العربية وهي كما يلي :

شهادة القديس جرمانوس البطريرك القسطنطيني

« وغيرهم من الهراطقة يرفضون المجمع الخامس والمجمع السادس

«ولكنهم يقبلون بالرابع وينازعون اليعاقبة في ذلك: مع ان هؤلاء يعدونهم
«قليلي العقل لقبولهم المجمع الرابع ورفضهم المجمعين الآخرين : فالجماعة
«الذين هذه صفتهم يدعون موارنة ولهم دير في جبال سورية : وأكثرهم
«يرفضون رفضاً باتاً المجمع السادس لا بل الخامس والرابع مع ان العقل
«السليم يدل على ان من قبل بالمجمع الرابع يجب ان يقبل بالسادس أيضاً اه

ان كل ذي ذوق سليم لدى مطالعته هذه الشهادة التاريخية وامعان النظر فيها يتعجب ولا بد نظيرنا من قلق عبارتها وارتجاج حكم صاحبها في أمر الموارنة الذين يريد ان يعرفهم لقرائه حتى يرتاب في صحة نسبتها الى هذا الكاتب القديس ويقطع بان يداً غريبة قد دست هذه الفقرة في هذا المحل لغرض من الاغراض البشرية المذمومة التي هي آفة الحقيقة : ويظهر ان مثل ذلك كثيراً ما كان يحدث عند الشرقيين وعليه امثلة شتى في أمور كثيرة مما قد شغل بعض المحققين شغلا شاقاً لتمحيص بعض التواريخ القديمة من مثل هذه الزيادات :

اما نحن فمع قطع النظر عن الخوض في هذا الموضوع نقول : اذا سلمنا جدلا بصحة نسبة هذه الشهادة الى هذا البطريرك العظيم فعندنا ان كلامها لا يثبت على النقد لا سيما وصاحبها منذ أواخر القرن السابع وأوائل الثامن يتهم الموارنة برفض المجمع الخامس و بعضهم برفض المجمع الرابع أيضاً الذي هو المجمع الخلقيدوني مما لا ينطبق على ما بين أيدينا من الآثار التاريخية الراهنة التي تنقض ذلك نقضاً باتاً على ما رأيت حتى الآن : ولا غرابة في ذلك لان هذا الكاتب الجليل القدر (اذا صح ان يكون هو نفسه صاحب هذه الفقرة) وهو يكتب في قسطنطينية بعيداً عن بلاد سورية والموارنة بعداً شاسعاً وعلى الخصوص بعد استيلاء العرب عليها وقطع كل علاقة بينها و بين عاصمة الروم بحيث لا يمكن ان يكون قد عرف هؤلاء القوم الذين يكتب عنهم ولا تقصى أمرهم عن قرب وعرف عوائدهم

وطقوسهم ومعتقدهم ولغتهم فلا يستغرب والحالة هذه ان يكون قد توهم ما يرويه عنهم دون الحقيقة خالطاً بينهم وبين اليعاقبة فنسب اليهم ما يصح على هوءلاء: أو بالحري ان يكون قد اقتبس ذلك عن غير خبير بأمرهم ومذهبهم فأثبته على علاته: ومن ثم نرى انه لا يبقى من قيمة علمية لهذه الشهادة مهما بولغ في قدمها كما لا يغرب على أهل النقد من المحققين الراسخين في أبواب القياس الصحيح وبهذ القدر غنى: (١)

الفصل الثالث

في زيادة (يامن صلبت لأجلنا) على التريساجيون (٢) وفي وجه استعمالها من قديم الزمان عند الموارنة

عدد ٤٥ — من المشهور ان هذه الزيادة على ترنيمة التريساجيون الملائكية

---

(١) قد جاء في ملحق كتاب جامع الحجج الراهنة المذكور لناشره الفاضل (ص ٥٠٤) استشهاد من مقالة عربية في صحة الدين المسيحي لثودورس ابي قرة أسقف حران في أوائل القرن التاسع على ان الموارنة كانوا في عهد هذا الكاتب المجيد منوثيلين وهو يقول بعد الكلام عن مبتدعي المنوثيلية وحرمهم في المجمع السادس كما يلي: « فما بالك يا ماروني قبلت المجمع الاول والثاني والثالث مسترسلا متبسطاً ... » ولما كان لنا على هذه الشهادة كلام طويل يتعلق بصحة هذه الرواية وعدمها اثبتناه في كتابنا عن أصل الجراجمة والمردة وقد اطلع عليه صاحب هذا الاستشهاد بلا ريب دون ان يعتني بحل اعتراضنا هناك قبل ان يعتمد على هذه الشهادة كما كان الواجب المقرر عند العلماء راينا ان ننبه الى ذلك هنا: مستلفتين النظر الى هذه الفقرة التي تلمع الى نكران الموارنة للمجمع الرابع والخامس مما يدعو الى الريب في سلامتها

(٢) ان التريساجيون كلمة يونانية طقسية تسمى بها التسبحة الملائيكية التي هي قدوس الله قدوس القوي قدوس الغير المائت ارحمنا: واول استعمالها في الطقس على ما يروى كان في كنيسة قسطنطينية على عهد برقلس بطريركها سنة ٤٣٤ اثر حادثة عجيبة ظهر فيها الملائكة ينشدون هذه الترنيمة كما كان قد رأى وسمع اشعيا النبي بالروح فرفع الله سياط غضبه عن الارض: وقال بعضهم بل هي اقدم من هذا العهد: ويستدلون على ذلك باستعمالها عند النساطرة من قديم الزمان. ومن المعلوم ان هؤلاء قد انفصلوا عن الكنيسة المقدسة قبل هذا التاريخ بمدة ولم يعودوا يأخذون عن الكنائس التي تخالفهم شيئاً من الطقوس:

كان أول من ابتكرها وأدخلها في الطقوس البيعية بطرس القصار [1] زعيم فرقة الثيوفسقيين أي مؤلمي اللاهوت من فرق المنوفيزية : وهو الذي تغلب بدهائه على كرسي بطريركية انطاكية سنة ٤٧١ : وكثيراً ما نرى في الآثار التاريخية القديمة ما يشير الى استعمال الموارنة في العصور الخالية لهذه الزيادة في طقوسهم علناً مما حدا ببعض الكتبة الى تقريفهم واتهامهم بالهرطقة بسببها :

ومن ثم فلأجل بيان الحقيقة في هذا الموضوع المهم جداً في ابحاثنا هذه رأينا ان نعقد هذا الفصل هنا لما فيه من العلاقة بالذي قبله : لانه من المعلوم ان هذه الزيادة على التريساجيون كانت في الاصل بمعناها المذموم من نتائج المنوفيزية : وقد بينا في الفصل السابق براءة الموارنة من هذه البدعة واختلافهم الدائم مع ذويها من أي صنف كانوا بما اثبتناه من الآثار التاريخية التي لا مرد عليها : فيجدر بنا اذن ان نبحث هنا في هذا الامر الذي ربما لو ترك على ظاهره نقض كل ما بيناه من هذا القبيل وصحت تهمة الموارنة بالجنوح يوماً ما الى هذه البدعة المرذولة كما أراد بعضهم : فنقول من ثم

عدد ٤٦ — قد رأيت في تاريخ البدعة المنوفيزية ان أصحاب هذا المذهب الوخيم قد انقسموا الى فرق شتى ومذاهب متباينة كالخياليين الذين ذهبوا الى ان جسد المسيح انما كان خيالياً وهمياً وان الآلام لم تقع عليه الا على هذا الشكل فلم يكن ليشعر بها : والثيوفسقيين الذين وقعوا في النقيض زاعمين ان الآلام

---

(١) يظهر ان هذا بطرس القصار انما هو اول من استعمل هذه الزيادة وامر باستعمالها في كنيسته موجهة لثالوث الاقدس بحيث يتحصل منها ان الآلام والصلب انما وقعت على كل اللاهوت وهو كفر فظيع : والا فقد قال القديس افرام الاملدي بطريرك انطاكية منذ سنة ٥٣٢ بان هذه التقديسات قد وجدت في كتب السريان من قبل بطرس القصار مستعملة على هذا الوجه اي « قدوس انت يا الله قدوس انت يا قوي قدوس انت ايها الغير المائت الذي صلب لاجلنا ارحمنا » وانها اذ ذاك كانت توجه للاقنوم الثاني فقط : و بهذا الوجه لا جناح في استعمالها كما سنبينه ان وفق الله »

قد وقعت على اللاهوت كله أيضاً : ولما كان بطرس القصار وهو زعيم هذه الفرقة قد تغلب على كرسي انطاكية فلكي يسند بدعته هذه ويعممها قد تسبب باستعمال هذه الزيادة على ترنيمة التريساجيون موجهة للثالوث الاقدس جميعه : فالتبس ذلك على جمهور المؤمنين وقد أخذوا يستعملونه على هذا الشكل أيضاً دون انتباه الى غرض بطرس المذكور : وفي سنة ٤٧٧ حط بطرس القصار عن كرسي انطاكية الذي كان اختلسه وأقيم مكانه قلنديس الكاثوليكي في سنة ٤٨٢ فارتأى هذا البطريرك القديس احتياطاً لما قد يتأتى عن عمل بطرس القصار المذكور من نسبة الآلام والصلب للثالوث الاقدس ان يضاف الى ذلك قولهم « أيها المسيح الملك » بين التريساجيون وقولهم « يامن صلبت لاجلنا » : ثم نُفي قلنديس هذا بدسائس اقاقيس بطريرك قسطنطينية وأرجع بطرس القصار الى مقامه فحذف ما كان زاده قلنديس دفعاً للالتباس وأعاد هذه العبارة الى ما كانت عليه لانها أوفق لغرضه السيء : وقد عم استعمال هذه الزيادة على مايظهر في ذاك العهد حتى أدخل أيضاً في كنيسة قسطنطينية على عهد انسطاس الملك الطاغي : الا ان الشعب الذي لم يكن معتاداً على سماع هذه الزيادة على التريساجيون قد استغربها ونفر منها كل النفور لان هذه التسبحة لم تكن توجه عندهم الا للثالوث الاقدس جميعه : فثاروا على الملك والبطريرك طيمثاوس الذي تسبب بذلك حتى اضطروهما الى العدول عنها تماماً : ومنذ ذاك الحين لم تعد تقبل أقل زيادة عندهم على هذه التسبحة الملائكية على الاطلاق وعدوا على الدوام ما يخالف ذلك ضلالاً فظيعاً لا يغتفر :

عدد ٤٧ — ولكي يفهم المطالع كيف كان استعمال هذه الزيادة التي هي « يامن صلبت لاجلنا » عند السريان من قبل بطرس القصار على ما روي عن القديس افرام الامدي بطريرك انطاكية واستمر بعده أيضاً بالمعنى الكاثوليكي الذي لا جناح عليه نقول : ان هذه التسبحة عينها توجه اما الى الثالوث الاقدس جميعه بحسب

وضعها الاول : واما الى الاقنوم الثاني وحده كما استعملتها الكنيسة كلها حتى اللاتينية ايضاً في بعض المواقع من الطقوس [١]

فبحسب التوجيه الاول يحمل معنى هذه الزيادة على وجهين أي اما ان تكون صلة الموصول عائدة الى ما قبلها واذ ذاك يكون المعنى « أيها الثالوث الاقدس الذي صلبت لأجلنا » وهذا ضلال مبين لا يحتمل وهو ما كان يقصده زعيم موءلي اللاهوت ونعوذ بالله منه : واما ان تكون العبارة مستقلة بذاتها عما قبلها ومعناها حينئذ على مارسم قلنديس البطريرك الكاثوليكي تفسيراً لذلك ودفعاً لكل التباس « أيها الملك المسيح الذي صلبت لأجلنا » [٢] وهذا لا جناح في استعماله خصوصاً اذا كان مستعملوه على غير مذهب موءلي اللاهوت :

اما بحسب التوجيه الثاني أي عندما توجه هذه التسبحة الى الاقنوم الثاني وحده

---

(١) ان كنيسة الروم عند نقل القربان المقدس من المذبح الى المائدة رسماً لنقل جسد ربنا ومخلصنا عنصر الحياة من الصليب الى القبر ترتل التريساجيون موجهاً الى السيد المسيح وحده . ولو خرجه بعضهم الى غير هذا المعنى . والكنيسة اللاتينية في عيد الرسل توجه أيضاً التريساجيون الى السيد المسيح الراعي الصالح الذي ائتمنهم كالقهارمة على تدبير بيعته : وأوضح من هذا في الكنيسة اللاتينية ترتيل عتاب المسيح الفادي لليهود يوم الجمعة العظيمة : فيقول المرتلون ما مؤداه — يا شعبي ماذا فعلت بك وبماذا احزنتك جاوبني : ألاني اخرجتك من ارض مصر اعددت انت الصليب لمخلصك ؟ فيجيب الخورس قائلا — قدوس الله قدوس القوي قدوس الغير المائت — وهي فقرات عديدة من مثل هذه وكلها يجاوب عليها الخورس مرتلا التريساجيون على هذا النمط وقد اجمع العلماء على ان هذه التقديسات الثلاثية هنا انما هي موجهة الى الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس وهو الكلمة المتجسد الذي احتمل الآلام والصلب بجسده فداء للبشر : وهو مثلث القداسة ويحق له ان توجه اليه هذه التقديسات الثلاث كما توجه احياناً الى الرب وحده لانه قوي وغير مائت :

(٢) ومن كلام القديس افرام الامذي ما معناه — ان هذه التسبحة عينها انما هي عبارتان مستقلتان كل منهما عن الثانية فالعبارة الاولى وهي «قدوس انت يا الله الخ» يرتلها الملائكة والكهنة : فيهتف الشعب بعدهم للمسيح الفادي بالعبارة الثانية وهي « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا» : وتكون احياناً صلاة واحدة توجه للابن وحده فلا ينفصل بعضها عن الآخر : وهو على مايظهر يدافع عن صحة استعمال كنيسته لذلك بالمعنى الكاثوليكي لكثرة وروده في طقوسها :

وهو الكلمة المتجسد الاله القوي الغير المائت أيضاً وقد تأنس وتألم وصلب لاجلنا فلا يحصل أقل شبهة للضلال من هذه الزيادة لانه لا يمكن ان يقصد بها الثالوث الاقدس بوجه من الوجوه : ولهذا بقي الذين قصدوا منها هذا القصد الحسن على استعمالها دون أقل ريب أو شبهة ريب في صحة ايمانهم وهم براء من وصمة مؤلمي اللاهوت

عدد ٤٨ — فالموارنة وهم خلقيدونيون بحتاً وخصوم ألداء لاصحاب المنوفيزية من كل صنف على ما تقرر حتى الآن لا يصح أن يتهموا بكونهم نزعوا ولو طرفة عين الى بدعة الثيوفسقيين أي مؤلمي اللاهوت وهي أسوأ فرق المنوفيزية . فلا يمكن بالحالة هذه ان يتهموا في معتقدهم الصحيح فيما لو وجد عندهم استعمال التريساجيون مع هذه الزيادة بالمعنى الحسن : ونحن لا ننكر ان المجمع المسكوني الخامس قد حرمها بالمعنى الوبيل الذي كان يقصده منها بطرس القصار وان جمهوراً من المؤمنين كانوا ينفرون من مجرد سماعها لانهم انما كانوا يشتمّون منها معنى هذا المذهب المرذول : الا اننا نظن ان للتساهل في استعمالها عند بعض الكاثوليك سبباً كافياً في ذلك العهد نجهله نحن الآن . ومن المعقول جداً أن يكون هذا السبب متاتياً عند الموارنة عن اختلاطهم الكثير باليعاقبة واجتهادهم في رد جمهور منهم الى سواء السبيل . ولما كان التريساجيون مع هذه الزيادة مستعملاً عند هؤلاء بكل اجتهاد وتمسك رأى دعاة المذهب الكاثوليكي أن يستمروا هم أيضاً على استعماله بالمعنى الكاثوليكي المحض ليخفضوا من نفرة المذكورين منهم ويحصروا الخلاف في المسئلة الجوهرية التي بينهم وبين اليعاقبة وهي الطبع الواحد أو الطبعان الالهي والبشري في المسيح الفادي فيسهل عليهم أرجاعهم الى الصراط المستقيم : وعلى هذا القصد نرى الموارنة مع شدة مخاصمتهم لليعاقبة قد أخذوا عدة أمور طقسية من تآليف العلماء اليعاقبة ومما يستعمله اليعاقبة أنفسهم في طقوسهم . وهذا التخريج وجيه على ما نرى والا فلا يمكن التوفيق بين الحرب الدينية العوان التي كانت منذ هاتيك العصور النائية بين هاتين

الملتين واستمرت دون انقطاع الى هذه العصور المتأخرة وبين اشتراك الموارنة معهم في مثل هذه الامور الطقسية الجوهرية التي اتخذها بعضهم كحجة دامغة على ان الموارنة كانوا يوماً ما يعاقبة مما لم يثبت ولن يثبت تاريخياً كما رأيت . وليس من أمر مستغرب في هذا التخريج المعقول ونحن نرى الكرسي الرسولي المقدس قد تساهل مثل هذا التساهل وأكثر منه أيضاً مع النساطرة واليعاقبة من كل نحلة ممن رجعوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية فانه تركهم على تمام حريتهم في استعمال طقوس الهراطقة الذين انفصلوا عنهم بعد تنقيح ما كان فيه معنى الهرطقة مع ان الاغاب في هذه الطقوس من تآليف الهراطقة :

عدد ٤٩ — ومما يزيد هذا التخريج رسوخاً وقوة ان الكرسي الرسولي لم يعتبر قط استعمال هذه الزيادة على التريساجيون عند الموارنة بمعنى الهرطقة بل بالمعنى الارثوذكسي المحض الذي كان يستعملها به القديس اسحق الكبير [١] والقديس يعقوب السروجي [٢] واوليجيوس بطريرك الاسكندرية [٣] والقديس افرام الآمدي بطريرك انطاكية [٤] : ولهذا نرى البابا غريغور الثالث عشر يخاطبهم بهذا الشأن في رسالته المنفذة اليهم في ١٤ شباط سنة ١٥٧٧ ليتركوا هذه الزيادة على تسبحة التريساجيون من وجه النصح الابوي دون أن يصمهم بوصمة الهرطقة لاجلها : وهذه ترجمة كلامه بعينه في تلك الرسالة المثبتة برمتها في ذيل المجمع اللبناني [٥] : قال « ثم اننا اقتداء بسلفائنا نريد كل الارادة أن ننبهكم الى

(١) في خطبة له عن الام المسيح (طالع المكتبة الشرقية للعلامة السمعاني ص ٢٢٣)
(٢) في خطبة له عن الآلام ايضاً (طالع المحل المذكور آنفاً)
(٣) كما روى عنه العلامة السمعاني في الكتاب نفسه (ص ٥٢٠)
(٤) راجع اقواله في مكتبة فوتيوس الشهيرة (كتاب ٢٢٨)
(٥) راجع ذيل المجمع اللبناني ص ٢٢ من الترجمة العربية الحديثة : ونحن قد راجعنا هذه الرسالة في الاصل اللاتيني فأحكمنا ترجمة هذه الفقرة آنفاً الى العربية كما ترى : وانما حدا بنا الى ذلك ما وجدناه من الخلل في ترجمتها عند صاحب الحجج الراهنة الذي ترجمها هناك بما يشف عن زيادة قوة في التعبير والملام توصلا الى غرضه الذي كان يحول غالبا بينه وبين الحقيقة:

بعض الامور التي عرفنا انكم قبلتم بها عن ضعف روية حتى ترفضوا أنتم نفسكم وتتحاشوا بالمرة ما تعلمون انه غريب عن تقاليد الكنيسة الرومانية [١] ومن ذلك خاصة ما بلغنا من انه عند ترتيل التريساجيون في تقدمة القداس يضاف اليه بعض كلمات تخالف الحقيقة والرأي الذي تتمسك به الكنيسة الكاثوليكية. وهي — يامن ولدت لاجلنا : يامن صلبت لاجلنا : يامن قمت وصعدت الى السماء لاجلنا ارحمنا — مما يعزى ضرورة بوجه الكفر الى كل الثالوث : ولما كانت هذه الزيادة تشعر بهرطقة بطرس القصار الانطاكي المحرومة في المجمع الخامس القسطنطيني وكان من الثابت ان ليس اللاهوت الذي صلب ولا الاب ولا الروح القدس بل الذي صلب انما هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد بالجسد البشري الذي أخذه حاملاً صورة العبد وقد ذبح لاجل خطايا جميع الشعب نحكم بحذف هذه الزيادات من طقوسكم وصورة صلواتكم وان من الواجب ان تقال تلك الترنيمة التريساجيون التي يصدع بها السارافون بلا انقطاع برهبة الثالوث لتمجيد الثالوث كله على هذا الوجه — قدوس الله قدوس القوي قدوس الغير المائت ارحمنا — ونرسم بان لا يزاد على ذلك شيء عملاً بالعادة المرعية في عامة الكنيسة المسلَّمة اليها من المجامع المسكونية المقدسة اه وقال بعده الكردينال بندني في رسالة له الى بطريرك الموارنة بهذا المعنى ما مؤداه « ولئلا يظهر يوماً ما انكم تخالفون التعليم الرسولي

---

(١) لو كان قداسة الحبر الاعظم يحسب ما بلغه من هذا القبيل عن الموارنة ضلالاً صورياً من قبيل الهرطقة المذمومة اتراه كان يخاطبهم بمثل هذا الكلام الابوي الذي لا يتجاوز حد النصيحة ؟ لا لعمر الحق : وهاك ما يخاطب به طائفة الارمن البابا غريغور السابع في رسالته اليهم عند رجوعهم من المنوفيزية الى حضن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة لترى الفرق العظيم فقد قال ما مؤداه « ان تلك الخاتمة التي تزيدونها على التريساجيون وهي — يامن صلبت لاجلنا — لا توجد عند غيركم من الشرقيين ولا عند الكنيسة الرومانية المقدسة : فانبذوها انتم ايضا من الان فصاعداً لانها اصل كل الشكوك لتتحاشوا كل معنى مرذول » ومما يلاحظ هنا قوله بانها اصل كل الشكوك وسبب التفاسير المرذولة فحاشاها عند المنوفيزيين اولى من تخريجها الى المعنى القويم

ولو باللفظ انتم الذين لا تخالفونه بالمعنى قد امر سيدنا السامي القداسة بتهذيب كل ذلك واصلاحه على خطة الكنيسة الرومانية »

عدد ٥٠ — ويظهر ان الموارنة عند ما بلغت هذه الرسالة الرسولية اليهم لم يرضوا بما يلوح فيها من اتهامهم باضافة مثل هذه العبارات الى ترنيمة التريساجيون عند ما توجه الى الثالوث الاقدس كله على ما يشعر بضلال بطرس القصار ومؤلمي اللاهوت : فاعترضوا على ذلك بشدة و بينوا انهم انما يضيفون ذلك عند ما يكون التريساجيون موجهاً الى الاقنوم الثاني وحده مع سلامة هذا الاستعمال القديم العهد عندهم من شائبة الهرطقة ولم يريدوا ان يغيروا ما في طقوسهم القديمة من ذلك ، لئلا يثبت عليهم ضلال الهرطقة من هذا الاستعمال (١) وقد أصروا على هـذا

(١) قد جاء في رسالة شرح الايمان المنسوبة الى القديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الموارنة الفصل العاشر وهو الاخير منها بهذا الموضوع فرأينا ان نترجمه هنا حرفياً عن الاصل السرياني لما فيه من الفائدة قال في مستهله « ياحبيب نفسي وابن نذوري : تقول مبكتاً لنا اننا كل ما زدنا على التقديسات الثلاثيـة يا من صلبت لاجلنا انما نصالب الثالوث الاقدس كله صلباً : فاسمع الجواب بايجاز على ذلك وتأمل في غرضنا من هذه الطريقة : فنحن نقول كما تقولون أنتم وكل المؤمنين ان المسيح هو الذي تأنس وصلب وحده وليس الثالوث المسجود له قد صلب جميعه : لانه لم يتجسد كله وانما الذي تجسد وصلب هو واحد من الثالوث أعني ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيـد المولود من الاب قبل كل الدهور النور الذي من النور الاله الحق الذي من الاله الحق الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وصار انساناً وصلب عنا في أيام فيلاطس بحسب تعليم الاباء القديسين الثلاثماية والثمانية عشر : فانظر الان ياحبيب نفسي وتبصر الى أين ترمي طريقتنا : الى الذي صلب عنا في أيام فنطيوس فيلاطس وليس الى الثالوث الاقدس جميعه : — وتقول ايضاً : لماذا أذن حرموا بطرس (القصار) : والجواب ان الاباء قد حرموا بطرس لانه أراد بطريقته الذميمة وعقله المضل ان يزيد كنسطور اليهودي اقنوماً رابعاً حديثاً : فكان

الاعتراض حتى اضطر البابا أقليمنت الثامن ان يرسل اليهم الاب ايرونيموس دندبني اليسوعي بصفة معتمد رسولي مفوض من لدنه لاجل اعادة النظر في هذه الامور وسواها من التهم التي وجهت اليهم توهماً او افتراء وهم براء منها : فجاء هذا المعتمد الرسولي الى لبنان واتفق مع بطريرك الموارنة وأساقفته وأعيان هذه الطائفة كما

يعرف بقوله — قدوس أنت يا الله . اقنوم أول : وقدوس أنت ياقوي . اقنوم ثان وقدوس أنت يا من لايموت . اقنوم ثالث : وقدوس أنت يامن صلبت لاجلنا . اقنوم رابع : وبعد تقرير هذا الرأي قد زاد على جسارته ان اللاهوت قد تألم جميعه : ولهذا سماه الاباء مع أشياعه « مؤلمي اللاهوت » : اما نحن فأننا نعوذ بالله من هذا الرأي السخيف . — ثم تقول : لماذا لا تتحاشون مثل هذا الكلام الذي يتمسك بهِ الهراطقة ؟ — والجواب انه لو أريد ان يعمل بحسب هذا القانون لكان من الواجب علينا ان نلاشي كل الكتب المقدسة : وقد كتب كيرلس النبيل في مذكرتهِ الى الجيوس قال « نجيب الذين يلوموننا على هذا انه ليس علينا ان نتحاشى كل ما يستعمله الهراطقة » وقال أيضاً كيرلس النبيل نفسه في رسالتهِ الى سولقس « ان الهراطقة يستعملون أمورا كثيرة مما نستعمله نحن ولكن قصد ضميرهم يرمي الى الضلال فليس علينا لذلك ان نتجنب ما قد تمسك بهِ الهراطقة عن قحة : انتهى ولله المجد ولنا المراحم من لدنه الى ابد الابدين »

فيظهر من هذا الجواب الاخير ان ما قلناه سابقاً نقلاً عن القديس افرام الامدي من ان التريساجيون مع زيادة « يامن صلبت لاجلنا » انما كانت في استعمال الطقوس عند السريان من قبل بطرس القصار ولكن هذا المضل اذ ارتأى مذهبه الوخيم أخذ يبرهنه من هذا الاستعمال أيضاً ويستعمله هو وأشياعه كثيراً بهذا المعنى المذموم كما ألمع صاحب هذه الرسالة : ولم يرَ المؤمنون أن يتركوا ذلك ويتجنبوه لهذا السبب لا سيما وهم كانوا يستعملونهُ كثيراً في طقوسهم وكتبهم بالمعنى القويم الذي لا جناح عليه فليس من الحكمة أن يتركوه بتاتاً بسبب شرح الهراطقة لهُ على معنى هرطقتهم المذموم : والآن في الكتاب المقدس نفسه أيات كثيرة يتخذها الضالون

ذكر هو نفسه في كتاب رحلته هذه المشهور بالطبع على عقد مجمع خاص للنظر في ذلك : فعُقد فعلاً هذا المجمع بحضرة معتمد البابا المشار اليه في ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦ أي بعد رسالة البابا غريغور المذكورة آنفاً بنحو خمس عشرة سنة : ومن جملة ما تقرر فيه مسئلة استعمال تسبحة التريساجيون في طقوسهم وقد جاء بشأنها ما مؤداه « ثالثاً ان التقديسات الثلاثة ترد في كتبهم على وجهين فانها أما ان تسند الى الثالوث بجملته فلا يزاد عليها شيء : وأما ان ترجع الى الاقنوم الثاني وحده وعندها يسند اليها الميلاد والصلب والموت باعتبار الجسد المأخوذ من طينتنا » وقد أقر الاب ايرونيموس دنديني بصحة ذلك واتفاقه مع الايمان الكاثوليكي القويم كما يتحصل من أعمال هـذا المجمع المثبتة برمتها في ذيل المجمع اللبناني (من ص ٩ الى

على غير معناها الصحيح ليبرهنوا منها مذاهبهم الملتوية : ولم يقل ذو لبّ بوجوب حذف تلك الآيات من الكتاب المقدس لان الهراطقة استعملوها لاضلال الناس باسناد مذاهبهم الوخيمة بها : وهكذا قل عن أقوال الآباء القديسيين وقد رأيت في جواب اليعاقبة ضد الموارنة الذي أثبتناه في الفصل السابق كيف يتخذون أقوال القديس كيرلس وغيره من آباء الكنيسة المقدسة لاثبات قضيتهم من وجه المغالطة وبهذا القدر غنى

أما رسالة الايمان هذه فمهما قيل في صحة نسبتها الى القديس يوحنا مارون ممـا لا نريد الدخول في الجدال عليه هنا هي بلا ريب قديمة العهد جداً حتى ترتقي على على رأي بعضهم الى أوائل القرن السابع على الاقل لانه لم يرد فيها أقل ذكر ولو بالتلميح الى مسئلة المنوثيلية والى المجمع السادس الذي حرمها وحرم اشياعها على الاطلاق فهي ولا شك قبل هذا العهد الا ان يقال انها كتبت بعده ولكن قبل ان يشهر أمر المنوثيلية والمجمع السادس في سورية بسبب قطع المواصلات بينها وبين قسطنطينية وسائر بلاد النصارى لاستيلاء العرب عليها واشتغال اهلها عن كل امر من هذا القبيل بامورهم المدنية مع الفاتحين كما سنبين ذلك فيما يلي :

ص ٢٠ من الترجمة العربية الحديثة) ومن كتاب رحلة الاب دنديني نفسه المشهور بالطبع

ومما يزيد ذلك بياناً ورسوخاً ان الموارنة لا يزالون حتي الآن يستعملون هذه تسبحة التريساجيون في طقوسهم المشهورة على هذا الوجه القديم العهد وليس فقط دون لوم او تثريب او محض سكوت عنهم من قبيل التساهل بل برضى الكرسى الرسولي . فان كتبهم الطقسية التي فيها مثل هذه الترنيمة على هذا الوجه قد طبعت في رومية على نفقة الكرسي الرسولي بعد الفحص والتدقيق والاثبات المألوف : وهاك ما جاء من ذلك في كتاب فرض عيد الميلاد من هذه الكتب « قدوس أنت يا الله الذي بميلادك المقدس اعتقتنا من الضلال : قدوس أنت يا قوي الذي قويت رعيتك لترتل لك المجد : قدوس أنت أيها الغير المائت الذي بميلادك المحيي قد حيي بنو آدم لانك صلبت يا رب لأجل بيعتك وأنقذتها بميلادك من الضلال والخطيئة » وما جاء أيضاً في فرض القومة الثانية من ليل السبت في كتاب الفرض اليومي وهو كما يلي : « قدوس أنت يا الله الذي لاجله احتمل الشهداء صنوف الشدائد من المضطهدين : قدوس أنت أيها القوى الذي قوى عبيده في جهادهم فظفروا بالشرير الماكر: قدوس أنت أيها الغير المائت الذي مات الشهداء لاجل حبه وايمانه : أنت يا رب الذي أقمت بيعتك في الاقطار الاربعة وقد ألقى الشهداء فيها دماء أعناقهم نثاراً الخ » ثم ما جاء في محال كثيرة من الفروض مما هو بلحن « قدوس أنت اللهم يا محب البشر » وهو كثير عندهم واليك مثال ثالث من ذلك وهو في رتبة تكريس الكاس والصينية للتقديس وهذه ترجمته « قدوس أنت يا الله الذي تنازلت برضاك لاجل خلاص البشر : قدوس أنت أيها القوي الذي بمحبتك تدعو الخطأة للتوبة : قدوس أنت أيها الغير المائت الذي يقرع بابك كل الخطأة طالبين الرحمة : وبما انك قد صلبت يا رب لاجلنا افض علينا غفران الذنوب من كنزك العظيم وأهلنا أن نحتمي

بالتوبة لندخل جنتك ونجلس مع قديسيك فنرفع المجد والشكران لاسمك العظيم من الآن الى أبد الابدين » وهذا كاف الآن بهذا الصدد و يستنتج منه على ما نرى ان الموارنة لما كانوا لم يتلطخوا قط بالمنوفيزية ولم يستعملوا هذه الزيادة على التريساجيون عند ما يوجه الى الثالوث الاقدس بأجمعه بل الى الاقنوم الثاني فقط كما وجد في كتبهم الطقسية والعلمية منذ القديم وهو استعمال قويم لا يمكن رفضه بصواب في الكنيسة الكاثوليكية لذلك قد تركهم الكرسي الرسولي المقدس على استعماله بهذا الوجه حسب عوائدهم القديمة فكانه قد حكم بسلامة معتقدهم الكاثوليكي من هذا القبيل أيضاً :

الفصل الرابع

في درس شهادة القديس يوحنا الدمشقي التي ضد الموارنة بهذا المعنى نفسه

عدد ٥١ — فاذا صح ذلك وحصحص الحق كان من السهل جداً رد اعتراض من يتهم الموارنة بالهرطقة لوجود هذه الزيادة على التريساجيون في طقوسهم مستندين في ذلك الى ما جاء عنهم من هذا القبيل في الآثار القديمة كالذي في كتاب طيمثاوس القسطنطيني وقد رأيت تزبيفه في العدد ٤٣ من الفصل السابق : ثم الى ما جاء خاصة في كلام القديس يوحنا الدمشقي (١) في آخر رسالته عن التريساجيون الى جردانس الارشمندريت وهذه ترجمته الحرفية عن الترجمة اللاتينية المعتبرة :

---

(١) ان القديس يوحنا الدمشقي قد نبغ في اواخر القرن السابع في دمشق الشام و كان والده المعروف بسرجيس بن منصور خازن الخليفة مروان ثم عبدالملك ابنه : والمحققون على ان هذا القديس الملفان قد رقد بالرب سنة ٧٥٦ في دير مارسابا بقرب اورشليم حيث كان منعكفاً على السيرة الرهبانية :

كلام القديس يوحنا الدمشقي

« لم يخجل (بطرس القصار) من أن ينظف كعادة القصارين ترنيمة « التريساجيون كأنها ثوب وسخ : على انه اذا قلنا هذا النشيد الاقدس « عن الابن فقط زال كل اشكال على الاطلاق وأضفنا الصلب الى « التريساجيون مع الموارنة : ولكن نعوذ بالله من ان نستعمل ذلك ولو « بالشفاه ان الموت لاحب الينا »[1]

فيدعون من ثم ان هذا القديس المعظم يحتسب الموارنة لذلك كهراطقة يجب تجنبهم بكل جهد بدليل ما جاء أيضاً في رسالة أخرى له في الرأي القويم كتبها في

(١) ان المطران يوسف داود اسناداً لغرضه في كتاب جامع الحجج الراهنة قد ترجم هذه الفقرة (ص ١٩٧ كما يلي بالحرف الواحد « لم يخشَ (بطرس القصار) ان يقصر تسبحة التريساجيون كأنهُ ثوب وسخ : لانه اذا قلنا هذا النشيد المقدس عن الابن فقط لم يبقَ ادنى شبهة البتة . وصرنا نتصورن اي ننسب الصلب الى الثلث التقديس كعادة الموارنة . ولكن حاشا ان نستعمل ذلك ولو بالشفتين فقط نستغفر الله . ان الموت احب الينا من ذلك »

ولكن ترجمتنا آنفاً انما هي اطبق على الاصل بحسب نص الترجمة اللاتينية التي اعتمدها هو ايضاً : ولاجل مزيد البيان رأينا ان نثبت هنا النص اللاتيني وهو كما يلي :

« Trisagium Hymnum tamquam inelegantem pannum quemdam,
« fullonum more, expurgare veritus non est (Petrus Fullo). Etenim
« si tersanctum Hymnum de Filio solo dicamus, omnis prorsus sub-
« lata est ambiguitas, atque cum Maronitis Trisagio crucifixionem
« abjicimus. Verum absit vel labiis non usurpemus, propitius nobis
« sit Deus ; optanda potius mors est. »

دمشق وأرسلها على يد ايليا الاسقف الى بطرس مطران دمشق : وفيها بهذا المعنى العبارة الآتية مترجمة حرفياً عن الترجمة اللاتينية أيضاً وهي كما يلي

تابع الأثر الثالث ضد الموارنة

« واقسم بالثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر الذي يحق له
« السجود اني كذا أعتقد بلا مكر ولا خداع : ولا أسلم بأقل شيء دون
« ذلك ولست اشترك مع آخر لا يعترف بهذا الايمان وخاصة مع الموارنة:
« واني فوق ذلك اكون خاضعاً للكنيسة الكاثوليكية الرسولية المقدسة....
« ولا اقبل احداً من المانويين دون رأي قداستك وأمرها

عدد ٥٢ — ولكن يعارض ذلك أولا ما أورد علماء الموارنة وأخصهم مرهج بن نمرون الباني في مقالته المشهورة عن أصل الموارنة وديانتهم (ص ١٣١) والعلامة السمعاني الكبير في مكتبة الناموس (ك ٥ ف ٢٠) من ان لا ذكر للموارنة على الاطلاق في تآليف يوحنا الدمشقي بدليل انه ليس في النسختين الخطيتين القديمتي العهد المحفوظتين في خزانة الكتب الملوكية في باريس (عدد ١٨٢٩ و٢٤٤٢) ولا في النسخة القديمة التي نشرت بالطابع في مدينة باسيلاية أقل ذكر للموارنة : وانما الكلمة « مارونيزومن » أي « تمورن أو نعمل كالموارنة » التي جاءت في الفقرة الاولى من النسخة التي اعتمد عليها العلامة لكويان المشهور مترجم كتب الدمشقي وناشرها هي في النسخ الثلاث المذكورة آنفاً « بارونيزومن » بالباء في أولها لا بالميم ومعناها « نهذي كالسكارى » : ثم لا وجود البتة في هذه النسخ الثلاث أيضاً لقوله في الفقرة الثانية « وخاصة مع الموارنة » مما دل دلالة صريحة على ان يداً أجنبية دفعها الغرض المذموم الى دس هذا التحريف في بعض النسخ من تأليف هذا العلامة القديس :

ثانياً — ويؤيد هذه الحقيقة ما يظهر لاهل الذوق السليم بمجرد النظر الى
هاتين العبارتين من شدة ارتياع هذا الكاتب النحرير من شر الموارنة وتعوذه بالله
منهم وتفضيله الموت على ان يعمل عملهم حتى لقد يحسب كفرهم الموهوم اشد
وأفظع من كفر سائر أهل البدع التي كانت على زمانه: وفي ذلك من الغلو ما
ينطبق على معقول ولا يصح ان ينسب الى هذا القديس الجليل كما لايغرب عن
ذي بصيرة مع انه جل ما يتهمهم به على ما يظهر انما هو انهم كانوا يضيفون عبارة
الصلب الى ترنيمة التريساجيون مقولةً للابن وحده: واذا قيل انه انما يتهمهم
بأ كثر من ذلك فليبين لنا المعترضون ما يثبت اعتراضهم هذا مما يسوغ كل
هذا النفور منهم الذي لم يبدِ مثله نحو المانويين وهم شر البدع: على انه لو صح
ان ينفر من الموارنة الى هذا الحد ويتصورهم بكل هذا الشر على الديانة
الكاثوليكية اما كان الاجدر به ان يذكرهم في غير هذين الموضعين أيضاً
ويزيف مذهبهم وينقضه تخصيصاً لاجل تحذير المؤمنين من ضلاله؟ كما فعل باليعاقبة
الذين اختصهم بكتاب رد فيه مزاعمهم . وبمحاربي الصور الذين كتب في تفنيد
بدعتهم ثلاث رسائل مشبعة . وبالمانويين الذين كتب لاجل افحامهم محاورة بين
مانوي ومسيحي وأخرى بين مسلم ومسيحي . وبالاقفاليين (أي الذين بلا رأس)
من أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة الذين كتب مقالة على حدة في تزييف اوهامهم
وبالنساطرة الذين كتب مقالة مسهبة في دحض اقوال زعيمهم . وبالمنوثيليين
الذين كتب مقالة في مشيئتي السيد المسيح دحضاً لمذهبهم: وقد كتب أيضاً
جميع المبتدعين فعد منهم نحو مئة مبتدع من سيمون الساحر حتى عصره ولم يذكر
مع كل ذلك ولو عرضاً بذكر الموارنة: فليفتنا اذن المنصفون هل ينطبق ذلك
ما يظهر من خلال هاتين العبارتين في هذا الكاتب الجليل من التروع وا
والتعوذ من الموارنة حتى انه في العبارة الاولى يفضل الموت على العمل نظيرهم

الثانية يخصهم بمحاشاة الاشتراك معهم من بين من لا يعترفون بالايمان الذي يعترف به هو ؟[١]

ثالثاً — ماهو مشهور عن هـذا العلامة العظيم الذي هو أحد أساطين البيعة المقدسة من الفضل والرصانة والتفني في حب افادة القريب وخصوصاً المؤمنين الذين يكتب لهم بصريح الكلام الخالي من البهرجة والتعقيد : فلا يعقل والحالة هذه ان يخترع لهم كلمة ليست من لغتهم وليس لهم أقل تصور في معناها وهي في الفقرة الاولى « مارونيزومن » المشتقة من اسم مارون او الموارنة دون ان يسبق فيعرف لهم من هم هؤلاء الموارنة وما هي بدعتهم وشرهم هذا العظيم الذي جعله ينفر منهم كل هذا النفور البليغ (٢)

---

(١) قد لاحظ المطران يوسف داود في كتاب الحجج الراهنة (ص ١٩٢ حاشية) عند استناده الى هذه الفقرة الثانية قال مدفوعاً بميله الحاد الى اثبات قضيته ضد الموارنة ملاحظاً على قوله — ولا أقبل أحداً من المانيين — ماحكايته بالحرف الواحد « من المحتمل ان يوحنا الدمشقي كتب في الاصل « الموارنة » بدل « المانوين » فحرف النساخ تلك اللفظة لقلة استعمالها » ونحن نقول ما هو أقرب الى الصواب بل أحد أصحاب الغرض قد حرف قوله « وخاصة المانويين » بقوله « وخاصة الموارنة » كما يرى المتأمل الخالي الغرض بعد ملاحظاتنا هنا في المتن :

(٢) ولاحظ أيضاً المطران يوسف داود في كتابه المذكور (ص ١٩٨) عند كلامه عن الفقرة الاولى هنا : قال ما حكايته « فاذا كان خلاف هنا بين النساخ (أي في لفظة — مارنيزومن — أو — بارنيزومن —) لنا أن نعتبر ان الذي يرجح التصديق فيه أكثر هو ان بعضاً من النساخ اذ وجدوا في نص الدمشقي كلمة جديدة أعجمية لم يقرأوها قبلاً واستعجمت عليهم ظنوها قد أفسدت فكتبوا بدلها اللفظة الاخرى المعهودة » ولا ندري لماذا لا يرجح بالاحرى ان الذي قصد هذا التحريف المذموم قد عمد الى ابدال الباء بالميم والحرفان متشاكلان في اليونانية فصح له ذلك

عدد ٥٣ — ومع كل هذا فنحن لا نريد ان نتمسك بهذا الرأي الذ
يدافع عنه الموارنة « فاذا سلمنا جدلاً (ونحن أميل الى التسليم) بان كلام الدمشق
في الفقرة الاولى دون الثانية هو غير محرف كما يريد بعضهم انما يتأتى عن ذلك
على ما نرى شهادة صريحة بان الموارنة كانوا يستعملون ترنيمة التريساجيون
طقوسهم للابن وحده ولهذا كانوا يتممونها بقولهم « يا من صلبت لأجلنا » وا
الكاتب القديس انما يخالف رأيهم من حيث امكان توجيه هذه الترنيمة لغير الثالو
الاقدس بجملته كما هو حاصل في الطقس اليوناني ولهذا يرى ان زيادة الصل
عليها منقصة وضلال مبين لانه يؤيد بدعة مؤلمي اللاهوت : وهذا ظاهر من نفس
كلامه في كتاب الرأي القويم (فصل ٥) فقد قال ماترجمته « اعترف بان ترني
التريساجيون انما تعين أقانيم اللاهوت الثلاثة والجوهر الواحد والسلطة الواحدة
وعليه فلا أسلم البتة بزيادة بطرس القصار الغبي لانها توجب بكل اهانة اما وقو
الصلب على الثالوث واما ادخال أقنوم رابع على الثالوث » [١] وهذا ما يحسب
القديس كفراً لا يطاق بحيث اذا ثبت عنده امكان استعمال هذه الترنيمة المثل

من أهون سبيل ؟ أو كيف يفسر لنا ان هذا التحريف قد وقع في النسخ الثلا
المشهورة على ما يخالف رأيه وان النسخة التي إعتمدها لكويان هي الاصح والاص
مع ان لكويان ذاته قد انتبه فيما بعد الى هذا التحريف في نسخته ورجع عن ر
في تاريخه المشهور بالمشرق المسيحي ؟ وبهذا القدر غني لذوي الالباب

(١) كل لبيب يرى ان القديس الدمشقي لو قصد ان يتهم الموارنة ببدعة مو
اللاهوت لكان تكلم عنهم هنا ايضاً واذ ذاك كان محل لقوله بعد ذلك في الف
التي اثبتناها هنا عن هذا الكتاب « وخاصةً مع الموارنة » والا فما معنى هذه الز
هنا دون توطئة لها في الكلام السابق : ثم لاحظ اكرمك الله ان في كلامه هنا
بطرس القصار من حيث زيادة اقنوم رابع على الثالوث يوافق معنى ما رويناه
القديس يوحنا مارون في الحاشية على العدد ٤٩ :

القديس موجهة بصواب وعلى رأي الآباء القديسين الى الابن وحده لا يستنكف من التسليم بها : والظاهر ان ذلك لم يكن ثابتاً عنده بدليل ما صرّح به هو نفسه في رسالته الى جرداس الارشمندريت المذكور بخصوص ترنيمة التريساجيون حيث قال ما ترجمته « ومن ثم فان اخانا الانبا سرجيس الجزيل التقى وهو صديقي ونسيبي الحميم قد عرفني كتابة ان الانبا انسطاس رئيس دير القديس أوثيموس الشهير قد وجد في مواضع كثيرة من كتب الآباء القديسين ما يوضح ان ترنيمة التريساجيون توجه الى الابن وحده : فاذا سلمنا بذلك لا يتأتى عنه ما يمنع من ان ذاك الوباء الذي دسه القصار بخبث يعدي الجميع تماماً . . . . ونحن عالمون باستقامة ايمان ذاك الرجل المحترم ولا نجهل مقامه في أساليب الكلام والفضيلة . . . . وقد أرسل الينا الشهادات التي ثبت عندنا انها للآباء القديسين المعتبرين : بيد انه لم يثبت لنا منها ان ترنيمة التريساجيون توجه للابن وحده » وقال أيضاً في الفصل الثامن من هذه الرسالة ما ترجمته « فبأية حجة يمكننا ان ننشد ترنيمة التريساجيون موجهة الى أقنوم واحد ؟ اننا بهذا نجعل أنفسنا كاذبين » (أي لاننا نقول ثلاث تقديسات ونقول بتوجيهها الى أقنوم واحد) : اما والامر على غير ما رأى القديس يوحنا الدمشقي في هذا الموضوع فليس حكمه والحالة هذه على الذين يوجهون ترنيمة التريساجيون الى الابن وحده بالضلال قاطعاً وهو لم يكن اذ ذاك الا راهباً غير ذي سلطان في الكنيسة : ويعارضه في ذلك خاصة قول القديس افرام الآمدي الذي كان في سنة ٥٣٢ بطريركاً على انطاكية وهو ذو سلطة عليا في كنيسته وأخبر بأبناء رعيته وخاصةً الذين بين يديه كالموارنة فقد قال بهذا الصدد في محاماته عن القديس لاون الكبير والمجمع الخلقيدوني (كما روى فوتيس في مكتبته الشهيرة ك ٢٢٨) ما ترجمته « ان الذين يقطنون جهة المشرق لما كانوا يوجهون هذه الترنيمة (التريساجيون) الى السيد المسيح فلا يأثمون على الاطلاق اذا اتبعوها بقولهم — يا من صلبت لاجلنا — اما أهل بيزنطية والغربيون (من اليونان أيضاً) فلما كانوا انما يوجهون هذا النشيد

الى ينبوع الصلاح الاسمى والاقدس اعني الثالوث الموحد الجوهر فلا يتحملون (كالدمشقي) ان تضاف اليها هذه العبارة اي — يا من صلبت لاجلنا — لئلا يستشعر منها بان الصلب قد انتحق باللاهوت: ومع هذا في انحاء كثيرة من اوروبا بدلا من هذه العبارة — يامن صلبت لاجلنا — قد قالوا هنا — ايها الثالوث الاقدس ارحمنا » —(١)

---

(١) قال المطران يوسف داود في كتاب جامع الحجج الراهنة (ص ٤١٦) بخصوص هذه الشهادة المعتبرة ما مؤداه « ونحن تبعاً للعلماء نشك في صحة هذه الرواية لانه لم يروِها احد من المؤرخين القدماء » وهذا كلام لا يجب ان يعتد به لاسيما وهو لا يبين لنا هؤلاء العلماء الذين وضعوا هذه الرواية تحت الريب: ونحن لاندري ماغرض فوتيس وهو بطريرك قسطنطينية من ايرادها على علاتها مع انها مخالفة لمذهبه ايضاً كما لا يغرب: ومن المعقول انه لو لم تثبت عنده صحتها لما اعتنى باثباتها ويكفي ان يكون اثبتها في مكتبته بياناً لورودها عند المؤرخين القدماء وهو كما لايغرب من كتبة القرن التاسع: ولا نخال صاحب هذا الاعتراض يدعي بانه قد اطلع على كل أقوال مؤرخي هاتيك الاعصار التي يعينها حتى يكون لكلامهِ بهذا الصدد من القوة ما يضعف صحة هذه الشهادة والا ادعى المحال: ولكنه رأى هذه الحجة قوية جداً ضد قضيته فلجأ الى الارتياب بصحتها مما يدل على عدم سلامة نيته في البحث: وأغرب من ذلك قوله ايضاً في الصفحة ٤٢٠ من كتابهِ هذا « ولو صحت شهادة افرام الانطاكي لم تبطل حكم الجامع السكونية والاحبار الرومانيين الذين حرموا هذه الزيادة ونهوا عن استعمالها قطعياً فان فوتيوس نفسه الذي أورد شهادة افرام لم يستحسنها » وقد اغضى سامحه الله عن الوجه الذي حرمت به وهو من حيث توجيهها الى الثالوث الاقدس وبمعنى مؤلمي اللاهوت: ثم عن الوجه الذي يثبته القديس افرام البطريرك الانطاكي هنا من حيث توجيه ذلك الى الابن كما هو جارٍ في كنيسته بالمعنى الكاثوليكي المحض وهو يُحرم ذلك بتاتاً بالمعنى الكفري كما يرى المتأمل: وبذلك تظهر لذي عينين مغالطة صاحب هذا الاعتراض بقصد تثبيت حجته ولو استعمل السفسطة الظاهرة:

عدد ٥٤ — هذا ونظن ان ارثوذكسية هذا الاستعمال قد ثبتت تماماً مما قلناه حتى الآن بحيث لم يعد ممكناً أن يتهم الموارنة بالهرطقة لاجله: ومن ثم لم يعد يهمنا ما اذا كانت عبارة القديس يوحنا الدمشقي في الفقرة الاولى محرفة أو أصلية. بل بالاحرى يهمنا جداً أن تكون صحيحة لانها اذذاك تصلح برهاناً ايجابياً قاطعاً على سلامة ايمان الموارنة في عصر هذا القديس العظيم وهو القرن الثامن أو أوائله من كل ضلال: أما بدونها فيلزمنا أن نعتمد لهذه الغاية البرهان السلبي وهو على الوجه الآتي: ان هذا الكاتب الكنسي الجليل القدر الذي غار على سلامة الايمان القويم غيرة ليس بعدها من غيرة وصرف معظم حياته في المناضلة عنه وفي تفنيد أقوال المبتدعين وافحام أهل البدع التي كانت في عصره بدليل ما ترك من الكتب النفيسة في هذا الشأن وقد عددنا بعضها في هذا الفصل عينه وهي الى الآن مرجع العلماء ومورد المحققين في الكنيسة الكاثوليكية لم يذكر الموارنة في كل ذلك أقل ذكر بشيء مما يشير الى انهم قد كانوا من أهل الضلال: وهو لا يستطيع أن يجهلهم وقد قضى في بلده دمشق الشام شطراً كبيراً من حياته حيث كان والده سرجيوس بن منصور من الخواص المتقدمين في حكومة هاتيك الايام وعلى عهده جرت المجادلة في دمشق امام معاوية على امور الدين بين الموارنة واليعاقبة كما رأيت في الاثر السادس من هذا الكتاب: وفي هذا القدر غنى لذوي الالباب ان شاء الله تعالى

المبحث الرابع

في أحوال رهبان القديس مارون وأتباعهم الموارنة
بالنظر الى بدعة المنوثيلية

توطئة

عدد ١ — ان هذه البدعة انما هي التي يُتهم بها الموارنة عادة على وجه التخصيص: وقد زعم بعضهم من القرن العاشر فصاعداً ان مبتدعها انما هو رجل يدعى مارون من أهل حماة كان على عهد موريق الملك: وقد تبعه جمهور كبير من الناس انخدعوا بضلاله فسموا موارنة نسبة اليه: واذ مات بنوا ديراً على اسمه عند ضفة العاصي بالقرب من حماة: وقد صار منذا ذاك الحين على رأيهم اسم الماروني والمنوثيلي سيين فسموا في كلامهم كل منوثيلي بالماروني وقالوا لذلك عن هرقل الملك وهنوريس البابا وسرجيس وبيرس وبولس بطاركة قسطنطينية وقورس وبطرس بطريركي الاسكندرية ومقدونيس ومقاريس بطريركي انطاكية انهم جميعاً كانوا موارنة:

ومن المعلوم المسلم به عند العموم ان أول من زعم هذا الزعم المبني على مجرد الوهم انما هو اوتيكيس أو اطاخي المعروف بسعيد بن البطريق المصري الذي صار بطريركاً لطائفة الملكية على الاسكندرية سنة ٩٣٣: وقد كتب تاريخاً باللغة العربية من الخليقة الى عصره شحنه بالاغلاط والروايات المخترعة من مخيلته حتى لم يبق له من اعتبار عند المحققين: وعنه أخذ كل من زعم هذا الزعم بعده بلا روية ولا تدقيق كما رأيت مما أثبتناه الى الآن وسترى في ما يلي:

وحسبنا هنا أن نلخص لك ما أوضحناه باسهاب في الفصل الثالث من البحث

الثاني من هذا الكتاب وهو كيف ان بدعة المنوثيلية قد ظهرت بشكلها المعروف في النصف الاول من القرن السابع أولاً في قسطنطينية على يد سرجيس بطريركها . ثم في الاسكندرية على يد قورس بطريركها الذي كان أول من جاهر بها على رؤوس الملأ وقررها في مجمع خاص عقده في الاسكندرية سنة ٦٣٣ في كرسيه : وقد ناهضه بكل حزم وعزم القديس صفرونيس اذ كان بعد راهباً ثم بعد ان صار بطريركاً على أورشليم حيث عقد المجمع الاول ضدها في سنة ٦٣٥ كما هو مشهور الى آخر ما جرى هاتيك الايام بشأنها حتى المجمع السادس العام الذي حرمها مع مبتدعيها وأشياعها بأسمائهم بعد استيفاء البحث المدقق عنهم كلهم أجمعين : ولا ذكر في كل ذلك لا لمارون ولا للموارنة مما يدل على بطلان مثل هذه المزاعم والاوهام في حقهم :

وعندنا انه في كل ذلك لم يظهر لهذه البدعة من اثر في كل سورية لانشغال أهلها في تلك الحقبة بامور نفسهم بعد الفتح العربي : خلافاً لما ذهب اليه بعض الكتبة من ان هذه البدعة على ما اشتهرت به منذ اول نشأتها قد كان لها مناصرون وأشياع في سورية على وجه الخصوص : وقد زعموا ان اول من جاهر بها انما هو اثناس بطريرك اليعاقبة على عهد هرقل الملك في سنة ٦٢٨ عند عوده من حرب الفرس : وانه هو الذي خادعه أولا بصحة هذه التعليم الحديث على ما رأيت الى ان كان ما كان من أمرها : ولما كان هذا الزعم في غير محله كما بيناه في حينه : ومن جهة ثانية لم يظهر من اثر تاريخي راهن مما يدل على انها قد دخلت سورية وحلت فيها حلولها في الاسكندرية وقسطنطينية وغيرهما : وكان لها . اشياع ومناصرون حتى أواخر القرن السابع في هذه المقاطعة لزم عن ذلك ان لا الموارنة ولا غيرهم من الفرق النصرانية بسورية في ذاك العصر قد عرفوها بشكلها الذي عُرفت وحُرمت في المجمع السادس به :

عدد ٥٦ — ونحن لا ننكر ان قد وجدت آثار تاريخية معتبرة مما يثبت ان الخلقيدونيين المعروفين بالموارنة قد تمسكوا بمذهب المشيئة الواحدة منذ أوائل القرن

الثامن وناضلوا عنه ضد الفريق الآخر من الخلقيدونيين المعروفين بالملكية كما سترى ولكن ذلك لم يكن على طريقة المنوثيلية (التي لم يعرفوها بشكلها) ولا انتصاراً لها أو لاحد مبتدعيها المعروفين الذين لم يكن لهم أقل صلة ولا معرفة بهم ولا لهم أقل اعتبار عندهم: ومما يثبت هذا الرأي انه لا يدعوهم أحد من خصومهم أو غيرهم من معاصريهم في تلك الحقبة وبعدها حتى القرن الحادي عشر باسم المنوثيليين ولا باسم أحد مبتدعي المنوثيلية على الاطلاق: وانما كان الامر من وجه آخر مستحدث اقره في عقولهم وضمائرهم ما حصل من سوء التفاهم بين الفريقين المذكورين في تفسير معنى تحديد المجمع الخلقيدوني من حيث وجود الطبيعتين باقنوم واحد في السيد المسيح الفادي حافظتين خواصهما بالتمام والكمال وعدم وجود ارادتين متضادتين ومتناقضتين ومتحاربتين معاً فيه جل شأنه كما هما فينا نحن البشر حذراً من ان يكون المسيح ابنين ومسيحيين بطبعين واقنومين متحدين معاً على رأي النساطرة

وسنبين في مطاوي الكلام عند درسنا الشهادات التاريخية القديمة التي هي من هذا القبيل منذ أوائل القرن الثامن هذا المعنى بعينه الذي ينتج عنه ان شاء الله ان الموارنة ولو ثبت انهم تمسكوا بهذا التعليم على هذا الوجه لا يجوز شرعاً ان يسموا هراطقة او منوثيليين بحصر الكلام لان ضلالهم هذا لم يكن مقصوداً لذاته عن عناد أو مكابرة أو جسارة ضد السلطة الشرعية في الكنيسة المقدسة: بل عن حسن نية وسوء فهم لا يصح معه فيهم تحديد الهرطقة الا اذا كانت مادية محضاً وهذه ليس فيها خطأ يستوجب الشجب على ما قرره جمهور الائمة من اللاهوتيين الاعلام:

وسنتقصى في هذا البحث كل الشهادات التاريخية العريقة في القدم والمعتبرة عند أهل التحقيق ونثبتها بحروفها بكل امانة ونشفعها بدروسنا وملاحظاتنا الانتقادية كالعادة تقريراً لقضيتنا هذه بحسن توفيقه تعالى: ولاجل مزيد التسهيل على مطالعي هذا البحث المهم رأينا قبل الشروع في ذلك ان نعقد ثلاثة فصول بمنزلة توطئة له أحدهما في حالة كرسي بطريركية انطاكية منذ أوائل القرن السابع الى أواسط القرن

الثامن : والثاني في حالة سورية المدنية في هذه المدة عينها : والثالث في النتيجة من هذين الفصلين : فنقول و بالله المستعان :

الفصل الاول

في بطاركة انطاكية منذ أوائل القرن السابع الى أواسط الثامن

عدد ٥٧ — روى المؤرخون الثقات انه بعد موت القديس انسطاس بطريرك انطاكية في نحو سنة ٦٠٠ قد أقيم مكانه على هذا الكرسي رجل عالم فاضل ورع يدعى انسطاس ايضاً : وفي عهده نشبت الحرب بين فوقاس ملك الروم وكسرى ملك الفرس : وقد انتهز اليهود هذه الفرصة وثاروا في انطاكية على النصارى ونكلوا بهم : فتعرض لهم هذا البطريرك القديس بكل عزم وغيرة : فكادوا له وأمسكوه و بعد تعذيبه أخذوا يجرونه في شوارع المدينة حتى قضى نحبه شهيداً في سنة ٦٠٩ على رأي ثوفان المؤرخ الرومي الشهير أو سنة ٦١٠ على رأي غيره : فانتقم له فوقاس او هرقل خليفته منهم :

و بعد استشهاد هذا البطريرك القديس قد فرغ كرسي انطاكية مدة ثلاثين سنة على رأي المحققين بسبب الحروب التي حصلت في ذاك العصر بين الفرس والروم على أيام الملك هرقل الذي ظفر أخيراً بالفرس و ردهم عن سورية في سنة ٦٢٨ وفي هذه الاثناء بدأت تظهر بدعة المنوثيلية على يد سرجيس بطريرك قسطنطينية الذي كان أول من علم بها واستغوى بعض الانصار في كل ناحية حتى انه خادع هرقل الملك أيضاً بشأنها وكان له فيه ملء الثقة فحمله على اذاعة منشوره المشهور حملاً للرعايا على الاعتراف بها :

عدد ٥٨ — وفي سنة ٦٤٠ عمل سرجيس المذكور على اقامة بطريرك من أشياعه على انطاكية : فاقام صديقه مقدونيس و بسبب تواتر الفتن والحروب في

تلك الايام بين الروم والعرب الذين كانوا قد فتحوا سورية كلها وقلصوا ظل الروم عنها بالمرة لم يستطع هذا البطريرك ان يأتي الى كرسيه بل أقام في العاصمة حتى هلك سنة ٦٦٥ على مايظهر : وفي هذه الاثناء عقد القديس مرتينُس بابا رومية مجمع لاتران سنة ٦٤٩ : ولموضع اهتمامه في بطريركية انطاكية وارشليم ولاعتباره ان الرعية في كل منهما كانت بلا راعٍ يصونها من الغواية والضلال في هاتيك الاحوال الحرجة قد استناب يوحنا استقف فيلادلفية وهي عمان ووكل اليه ان ينظر في شؤون الرعيتين المهملتين ويحرسهما جهده من الضلال . وفوضه بكل التفويضات اللازمة لهذه الغاية بخط رسولي مشهور وقد صرح فيه ان مقدونيس نفسه قد اختلس البطريركية الانطاكية اختلاساً وان الكنيسة لا تعرفه بهذا الصفة [١]

ثم بعد وفاة مقدونيس هذا في قسطنطينية أقيم مكانه بطريقة غير قانونية أيضاً أيضاً رجل اسمه مقارنيس وكان شديد التمسك بالمنوثيلية . وقد استمر هذا أيضاً في العاصمة الى ان عقد المجمع السادس العام سنة ٦٨٠ وقد حضره هو بنفسه وأصر على هذا المذهب الوخيم فحرمه آباه هذا المجمع المقدس باسمه علناً وحطه عن مقامه ففزع الى رومية حيث قضى نحبه : وقد أقام اباء المجمع مكانه على بطريركية انطاكية في الجلسة الرابعة عشرة رجلا كاثوليكياً فاضلا اسمه ثوفان لما اظهر من الغيرة

(١) قال قداسة البابا في هذا الخط الرسولي بهذا الصدد : ان مكدونيس الذي انتحل لنفسه اسم الاستقفية . . . . « لاتعرفه الكنيسة الكاثوليكية اسقفا على الاطلاق لانه يوافق الهراطقة فضلاً عن كونه بمعزل عن القوانين وفي بلاد اجنبية وبلا رضى ووثيقة قد اختلس لنفسه هذه التسمية »

وقال أيضاً في رسالته الى كنيستي اورشليم وانطاكية ما مؤداه « ويلزم ان تتجنبوا المنتصرين لهراطقة القايلي العقل ومقدونيس الهرطوقي ايضا الذي جعله هؤلاء اسقفاً بالزور على انطاكية »

على سلامة الايمان : وهذا أيضاً قد أقام في قسطنطينية حتى توفي سنة ٦٨٦ وخلفه على قول انسطاس المكتبي رجل اسمه الاسكندر في نفس قسطنطينية وخلف هذا الاخير رجل اسمه جرجس وهو من رهبان القبر المقدس وكان قد حضر المجمع السادس بصفة ممثل كنيسة أورشليم وقد حضر بعد ذلك مجمع القصر أيضاً سنة ٦٩٢ وامضاه بصفة كونه بطريركاً على انطاكية : ويظهر ان جرجس هذا قد عاش هو أيضاً في قسطنطينية الى سنة ٧٠٢ ولم يخلفه أحد على هذا الكرسي مدة نحو أربعين سنة كما أجمع المؤرخون :(١)

---

(١) وعلى قول علماء الموارنة ومن اخذ عنهم ان رجلاً فاضلاً من رهبان دير القديس مارون في سورية الثانية اسمه يوحنا قد اشتهر في ذلك العصر بالعلم والتقى والغيرة على الدين وعلى القطيع الذي ينتمي الى هؤلاء الرهبان ويرتشد بهديهم ويغار على حفظ مبادئهم وتعاليمهم : فأقامه يوحنا الفيلادلفي النائب الرسولي المشار اليه آنفاً مطراناً على مدينة البترون في سفح جبل لبنان سنة ٦٧٧ ليحفظ هؤلاء الموارنة الذين كان قسم وافر منهم في لبنان على خطة الايمان القويم : وفي سنة ٦٨٥ أي بعد وفاة ثوذان المذكور بطريرك انطاكية الشرعي في قسطنطينية قد نادى رهبان دير مار مارون وكل اشياعهم في سورية بيوحنا هذا بطريركاً انطاكياً : وهو البطريرك الاول على هذه الطائفة المعروف بمار يوحنا مارون أي المنسوب الى مارون وكانوا يأتمرون بأوامره ويرجعون اليه في شؤونهم الروحية والزمنية ايضاً الى ان رقد بالرب على قولهم في جبل لبنان سنة ٧٠٧ فخلفه ابن أخته قورش ثم جبرائيل ثم يوحنا آخر منسوب الى مارون : وكل هؤلاء كانوا من رهبان دير القديس مارون : وقد قال العلامة الدويهي وكل من اخذ عنه ان هذا الاخير قد جاء الى جبل لبنان وسكن في يانوح من جبة المنيطرة وفيها مدفنه : وعند ما ادركته المنية استدعى اليه الشعب والاكليروس وسمى لهم يوحنا ثالثاً من قرية دملصا في بلاد جبيل من جبل لبنان ليكون خليفة له :

وكل هذا مسنود عندهم الى تقليداتهم القديمة : وقد قال العلامة الدويهي

عدد ٥٩ — وروى ثوفان المؤرخ الرومي الشهير في تاريخ السنة الثانية لقسطنطين الزبلي ملك الروم وهي سنة ٧٤٢ قال ما مؤداه « في هذه السنة كانت وفاة هشام خليفة العرب وكان هذا قد رد كنيسة انطاكية الى حالتها الاولى وكانت هذه الكنيسة مترملة من راعٍ مدة أربعين سنة لمنع العرب لهم من اقامة بطريرك عليها: وكان راهب اسمه اسطفان عزيز لديه وكان أمياً لكنه ورع فأذن لهم أن يختاروه بطريركاً لهم على مدينة الله انطاكية : فرضوا به معتقدين ان هذه انما هي ارادة الله : ولم يعد العرب يصدونهم عن اقامة بطريرك حتى الآن » : وهذا البطريرك الجديد قد توفي سنة ٧٤٤ :

وذكر ثوفان هذا أيضاً في تاريخ السنة الرابعة لقسطنطين المذكور « ان الخليفة مروان[1] قد رخص للنصارى بعد موت اسطفان المشار اليه أن ينتخبوا ثوفيلكتس

نفسه بعد ذكر هؤلاء البطاركة في كتاب سلسلتهم المشهور الذي وضعه هو نفسه بكل تدقيق وتنقيب : انه قد وجد ذكر هؤلاء البطاركة الخمسة متسلسلين على ما ذكر : في كراسة سريانية قد نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٦٢٤ يونانية (سنة ١٣١٥م) وربما رجع اصلها المنسوخة عنه الى اقدم من هذا العهد : وقال أيضاً في كتابه تاريخ الازمنة وهو تاريخ الاسلام ما مؤداه بالحرف الواحد « وفي هذه السنة (أي سنة ٣٢٧ هجرية الموافقة سنة ٩٤٨ مسيحية) وهي السنة السادسة لدرغول كانت نقلة البطريرك يوحنا من انطاكية الى لبنان . . . . كما وجدنا في التواريخ السريانية بل مضى الى يانوح وكانت يانوح من اشرف القرى في جبة المنيطرة . . . ولما قرب أجله جمع جميع كهنة البلاد وأقام لهم بطرتاً آخر باسمه من قرية دماصا » وقد كتبنا ملاحظاتنا على ذلك في كتابنا عن الجراجمة والمردة : وسترى مما بين أيدينا من الآثار التاريخية الراهنة ما قيمة هذه الروايات من الحقيقة :

(١) يظهر ان مروان هذا هو ابن محمد بن مروان بن الحكم : وكان في سنة ٧٤٤ أميراً في الجزيرة : وكان بينه وبين توفيليطا بن قنبرة صلة مودة فعمل على

بطريركاً مكانه : وكان هذا كاهناً سريانياً من الرها معروفاً بالتقوى والزهد : فانتخبوه واستمر في البطريركية أربع سنوات ثم توفي سنة ٧٥٠ » وهو على ما يسميه التلمحري « توفيليطابن قنبرة » كما سيجي :

عدد ٦٠ — فمن هنا ترى ان كرسي انطاكية لم يجلس عليه بطريرك مقيم بين الرعية في حقبة المنوثيلية كلها : وان البطاركة المنوثيليين الذين سموا عليها ولو بطريقة غير شرعية انما أقاموا في قسطنطينية ولم يُعرفوا في سورية خاصة لقطع المواصلات : وكان في هذه الاثناء يوحنا الفيلادلفي النائب الرسولي الشرعي من لدن الحبر الروماني يسهر على هذه الرعية ليصونها من الذئاب الخاطفة وأهل الضلال: وكذلك ثوفان الذي أقامه المجمع السادس بطريركا شرعياً على انطاكية قد بقي هو أيضاً في قسطنطينية الى حين وفاته ومثله الاسكندر ثم جرجس الذي توفي سنة ٧٠٢ ولم يقم له خليفة الى سنة ٧٤٢ : بحيث يمكن أن يقال ان هذه الرعية الانطاكية قد بقيت بلا راعٍ يسوسها فعلاً زهاء مئة وثلاثين سنة

الفصل الثاني

في أحوال سورية المدنية منذ أوائل القرن السابع الى أواسط الثامن

عدد ٦١ — كان فوقاس على عهد موريق ملك الروم في أواخر القرن السادس

اختياره بطريركاً كما روى ثوفان : وقد طالب بالخلافة بعد الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ونال منها مآربه في سنة ٧٤٦ اذ دخل بجيشه الى دمشق عنوة وبويع بالخلافة : وهو آخر خليفة من بني أمية كما سترى : ويظهر من كلام ثوفان والحالة هذه أن هذا البطريرك قد استمر في البطريركية أربع سنوات وتوفي سنة ٧٥٠) انه أقيم بطريركاً بعد وفاة اسطفان بنحو سنتين فيتفق ذلك مع تاريخ خلافة مروان المذكور :

قائداً على قسم من الجيش : وكان ذا أخلاق مذمومة جداً وخلال في غاية القباحة فضلاً عما كان عليه من الجهل المركب الذي لا يطاق : بيد انه كان ذا قحة وجسارة ندرت في مثله رجلاً قد خلا من صفة الشجاعة وعزة النفس فطمح بنظره الى العرش واستمال أولاً فرقته وكل ما كان على شاكلته : فنادوا به ملكاً سنة ٦٠٢ فزحف اذ ذاك على قسطنطينية وقتل موريق وأولاده الاربعة واستولى على أريكة الملك عنوة فأطلق العنان لشهواته البهيمية وأقام الاعياد والملاهي الطويلة العريضة احتفالاً بتتويجه : فانتهز كسرى الثاني هذه الغفلة ليخالف عهد الصلح الذي كان بين مملكتي الروم والفرس . وفي سنة ٦٠٣ زحف بجيش جرار الى بلاد ما بين النهرين فاستولى عليها ونكل بأهلها بعد أن شتت جنود الروم الذين كانوا هناك شذر مذر . فهب فوقاس من غفلته وعبى جيشاً ضخماً تحت قيادة رجل من خواصه لم يكن محنكاً في الحروب وأرسله على كسرى ولم يفلح في غير الهزيمة وكانت الموقعة من أشأم المواقع على الروم وقد قتل منهم خلق كثير . وأخذ من ثم الفرس يعيثون في البلاد فساداً غير حاسبين أقل حساب للروم : وفي سنة ٦١٠ تآمر أرباب المملكة على فوقاس لكثرة فظائعه وقبضوا عليه ودفعوه الى ابن أخته هرقل بن كريسب البطريق فنكل به تنكيلاً وجعله عبرة لمن اعتبر وقد اشتفى الجميع به ونادوا بهرقل ملكاً وكان محبوباً جداً وقد توجه على العرش سرجيس بطريرك قسطنطينية وهو على ما روينا غير مرة مبتدع المونوثيلية الحقيقي

عدد ٦٢ — ولما استوثق الملك لهرقل انعكف هو أيضاً على اللهو والترف لاهياً بملاذه عن أمر المملكة . وفي سنة ٦١١ أعاد الفرس الكرة على سورية فافتتحوا الرها ثانية وتوغلوا حتى أفامية فخربوها وكل ما حولها حتى انطاكية واستولوا على هذه المدينة وعلى كل ما كان منها حتى دمشق دون أن يجدوا في طريقهم من معارض ثم استراحوا في دمشق مدة . وفي سنة ٦١٥ زحف سربار أحد قوادهم في جيش عظيم الى فلسطين فاكتسحوها وقتلوا من لم ينقذه الهرب من أيديهم حتى الرهبان والنساك والعجزة

وأسروا خلقاً كثيراً من النصارى ساموهم أصناف الذل والهوان واشترى اليهود منهم زهاء التسعين ألف أسير وذبحوهم كالغنم تشفياً : وقد سلبوا كل ما كان في أورشليم من تحف النذور والذخائر المقدسة حتى خشبة الصليب الكريم : وفي نحو سنة ٦١٧ زحفوا الى مصر فأخذوها قهراً ولم يستثنوها مما عملوا في فتوحاتهم السابقة : ثم توغلوا على هذا الشكل فاجتاحوا بلاد النوبة حتى وصلوا الى بلاد الحبش : وكان جيش آخر من الفرس يجتاح آسية الصغرى حتى بلغ الى خلقيدونية فاحتلها ولم يبقَ بينه و بين العاصمة سوى خليج البسفور : كل هذا وهرقل مشغول في لهوه وملاذه كأنه كان ينظر بعين الرضى الى كل هذا الخراب . ولكنه قد أفاق أخيراً من غفلته اذ بلغ السيل الزبى فارسل الى الفرس الذين بجوار العاصمة يسألهم في أمر الصلح فنكلوا برسله . وكان الضيق والغلاء والمجاعة وكل أصناف الرزايا قد أناخت بكلكلها على الروم من كل جانب ولولا حبهم الزائد لهرقل الذي كان خفض الجناح لين العريكة كريم الاخلاق مع الرعية لافضى الامر الى ثورة وحرب داخلية . وقد أحس الملك بين كل هذه المصائب التي ضاق عنها ذرعاً لا سيما وخزينة المملكة كانت فارغة من المال فعول على الاعتزال والانسلال الى حيث ينجو من هذه الآفات . واذ أدرك الجمهور ذلك أحاطوا بالقصر صارخين متضرعين بالا يغادرهم في هذه البلايا ومنهم من تهدده بالقتل اذا خطا خطوة في هذا السبيل . فاضطر الى العدول عن قصده ثم استعان بالله وقديسيه على كشف هذه الازمة عن المملكة وعمد الى تحف الكنائس وكانت شيئاً كثيراً وثميناً جداً . فأخذها بقصد التعويض لينفقها في سبيل هذه الحرب التي عول ان يباشرها هو بنفسه وكان من أحسن قواد الجيوش في عصره . وبالجملة قد احتاط هرقل لكل أمور المملكة الداخلية والخارجية حتى أمن غدرات الزمان في غيابه عن العاصمة ، وقام بجيش جرار لمناهضة الفرس فزحف أولاً الى أرمينية سنة ٦٢٢ وأخذ يناجزهم القتال فانتصر عليهم في عدة مواقع حتى استعاد مجد جيش الروم وهيبته : وفي سنة

٦٢٨ طلب الفرس الصلح فأباها هرقل عليهم وقد ضاقوا ذرعاً عن مواصلة الحرب . وقام شيرويه المعروف بقباذ على كسرى والده فقتله وجلس مكانه . ثم أرسل وفداً الى هرقل يبشره بتوليه عرش فارس ويعرض عليه أمر الصلح . فرضي هرقل بعقدها على الشروط التي أرادها واسترجع كل أسرى النصارى وفي جملتهم زكريا بطريرك أورشليم ثم كل مسلوباتهم ومعها خشبة الصليب المقدس التي كانت باقية في صوانها البديع وعليه الاختام الاصلية . وعاد هرقل من هذه الحروب الى اورشليم مكللاً بالظفر الباهر حيث وضع الذخيرة المقدسة في مكانها وأقفل عائداً الى العاصمة حيث أقام أعياد النصر وعاد الى ترفه وملاهيه واستسلم في أمر الدين الى سرجيس بطريرك قسطنطينية الذي ما فتئ يخادعه على الانتصار للمنوثيلية ويزين له هذا المذهب الوخيم حتى أصدر بشأنه منشوره المشهور بالشرح الوافي (اكتازيس) الذي كتبه هذا البطريرك على ايثاره ووقعه الملك وأمر بتنفيذه سنة ٦٣٩ :

عدد ٦٣ — وكان منذ سنة ٦٣٥ ان اخذ جيش العرب يزحف على سورية ويفتتحها تدريجاً وهرقل غائص في لهوه وترفه لا يلوي على شيء . وجيش الروم يندحر امام العرب الذين في مدة ست سنوات قد فتحوا كل سورية وفلسطين وقلصوا ظل الروم وسيطرتهم عنهما تماماً واستتب الامر لهم فيهما ، ثم تبسطوا في فتوحاتهم الى العراق وبلاد فارس والى مصر واستولوا على الجميع . واذ رأى هرقل هذا التيار الجارف وضعفه عن رده حزن جداً ومات كمداً في سنة ٦٤١ فخلفه ابنه قسطان الثاني وهذا انتصر للمنوثيلية جهده الى ان لاقى حتفه فخلفه ابنه قسطنطين المعروف باللحياني لطول لحيته . وكان على الايمان القويم وفي عهده عقد المجمع السادس العام في قسطنطينية ضد المنوثيلية . وكان رجلاً صالحاً حزوماً ذا تدبير حسن ورأي أصيل . وهو الذى أرسل كتيبة المرديين المعروفين بالمردائيتي أو المردة الى لبنان ليتحصنوا بمع أهله وشراذ النصارى ليناوشوا العرب ويزعجوهم بالغزو حتى يضعفوهم في سورية ويشغلوهم عن المملكة . وكان ما كان من أمرهم

الى ان سجنهم من هناك يستنيان الاخرم ابنه الذى خلفه على عرش الروم سنة ٦٨٥ كما سيجيء خبرهم تفصيلاً في محله . وتوفي ايضاً يستنيان هذا في سنة ٧١١ بعد ان حارب العرب حرباً ضروساً دارت دوائرها عليه .

وهذا كافٍ الآن في أحوال ملوك الروم بالنسبة الى سورية في ذاك العصر وأحوال سورية على عهدهم وما نالها من نكبات الزمان وطوارق الحدثان . وها نحن ذاكرون الآن لمزيد البيان لمعة من تاريخ الشطر الاول من دولة العرب بالنظر الى سورية وقسطنطينية خاصة مما له فائدة جلّى في بحثنا هذا : فنقول :

عدد ٦٤ — قد رأيت في تاريخ آخر مدة هرقل أن العرب قد افتتحوا منذ سنة ٦٣٥ كل سورية وفلسطين ومصر ثم العراق و بلاد فارس في مدة وجيزة و بسطوا حكمهم على الجميع : وقد تم لهم ذلك في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب : وقد تولى معاوية بن أبي سفيان الاموي على سورية وفلسطين وكان داهية أهل زمانه : وفي سنة ٦٤٥ بويع عثمان بن عفان بالخلافة واتسعت على عهده فتوحات العرب . ففتح أفريقية عبد الله بن أبي سرح والي مصر بعد عمر بن العاص: ثم فتح معاوية جزيرة ارواد فجزيرة قبرس سنة ٦٥٢ وزحف معاوية أيضاً على قسطنطينية سنة ٦٥٤ على اسطول ضخم بناه في طرابلس فلاقاه الروم بأسطولهم الى القبادوق حيث اشتبك القتال بين الاسطولين تجاه ليقية وهي الآن اصالية :

وفي سنة ٦٥٦ كان مقتل الخليفة عثمان فاشتد النزاع بين العرب على الخلافة: فمنهم من بايع علياً بن أبي طالب ومنهم من بايع معاوية : وكان الحرب بين الفريقين عواناً قتل فيها خلق كثير : وفي سنة ٦٦١ كان مقتل علي فبايع حزبه ابنه الحسن وقُتل فبايع الحسين أيضاً : وبويع معاوية في سورية ومصر وأفريقية و بعض بلاد العرب وغيرها : وفي سنة ٦٦٩ أرسل معاوية جيشاً كثيفاً على قسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف فتوغلوا في بلاد الروم وحاصروا العاصمة سنة ٦٧١ (على قول ابن خلدون) وكان هذا الحصار على عهد قسطنطين اللحياني : وفي أثناء ذلك أرسل

هذا الملك كتيبة من المردبين الى لبنان ليتحصنوا فيه ويناوشوا العرب منه حتى يشغلوهم عن الحصار ويضعفوا قوتهم : وفي سنة ٦٧٦ اضطر معاوية الى عقدالصلح مع قسطنطين ملك الروم :(١) وبعد ابرام عقده بمدة توفي في السنة عينها : فخلفه ابنه يزيد وقد بايعه حزب والده بحسب وصيته : فأخذ هذا يهتم أولا بحمل الحزب الآخر على مبايعته ومن ثم أرسل عامله الى المدينة في طلب مبايعة الحسين وعبدالله ابن الزبير له : واشتبك القتال بين الفريقين حتى انجلى عن الفوز للحسين وابن

---

(١) وقد قال ثوفان المؤرخ الرومي الشهير في تاريخ سنة ٦٦٩ (بحسب خطته وهي توافق عندالمحققين سنة ٦٧٦) في هذا المعنى ما ترجمته حرفياً « وفي هذه السنة دخلت خيل المردبين (أي الردائيين أو المردة) الى لبنان واستولوا على كل ما هو من جبل اللكام (وهو جبل السويدية الذي فوق انطاكية) حتى المدينة المقدسة (وهي أورشليم) واحتاوا بعض مشارف لبنان : وضوى اليهم جماعة كثيرة من العبيد والاسرى ومن الوطنيين حتى انهم في مدة قصيرة قد بلغوا أُلوفاً كثيرة : ولما سمع معاوية وأهل بطانته بذلك خافوا خوفاً عظيماً حتى انهم لموضع اعتقادهم بأن مملكة الروم محمية بعناية من الله ارسلوا رسلاً الى قسطنطين الملك في طلب الصلح وفوضوا اليهم أن يعرضوا الجزية السنوية أيضاً : فقبلهم الملك بالحلم واستجاب طلبهم وأنفذ معهم الى سورية البطريق يوحنا المعروف بالبتريغودي وهو اشيخ حنكه الدهر وقد اشتهر بالفطنة والدراية في امر المصالح العمومية بحيث يمكنه أن يداول العرب في ما يوافق المصلحة ويقرر شروط الصلح على ما يرام : فلما بلغ سورية جمع معاوية خواصه من بني أمية وقريش واستقبله بحفاوة : وبعد الأخذ والرد في أمر الصلح تم الاتفاق بين الفريقين على تحرير شروطها كتابة بعد تعزيزها باليمين وكانت كما يلي : أي أن يدفع العرب كل سنة لخزينة الروم ثلاثة آلاف وزنة من الذهب وثمانية آلاف مماليك وخمسين فرساً كريماً ومن بعد أن تقرر ذلك بين الفريقين وتم عهد الصلح بين الروم والعرب الى ثلاثين سنة واستلم كل فريق صكاً شرعياً بها عاد ذلك الرجل الشريف المشار اليه بهدايا نفيسة الى الملك »

الزبير : ثم بايع الحسين بعض أهل الكوفة وقام القتال بين الفرقتين فانتصر هذه المرة حزب يزيد : وكان مقتل الحسين في سنة ٦٨١ واستمر ابن الزبير عاصياً في مكة فبعث يزيد عليه مسلمة بن عقبة بجيش كبير فافتتح أولا المدينة عنوة وأكره أهلها على مبايعة يزيد : ثم سار الى مكة وحاصرها : وتوفي يزيد سنة ٦٧١ فبويع ابنه معاوية الثاني وكان بعد فتى فلم يبق في الخلافة الا ثلاثة أشهر ومات : وكان أهل مكة قد بايعوا ابن الزبير وبايعه بعدهم أهل البصرة فالعراق فاليمن والحجاز ومصر وبعض أهل الشام سراً : وبايع من بقي بالشام مروان ابن الحكم من بني أمية : فاجتمع اليه كل بني أمية وانقسم أهل الشام فرقتين اليمنية مع بني أمية والقيسية مع الضحاك بن قيس الذي كان قد بايع هو وحزبه ابن الزبير : ودارت رحى الحرب بين الفريقين في مرج راهط خارج دمشق فدارت على القيسية الدوائر في سنة ٦٨٥ واستتب الامر لمروان في الشام ومصر ولابن الزبير في العراق والحجاز واليمن :

عدد ٦٥ — وفي هذه السنة نفسها توفي مروان فبويع ابنه عبد الملك : وفي أيامه خرج المختار بن عبيد الثقفي في الكوفة وتولى الانتقام للحسين بن علي فقتل كل من اشترك في مطاردته وقتله واستتب له الامر حتى قتله المصعب أخو عبد الله بن الزبير وتولى العراق مكانه من قِبل أخيه ٦٨٧ : أما عبد الملك فانه قد أراد في أول خلافته أن يحتاط لداخليته ويتفرغ بعد ذلك لامر الخوارج : فاهتم من ثم بادىء ذي بدء في تجديد عهد الصلح الذي كان ابرمه معاوية الاول مع ملك الروم : فأرسل في ذلك رسلاً الى الملك وتعهد بأن يقدم ثلاثمئة وخمساً وستين وزنة من الذهب ومثل هذا العدد من المماليك والخيول الكريمة على ما روى ثوفان المؤرخ الرومي في تاريخ سنه ٦٧٦ بحسب خطته وهي توافق سنة ٦٨٥ على رأي المحققين

والظاهر انه في هذه الاثناء كان قد توفي الملك قسطنطين اللحياني وخلفه ابنه يستنيان المعروف بالاخرم على عرش مملكة الروم وكان فتى غراً يكاد يبلغ السادسة عشر من عمره . فخابره رسل عبد الملك الخليفة في أمر تجديد هذه المعاهدة والاتفاق

على ابرام عهد الصلح من جديد . وفي سنة ٦٨٦ قد ابرم عهد الصلح المطلوب بالشروط الموافقة للفريقين(١) وبعد ما ارتاح باله من هذا القبيل أخذ يهتم في أمر

(١) واليك ما جاء في تاريخ هذه السنة لثوفان المؤرخ الرومي : قال ما ترجمته حرفياً عن الترجمة اللاتينية «وفي هذه السنة أرسل عبد الملك رسلاً الى يستنيان لاجل اقرار عهد الصلح وقد تم عقده بالشروط الاتية أي أن يقمع الملك جيش المردين الذي كان يسطو من لبنان وأن يمنع غزاواته : أما عبد الملك فيقدم كل يوم للملك الف دينار من الذهب وفرسين ومماوكاً : وان كلا الملكين يقتسمان بينهما مداخيل قبرس وأرمينية وإيبارية قسمة سوية : فأوفد الملك بولس الفقيه الى عبد الملك لاجل ابرام عقد الصلح بصكوك مكتوبة أمام شهود : وكان لهذا الفقيه استقبال حسن : ومن بعد قضاء هذه المهمة عاد الى الملك وهذا اصدر امراً الى المردين فأخذهم في نحو اثنتي عشرة الفاً من المحل المذكور ودك بذلك القوة الرومية لان تلك المدن التي كان يسكنها العرب على قمم الجبال من حد المصيصة الى ارمينية الرابعة كانت قد أصبحت كلها ضعيفة العدة خالية من السكان بسبب غزوات المردين الذين ذُللوا بعد ذلك : وبالواقع فان المصائب والبلايا قد حلت صنوفاً منذ ذاك اليوم حتى الان على الاقطاعة الرومية بفعل العرب»

وقد روى البلاذري المؤرخ العربي الشهير المعاصر تقريباً لثوفان المذكور في كتاب تاريخ فتوح البلدان في هذا الموضوع نفسه ما حكايته قال : «حدثني مشائخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج بين بياس وبوقا يقال لها الجرجومة وان امرهم كان في أيام استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريرك انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم اذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم ولم يتنبهوا عليهم : ثم أن أهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الامان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية وأن ينفلوا اسلاب من يقتلون من

الخوارج . فكاتبه في سنة ٦٩١ أهل العراق بتخليهم عن المصعب بن الزبير فسار اليه بجيشه وقتله واستولى على العراق . وفي سنة ٦٩٢ أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش كبير على عبد الله بن الزبير فقتله بمكة سنة ٦٩٣ وأخضع الحجاز

عدو المسلمين اذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الانباط وغيرهم وأهل القرى في الصلح فسموا الرواديف لانهم تلوهم وليسوا منهم : ويقال انهم جاؤُوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف فسموا رواديف : فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرةً ويعوجون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم : فلما كانت أيام ابن الزبير وموت مروان بن الحكم وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليه اياه عهده واستعداده للشخوص الى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى جبل لبنان وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد اباق من عبيد المسلمين : فاضطر عبد الملك الى أن صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مال يؤَديه اليه لشغله عن محاربته وتخوفه أن يخرج الى الشام فيغلب عليه : واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فانه صالحهم على أن يؤَدي لهم مالاً وارتهن منهم رهناء وضعهم في بعلبك : ووافق ذلك طلب عمر بن سعيد بن العاص الخلافة واغلاق أبواب دمشق حين خرج عبد الملك منها فازداد شغلاً وذلك سنة ٧٠ (وهي سنة ٦٨٩) : ثم أن عبد الملك وجه الى الرومي سحيم بن المهاجر .... فقتله ومن معه من الروم ونادى في سائر من ضوى اليه بالامان فتفرق الجراجمة في قرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللكام وأتى الانباط قراهم فرجع العبيد الى مواليهم : وكان ميمون الجرجماني عبداً رومياً لبني ام الحكم .... وانما نسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم » اه

هذا وقد بينا في بحثنا عن أصل الجراجمة والمردة باسهاب اتفاق هاتين الروايتين في المعنى وكيف ترميان الى موضوع واحد مع اختلاف المصادر ونشرنا ذلك في كتاب على حدة عنوانه « البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة » فمن أراد أن يستقصي هذا الامر عليه بمراجعته :

وليمين . ثم ان عبد الملك ولى الحجاج على العراق سنة ٦٩٥ وأطلق يده فيها فقتل شبيباً الخارجي . وخرج عليه بعد هذا عبد الرحمن بن الاشعث وتغلب على خراسان ثم على الكوفة وقويت شوكته . فأمد الخليفة الحجاج بالجيوش من الشام حتى تغلب على هذا الخارجي . وكان لعبد الملك حروب أخرى في خراسان والعراق مع الازارقة والخوارج لازمه النصر في جميعها . وهو أول من صك الدنانير العربية باسمه فما ضه في أمرها يستنديان ملك الروم متوسلاً بذلك الى نقض عهد الصلح واصلاء الحرب . وكان قد استعان بالصقالبة ولما حمي وطيس الحرب بين الروم والعرب خانه الصقالبة وانحازوا الى العرب فدارت الدوائر على الروم وأسر منهم العرب خلق كثير وانهزم يستنديان شر هزيمة

عدد ٦٦ — وفي سنة ٧٠٧ توفي عبد الملك وبويع بالخلافة ابنه الوليد وتمت للعرب على عهده فتوحات كثيرة منها فتح الاندلس على يد طارق بن زياد المشهور وفتح بلاد الترك على يد الحجاج . وفتح الهند على يد محمد القاسم الثقفي . وقد تغلغل مسلمة أخو الخليفة في بلاد الروم غازياً . وتوفي الوليد سنة ٧١٥ . فخلفه أخوه سليمان فخرج بالجيوش لغزو قسطنطينية ونزل بمرج وابق في جهة قنسرين وأرسل أخاه مسلمة مع الجيوش الى عاصمة الروم فحصل لهم مضايق شديدة حتى ارتدوا عنها خائبين بعد ان حاصروها أكثر من سنة :

ومات سليمان سنة ٧١٨ فخلفه عمر بن عبد العزيز وكان زاهداً محباً للسلم وتوفي سنة ٧١٩ : وخلفه يزيد بن عبد الملك واستمر في الخلافة الى سنة ٧٢٤ ثم خلفه اخوه هشام : وفي ايامه غزا اخوه مسلمة آسية الصغرى حتى قسطنطينية فغنم وعاد : وتوفي هشام سنة ٧٤٢ وكان صالحاً جداً وقد راعى النصارى جهده وهو الذي اباح لهم على ما روينا في الفصل السابق عن ثوفان ان يختاروا لهم بطريركاً على انطاكية بعد ان كان هذا الكرسي استمر فارغاً زهاء اربعين سنة بسبب صروف الدهر : وبعد هشام بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولم يطل أمره حتى قتله قومه

وبايعوا يزيد بن الوليد الاول وبقي في دست الخلافة زهاء ستة اشهر حارب في اثنائها اهل حمص ثم اهل فلسطين فذللهم وتوفي في السنة نفسها : فقام بعده أخوه ابراهيم ولم يستقر له الامر حتى خرج عليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير الجزيرة في جيش عظيم مطالباً بالخلافة فاشتبكت الحرب عند دمشق فدخلها عنوة وبويع فيها سنة ٦٤٤ : وكان آخر خليفة من بني امية لان ابا العباس السفاح من بني العباس بن عبد المطلب قد تغلب عليه بعد حروب كثيرة وبويع بالخلافة في نحو سنة ٧٥٠ وقتل مروان وجمهوراً من بني امية وهربت بقيتهم الى تونس في الغرب حيث بايعهم أهلها واستوثق لهم الامر فيها

الفصل الثالث

في النتيجة من الفصلين السابقين
أو في ان المنوثيلية لم تدخل سورية بشكلها في القرن السابع

عدد ٦٧ — كل من أمعن النظر في ما ورد في هذين الفصلين يرى هو أيضاً لا محالة ما نراه نحن من سوء أحوال النصرانية في سورية منذ أوائل القرن السابع فصاعداً بحيث يكاد المسيحيون فيها لا ينتبهون الى ما سوى الوسائل لنجاتهم من طوارق الحدثان ونكبات الحروب والنوائب التي اناخت عليهم بكلكلها من كل جانب : ولكي يفهم المطالع حالتهم اذ ذاك عليه ان يتصور الآن ما حالة اناس جرى لهم بعض ما جرى لابناء سورية في هاتيك الايام : فالفرس قد زحفوا على البلاد بجيوش جرارة نهمة للدماء والنهب والسلب وقد دمروا اكثر المدن والقرى وأتوا من الفظائع ما لا يخطر على بال : بينما كان الروم في ضعف شديد حتى كانت جنودهم تحسب كالغنم المعدة للذبح تجاه فرسان الفرس : وقد والى اليهود الفرس وتذرعوا بكل ما امكن لاجل اضطهاد النصارى والتنكيل بهم حتى انهم أمسكوا انسطاس

بطريرك انطاكية وانزلوا به من العذاب ألواناً فمات بين ايدي معذبيه : كل هذا وملوك الروم منعكفون على أسباب اللهو والترف حتى بلغ العدو عاصمة مملكتهم وكاد يستولي عليها لولا عناية من لدن الله دفعت بهرقل الملك سنة ٦٢٢ الى الخروج في جيش جرار بوجه العدو حتى رده على أعقابه بعد حروب هائلة انتهت بالنصر الباهر على الفرس سنة ٦٢٨ فأعاد بعده الراحة مدة وجيزة الى سورية : أفي مثل هذه الاحوال الحرجة كان ممكناً لاهل سورية ان يشتغلوا في الامور الدينية ويخترعوا المذاهب والبدع في الدين ويعكفوا على ما لا فائدة منه في سبيل النجاة من تلك الشدائد ؟ لعمري انهم اذن لمفتونون جهلة متغفلون وهذا لا يقول به لبيب

عدد ٦٨ — فيمكن والحالة هذه ان يستنتج بكل صواب انهم أي أهل سورية حتى سنة ٦٢٨ لم يكونوا في حالة تسمح لهم بالاشتغال في أمر التفلسف على أسرار الدين واختراع المذاهب الدينية والتفرغ لها : أما هرقل الملك الذي يقال انه كان مناصراً لبدعة المنوثيلية والعامل الأقوى على بثها ونشرها في هذه السنين أي منذ أول ملكه سنة ٦١٠ الى انتصاره على الفرس لم يكن يعلم على ما يظهر كنه هذه البدعة على الاطلاق : ولنا على ذلك دليلان قويان جداً قد لا يمكن ردهما — احدهما ما ذكره ثوفان المؤرخ من ان هرقل وهو راجع من حرب الفرس ظافراً لاقاه اثناس بطريرك اليعاقبة فطلب هرقل منه صورة ايمانه وكلفه بالاعتراف بالمجمع الخلقيدوني واعداً اياه ان يجعله اذا فعل بطريركا عاماً على انطاكية : فقال له اثناس هل اذا اعترفنا بالطبيعتين يلزمنا ان نعترف بالمشيئتين والفعلين ايضاً — فلم يعرف هرقل ما كان واجباً تقريره في هذا المعنى ولهذا أجّل الجواب الى فرصة ثانية — وهذه الشهادة التاريخية تدل دلالة صريحة على ان هرقل لم يكن اذ ذاك عارفاً بكنه المنوثيلية كما قلنا . لان ثوفان مؤرخ دقيق معتبر جداً غير بعيد عن هذا العصر كثيراً وقد تتبع تاريخ المنوثيلية بكل عناية : فلم يكن يفوته والحالة هذه ما اذا كان هرقل تلك السنة جاهلاً كنه المنوثيلية حتى يحتار في أمر

الجواب على سؤال اثناس بطريرك اليعاقبة أو عارفاً بهِ عاملا على نشره وتكليف الناس بالتسليم به : واذ ذاك لم يكن من وجه لقوله انه اجَّل الجواب على هذا السؤال الى فرصة اخرى : ولا يرد على ذلك ما ابداه بعض المحققين من الريب في صحة هذه الرواية لانه انما يتعلق بأمر بطريرك اليعاقبة مع هرقل وليس بأمر هرقل من حيث كان عالماً أو جاهلاً بالمنوثيلية : وهذا لم يكن ليفوت هذا المؤرخ الجليل القدر وهو في نفس قسطنطينية اذا فاته أمر التدقيق في ما دار بين البطريرك والملك من الحديث

عدد ٦٩ — والدليل الثاني وهو أقوى جداً من الاول انما يؤخذ من رواية المؤرخ الشهير ديونيس التلمحري وقد ذكرناها في ما مضى (راجع عدد ٤٠ اثره). فيتحصل من هذه الشهادة ان هرقل الملك عند عوده من حرب الفرس ظافراً لم يكن له أقل هم من حيث الدين الا أن يحمل الناس على الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني والتمسك به ولو بالاكراه . بدليل ما جرى له في الرها مع اشعيا مطرانها اليعقوبي . ثم في منبج حين مثل لديه اثناس بطريرك اليعاقبة ومعه اثنا عشر مطراناً فكلفهم بالاعتراف بالمجمع الخلقيدوني[1] واذ ابوا غضب عليهم

---

(١) ان هذه رواية التلمحري قد رواها ابن العبري ويظهر من كلامه انه انما نقل في كتابه كل تاريخ التلمحري بالحرف الواحد : وقد ظهر كتاب تاريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي الذي نشره موخراً الاب شابو مترجماً الى اللغة الافرنسية وهو يقول انه اعتمد رواية التلمحري ايضاً : وقد روى هذه الحادثة كما يلي (عن الترجمة الافرنسية) :

« ولما ذهب الملك هرقل الى منبج آتى الى زيارته البطريرك ماراثناس ومعه اثنا عشر مطراناً . . . . وقد مكثوا يتجادلون عنده اثني عشر يوماً : ثم طاب منهم وثيقة بايانهم فقدموا له ما كان قد كتب أعلاه وبعد ان طالعه قد أثنى على ايمانهم وطلب منهم ان ينيلوه شركة المناولة وان يقبلوا الكتابة التي كان كتبها (الاكتاز)

وكتب الى كل المملكة أن من لا يسلم بهذا المجمع المقدس يجدع أنفه وتصلم أذناه ويؤخذ بيته : أكان من الممكن والحالة هذه أن يكون هرقل في هذه الفترة قد عمل على شهر مذهب المنوثيلية في سورية كما أراد بعضهم وهو لم يعرفها على ما يظهر وقد كانت بعد في مهدها عند سرجيس بطريرك قسطنطينية و بعض أعوانه : وقد رأيت انه لم يكلف الناس الا بالاعتراف بالمجمع الخلقيدوني بحسب روايتي توفان والتلمحري المذكورتين آنفاً :

وفيها يعترفان في المسيح طبيعتين متحدتين وارادة واحدة وفعلاً واحداً بحسب تعليم كيرلس : واذ رأوا انه كان موافقاً لنسطور ولاون لم يقبلوه : فغضب هرقل و كتب الى كل مملكته ان الذين لايتمسكون بالمجمع الخلقيدوني تقطع أنوفهم وتصلم آذانهم وتؤخذ بيوتهم : وهذا الاضطهاد قد استمر زماناً طويلاً وكثير من الرهبان قد انحازوا الى المجمع : اما رهبان الموارنة في منبج وحمص وفي البلدان القبلية فقد أظهروا كيدهم وعدد عديد منهم قد قبلوا المجمع واستولوا على اكثر الكنائس والاديار الخ»

فكل من تبصر في هذه الرواية وفي رواية ابن العبري لكلام التلمحري رأى لا محالة ان ميخائيل الكبير بطريرك اليعاقبة منذ سنة ١١٦٦ الى سنة ١١٩٩ أي في أواخر القرن الثاني عشر لم يكن أميناً في النقل ولكنه قد توسع في الرواية من عند نفسه وشحنها بالغلط وقلة التدقيق وانما ابن العبري (وهو من كتبة القرن الثالث عشر وقد توفي سنة ١٢٨٦) قد توخى نقلها باكثر ضبط وتدقيق بل قد أثبتها بعينها في اصلها السرياني كما صرح هو نفسه على ما رأيت من انه انما ينقل في تاريخه كلام التلمحري بذاته : والا فما معنى قوله في رواية ميخائيل الكبير ان هرقل قد عرض على البطريرك اثناس وأساقفته منشوره الذي كان قد كتبه (وهو الاكتاز) والمشهور انه انما كتبه وأذاعه بعد هذا التاريخ بمدة غير قليلة ؟ وما معنى قوله ان رهبان الموارنة قد قبلوا المجمع الخلقيدوني وهم كانوا من أخص انصاره المناضلين عنه حتى الدم ؟ وكيف يوفق بين تكليفه البطريرك واساقفته ان يعتقدوا بحسب نص منشوره وبين أمره لكل المملكة ان ينكل بكل الذين لا يعترفون بحسب المجمع الخلقيدوني

ومن بعد ذلك قد ذهب هرقل الى اورشليم فالى قسطنطينية : ويقول المؤرخون الثقاة انه قد عاد الى لهوه بالملاذ وأسباب الترف حتى لم يعد يكترث لامر المملكة من كل وجه : الى أن ابتدا الفتح العربي بعد برهة وجيزة في سورية فلم يهتم له في أول الامر كثيراً وانشغل أهل سورية عن أمور الدين بأمر الفاتحين الذين قلصوا ظل الروم عن هذه الاقطاعة وأدخلوها مع غيرها تحت سيطرتهم في مدة يسيرة من الزمن ومنعوا الخلقيدونيين من مطاردة اليعاقبة واضطهادهم الذي كان أمر به هرقل ملك الروم بدليل ما قاله التلمحري بحسب رواية ابن العبري في آخر هذه الفقرة عينها وهو كما يلي. « ولكن اله النقمة قد أرسل العرب لينقذونا من الروم أما كنائسنا فلم ترد الينا لان كل فريق حفظ كل مايملكه. بيد اننا على الاقل قد نجونا من كيد الروم و بغضهم لنا »

عدد ٧٠ — فيستنتج من ذلك ان المنوثيلية لم يكن لها من أثر بشكلها المعروف في كل سورية حتى الفتح العربي . ولما كانت هذه البدعة قد نشأت كما رأيت في قسطنطينية على يد سرجيس بطريركها وظهرت في الاسكندرية على يد قورس بطريركها أيضاً ولم يصدر منشور هرقل المشهور بشأنها الا بعد خروج سورية من يد لروم وتسلط العرب عليها : فمن البين الذي لا ريب فيه انه لم يبقَ من مجال لدخولها في سورية لا من هذا الباب ولا من سواه : لا سيما وأهل هذه الاقطاعة كانوا اذ

دون أقل ذكر لمنشوره المذكور ؟ فكل ذي لب ممن لهم أقل المام بهذا التاريخ يرى ان رواية ابن العبري بهذا الصدد أقرب الى الحقيقة واكثر تدقيقاً وهي أجدر بان تنسب الى التلمحري من رواية ميخائيل الكبير الذي كتب باللغة العربية وقد توسع كثيراً من عنده في ايرادها وتصرف بها تصرفاً سيئاً : ولا نظن ابن العبري الا قد اطلع على ما رواه ميخائيل الكبير وهو قريب جداً من عهده فلم يحفل بها على مايظهر لان الاصل السرياني كان بيده ولم يعول في شيء على هذا كتاب ميخائيل المذكور والله أعلم :

ذاك مشغولين في أمر نفسهم بسبب فتوحات العرب وتغيير الاحوال المدنية في كل أمر : ولم يكن اذ ذاك في انطاكية بطريرك شرعي يعتني بأمر الرعية من الجهة الدينية حتى يمكن أن يقال ان المنوثيلية قد نشرت بواسطته اذا كان من مجال للاشتغال بها : ذلك فضلاً عن أن المواصلات كانت قد انقطعت تمام الانقطاع بين سورية وقسطنطينية لان العرب قد شغلوا الروم بالغزو والفتوحات والحروب المتواصلة حتى انهم هاجموا عاصمة المملكة مراراً وكادوا يفتحونها حتى سنة ٦٧٦ اذ عقد الصلح الاول بين معاوية خليفة المسلمين وقسطنطين اللحياني ملك الروم : وبعد ذلك بنحو أربع سنوات عقد المجمع السادس المسكوني في قسطنطينية ضد البدعة المنوثيلية : وكثير من أساقفة سورية وسائر الجهات التي كان العرب قد استولوا عليها لم يستطيعوا الحضور اليه على ما روي في أعمال هذا المجمع وتاريخه : ثم لم يشهر بعد ذلك في سورية لانه كان من العادة أن تذاع تحديدات المجامع العامة بأمر من ملوك الروم لكل المملكة وقد جرى الملك قسطنطين على هذه العادة الا أن منشوره بشأن اذاعة هذا المجمع لا يمكن أن يكون بلغ اذ ذاك الى سورية لا بواسطة الحكومة التي لم يكن لها من سبيل في هاتيك الظروف الى ذلك . ولا بواسطة البطاركة اذ لم يكن فيها بطريرك شرعي حتى يشهر ذلك على رعيته بوجه مشروع على ما رأيت في محله :

عدد ٧١ — ومما يدل على أن أمر المنوثيلية بشكلها المشهور لم يكن معروفاً في ذاك العصر في سورية ما يأتي من الاعتبارات التاريخية المبنية على الآثار الثابتة وذلك أولاً ان اليعاقبة أنفسهم (وقد رأت أن هذا المذهب يوافق مذهبهم من عدة وجوه بل يرجع اليه بالنتيجة وان أخص الذين قاموا به انما كانوا منهم (أي من المنوفيزيين) لم يكونوا يكترثون له أو يعلمونه أو يجادلون به في كل سورية كل هذه الفترة : مع انه اذا صحت رواية ثوفان المؤرخ عن مخادعة اثناس بطريركهم لهرقل الملك بشأن تقريره يكونون أول من قالوا به وانتصروا له في هذه المقاطعة كما لا

يغرب : ولا نظن والحالة هذه ان المجادلة الدينية التي حصلت سنة ٦٥٩ في دمشق الشام بين ثودورس وسبخوت أسقفي اليعاقبه وبين الموارنة (راجع أثر ٦ عدد ٤١) دار فيه الكلام على معنى المنوثيلية : لانه لو سلم به الموارنة ودافعوا عنه كما قد يظن لانتصر عليهم اليعاقبة لا محالة لما لا يند عن اللبيب من ان معنى اليعقوبية يستنتج عنه طبعاً :

عدد ٧٢ — ثانياً ان قسطنطين كاهن كنيسة افامية الذي ظهر في الجلسة السادسة عشرة من المجمع المسكوني السادس وعرّف نفسه فيها بقوله « أنا كاهن من كنيسة افامية المدينة المقدسة التي في اقليم سورية الثانية وقد سامني كاهناً السيد ابراهيم أسقف اريتوزة (وهي الرستن) » فهذا اذ كلفه اباء المجمع ان يتلو صورة ايمانه فوراً دون ان يمهلوه بحسب التماسه ليكتبها بالسريانية ويقدمها لهم قد قرر ما كان يفهمه من هذه القضية فاذا هو مخالف لتعليم المنوثيلية وموافق تمام الموافقة للتعليم الارثوذكسي من حيث ما يتعلق بمشيئتي المسيح وفعليه حتى القيامة : والذي وافق به المنوثيلية فانما هو في القسم الثاني مما يتعلق بالفادي الالهي من بعد القيامة وقد قال صريحاً بانه قد تلقنه عن مكاريس بطريرك انطاكية عند ما قابله في نفس قسطنطينية التي لم يغادرها منذ سمي بطريركاً الى ذاك الحين كما هو مشهور : (راجع عدد ٣٥ حاشية) فلو كانت المنوثيلية في ذاك العصر معروفة في سورية وعلى الخصوص في جهات افامية حيث عظمت سيطرة رهبان القديس مارون وأتباعهم لعرف هذا الكاهن (الذي لا ندري كيف وصل الى ذاك المجمع من هذه الاقطاعة وتكلم فيه عن نفسه فقط على ما يظهر) كيف يبسط هذا التعليم الذي يدافع عنه هو وقومه في بلاده (لو صح ذلك) ولما كان من مجال لان يصرح بانه انما تعلّم ما قرره من مكاريس بطريرك انطاكية الذي لم يقابله الا في نفس العاصمة : ثم لو كان من شبهة لاباء هذا المجمع في كون أهل سورية الثانية وطن قسطنطين الكاهن المذكور انما كانوا على هذا المذهب الوخيم ولم يفهموا منه خلاف ذلك لما أغفلوا

سؤاله عن ايمان قومه وأهل وطنه من هذا القبيل ولما تغاضوا عن ذكرهم بعد هـذا المجال الذي فتح لهم هنا : وعندنا انهم قد سألوه عن ايمان قومه بهذا الموضوع وهذا مادعاه الى التصريح بانه انما تلقن ذلك عن مكاريس البطريرك وفهموا منـه ان اعتقاد أهل سورية الثانية على الاقل كان على غير هـذا الوجه ولهذا لم يجدوا من سبيل للكلام عنهم كما لا يغرب عن ذي بصيرة : وهذا كله مما يدل دلالة صريحة على ان الموارنة الى ذاك الحين لم يكونوا عارفين بالمنوثيلية :[1]

عدد ٧٣ — ثالثاً ان النصارى الذين اختلطوا بعضهم ببعض في جبل لبنان لذاك العهد متفقين على مناوشة العرب وتضعيف قوتهم وسيطرتهم في سورية وما جاورها وهم المعروفون في الآثار التاريخية بخيل الروم وقائدهم والمرديين أو المردة (اذا لم يكونوا هم اياهم) والجراجمة والانباط والاسرى والوطنيين أي أهل جبل لبنان كما روى ثوفان والبلاذري وغيرهما (راجع عدد ٦٣ و ٦٤ حاشية) يظهر انه لم يكن بينهم اختلاف في المذهب الديني والا لما اتفقوا بعضهم مع بعض كل هذا الاتفاق على مناصرة ملوك الروم في تلك الاحوال مما يدل على انهم انما كانوا على مذهبهم بالتمام : والا لصح لهم ان يقولوا ما قاله اليعاقبة هاتيك الايام بحسب رواية ابن العبري عن التلمحري المذكورة آنفاً من ان الله النقمة قد أرسل العرب لينقذوهم من كيد الروم وجورهم : على ان ذلك لا يتفق مع ماعمل المرديون أو المردة ومن ضوى اليهم في جبل لبنان من مناصرة الروم على العرب : والا فيجب ان يستنتج

---

(١) فاين هـذا من كلام المؤرخ اليعقوبي المجهول الذي نقله حضرة الاب العلامة رنزفال اليسوعي عن المجلة الاسيوية الالمانية في مجلة المشرق البيروتيـة (٢ : ٤٥٧) وهو مشحون بالاغلاط التاريخية التي بينها حضرة ناشرها في الحواشي وفيه ان « هرطقة الموارنة » وهو يريد المنوثيلية قد ظهرت في أيام يستنيان وقسطنطين الخ : وقد ذكرنا نحن ذلك ورددناه في كتابنا عن أصل الجراجمة والمردة (ص ٤٤ و ٤٥) وزيفناه في حاشية مسهبة ولم نرَ انه مما يستحق الذكر في هذا الكتاب :

انهم تجاه هاتيك الظروف لم يكونوا ليلتفتوا الى المذهب وقد ضمهم جميعاً اسم الدين المسيحي والغرض العمومي : وعندنا ان الوجه الاول أولى وأقرب الى المعقول في تلك العصور التي كانت فيها الحرب بين النصارى في سورية بسبب اختلاف المذاهب الدينية على قدم وساق : وهؤلاء قد استمروا منضمين معاً بمحبة ووئام يحاربون يداً واحدة لغرض واحد مدة نحو اثنتي عشرة سنة : والحال ان مذهب ملوك الروم هاتيك الايام انما كان كاثوليكياً قويماً . فاذن . . . .[١]

---

(١) يظهر بعد هذه الاعتبارات المبنية على تواريخ تلك الايام ان اسم «الملكية» قد نشأ في هذه الاثناء التي فيها كانت النصرانية في سورية مقسومة الى فئتين خاصةً أحداهما اليعقوبية وقد رأت في تقلص ظل الروم وسيطرتهم عن سورية فرجاً كبيراً لها حتى عدت ذلك من عناية إله النقمة الذي خلصها من جور الروم على ما رأيت : والثانية الخلقيدونية وهم الذين كان ملوك الروم أيام سطوتهم على سورية يأخذون بيدهم وينصرونهم على اليعاقبة حتى تمكنوا من أخذ الكنائس منهم على عهد هرقل وقد ظهروا عليهم في كل أمر كما رأيت في رواية التلمحري : ولما تغلب العرب على الروم في سورية ومدوا حكمهم وسيطرتهم عليها ومنعوا تعدي الخلقيدونيين على اليعاقبة وافق ذلك بالطبع حالة اليعاقبة دون الخلقيدونيين الذين كان أحب اليهم أن يرجع الروم الى الحكم في سورية ليرجعوهم الى ما كانوا عليه من حسن الحال : ولهذا نرى هذه الفئة من النصارى ما برحت في كل فرصة توالي ملوك الروم وتنتصر لهم في السر والجهر عند الامكان كما ذكر البلاذري عن الجراجمة وكما جرى لها في جبل لبنان فدعتها لذلك الفئة الاخرى عدوتها باسم الملكية لموالاتها ملوك الروم ولاجل تنبيه خواطر العرب اليها من قبيل المكر والكيد حتى تستأثر هي وحدها بالنفوذ عندهم : ولهذا فان كل الخلقيدونيين كانوا في ذلك الحين يدعون بهذا الاسم أي « الملكية » كما يظهر من كلام حبيب بن خدمة بن أبي رايطة اسقف تكريت اليعقوبي في رسالته الى أبي العباس البطريق اسوحا بن سباط يطلب فيها أن يجتمع بحضرته مع ثودورس ابي قرة الحكيم وكلاهما من أوائل القرن التاسع (راجع

عدد ٧٤ — رابعاً ومما يؤيد رأينا هذا من حيث ان المنوثيلية لم يكن لها من وجود في سورية حتى أوائل القرن الثامن أن كل المجامع التي عقدت لاجل محاربة هذه البدعة ليس في أعمالها ما يشير الى فئة من فئات النصرانية في سورية انها كانت على هذا المذهب : ثم ان كل الذين كتبوا في ذاك العصر ضد هذه البدعة لم يذكروا أقل شيء من هذا القبيل أيضاً : فلو كان رهبان دير مارمارون وتباعهم في المذهب من هذا الرأي ومن المناصرين له كما يريد بعضهم لما فات أولئك الكتبة الذين حاربوا هذه البدعة بكل جد واجتهاد أن يذكروا شيئاً عنهم ولو بالعرض وما كان هؤلاء ليخفوا على أحد وهم كانوا في ذاك العصر مشهورين بأعمالهم ومقامهم وغيرتهم على الدين القويم ومناضلتهم عنه وتعزيزه بكل معنى : وشاهده ماجرى بينهم و بين أساقفة اليعاقبة من الجدال على أمور الدين في دمشق أمام معاوية سنة ٦٥٩ وكان اذ ذاك سرجيس بن منصور والد القديس يوحنا الدمشقي حياً يرزق وذا مقام لدى الخلفاء و بين نصارى الشام في ذاك العصر بحيث يمكن أن يقدّر بكل صواب انه كان من المتنصرين لهم لدى الخليفة :

أما المجامع التي عقدت لهذه الغاية فهي أولاً مجمع أورشليم الذي عقده القديس صفرون البطريرك سنة ٦٣٥ ودعا اليه أساقفة فلسطين : ثانياً مجمع رومية الذي

مجموعة رسائله الخطية في خزانة باريس الملوكية عدد ١٦٩ ص ٨٧) قال « وأبو قرة العالم ومن رأى رأيه منسوب « ملكياً » خلقيدونياً مكسيمونسياً والاخرون الباقون عليه الثابتون معهم على رجاسة المجمع المبتدع (أي الخلقيدوني) يتسمون « ملكيين » خلقيدونيين مارونيين » وهذا على ما نرى أقرب الى الصواب ويؤيده قول ابي رايطة نفسه في أول هذه الفقرة عينها وهو « فان قالوا أن الفرق المشهورة بالنصرانية ثلاث أعني اليعقوبية والملكية والنسطورية . . . » ثم جاء في مقدمة رسالة عبد الله بن اسماعيل الهاشمي الى عبد المسيح الكندي عند تعداده الفرق النصرانية المعروفة في عصره انها انما هي هذه الثلاث فقط :

عقده البابا تودورس سنة ٦٤٦ . ثالثاً مجمع رومية الثاني الذي عقده البابا مرتينس سنة ٦٤٩ . ثم مجمعان عقدا في مديولان بايتالية سنة ٦٧٩ ثم مجمع رومية الثالث سنة ٦٨٠ الذي كان على سبيل المقدمة للمجمع السادس الذي عقد بعد ذلك في قسطنطينية وترأس عليه معتمدو البابا اغاثون . ثم مجامع في أفريقية عني بعقدها القديس مكسيمس المعترف . ثم مجمع القصر الذي سعى بعقده يستنيان الاخرم ملك الروم سنة ٦٩٢ . وهذا وان كان لا يعتبر شرعياً فانه قد جدد البحث أيضاً عن بدعة المنوثيلية واشياعها وحرمهم جميعاً وهو من هذا القبيل يدعم حجتنا ، ثم مجمع آخر عقد أيضاً في قسطنطينية سنة ٧١٥ دفعاً لهذه البدعة :

وأ ا الذين كتبوا في ذاك العصر بهذا الموضوع على وجه التخصيص فما عدا القديس صفرون والقديس مكسيمس المعترف وغيرهما من أبطال الدين القويم حسبنا أن نذكر القديس يوحنا الدمشقي وحده هنا . فهذا الملفان العظيم قد قضي معظم حياته في دمشق الشام وكان فيها ذا مكانة ونفوذ ثم في دير القديس سابا بالقرب من أورشليم حيث اعتزل عن العالم وقد ترك لنا بين موءلفاته العديدة كتاباً بديع الوضع في أمر المنوثيلية وتفنيدها ولم يذكر فيه أقل شيء مما يشير الى وجود هذه البدعة عند فئة من نصارى عصره في سورية : ومن المعلوم ان هذا القديس ولد في دمشق نحو سنة ٦٧٦ وتوفي نحو سنة ٧٥٥ ولا يمكن أن يقدّر بصوابانه كان يجهل وجود رهبان دير مار مارون واتباعهم في سورية : وعلى الخصوص اذا سلمنا بأنه ذكرهم مرتين في بعض كلامه عن مقالة التريساجيون وعن الرأي القويم كما يريد بعض الكتاب على ما ذكرنا غير مرة :

فمن كل ذلك يظهر لكل ذي بصيرة وانصاف ان بدعة المنوثيلية على شكلها المعروف لم يكن لها في سورية من وجود حتى أوائل القرن الثامن وبالاحرى من اشياع ومناصرين اطلق عليهم اسمها افرازاً لهم عن سائر الفئات النصرانية :

الفصل الرابع

في ما يدعم النتيجة السابقة من الآثار التاريخية
أو
في المنوثيلية والموارنة منذ أوائل القرن الثامن

عدد ٧٥ — ومما يزيد هذا الرأي بياناً ورسوخاً أثر تاريخي مهم جداً بهذا الصدد جاء في تاريخ ديونيس التلمحري بطريرك اليعاقبة بحسب رواية غريغور بن العبري الجاثليق اليعقوبي الشهير والبطريرك ميخائيل الكبير اليعقوبي اللذين أثبتنا بين التواريخ التي أبقياها لنا تاريخ هذا ديونيس المذكور بحروفه وهو مؤرخ معتبر جداً عند أهل التحقيق كما ذكرنا سابقاً :(١)

فقد روى ابن العبري عن هذا المؤرخ الجليل الشان (فصل ٢٠ من مقالة ١٠ من تاريخه السرياني) ما ترجمته الحرفية

---

(١) ولكي نزيدك بديونيس التلمحري معرفة فاعلم انه عاش بين القرن الثامن والتاسع لانه من المحقق انه ارتقى الى البطريركية سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٤٥ على ما جاء في قصته في تاريخ ميخائيل الكبير الذي عني بنشره حديثاً مترجماً بالافرنسية حضرة الاب شابو في باريس : وقد جاء في تاريخ ميخائيل هذا وفي تاريخ ابن العبري أن كلاً منهما قد ضمن في كتابه تاريخ التلمحري برمته الذي يبتدئ بذكر أخبار موريق ملك الروم أي منذ سنة ٥٨٢ الى سنة ٨٤٣ المسيحية : وهو من المحققين خاصة في ضبط تواريخ الوقائع التي يذكرها : ولرواياته اعتبار غير قليل عند أهل البحث والتنقيب وكثيراً ما استند اليها المطران يوسف داود في كتاب «جامع الحجج الراهنة» واستخلص منها النتائج على ايثاره معتمداً على رواية بن العبري وهو عندنا آمن في النقل من ميخائيل الكبير على ما بيناه غير مرة :

١ الأثر الثامن

« لقد سبق لنا ان تكلمنا عن هرطقة مكسيمس وكيف أدخلها « قسطنطين بعد ان كان أبادها والده قسطان[١] : والآن نتكلم عن « الشقاق الذي وقع بينهم في هذه السنة وهي سنة ١٠٣٨ اليونانية بسبب « هذه الهرطقة ومقالة - يامن صلبت لاجلنا - »[٢]

« فهذا المذهب قد حصل التمسك به في بلاد الروم منذ عهد « قسطنطين : اما في بلاد السريان فلم يكن قد قبل قط : ولكنه قد

---

(١) قوله « هرطقة مكسيمس » يريد به مذهب الطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح الذي اشتهر القديس مكسيمس المعترف بالمناضلة عنه حتى الدم : وهو المذهب الكاثوليكي القويم . ومن الغريب أن ينسبه هذا المؤرخ وغيره أيضاً في سورية الى مكسيمس هذا مع أن أول من تصدى للمدافعة عن هذه الحقيقة ضد مذهب المونثيليين انما كان القديس صفرون بطريرك أورشليم كما رأيت مما سبق بيانه : أما قوله « وكيف أدخلها قسطنطين في كنيسة الروم » فيريد به قسطنطين الرابع المعروف باللحياني الذي انتصر لهذا المذهب القويم وتسبب بعقد المجمع السادس في قسطنطينية ضد المونثيلية كما هو مشهور : ويتحصل من قوله انه أدخلها في كنيسة الروم أن منشوره الذي أذاع به أحكام هذا المجمع لم ينشر الا في كنائس الروم حيث كانت له السيطرة على إذاعته واجبار المؤمنين على العمل بحسبه : وانه لم يحصل مثل ذلك في سورية كما يرى المتأمل

(٢) قوله « الذي وقع بينهم » يريد به بين الخلقيدونيين كما سترى : وقوله سنة ١٠٣٨ يونانية فهي توافق سنة ٧٢٧ مسيحية : وسترى في الفقرة التي تلي هذه تفصيل خبر هذا الشقاق :

« زُرع الآن بواسطة المسبيين والمجلوين الذين خرجوا في جيوش العرب [1]
« وقد انفسد خاصة بهذا المذهب لاجل خاطر الروم أهل المدينة
« ومطرانهم ورؤساؤهم الذين منهم سرجيس بن منصور [2] الذي كثيراً
« ما كان يضايق المؤمنين الذين في دمشق وحمص مكرهاً اياهم على نبذ
« مقالة — يامن صلبت لاجلنا ارحمنا — من التسبحة المثلثة التقديس
« وعاملاً على جذب كثيرين من ذوينا الى هرطقته : وقد انفسد ايضاً
« بهذه الهرطقة كرسي أورشليم وانطاكية والرها وغيرها من المدن
« التي كانت في حوزة الخلقيدونيين منذ عهد هرقل »

فيتحصل من هذه الفقرة التاريخية التي ليس بين أيدينا أقدم منها ولاأصرح بهذا الصدد ان أهل سورية قبل أواسط القرن الثامن للمسيح لم يكونوا يعرفون شيئاً من أمر المنوثيلية : أو على الاقل لم يكن جمهور المؤمنين على بينة منها ولاعلماء سورية في ذاك العصر كانوا يتعرضون للجدال في معنى هذه القضية بوجه من الوجوه اذ ليس من أثر يدل على ذلك : وانما كانوا مستمرين على ما كانوا عليه عندفتوح

(١) قوله « قد زرع بواسطة المسبيين الخ » يتحصل منه لكل لبيب أن هذا المذهب انما دخل الى سورية وعرف فيها بطريقة غير شرعية مما يدل على عدم اذاعة المجمع السادس قانونياً حتى يُعد مخالفوه هراطقة صورياً :

(٢) قوله « أهل المدينة الخ » يريد به أهل دمشق وانما اكتفى بقوله المدينة لانها انما كانت اذ ذاك عاصمة مملكة العرب والكلمة السريانية التي استعملها هنا هي من باب النسبة الى المدينة ومعناها « المدنيون » : ويحرر هذا المعنى قوله .. ومطرانهم .... وسرجيس بن منصور الذي هو والد القديس يوحنا الدمشقي وقد سماه المؤرخ هنا « ابن ماصور » وهو من أعيان النصرانية بدمشق في عصره :

العرب لسورية أي اما نساطرة أو يعاقبة أو خلقيدونيين وهم المتمسكون بتعليم المجمع الخلقيدوني المناضلون عنه حتى الدم مع قطع النظر عن البحث في أمر مشيئتي السيد المسيح وفعليه كما كان مصموتاً عن ذلك في الكنيسة كلها قبل ظهور المنوثيلية في قسطنطينية والاسكندرية خاصة بشكلها القبيح : وهذا المعنى يدل عليه دلالة صريحة قول التلمحري في هذه الفقرة عينها وهو « فهذا المذهب كان قد حصل التمسك به في بلاد الروم من زمان قسطنطين : أما في بلاد السريان فلم يكن قد قُبل قط » : وعندنا أن ليس أصرح من هذا الكلام لاثبات قضيتنا كما يرى كل متبصر خالي الغرض : أما قوله انه « لم يكن قد قبل قط في بلاد السريان » فانما يريد به انه لم يفتح عندهم أحد باباً للجدال في هذا المعنى ولم يعلّمه أحد قبل دخول بعض الروم الى سورية مع جيوش العرب ممن أخذوا في الحروب وأجلوا الى هذه الاقطاعة : وهذا يدل عليه قوله أيضاً « والآن قد زرع بواسطة المسبيين والمجلوّين الذين خرجوا في جيوش العرب » : ويدعم ذلك قوله في أول الفقرة « ولآن نتكلم عن الشقاق الذي وقع بينهم (أي بين الخلقيدونيين) في هذه السنة (وهي سنة ٧٢٧) بسبب هذه الهرطقة (أي مذهب المشيئتين والفعلين) » فيتحصل من ذلك بكل صواب انه قبل هذا العهد (وهو أول الربع الثاني من القرن الثامن) لم يكن من سبيل لحصول أقل شقاق بين الخلقيدونيين لان الجدل في أمر هذه القضية الجديدة بالنسبة اليهم لم يكن معروفاً عندهم ولم يفتح له أحد باباً قبل اختلاط الروم من المسبيين والمجلوين بهم كما رأيت مما يدل أيضاً على أن أحكام المجمع السادس الذي حرم المنوثيلية لم تكن قد أذيعت اذاعة مشروعة في سورية كما ذكرنا غير مرة[1]

---

(١) ومما يثبت قول التلمحري من أن هذا التعليم الجديد قد دخل الى سورية بواسطة المسبيين من الروم ما جاء في سيرة حياة القديس يوحنا الدمشقي من أن والده قد وجد بين الاسرى في دمشق راهباً ايتاليي الاصل فحدثه عما يعرف من العلوم واذ

عدد ٧٦ — فاذا صح ذلك نتج عنه أيضاً بكل صواب ان هذا المذهب (أي مذهب المشيئتين) لما كان قد دخل اذ ذاك حديثاً في سورية بطريقة غير شرعية لانه لم يذع بواسطة السلطة العلياء المعتادة في الكنيسة بل على يد بعض المسبيين والمجلوبين من الروم: ناهضه لذلك بعض الخلقيدونيين لانهم لم يفهموه كالواجب بل رأوا فيه روح النسطورية المحض: وهذا أيضاً مما يدل على انه لم يدخل عليهم من طريقه الشرعية على ما تحدد في المجمع المسكوني السادس: وهؤلاء الخلقيدونيين الذين رفضوه وناهضوه بهذه الحجة انما كانوا من رهبان دير القديس مارون واتباعهم المنتمين اليهم والمرتشدين بتعاليمهم: وهم كما رأيت حتى الآن خصوم اليعاقبة الالداء حتى الدم بحيث لو شعروا ان هذا الرأي المعاكس لهذا المذهب الجديد (بالنسبة اليهم) يوافق رأي المنوفيزية لما تمسكوا به بوجه من الوجوه:

ومما يثبت قولنا بانهم انما رفضوا هذا المذهب لانهم لم يفهموه بل انسوا منه موافقة النسطورية ما رواه أيضاً ديونيس التلمحري في تاريخه المذكور بعيد الفقرة التاريخية المثبتة آنفاً: وهذا كلامه بعينه مترجماً عن السريانية بكل تدقيق وهو كما يلي:

وجده على جانب عظيم منها طلبه من الخزينة فوهبه له: فجاء به الى بيته ودفع اليه ولده يوحنا ليلقنه هذه العلوم وهو يعتقد أن العناية قادته اليه لهذه الغاية: وأول ما باشر يعلمه هذا الراهب للتلميذ الشاب المتوقد الذكاء انما كان أصول اللغة اليونانية: — وقرأت في رسالة لصليب بن يوحنا القس الموصلي النسطوري وجدتها في جملة كتاب له عند الخوري بطرس عابد وكيل بطريرك الكلدان في مصر (ص ٧٣) ما حكايته حرفياً «واعتقد هذا المذهب أعني بالمشيئتين سرجون بن منصور خازن مروان بن الحكم وعبد الملك ابنه وطالب النصارى في مملكة العرب باعتقادهم ذلك واضطرهم اليه» وفي هذا ما يوافق رواية التلمحري ويدعم قضيتنا من أن هذا المذهب لم يعرض في سورية من سلطة شرعية

٢ تابع الأثر الثامن

« امارهبان دير مارون وأسقف محلهم ومعهم بعض الناس فلم يقبلوا « هذا المذهب ولكن أهل المدينة والاسقف قبلوه : وقد حصلت « منذئذ حرومات ومشاجرات في الجدال بين الخلقيدونيين لا يحصى « عديدها : فان حزب الموارنة كانوا يعيرون المكسيمينيين بقولهم — « انكم نساطرة ورفاق الوثنيين واليهود فلا تقولون ان المسيح هو الله « الذي قد ولد من البتول وانه قد تألم وصلب بالجسد : بل انه انسان « بحت ذو اقنوم ذاتي وان الله قد تركه متباعداً عنه وانه قد خاف وجزع « من الموت ولهذا هتف يا أبت ان كان مستطاعاً فلتعبر عني هذه « الكاس ولكن فلتكن لا ارادتي بل ارادتك : كأن للابن ارادة مختلفة « عن ارادة الأب أو ان في المسيح ارادتين مختلفتين ومتضادتين « ومتحاربتين وعدوتين معاً —(١) »

---

(١) يظهر ان مادعا رهبان مارمارون الى رفض هذا المذهب ومعارضته انما هو سوء التفاهم لانهم على ما يؤخذ من كلامهم هنا وخاصة عند قولهم « بل انه انسان بحت ذو اقنوم ذاتي » كانوا يفهمون ان الارادة والافعال انما تنسب الى الاقنوم ولهذا لم يسلموا بالمشيئتين والفعلين لئلا يقعوا في النسطورية من حيث وجود اقنومين في المسيح وهذا ما حرمه مجمع افسس والمجمع الخلقيدوني ولو كانوا يسلمون بالطبيعتين الحافظتين خواصهما : فكأني بهم يحسبون الخواص غير المشيئة والفعل : وهذا خطأ . . .

« اما المكسيمينيون فانهم كانوا يعيرون حزب الموارنة قائلين —
« انكم لا تؤمنون بحسب تحديد المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون بان في
« المسيح طبيعتين عداً حافظتين خواصهما وأفعالهما بلا نقصان ومن ثم
« فارادتان ففعلان مميزان : بل تعترفون نظير قورلس وساويرس ان في
« المسيح اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة فارادة واحدة وسلطاناً واحداً
« وأمراً واحداً — : وكانوا لذلك يدعونهم ساويريين ويعاقبة مؤلمي
« اللاهوت »

« وانما كان هؤلاء يقولون حسناً عن أولئك لانه اذا كان طبعان
« وكان المسيح محسوباً اثنين يحفظ كل منهما خواصه وأفعاله بحسب
« رسالة لاون وتحديد المجمع الخلقيدوني فيجب ان يؤمنوا بلا اشكال
« انهما ارادتان وفعلان وايضاً طبعان فاعلان آمران : وأنا أقول اذ ذاك
« فابنان فمسيحان : وقد كان الواجب بحكم العدل والصواب الاّ يكون
« من خلاف بين المكسيمينيين والخلقيدونيين بسبيل الايمان : اذ انهم
« جميعاً يعترفون بحسب تعليم لاون والمجمع الخلقيدوني »[1]

---

(١) يظهر من تعيير المكسيمينيين للموارنة هنا ان الخلاف بينهما انما كان ناشئاً عن سوء التفاهم الذي أشرنا اليهِ في الحاشية السابقة : وهو من حيث نسبة الادارة والفعل الى الاقنوم والتمييز بين هذه وخواص الطبعين المحفوظة لكل منهما بحسب تعليم القديس لاون والمجمع الخلقيدوني : وقد قام الخلاف هنا على شرحهِ وتفسيره : وفي الحقيقة ترى الموارنة قد سقطوا بذلك في معنى المنوفيزية من حيث لا يدرون لانهم كانوا يعتقدون مع هذا انهم انما يحافظون على روح تعليم المجمع الخلقيدوني كما يظهر

عدد ٧٧ — فيتحصل من هذا الاثر التاريخي المعتبر ما يأتي من النتائج الطبيعية بكل حق وصواب :

أولاً ان قوله هنا « أما رهبان دير مارون . . . فلم يقبلوا هذا المذهب » فيه ما يدل على حداثة ظهوره في سورية كما بينا في العدد السابق فظنوه مخالفاً لتعليم المجمع الخلقيدوني : ثم على انه لم يعرض من ذي سلطة شرعية علياء والا لما كان من سبيل للجدال في أمره : ولا يمكن أن يستدل منه انهم أي الموارنة كانوا على المنوثيلية لانهم كانوا على ما يظهر والفريق الآخر من مذهب واحد وهو المذهب الكاثوليكي الخلقيدوني ولهذا كانوا يسمّون جميعاً خلقيدونيين قبل هذا الشقاق المستحدث واستمر هذا الاسم يجمعهم بعده أيضاً :على انه لو كان المذهب المنوثيلي قد ظهر في سورية قبل هذه الفترة التي يعينها التلمحري هنا لظهر فيها أيضاً من يدافعون عنه أو عن نقيضه الذي هو المذهب الكاثوليكي كما جرى في كل الجهات

لكل من تبصر جيدا في معاني هذا الكلام بجملته : واما قولهم للموارنة انهم انما يعترفون نظير قورلس وساويرس الخ فهو غير صحيح بل من باب التعيير والاستهزاء لانهم كانوا لا يزالون يعترفون بطبعين واقنوم واحد في المسيح وان الطبعين قد حفظا خواصهما : وانما الخلاف واقع بين الفريقين على تفسير معاني الكلمات بحسب اصطلاح الفلاسفة في ذاك الزمان : وهذا مما يدل عليه كلام المؤرخ الذي يلي ولو انحى باللائمة على الموارنة لسوء الاستنتاج ثم استنتج من كلام خصومهم مثل يعقوبي ما يرميهم بالنسطورية أيضاً من قبيل الداعبة كما يرى المتأمل : اما قوله « نظير قورلس » فهو يريد بهِ القديس قورلس الاسكندري ملفان البيعة المقدسة الموصوف بالبرج المنيع : واليعاقبة انما يفسرون كلامه ضد مذهب نسطور على ما يوافق رأيهم من وجه المغالطة كما أشرنا الى ذلك مرارا في الحواشي التي علقناها على جواب اليعاقبة للموارنة في الفصل الاول من البحث الثالث (عدد ٣٩) ونظن ان المؤرخ هو الذي وضعه هنا مع ساويرس بحسب مدعى اليعاقبة :

التي تلطخت به : والحال اننا لا نجد أقل أثر لذلك قبل هذا التاريخ أي لا من حيث المحاماة عنه ولا من حيث المعارضة له وتقرير نقيضه : ذلك فضلاً عن انه أول ظهور مذهب المشيئتين في سورية انما كان كما يرى المتأمل كتعليم رجل فرد وهو مكسيموس المعترف الذي لم يكن معروفاً عندهم ولم يكن ذا سلطة شرعية في الكنيسة ولهذا نُسب مريدوه الى هذا الرجل المفرد فسموا مكسيمينيين ولو لم يكن هو وحده أول من قام به وناضل عنه كما رأيت : فلو كان هذا المذهب قد دخل الى سوريه بطريقة مشروعة لما نُسب الى رجل فرد كما ذكرنا : بل بالاحرى كان استند الذين تمسكوا به من الخلقيدونيين الى تحديدات المجمع السادس في رد خصومهم ونسبهم هؤلاء اليه كما نُسبوا من قبل المجمع الى الخلقيدوني لمثل هذا السبب عينه لا الى شخص فرد مثل القديس مكسيموس الذي لم يصدع بمثل هذا التعليم لا باسم نفسه ولا من عنديته : ومما يزيد ذلك بياناً قول المكسيمينيين للموارنة « انكم لا تعترفون بحسب المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون » دون أن يذكروا ولو بالتلميح والاشارة لا المجمع السادس وتحديداته ولا سواه :

ثانياً وقوله ان « قد حصلت منذئذ حرومات ومشاجرات بين الخلقيدونيين » فما يثبت هذا الرأي ويحدد وقت حصول الفرقة بين المذكورين الذين كانوا على ما يظهر الى ذالك العهد على رأي واحد وغرض واحد وايمان واحد بدليل انهم كانوا جميعاً يسمون خلقيدونيين وقد استمروا حتى بعد هذا الشقاق الحديث يعرفون بهذا الاسم الجامع ويميزون باسم خلقيدونيين موارنة وخلقيدونيين مكسيمينيين وقد حصل هذا الفرق منذ حصل هذا الشقاق بينهم أي منذ أواسط القرن الثامن :

ويدل ذلك أيضاً على النفور الشديد الذي وقع منذ ذاك الحين بين هاتين الفرقتين بسبب هذا المذهب حتى استمكن من قلب كل فريق منهم وأخذ ملئه بحيث لم يعد أحدهم يطيق الآخر ولا الاشتراك معه فانفصلوا تمام الانفصال في كل شيء كما سترى فيما يلي : أما الحرومات التي يشير اليها المؤرخ هنا فلم تكن تصدر

على ما يظهر عن سلطة شرعية لانه لم يكن اذ ذاك من بطريرك عمومي على انطاكية ليحرم الفريق المخالف لمذهبه فتحصل الجسارة في مخالفته فالعناد والاصرار فالانفصال الشرعي من جسم الكنيسة ونفسها حتى يحسب الفريق المنفصل على هذا الوجه « كوثني وعشار » بحسب قول الرب أي هرطوقيا أو مشاقاً : وانما أراد بذلك ان كل فريق كان يلعن الآخر ويرفض الاشتراك معه ويحرم تعليمه : والظاهر ان ذلك قد ابتدأ حوالي سنة ٧٢٧ لأن المؤرخ قد عين هذه السنة في أول كلامه عن هذا الشقاق كما رأيت في الفقرة الاولى من هذا الأثر :

ثالثاً أما قوله عما كان حزب الموارنة يعيرون به خصومهم أي حزب المكسيميين فهو مما يولي الموارنة عذراً قوياً في عدم قبولهم هذا المذهب الذي دخل عليهم كمستحدث على هذا الشكل الذي أوضحه المؤرخ اليعقوبي : فنفروا منه كل هذا النفور لا سيما وهو على ما اتصل بهم يرمي الى النسطورية المحضة كما ترى من شرحهم له بانه يجعل في المسيح الفادي اقنومين : بل يفضي الى التهود والتوثن لانه يجعل هذين الاقنومين غير متحدين اتحاداً تاماً بالمحبة التى تصيرهما كشخص واحد ولو بالقوى الطبيعية حتى يحصل عنها فعل واحد كما يقول النساطرة : بل حتى يبقى كل اقنوم مستقلاً بقواه وأفعاله بحيث ان الارادة البشرية الضعيفة كالتي عندنا يمكنها ان تعارض الارادة الالهية : ولهذا استنتجوا عن ذلك ان في المسيح « ارادتين مختلفتين ومتضادتين ومتحاربتين وعدوتين معاً » وهذا سوء الفهم انما هو الذي جعلهم يرفضون هذا المذهب الجديد بالنسبة اليهم بهذه الشدة وهم يعتقدون انهم بذلك انما يحافظون على سلامة التعليم الخلقيدوني الكاثوليكي ويحرصون عليه : وبالواقع فان الكنيسة الكاثوليكية نفسها لا يمكنها ان تسلم بالمشيئتين في المسيح الفادي بالمعنى الذي رفضه الموارنة هنا أي من حيث انهما مختلفتان ومتضادتان ومتحاربتان وعدوتان معاً :

عدد ٧٨ — وكأني بالموارنة والحالة هذه يقولون ضمناً انهم يقبلون بالمشيئتين

في المسيح اذا لم تكونا على هذا الشكل الذي وصفنا ولم يتأتَّ عن ذلك ما يرمي الى ما هو أشنع من ضلال نسطور : وبيانه ان الموارنة كخلقيدونيين محافظين أشد المحافظة على تعليم المجمع الخلقيدوني ورسالة القديس لاون الكبير لم يكونوا ليستطيعوا أن ينكروا كون الطبيعتين المتحدتين بأقنوم واحد في السيد المسيح قد حفظتا خواصهما تماماً : بيد انهم قد نسبوا الخواص هنا الى الطبيعة والقوى الى الاقنوم وهذا هو وجه الخطأ وانما هو ناشيء كما لا يغرب عن اختلاف في الطرق الفلسفية واصطلاحات أهل هذا العلم السامي في التعبير : ولهذا فالتلمحري (وهو من زعماء اليعاقبة ولا يدعي بأن الموارنة يعترفون كاعترافه بطبيعة واحدة واقنوم واحد في السيد المسيح كما اتهمهم المكسيميون هنا) يستغرب كل الاستغراب طريقة استنتاج الموارنة ضد خصومهم : ثم يستنتج هو ضد الجميع من مقدماتهم التي هي ان طبعي المسيح قد حفظا خواصهما ما يوافق النسطورية تمام الموافقة لحسبانه أيضاً أن الخواص وهي عين القوى ومبادىء الافعال انما تتعلق بالاقنوم دون الطبيعة : ولهذا فحيث ارادتان وفعلان يجب أن يكون اقنومان : ومن ثم يقول هذا المؤرخ اليعقوبي ما معناه — بما أن المقدمات لا خلاف عليها بين الموارنة والمكسيميين وكلاهما خلقيدونيون لم يكن من العدل والصواب أن يختلفوا في النتيجة التي يظهر منها بلا اشكال ان التعليم الخلقيدوني يوافق النسطوري ويرجع اليه —

عدد ٧٩ — فيظهر والحالة هذه مما تقدم بيانه لكل ذي بصيرة ان الموارنة ومذهبهم في الفلسفة خلاف مذهب المكسيميين قد اضطروا أن يميزوا بين الخواص ومبادىء الافعال فنسبوا الخواص الى الطبيعة ومبادىء الافعال الى الاقنوم حتى يوفقوا بين المجمع الخلقيدوني والفلسفة المعروفة عندهم ويتخلصوا معاً من استنتاجات اليعاقبة الذين لا يفرقون هم ايضاً بين الخواص ومبادىء الافعال وينسبون كل ذلك الى الاقنوم : وهم على ما يظهر من هذا المذهب الفلسفي الخاص :

ومن المعلوم انه في الغالب يحصل خلاف شديد بين خصمين على موضوع

ما لا من حيث الجوهر بل من سوء التفاهم وجهل الموضوع المختلف عليه فيؤدي ذلك بالفريقين المتخاصمين الى اللجاج والمشاكسة والشجار والكيد والعنف والتنافر البليغ والتباعد حتى لا يبقى من سبيل الى التفاهم برواق بال وتجرد فيتمسك كل منهما برأيه على انه مقرون وحده بالصواب : ثم يفترق المتجادلان على قلى وضغينة وجفاء وخصوصاً اذا لم يكن ثمة من رئيس أعلى يرجع اليه في فض المشاكل وفصل الخلاف : كما هي الحال هنا وقد رأيت ما حصل من سوء التفاهم بين الفريقين من الخلقيدونيين مما أدى الى شدة التنافر الذي حصل عنه بينهم كقول هذا المؤرخ « حرومات ومشاجرات في الجدل لا يحصى عديدها »

عدد ٨٠ — ودونك الآن مثالاً مما يثبت ذلك وهو ما ذكره هذا المؤرخ عينه تلو الفقرة المذكورة آنفاً عن حادثة جرت بينهما في حلب وهي كما يلي مترجمة عن الاصل السرياني بالحرف الواحد :

٣ً تابع الاثر الثامن

« فان أهل حلب قد انشطرا الى فرقتين احداهما مع أسقفهم الذي « كان على مذهب المرارنة والثانية مع المكسيميين (١) وقد وقع نزاع

---

(١) وهذا الكلام مما يدل أيضاً على حداثة هذا الشقاق بين الخلقيدونيين : لانه يظهر منه انهم كانوا حتى ذلك العهد على أتم اتفاق وكان أسقف الجميع واحداً وكنيستهم واحدة : فلما حصل هذا الخلاف في المذهب قد انحاز الاسقف الى مذهب الموارنة او حزبهم وتبعه فريق منهم والفريق الآخر تبع حزب المكسيميين وقام بينهم النزاع والحرب الدينية التي كان من نتائجها ما هو مذكور هنا : وتغلب المكسيميون حتى اضطر الاسقف ان يصالحهم وينضم هو وكل حزبه في حلب الى رأيهم وانتهى الاشكال على هذا الوجه وكل ذلك مما يدل أيضاً على حداثة هذا الشقاق

« بينهما على كنيستهم الكبرى التي بناها اقاقيس أسقف حلب : وكان
« كل من الفريقين يدعيها لنفسه وتضاربوا مرات كثيرة في نفس
« الكنيسة : واذ رأي الامير شدة اختلافهم أمر بأن يأخذ كل فريق
« نصف الكنيسة : فأصاب الاسقف والموارنة الجهة الشرقية
« والمكسيميذيين الجهة الغربية : ووضعوا في الوسط قطعاً من خشب
« الدف وأقاموا مذبحاً آخر من الدف لجهة الغرب وصاروا جميعين مبلبلين
« اذ كان كل من الفريقين يرفع صوته كثيراً في وقت الخدمات والقرابين
« ويكثر السجس ليقلق الفريق الآخر : وقد حقروا القرابين بعض
« الاحيان وطرحوها في الارض وكسروا الصلبان وامسكوا بالاحياء بلحية
« الاسقف وبصقوا في وجهه : وكذلك نساؤهم قد دخلن الى المذبح
« بكل جسارة وصرعن الكهنة الاحبار وأخرجنهم الى خارج الكنيسة :
« وعند ما رأى الامير أن قطع كنيستهم لم يكن ليقطع الشغب من
« بينهم أمر بأن يزال القطع من الوسط وان يخضعوا جميعاً للاسقف وان
« من لا يخضع يُحدّ ويحلق رأسه ولحيته : ولما رأى الاكثرين بالرغم
« من ضربهم وحلق رؤوسهم ولحاهم لم يخضعوا أمر بأن يدخل كل يوم
« كاهنان منهم فيقدسان على مذبح واحد أي أحدهما من جانب والثاني
« من الجانب الآخر وان يشرك كل واحد منهما أهل حزبه : فخضعوا
« لهذا الامر القبيح وصنعوا ما لم يصنع قط بان يقدس كاهنان معاً على

« مذبح واحد في صينيتين وكاسين[1] : وحذراً من أن يتضاربوا أمر « الامير أيضاً رجالاً من المسلمين أن يأتوا ويجلسوا على الدرابزين حاملين « السياط الى أن تنتهي الخدمة : وبعد ذلك خزي الحلبيون وخجلوا « وطردوا الجميع من الكنيسة ثم اتفقوا وصاروا كلهم أجمعين « مكسيمينيين »

عدد ٨١ — فمن هذه الحادثة التي جرت تلك الايام في حلب وانتهت هذه النهاية وغيرها من مثلها مما يكون قد جرى في جهات مختلفة بين هذين الفريقين يظهر ان قد تنبه رهبان دير القديس مارون واشياعهم الى الاحتياط اللازم محافظة على حزبهم وصوناً له من غوائل خصومهم وسوء العواقب :

وقد رأيت من الفقرة الثانية من هذا الأثر التاريخي (عدد ٧٦) انه قد كان لهؤلاء أسقف مقيم في ديرهم : فيقدَّر بكل صواب ان هذا الاسقف كان بمنزلة رئيس لهذا الحزب أو جاثليق يرجع كل الموارنة اليه في أمورهم الدينية : ولم يكن في ذاك العهد على انطاكية بطريرك شرعي كما رأيت : فكان هذا الاسقف أو الجاثليق بمنزلة بطريرك عندهم واليه مرجعهم في السياسة الدينية بحسب اصطلاحهم : وربما

---

(١) من المعلوم انه كان من التهذيب القديم في الكنيسة وخاصة في الشرق ان لا يقدَّس في اليوم الواحد قداسين على مذبح واحد : ولم يكن في كل كنيسة سوى المذبح الكبير الذي يجوز التقديس عليه بكمال الرتبة الطقسية : وعند تعدد الكهنة الذين يخدمون كنيسة واحدة كانوا يتقدسون مناوبةً وكان البقية يشتركون مع خادم الذبيحة في تناول الاسرار فقط : وهذه العوائد لا تزال حتى الان عند الطوائف الشرقية : والذين تركوها منهم واتبعوا التهذيب الجديد قد حفظوا منها ان يقدس كاهنان أو أكثر بالاشتراك معاً على مذبح واحد ولكن بكاس واحد وصينية واحدة : وهذا وجه الفظاعة التي ارتكبها أهل حلب هنا خلافاً للقوانين :

سموه منذ ذاك الحين بطريركاً تعظيماً لمقامه : ولما اشتد النزاع بينهم وبين الفريق الآخر من الخلقيدونيين وكثر الشغب واللجاج والخصام في كل جهة مما أدى الى الشقاق التام وعمل أسقف حلب الماروني مالم يكن يحق له عمله من حيث انحيازه هو وحزبه الى مذهب المكسيميين دون مراجعة رئيسه في دير القديس مارون : قد اضطر هذا الرئيس الاعلى بالاتفاق مع رهبان ديره والاساقفة الذين يوالونه والكهنة والشعب الذين كانوا ينقادون له أن يضعوا حدوداً لمثل هذا الامر مما جعلهم على نوع ما كنيسة مستقلة على حدة عن سائر الخلقيدونيين لاجل حفظ كيانهم على ما هم عليه الى الآن :

عدد ٨٢ — أما المكسيميون فلم يهن عليهم ذلك بل أخذوا يجدّون سعياً مع الخلفاء لاجل تسمية بطريرك شرعي على انطاكية منهم ليضم شملهم ويصون كيانهم وكانوا اكثر عديداً وجاهاً وقوة من الموارنة على ما يظهر من كلام هذا المؤرخ الثقة حيث قال في الفقرة الثانية «أما رهبان دير مارون وأسقف محلهم ومعهم بعض الناس» وقال في الفقرة الاولى بخصوص المكسيميين «وقد انفسد خاصة بهذا المذهب أهل المدينة ومطرانهم ورؤساؤهم الذين منهم سرجيس بن منصور... وقد انفسد أيضاً بهذه الهرطقة كرسي اورشليم وانطاكية والرها وغيرها من المدن الخ»

وفي نحو سنة ٧٩٢ قد أفلحوا في مسعاهم هذا وسمح لهم الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان باقامة راهب امي اسمه اسطفان بطريركاً عليهم على ماروى ثوفان فاقاموه وعاش نحو سنتين بعد تسميته بطريركاً : فسمح لهم أيضاً الخليفة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم في سنة ٧٤٦ باقامة بطريرك آخر عليهم فاختاروا بايعازه راهباً سريانياً من الرها اسمه ثوفيلقتس اوثوفيليطا بن قنبرة : ولما كان الموارنة قد استقلوا عن سواهم استقلالاً تاماً على ما ذكرنا وقطعوا كل مواصلة مع المكسيميين بسبب المشاغبات التي كانت تحصل بين الفريقين حيث وجدوا معاً : لذلك لم يشتركوا في أمر انتخاب هذين البطريركين من المكسيميين لاعتبارهم

ضد مذهبهم وطريقتهم وما كان من استقلالهم عن المذكورين الذي كانوا قرروه نهائياً : فاغتاظ منهم هذا البطريرك الجديد وأراد تذليلهم لطاعته عنوة فاستعان عليهم بقوة الخليفة الذي كان موالياً له وذهب لمناهضتهم في ديرهم بكل عنف : ولما لم يفلح عاد على أعقابه بجنود الخليفة التي كان يقودها هو بنفسه على ما يظهر وتركهم وشأنهم : وهذا كله ثابت الثبوت الكافي من رواية التلمحري نفسه لهذا الحادث بعينه بعد الفقرات التي ذكرناها عنه آنفاً بقليل (عن ابن العبري مقالة ١٠ فصل ٢٢) قال ما ترجمته حرفياً :

٤ً تابع الاثر الثامن

« في هذا الزمان (اي نحو سنة ٧٤٦) اباح مروان ملك العرب
« للخلقيدونيين فاقاموا ثوفيليطا بن قنبرة الذي من حران بطريركاً
« عليهم : وكان هذا صائغ الملك مروان :فاخذ من مروان امراً وعسكراً
« لاجل اضطهاد الموارنة[1] : ولما أتى الى دير مارون اخذ يضايقهم
« لكي يقبلوا مذهب مكسيمس ويتركوا زيادة — يامن صلبت

---

(١) وجاء في تاريخ أبي الفدا (ص ٢١٩) ان مروان هذا بويع بالخلافة سنة ٧٤٦ وعصاه أهل حمص فسار من حران اليهم : فسد أهل المدينة أبوابها في وجهه : وهذا يوافق على نوع ما ما ذكره التلمحري عن بعثة هذا العسكر مع ابن قنبرة البطريرك الى دير مار مارون في أعمال حمص : ولم يذكر ابن العبري في تاريخه العربي عن خلافة مروان هذا أقل شيء عن هذه البعثة . : وربما كان مروان اذ سير هذا العسكر الى نواحي حمص قد استشكف ان يقول بانه انما سيره على رهبان دير مار مارون انتصارا لابن قنبرة فتذرع بهذه الذريعة تمويهاً للحقيقة والله أعلم .

« لاجلنا — من انتريساجيون : ولما تضايق الرهبان من شدة التعذيب
« وعدوا بانهم في الغد يوافقونه : وكان معه راهب شيخ كان يحبه فدخل
« عليهم ذلك الراهب وأتى الى كنيستهم وضرب بيده على مائدة الخلاص
« قائلاً — انك في الغد تتقدس ايها المذبح النجس — وفي تلك
« الساعة .... مات : فتألم ابن قنبرة جداً وجزع وأراد ان يحمل الميت
« ويذهب فلم يدعه الرهبان حذراً من ان يقال انهم هم الذين قتلوه :
« نتركه لهم ومضى دون ان يقضي لبانته منهم[١] »

« وبقي الموارنة كما هم اليوم يسمون لنفسهم بطريركاً وأساقفة من
« ديرهم : وهم يمتازون عن اهل مكسيمس بانهم يعتقدون بمشيئة واحدة
« في المسيح ويقولون « — يامن صلبت لاجلنا — : ولكنهم يقبلون
« المجمع الخلقيدوني »[٢]

---

(١) ان حادثة موت هذا الراهب الشيخ فجأة أثر احتقاره مذبح الرب مما يجب الانتباه اليه : وربما حسبت آية آلهية جعلت الرهبان الموارنة يزدادون تمسكاً بالمحاماة عن مذهبهم كما جعلت ابن قنبرة نفسه وهو في أشد عنفوانه يتهيب لها حتى اضطر ان يترك الرهبان وشأنهم ويرتحل بعساكره عنهم بعد ان كان ابتسم له وجه النصر عليهم من كل ناحية كما يرى المتأمل :

(٢) قوله « بانهم يعتقدون بمشيئته واحدة الخ » يريد به ان يبين اصرارهم على رايهم هذا الذي اختلفوا بسببه مع الفريق الاخر وقد بينّا سلامة نيتهم في ذلك وسوء التفاهم الذي سبب هذا الخلاف والمعاملات العنيفة التي اوصلت الى هذا الشقاق التام : اما اختلافهم على القول — يامن صلبت لاجلنا — فيظهر انه لم يكن من عهد بعيد ولكنه حصل بعد ان انحاز قسم من الخلقيدونيين وهم اهل المدن خاصةً الى

« ثم ان ابن قنبرة اتى الى منبج وضايق الخلقيدونيين الذين هناك
« لانهم لم يقبلوا ان يقولوا بالمشيئتين ولا ان يبطلوا — يامن صلبت
« لاجلنا - فوشى بهم الى مروان فغرَّمهم اربعة آلاف دينار وقد جرى
« فيهم ما كان قد جرى في حلب: أخيراً اقبل اندراوس الماروني واستحصل
« أمراً من الملك وبنى للموارنة كنيسة في منبج : وهكذا استمروا منفصلين
« عن الملكية وقد جرت بين الفريقين امور سمجة وحوادث شنيعة »(١)

كنيسة قسطنطينية واخذوا يتقلدونها في كل امر واتبعوا طقوسها تاركين طقوس الكنيسة الانطاكية على سبيل التفاخر باللغة اليونانية كما يتفاخر بعض اهل سورية ومصر في هذا العصر بمعرفة اللغة الافرنسية وتقليد الافرنج في كل شيء : والتاريخ معيد نفسه كما يقال : والا فاننا لم يذكر احد قبل هذا العهد ان قد جرى اقل خلاف بين الخلقيدونيين على هذه الزيادة على التريساجيون : وقد رايت كيف كانت الكنيسة الانطاكية تستعملها بالمعنى الكاثوليكي دون حرج حتى ان القديس افرام بطريرك هذا الكرسي الرسولي قد دافع عن سلامة هذا الاستعمال في كنيسته من كل معنى مذموم : وعندنا ان هذا التقرب من كنيسة قسطنطينية وكثرة التشبه بها في العادات والطقوس حتى المعتقدات الدينية انما هو الذي ولد هذا التباعد والتنافر بين عناصر الكنيسة الانطاكية وادى الى هذه الحال التي لانزال نشاهدها بكل اسف حتى الان وقد اضعفت حتى كادت تلاشي قوة النصرانية في سورية على وجه الخصوص فالله المسئول ان يهدي الجميع الى الصواب

(١) اذا نرى ان هذه الرواية تتفق من عدة وجوه كما يرى المتأمل البصير مع مايرويه علماء الموارنة عن تاريخ البطريرك الاول لهم وهو القديس يوحنا مارون : فقد قالوا انه كان من رهبان مارمارون وقد اقام اولاً في ديرهم وان عسكراً من الروم قد حمل عليه وعلى قومه ليردهم على تغيير عقيدتهم وقد نكل بالموارنة في جهات منبج وقنسرين والعواصم وحمص وحماه وحاصر هذا الدير ونكل برهبانه فهرب هذا

عدد ٨٣ – فيظهر من هذا الأثر التاريخي المعتبر صحة ما نعتقده وقد أوضحناه آنفاً من أمر استقلال الموارنة في ذاك العهد عن الفريق الآخر من الخلقيدونيين في كل شيء : وعندنا ان قوله « وبقي الموارنة كما هم اليوم يسمون انفسهم بطريركاً وأساقفة من ديرهم » يستفاد منه انهم من قبل هذه الحادثة كانوا قد سموا لهم بطريركاً واستقلوا عن سواهم على ما ذكرنا والا كان حقه ان يقول «وأخذ الموارنة

البطريرك من وجهه الى جبل لبنان حيث لحق به هذا العسكر ورد خائباً بعناية من لدن الله : بيد ان هذه الرواية لا مستند لها غير التقليد المتواتر عندهم على مايظهر وهي تتفق كما يرى كل لبيب مع هذه رواية التلمحري من حيث مجيء هذا العسكر ومحاصرته لهذا الدير لاجل حمل رهبانه على تغيير عقيدتهم ورجوعه خائباً بعناية ربانية على ما رايت ومضايقته الموارنة في منبج الخ : وتختلف عنها اولاً في السنة فان الموارنة يزعمون ان ذلك قد جرى في نحو سنة ٦٩١ والتلمحري على انه حصل في نحو سنة ٧٤٦ : ثانياً في جنس هذا العسكر وقواده والذي ارسله عليهم فيقولون انه كان من الروم وعليه قائدان احدهما يقال له موريق والاخر موريقيان وقد ارسله عليهم لهذه الغاية يستنيان الاخرم ملك الروم : والتلمحري على ان هذا العسكر انما كان من العرب وقد قاده ابن قنبرة بطريرك المكسيميين بذاته على ما يظهر وارسله معه الخليفة مروان لمساعدته على اخضاع الموارنة له الخ : ونحن نرى ان رواية التلمحري انما هي الاقرب الى الصواب لان هذا المؤرخ يعد معاصراً تقريباً لهذه الحادثة التي يرويها هنا ولا غرض له من روايتها على هذا الشكل سوى اثبات حادثة تاريخية دينية جرت في ذاك العصر القريب العهد من عصره وفي بلاده وربما اخذها عن شهود عيان لها وهي ليس مما يستحيل في تلك الايام : فيما ان الرواية الثانية ليس من اثر راهن يثبتها سوى التقليد وهو مما يعول عليه الى حد محدود : ثم هي ايضاً مما يستحيل حدوثه في ذاك العصر الذي فيه كان العرب قد استولوا على كل سورية وغيرها من بلاد الروم حتى كادوا يفتحون نفس قسطنطينية عاصمتهم فلم يكن ممكناً لملك الروم ان يبعث بمثل هذا الجيش الى سورية لمثل هذه الغاية

منذ ذاك الحين يسمون بطريركاً الخ » كما يرى المتأمل : وكان لهم اساقفة من ديرهم أيضاً يرعون القطيع المنتمي اليهم في كل ناحية ومنهم أسقف حلب الذي انحاز الى خصومهم على ما جاء في الأثر السابق : ثم اندراوس أسقف منبج المذكور في هذا الأثر : وانما ثوفيليطا قد ناهضهم هذه المناهضة العنيفة على ما يظهر بسبب ذلك وعمل ما عمل في منبج أيضاً تذليلاً لهم وانتصاراً لقومه مستعيناً بقوة الحاكم الزمني وهو أمر غير محمود كما لا يخفى وربما كان السبب في زيادة الشقاق والنفور وحب الاستقلال بخلاف ما لو أخذ الامر من وجه التؤدة والحكمة وروح الدين القويم والعمل على فصل هذا الخلاف بطريق البرهان والاقناع :

ومن ثم لا يمكن أن يقال بصواب ان هذا البطريرك الذي هو ابن قنبره قد كان اذ ذاك صاحب السلطة الشرعية بالنسبة الى الموارنة أيضاً وانه قد عرض عليهم أمر هذا المعتقد وكلفهم الاعتراف به ونبذ ما يضاده بالطرق القانونية المألوفة في الكنيسة واذ أبوا الخضوع متجاسرين على هذه السلطة الشرعية قد فصلهم عن كنيسته بحكم قانوني حتى صاروا يعدّون مشاقين أو هراطقة صورياً كما أراد صاحب كتاب الحجج الراهنة عند ايراده هذه الحادثة: لان انفصال الحزب الماروني عن الحزب

فيجتاح كل هذه المدن ويعمل كل هذا العمل الذي يعددونه حتى يصل الى لبنان والعرب صامتون عنه تمام الصمت : فلو كان ملك الروم اذذاك قديراً على هذا العمل او بعضه فما الذي منعه من استرجاع سورية ؟ — هذا وعندنا ان التقليد المتواتر الذي حفظ للسلف أمر حصول مثل هذا الاضطهاد على هذا الوجه الموصوف لم يتكفل بحفظ كل ظروفه بالتدقيق كما حفظها هذا المؤرخ القريب العهد من وقوعه وهذا شأن كل تقليد في تواريخ الامم تمر عليه أيام طويلة فتعتوره شوائب الرواة « وما آفة الاخبار الا رواتها » : وفي العصور المتأخرة اخذ بعض العلماء ووضعوا هذا الوقيع على التاريخ بحسب ما لاح لهم من مجرى حوادث ذاك الزمان لنقص الآثار التاريخية عندهم والله اعلم :

الآخر قد حصل كما بيناه آنفاً من هذه الآثار التاريخية قبل أن يقوم بطريرك شرعي على انطاكية وقد سموا هم بطريركاً خاصاً لهم بحسبون بطريركاً نظامياً شرعياً دون غيره لاعتقادهم ان كل من خالفهم في المعتقد لم يكن بايه هذا الحق : ومن ثم لم يشتركوا في انتخاب سطفان ولا في انتخاب هذا ثيوفانس بعده لاعتبارهم انهما ومنتخبيهما على غير الايمان الحق : هذا وقد زادهم تمسكاً بصوابية عملهم ومعتقدهم ما وقع للراهب الشيخ صاحب ابن قنبرة من الموت فور احتقار مذبح الرب في كنيستهم فعدوا ذلك اعجوبة الهية وعضداً لهم من لدن رب الصباؤوت الذي قال « لي النقمة وأنا أجازي » : وقد ارتاع نفس ابن قنبرة من هذه الحادثة وأثرت عليه اشد تأثير حتى رفع الحصار عن الدير ورجع على أعقابه دون أن يقتضي من أولئك الرهبان لبناته : بعد كل ذلك الاهتمام الغير المعتاد وابتسام وجه النصر له فتأمل :

الخلاصة من كل ذلك

عدد ٨٤ — فيمكن والحالة هذه ان يقال بكل صواب ان تمسك الموارنة بهذا الرأي لم يكن على سبيل الانتصار المقصود للمونوثيلية التي لم يعرفوها بذاتها ولم يعرفوا مبتدعيها ولا ما جرى لها في المجمع السادس الذي لم يشهر في سورية كما رأيت بطريقة قانونية : وانما كان ذلك من وجه سوء التفاهم الذي حصل بين الخلقيدونيين عند دخول مذهب المشيئتين عليهم في سورية على يد بعض الاسرى والمجلوبين من الروم في جيوش الفاتحين كمعتقد حديث رأى فيه بعضهم ما يناقض تعاليم المجمع الخلقيدوني ويرمي الى النسطورية وتقسيم السيد المسيح الى اثنين عداً باقنومين متحدين اتحاداً غير تام من كل وجه بل بحيث يبقى لكل اقنوم كل خواصه وأفعاله فيتأتى عن ذلك ان في السيد المسيح ارادتين متضادتين ومتناقضتين ومتحاربتين وعدوتين معاً أي الارادة البشرية الضعيفة والمائلة الى الشر والارادة الالهية الكاملة

فرفضوا هذا المذهب الجديد بالنسبة اليهم من هذا الوجه وبهذه الحجة وقاموا يناهضون الفريق الذي قبله منهم بشدة ويعيرونهم لذلك بالنسطورية بل باليهود والوثن كما رأيت :

فحصل والحالة هذه بين الموارنة الذين رفضوه وبين الملكيين الذين قبلوه من الحروب الدينية والتنافر الشديد ما أدى الى الانفصال والتباعد واستقلال الخلقيدونيين الموارنة عن الخلقيدونيين الملكيين استقلالاً تاماً قبل وجود بطريرك لهؤلاء بحيث لم يبقَ من سبيل الى فصل هذا الخلاف وازالة سوء التفاهم بين الفريقين بواسطة السلطة العليا التي يعدها الفريقان شرعية بالنظر الى كل منهما لا سيما والبطريرك الذي أقامه الملكيون وحدهم قد أراد ان يأخذ فريق الموارنة بالقوة والعنف كعدو لهم :

فلمثل هذه الاسباب اذا استمر الموارنة على هذا الاعتقاد بالمشيئة الواحدة في السيد المسيح وأصروا على ذلك منذ ذلك الحين فلا يصح ان يحكم عليهم بانهم انما كانوا هراطقة أو منوثيليين بحصر المعنى اذ ليس معتقدهم كمعتقد هؤلاء ولا غرضهم منه كغرض هؤلاء ولا اتصال لهم من أحد الوجوه بهؤلاء على الاطلاق ولم يأخذوه عنهم ولا تمسكوا به انتصاراً لهم وانما قد اتفق رأيهم من بعض الوجوه فقط مع مذهب المنوثيليين المذموم بطريق العرض تماماً كما يتناه حتى الآن ويرى كل نقادة بصير مجرد عن الاهواء لا يهمه غير خدمة الحقيقة أينما كانت : ومما يثبت ذلك انه ليس أحد من معاصريهم وممن كتبوا عنهم حتى بعد هذا العهد قد سماهم منوثيليين أو نسبهم الى أحد مبتدعي هذا المذهب المشهورين :

ومن ثم فعندنا ان الموارنة اذا كانوا منذ ذلك الحين قد تمسكوا بمذهب المشيئة الواحدة عن الوجه المبين آنفاً فانهم انما تمسكوا به على سلامة نية وحسن قصد بحجة كون المذهب المخالف انما هو مخالف لتعليم المجمع الخلقيدوني . وقد قصدوا بذلك شدة المحافظة على سلامة المذهب الكاثوليكي فسقطوا على هذا الوجه من حيث

لا يدرون في هذه الهرطقة الوخيمة ولكن مادياً لا صورياً على حسب لغة اللاهوتيين والقواعد المقررة عند الائمة من علماء الكنيسة الاعلام بحيث لا يمكن بوجه من الوجوه أن يحسبوا منفصلين عن جسم الكنيسة الكاثوليكية كسائر الهراطقة المشهورين!

ومما يجب الانتباه اليه هنا انه في ذاك العصر لم يكن لاهل سورية من اتصال بالمراجع الايجابية حتى يصير الرجوع اليها في مثل هذه الاحوال ويؤتمر بأوامرها: اذ ليس من أثر تاريخي على الاطلاق يدل على ذلك: بل قد استمرت سورية في هاتيك الايام منفصلة تمام الانفصال ومنقطعة عن رومية بسبب الحروب المستمرة التي تأتّى عنها أيضاً صعوبة المواصلات بين الشرق والغرب: واذا صح أن يكون من سبيل في هاتيك العصور للاتصال بقسطنطينية فلا يمكن أن تعدّ هذه مرجعاً ايجابياً وشرعياً للمؤمنين ولم يعتقد بذلك أحد منذ الدهر: بل ربما كان من أسباب النفور من هذا التعليم الحديث في سورية والارتياب في صحته متأتياً أيضاً عن كونه قد جاء به بعض الروم من قسطنطينية فلم يقبله بعض السريان كتعليم عمومي في الكنيسة المقدسة: والا فلا يعقل ان أمة كبيرة كالموارنة استقلت في أمورها الدينية مثل هذا الاستقلال في قلب سورية وجبل لبنان لا يوجد لها من أثر في تلك الايام بين آثار الكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ومعلميهن مما يدل على انها كانت محسوبة بين الهراطقة المنفصلين عن جسم الكنيسة ونفسها عن مكابرة وعناد وعدم خضوع لسلطتها العلياء:

الفصل الخامس

في ما حصل بعد ذلك حتى أواخر القرن الثامن

عدد ٨٥ — قد رأيت في الفصل السابق ان حادثة الاضطهاد الفظيع التي تسبّب بها ثوفيلاط بن قنبرة بطريرك الملكيين بواسطة مروان خليفة المسلمين

على رهبان دير مار مارون واتباعهم انما كانت بين سنة ٧٤٦ وسنة ٧٥٠ أي في منتصف القرن الثامن بحسب رواية المحري المؤرخ المعتبر . وان هذا الاضطهاد وغيره من مثله مما يشير اليه هذا المؤرخ نفسه في آخر الفقرة الرابعة بقوله « وقد جرى بين الفريقين امور سمجة وحوادث شنيعة » قد زاد في نفور الخلقيدونيين الموارنة من الملكيين وفي استمساكهم باستقلالهم عن هؤلاء بحيث لم يبقَ من سبيل الى المصالحة ولا الى التفاهم والبحث عن الحقيقة من وجه الصواب : فسبيلنا الآن ان نبحث عما حصل بعد ذلك مما يتعلق بحالة الموارنة المذكورين :

ومما هو جدير بالذكر هنا انه منذ سنة ٧٤٩ قد استولى بنو العباس على عرش الخلافة الاسلامية وكان اولهم ابا العباس السفاح الذي بويع هذه السنة نفسها بالخلافة بعد ان قتل مروان بن الحكم وجمهوراً من بني امية : فاستوثق له الامر وجعل مقامه في الانبار مدينته الى ان مات سنة ٧٥٣ وبويع بعده لاخيه المنصور فسكن أولاً الهاشمية بالكوفة الى ان بنى بغداد سنة ٧٦٢ وسماها دار السلام وجعلها منذ ذلك الحين عاصمة المملكة العربية : وقد كان فيها أيضاً كرسي بطاركة النساطرة الذين نالوا خطوة كبرى لدى الخلفاء هم وقومهم وكان لهم مقام رفيع وشأن يذكر في الدولة العباسية حتى شغلوا أهم المناصب على ماروى الثقاة[1]

(١) جاء في أوائل رسالة عبد الله بن اسماعيل الهاشمي الى عبد المسيح الكندي المطبوعة في لندن سنة ١٨٨٥ وهي قد كتبت على عهد الخليفة المأمون وثيمطاوس بطريرك النساطرة أي في أواخر القرن الثامن ما حكايته بهذا الصدد « فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها ثيموثاوس الجاثليق وقد علمتَ كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من أهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظاهرة أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرلس وهم الروم : واليعقوبية وهم اكفر القوم وأخبثهم وأبعدهم من الحق

فلما قام المكسيمينيون على الموارنة واستعانوا بالحكام على التنكيل بهم في كل مكان حتى ضايقوهم أشد المضايقة رأى الموارنة بلا ريب أنفسهم عرضة على الدوام لاضطهاد هؤلاء خصومهم في كل مكان فلاذ منهم من استطاع بجبل لبنان حيث كان لهم مشايعون كثيرون واضطر الباقون الى الاستعانة بمن يمكنه ان يرد عنهم غارات العدى ويستجلب الخليفة والحكام من نحوهم: والظاهر انهم لم يجدوا من معين في ذاك الحين أفضل من بطريرك النساطرة في بغداد وهو على ما وصفناه من المقام عند الخلفاء فكتبوا له رسالة مسهبة في أمرهم وأمر حمايتهم من جور خصومهم المذكورين:

وقد ذكر المطران يوسف داود في كتاب جامع الحجج الراهنة (باب ٤ ف ٤ ص ١٩٩) انه قد عثر على رسالة طيمثاوس بطريرك النساطرة عنوانها « الى رهبان مارمارون » وهي الثالثة والاربعون في كتاب مجموعة رسائله المحفوظ الان صورة عنه في المكتبة الواتيكانية[1] وقد لخص عن هذه الرسالة بعض الفقرات

القائلون بمقالة كيرللس الاسكندراني ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية: والنسطورية أصحابك وهم امري أقرب وأشبه باقوال المنصفين من اهل الكلام والنظر واكثرهم ميلاً الى قولنا معشر المسلمين وهم الذين حمد نبينا صلعم أمرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والواثيق وجعل لهم من الذمة في عنقه واعناق اصحابه وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات واكد أمرهم عندما صاروا اليه حين افضى الامر واستوثق له فأتوه وتحرموا بحرمته وذكروه بمعونتهم اياه على اعلان أمره واظهار دعوته الخ »

(١) قال المطران يوسف داود في المحل المذكور (ص ٢٠٠) في تعريف هذا الكتاب ما حكايته « انني في سنة ١٨٦٩ قد أخذت الى رومية العظمى خزانة من الكتب المخطوطة باليد السريانية والعربية من مؤلفات النساطرة واليعاقبة خاصة بأمر ذي النيافة الكردينال الكسندر برنبو رئيس مجمع انتشار الايمان

التي توافق غرضه وقال بعد ان أثبت ما يهمه منها ما حكايته « ان هذه الرسالة طويلة جداً ونحن قد أحببنا ان لا نفرط في تلخيصها ليفهم ما كان مقصود مؤلفها منها . ويسهل اتخاذ البرهان الذي نريده منها » ولما كانت رسالة الرهبان الموارنة لهذا البطريرك لا تزال مفقودة رأينا ان نستعين بهذا الجواب عليها لأجل اثبات قضيتنا هذه : ومن ثم فاننا نكتفي نحن ايضاً هنا بايراد بعض الفقرات اللازمة منها عما أثبت في كتاب جامع الحجج الراهنة . وذلك كما يلي بالحرف الواحد :

المسمى بروبغندا لتضاف الى مكتبة ذلك المجمع وكان من جملة هذه الكتب رسائل طمثاوس المذكورة اهتممت بنقلها من مجلد جسيم ضخم جدا يحوي مجموع المجامع والسنهدسات السكونية والاقليمية المقبولة عند النساطرة ومقالات شتى في أمور شرعية وقانونية على نسخة قديمة جدا ناقص أولها وآخرها وهي ملك دير هرمزدا الذي للكلدان الكاثوليك بقرب القوش من أعمال الموصل ۰۰۰۰ فاعلم ان بين رسائل هذا البطريرك رسالة هي الثالثة والاربعون عنوانها « الى رهبان مارمارون » كتبها في السنة الثالثة عشرة من بطريركيته كما ذكر في معرض كلامه نحو آخر الرسالة أي سنة ٧٩١ : ومما نقرأ في هذه الرسالة كما سترى يتضح بلا شك ان هذا الدير هو دير القديس مارون الناسك بقرب حماه والذي تسمى الطائفة المارونية باسم رهبانه » اه وقد عرفنا انه قد نُقل ذلك كله الى المكتبة الواتيكانية

ومما يذكر في هذه الرسالة انه كان سبق للموارنة ان كتبوا أيضاً لصليبا زخا بطريرك النساطرة : وقد رأينا في سلسلة بطاركة النساطرة لصليبا بن يوحنا القس الموصلي النسطوري من كتبة القرن الرابع عشر : ان هذا صليبا زخا أقيم بطريركا على النساطرة سنة ١٠٢٥ وتوفي سنة ١٠٢٩ على الحساب اليوناني وهي توافق سنة ٧١٤ الى سنة ٧٢٨ أي أثناء الخلاف الذي ذكر التلمحري حصوله بين الخلقيدونيين والشجار الذي حصل بين الفريقين في حلب وهذا مما يدل على ان الموارنة منذ ذاك الحين أخذوا يسعون في طلب العضد لهم على خصومهم الاقوياء والاكثر عدداً لاجل استمالة الحكام اليهم حذراً مما كانوا يخشون من الظلم والحيف الذي كانوا معرضين له كل ساعة على

الأثر التاسع

« الى اعضاء المسيح ربنا وبني أسرار الملكوت السماوي .. الأخوة
« الاعفاء القانتين الساكنين في مظلة مار مارون الروحانيين الذين
« يقرّبون على الدوام بقلب منسق وروح متواضعة ذبائح الروح للمسيح
« الذي هو اله فوق كل أحد »

ما رأيت مما ذكرناه حتى الان : والا فلا يعقل انهم كاتبوا هذا البطريرك لغرض آخر كما سترى :

اما طيمثاوس فقد جاء عنه في السلسلة المذكورة آنفاً : انه أقيم بطريركا سنة ١٠٩١ في زمان المهدي وتوفي سنة ١١٣٤ على الحساب اليوناني وذلك في عهد المأمون وهذا التاريخ يوافق سنة ٧٨٠ الى سنة ٨٢٤ المسيحية : ومما روى عنه صاحب هذه السلسلة قوله « وكان الخليفة الهادي يستدعيه اليه في أكثر الايام ويحاوره في الدين ويبحث معه ويناظره في أشياء كثيرة ويطرح عليه كثيراً من المسائل والمشكلات والايرادات المعجمات وكان يجيب عليها بأجوبة قاطعات مسكتات .... وكذلك كان يتأتى له مع هارون الرشيد لما تولى الخلافة : ومن جملة ما جرى له معه ذات يوم عند انقضاء المجلس قال له — يا أبا النصارى أجبني عما أسألك باختصار : أي الاديان عند الله الحق : فقال له مسرعاً — الذي شرائعه ووصاياه تحاكي أفعال الله في خلقه — فامسك عنه : فلما انفصل المجلس قال لله دره فلو قال النصرانية لاسأت اليه : ولو قال الاسلام لطالبته بالانفصال اليه : ولكنه أجاب جواباً كلياً لا دفع له وأضمر في نفسه دينه لما تتضمنه عندهم الانجيل في قوله · أحبوا أعداءكم وباركوا على من يلعنكم وأحسنوا الى من أساء اليكم وكونوا متشبهين بأبيكم الذي في السماء الذي يرسل قطره على الاخيار والاشرار ويطلع شمسه على الابرار والفجار اه

« طيمثاوس ذاك الصغير عبد الله العظيم ويسوع المسيح محبينا : ذاك
« الذي يخدم بنعمة الله عبودية الكرسي البطريركي الذي في عاصمة المملكة :
« يقرئكم السلام بالروح ويطلب صلواتكم بالشوق »

« اما بعد فان الشمس لا تولي فرحاً وابتهاجاً للساكنين في الظلمة ...
« بقدر ما أولانا من ذلك خطابكم الالهي .... ان الهدية الجليلة التي أتتنا
« منكم وهي مخاطبتكم الالهيـة قد كانت جميلة في شكلها .... وأكثر
« من ذلك كانت جميلة بفحواها ومضامينها : وأكثر من كل شيء كانت
« جميلة ببراعة معانيها لانها كانت مكتوبة كتابة بسيطة وطاهرة روحانية ...
« وقد أشرقت علينا اضواء لامعة من ذلك النور الذي يضيء على قلوب
« المؤمنين بالمسيح من ذلك خطابكم العجيب المفعم بالنعمة الالهية : ومن ثم
« عرض لنا نحن أيضاً ان نتهنأ بأضواء متضاعفة أي تلك التي نحن لنا فينا ...
« وتلك التي انبعثت منكم .... نشكركم على الديانة التي فيكم اذ هكذا
« التجأتم الينا كما الى اخوتكم بالرب كما الى أعضائكم بالروح .... ولذلك
« قد فرحنا وابتهجنا خاصة بالاخبار الخصوصية الفريدة التي تحاكي صور
« الاباء وأشكالهم .... ولما ذكرتم صليبا زخا البطريرك وما جرى من

فما ذكر تعلم مكانة هذا البطريرك عند الخلفاء ومقامه في عالمهم فتفقه ما دفع طيمثاوس دبان الموازنة الى مكاتبته في ذلك العصر : اجل ان ليس في جوابه هذا ما يشير الى ذلك صريحاً ولكن لا يعقل ان يكونوا تعرضوا لمكاتبته في غير هذا الغرض كما سترى :

« المعاملات منه اليكم ومنكم اليه قد شملنا جزيل الفرح بالرب وزاد وثبت
« حبنا لكم واذ فهمنا من ذلك ان الوديعة التي أودعها بالروح أباؤنا لآبائكم
« الاولين محفوظة الى الآن عندكم(١) »

« . . . . ولكي تطلعوا أنتم أيضاً على أمورنا وتفهموا ان أبواب
« معتقدنا لا هي مطابقة ولا هي غير شبيهة بما عندكم: ولكي يكون عندكم
« وعندنا وجه واحد وقياس واحد للتعبير عن الاشياء التي وهبت من روح
« القدس روحانياً : هلم بنا نبسط قليلاً من هذه المعاني السامية والفائقة
« التي عندنا »

قال المطران يوسف داود بعد ان بلغ الى هنا (ص ٢٠٣) ما حكايته «وأخذ يشرح (أي طيمثاوس البطريرك) صورة معتقد النساطرة تفصيلاً : و بعد ما قرر الايمان بالثالوث الالهي تقريراً ارثذكسياً أتى الى شرح سر تجسد الكلمة باسهاب: وابتدأ من ايضاح معتقد الاتحاد في ابن الله فقرره تقريراً لولا استعماله لفظة الاقنوم

---

(١) قد لاحظ المطران يوسف داود في حاشيته على هذه العبارة قال ما حكايته «كان النساطرة يدعون ان الخيرات والبركات والنعم التي نالها جنس البشر ولاسيا في في أمور الدين أصلها من بلادهم التي يسمونها أرض المشرق وحدودها من العراق الى مبادىء بلاد سورية »

ثم انه مما يجب ان ننبه فكر القارىء اليه هنا قوله في هذه الجملة — التجأتم الينا — والاخبار الخصوصيه — وما جرى من المعاملات بين هؤلاء الرهبان والبطريرك صليبا زخا الذي كان منذ سنة ٧١٤ الى سنة ٧٢٨ مما لا يمكن ان يكون بخصوص الهداية الى المذهب بل بامور غيرها كما سترى : ومما لاحظه أيضاً (ص ٢٠٧) ما حكايته « ٢ — يظهر من نص هذه الرسالة ان اولئك الرهبان في الرسالة التي الى طمثاوس بينوا له انه يوجد شعب تبعهم في الدين ويسترشدهم »

بكان الطبيعة لكان مقبولا ارثذكسياً : ثم جعل يبرهن على ان الاقرار بالطبيعتين في المسيح يوجب الاقرار باقنومين : وأما مسألة الطبيعتين فلم يشرحها اذ فرض انه لا حاجة الى بيانها »

ثم أتى ببعض فقرات من هذا الشرح مما ظن انه يلائم قضيته وأردفها بقوله « و بعد ما مهد الطريق للصالح مدعياً ان وديعة الايمان بقيت محفوظة عند طائفته بلا خلاف منذ أيام الرسل أتى الى النتيجة قائلا — ليس شيء يمنعنا يا أحباءنا ان نصير كنيسة واحدة بالمسيح ربنا — ثم أخذ يتكلم عن ضرورة الاتفاق ورفع الانقسامات بين الطوائف المسيحية . وذكر الحوادث التي كانت قد جرت على يديه بتنصر ملك الترك مع جمهور قومه ووعدهم ان يرسل اليهم صورة الرسالة التي كان قد بعث بها الى ذلك الملك : ثم أخذ يغري اولئك الرهبان بالصالح مع كنيسته من مثل الامم الكثيرة الخاضعة لبطريركيته ومن مثل هؤلاء الترك المذكورين ومن مثل ما كان قد حدث قبل سنة اذ انضمت ثلاث عشرة كنيسة من بلاد نجران الى شيعة النساطرة : وختم رسالته واضعاً الشروط لقبول اولئك الرهبان في كنيسته »

اما هذه الشروط فهي كما يلي :

«اما الاشياء التي ينبغي ان تقبل فهي هذه: اولا الاعتراف باقنومين طبيعيين في المسيح . . . . : ثانياً ان يقال لسيدتنا العذراء والدة المسيح « (لا والدة الله) . . . . ثالثاً ان تحذف لفظة الذي صلب لاجلنا من « تقديس السرافين . . . رابعاً ان يقبل نسطور وثودورس وديودورس « ويرفض قورلس الهرطوقي : فان جرت هذه الامور على هذه الشروط «بمعونة الله تعالى صرنا لكم نحن عبيداً بالرب وكنتم لنا أنتم آباء وسادة»

عدد ٨٦ — فيتحصل مما أثبتناه هنا من هذه الرسالة اولاً انها جواب على

خطاب كان قد ارسله رهبان دير مار مارون في سورية الثانية الى هـذا البطريرك المقيم في بغداد عاصمة المملكة العربيـة وقد نال مقاماً رفيعاً ونفوذاً ممتازاً لدى الخلفاء ورجال دولتهم :

ثانياً — ان هؤلاء الرهبان قد ذكروا في هذه الرسالة مختصر صورة ايمانهم وان لهم اشياعاً يوالونهم على ذلك ويرتشدون منهم وانهم انما يقصدون بتلك الرسالة ان يجددوا علائق الولاء التي كانت قدسلفت بينهم وبين سالفه في هذه البطريركية المدعو صليبا زخا ويذكرون من ثم باستفاضة ما جرى بينهم وبين هذا البطرك من المعاملات :

ثالثاً — ثم يقصون عليه أخبارهم الخصوصية بنوع يسترعي نظره ويبين ماهو حاصل من الشقاق بين المسيحيين في سورية مما أدى الى الحرب الدينية الهائلةالتي مرّ ذكرها وأضعف النصرانية تجاهالغير المؤمنين الذين كانوا ينظرون الى مثل هذا التطاحن بين الفرق المسيحية بطيبة خاطر وشماتة واستهزاء وكانوا غالب الاحيان ينصرون حزباً على الآخر بضروب الظلم حتى يعملوا على افناء الجميع : وبالنظر الى مايظهرونه من الغيرة على الديانة المسيحية والمحافظة عليها وما يجب اتخاذه من الاحتياطات لذلك قد قال هذا البطريرك في رسالته هنا كما رأيت « نشكركم على الديانة التي فيكم اذ هكذا التجأتم الينا كما الى اخوتكم بالرب كما الى اعضائكم بالروح ولذلك قد فرحنا وابتهجنا خاصة بالاخبار الخصوصية التي تحاكي صور الاباء وأشكالهم الخ » ومما يدل على ذلك ايضاً دلالة أصرح من هذه ماقاله المطران يوسف داود ملخصاً مما أثبتناه هنا وهو « ثم أخذ يتكلم (هذا البطريرك) عن ضرورة الاتفاق ورفع الانقسامات بين الطوائف المسيحية » ولكنه اقترح ذلك على ما يظهر بحيث يتبع الجميع معتقده النسطوري وينضموا اليـه والى أمتـه ولهذا تراه قد أسهب الكلام مستفيضاً في البراهين والادلة على صحة مذهبه ومغرياً جهد المستطاع اولئك الرهبان على الانضمام اليه مع اتباعهم مثل الامم الكثيرة الخاضعة لبطريركيته والتي

انضمت اليه مؤخراً كالترك وغيرهم ممن يعددهم بحرص على سبيل التحريض والترغيب رابعاً — وبعد ان فرغ من ذلك قد عرض البنود الاربعة التي يطلب منهم ان يتمسكوا بها ويرفضوا كل ما خالفها نظير امته وكنيسته : ويعدهم اذا فعلوا ذلك بكل مساعدة واهتمام لكل مصالحهم اذ يقول « فان جرت الامور على هذه الشروط بمعونته تعالى صرنا لكم عبيداً بالرب وكنتم لنا اباء وسادة »

عدد ٨٧ — فاي لبيب منصف لا يرى في مثل هذا الكلام ما يثبت في رأينا من ان المقصود من مخاطبة هؤلاء الرهبان لهذا البطريرك النسطوري انما كان لاجل طلب عونه ومعاضدته لهم ولقومهم بما له من النفوذ في بغداد لاجل رد غارات خصومهم عنهم ؟ والا فلا سبيل الى تفسير هذه المكاتبات بين الفريقين بهذا لوجه على ما يرضى به العقل السليم ويركن اليه بارتياح :

لانه لا يمكن ان يقال بصواب ان قصد هؤلاء الرهبان من مكاتبتهم هذا البطريرك النسطوري او لسلفه صليبا زخا من قبله انما كان ان يردوه هو وامته الى مذهبهم اذ لا يسلم العقل السليم بذلك الا اثبت اذن ضعف رأيهم وقلة حلمهم مما دفع بهم في هاتيك الظروف الى التعرض لهذا الامر المهم جداً بهذه الوسائل النافهة: ثم لا يمكن ان يقال أيضاً بصواب انهم انما كاتبوا المذكورين بقصد ان ينضموا الى النساطرة ويتبعوا هذه البطريركية لان ذلك محال على ما يظهر لكل ذي بصيرة : فالنسطورية هي ابعد المذاهب عن تعليم المجمع الخلقيدوني الذي قرر اولاً تعاليم مجمع افسس المسكوني ضد نسطور وقرر الطبيعتين في السيد المسيح باقنوم واحد هو الالهي ضد نسطور المذكور وضد أوطاخي وأمثاله كما رأيت في محله : وقد عرف الموارنة منذ ذاك العصر بالخلقيدونيين شهرة لتمسكهم فوق كل شيء بتعاليم هذا المجمع المقدس ومناضلتهم عنه حتى الدم : وقد رأيت ايضاً ان اختلافهم الشديد مع المكسيميين الذي أدى بهم الى هذه الحال انما كان سبب اعتقادهم الراسخ بان التعليم الحديث الذي ابتدعه خصومهم هؤلاء وهم منهم هو مخالف لتعاليم المجمع

الخلقيدوني وتحديداته وقد اتهموهم كما روى التلمحري (راجع أثر ٨ عدد ٧٥) انهم قد صاروا بذلك « نساطرة ورفق الوثنيين واليهود » وهو مما يشعر بما كان عندهم من سوء التصور في النسطورية وشدة النفور منها : فأي عقل والحالة هذه يسلم بانهم انما قصدوا بهذه المكاتبات ان يسعوا في الانضمام الى النساطرة ؟ وكيف يتفق ذلك مع ما يبديه هذا البطريرك في جوابه من ضروب الترغيب والاغراء على اتباع مذهبه كما رأيت مما لخصه صاحب كتاب الحجج الراهنة ؟

فلا ندري والحالة هذه كيف ساغ للمطران يوسف داود ان يستنتج من هذه الرسالة خلاف ذلك تماماً اذ قال في الحاشية التي علقها على الصفحة ٢٠٦ من كتابه المذكور عند ذكر مكاتبة الموارنة اصليبا زخا ما حكايته « في ذلك الزمان (أي منذ سنة ٧١٤ الى سنة ٧٢٨ وهي مدة هذا البطريرك) لم يكن الموارنة قد تفردوا ببطريركية لهم.... فلا ريب انهم كتبوا الى بطريرك النساطرة لعلهم يجدون سبيلا لينضموا الى كنيسته : ولا سيما انهم كانوا يأملون من ذلك منافع كثيرة لهم ولاتباعهم فان بطاركة النساطرة كان لهم وجه كبير لدى خلفاء بغداد فكان رهبان مار مارون يلتمسون منه الحماية من تعرضات الملكيين الانطاكيين وأذيانهم التي بها كانوا يحاولون جذبهم الى ارثذكسيتهم » : وهو كلام ولئن كان من جهة يوافق رأينا وقضيتنا هذه تمام الموافقة كما يرى المتأمل فانه يخالف المعقول ويدل دلالة صريحة على التحامل البالغ الذي اذهل هذا الكاتب عن قواعد الاستنتاج كما لا يعزب عن ذي بصيرة : والا فمن أين يسوغ له ان يستخرج من مجرد ذكر مكاتبة هؤلاء الرهبان لهذا البطريرك ما ينفي كل ريب في انهم انما لجأوا اليه لأجل الانضمام الى كنيسته ؟

فاذا صح ذلك عنده عليه اذن ان يبين لنا الاسباب الراهنة المعقولة التي حالت دون هذا الانضمام الذي كان رهبان مار مارون على زعمه يسعون له بهذه المكاتبة : ونحن لا نخال انها كانت من قبل هذا البطريرك اذا كان عاقلاً كما يقدر : لانه كان أحسب ما عليه ان يقبلهم هم وقوفهم في شركته وتحت ادارته فيما لو صح

ذلك : ثم ولا يمكن ان تكون والحالة هذه من قبل الرهبان وهم على قوله الساعون له بكل جهد وقد بادروا هذا البطريرك برسائل الطالب : وليس من ثالث سوى ان نقول كما قلنا غير مره آنفاً ان هؤلاء الرهبان انما كاتبوا هـذا البطريرك كما كاتبوا خليفته طيمثاوس من بعده للاستعانة به عند الحكام على رد هجمات خصـومهم المكسيميين واضطهاداتهم عنهم التي كانت تحصل غالباً بواسـطة هؤلاء الحكام على ما رأيت حتى الآن :

عدد ٨٨ — ذلك وقد استنتج أيضاً المطران يوسف داود من هذه الرسالة بكل عنف وعناء ان رهبان دير مار مارون والتابعين لهم من الشعب قد كانوا على مذهب المشيئة الواحدة وكانوا من مؤلهي اللاهوت لثبوت استعمالهم عبارة « يا من صلبت لاجلنا » في ترنيمة التريساجيون : وأهم ما استند اليه في الاول برهان سابي محض مداره ان طيمثاوس صاحب هذه الرسالة لم يذكر بين الشروط التي وضعها في أواخر رسالته المذكورة آنفاً لاجل الاتفاق مع كنيسته في عقائد الايمان أقل شيء عن وجوب الاعتقاد بالمشيئة الواحدة مع ان ذلك من أركان عقائد النساطرة[1] وقد ذكر لهم وجوب ترك عبارة الصلب من التريساجيون :

---

(١) ولكي تكون على بينة من كيفية شرح النساطرة لاعتقادهم بالمشيئة الواحـدة رأينا ان نثبت لك هنا ما جاء بهذا الصـدد في كتاب « سقوليون » أي الحواشي لتودورس الانبا الكشكري الذي اشتهر بعلمه بين النساطرة في القرن الثامن : فقد قال هذا المؤلف النسطوري ما حكايته « حاشية في المشيئة : س أكان للذي أُخذ (أي للناسوت) مشيئة أم لا ؟ وان قيل نعم حصل مشيئتان : — ج انه من الواضح ان الذي أُخذ كان ذا نفس فكان له مشيئة يريد بها ما يريده آخذه (أي الاقنوم الالهي) فلم يكن يصنع ارادته بل ارادة آخذه : — س فاذاً كان مجبراً على ان يريد ذلك : — ج لو كان (الناسوت) لم يرد ما يريده آخذه لصح قولك ولكن لما كان (الناسوت) لا يريد الا ما يريده آخذه وجب ان نقول ان لكليهما

ونحن نرى ان برهانه هذا ضعيف للغاية ولو ثبت من مصادر اخرى ان الموارنة في ذاك العصر كانوا متمسكين بهذا الرأي على ما بيَّنّاه آنفاً : ولقد كان في غنى عن كل التقديرات التي قدرها في مقدماته لاجل سحب هذه النتيجة بهذا العنف البليغ كما لا يغرب : الا ان المتأمل يرى انه انما تكبد كل هذا العناء في عقد هذا الفصل لغايات اخرى في نفسه قد يدركها اللبيب :

اما استنتاجه بان الموارنة انما كانوا من موءلهي اللاهوت بعلة ما ثبت من استعمالهم عبارة الصلب في التريساجيون واشتراط هذا البطريرك عليهم تركها اذا أرادوا أن ينضموا الى كنيسته : فهذا أمر قد رددناه باستفاضة في الفصل الثاني من المبحث الثالث من هذا الكتاب فلا حاجة الى المراجعة :

مشيئة واحدة اذ لم يكن الواحد منهما يريد شيئاً والاخر شيئاً آخر » اه (راجع بخصوص هذه الشهادة كتاب الحجج الراهنة (ص ٢١١) حاشية :

وعندنا ان هذا الشرح لا يخالف في روحه كثيراً معتقد الكنيسة الكاثوليكية كما يرى المتأمل لانه لا ينكر وجود الارادة الذاتية في الطبيعة البشرية الكاملة بيد انه يفترض هنا ان كمالها هذا لا يتم الا باقنوميتها وهذا ما تنكره الكنيسة المقدسة بحسب تحديد المجمعين الانفسسي والخلقيدوني المقدسين : اما كون الارادة البشرية انما تريد ماتريده الالهية بحيث يتأتى عن ذاك توحيد المراد بلا مضادة ولا معارضة ولا محاربة الخ فهو تعليم قويم : ولهذا يمكن التساهل كما قال علماء اللاهوت بان يقال انهما ارادة واحدة من جهة المفعول : وبهذا المعنى قد قال الموارنة بالارادة الواحدة في السيد المسيح كما سترى :

المبحث الخامس

في سائر الشهادات التاريخية التي تتعلق بحالة الموارنة مما اكتشفه أهل التنقيب من القرن التاسع الى آخر القرن العاشر

توطئة

عدد ٨٩ — لقد تقرر في المبحث السابق ان الخلقيدونيين منذ أوائل القرن الثامن قد انقسموا على نفسهم الى خلقيدونيين موارنة وخلقيدونيين مكسيميين لاتباع هؤلاء تعليم مكسيمس المعترف من حيث المشيئتين والفعلين في السيد المسيح منذ دخوله الى سورية بواسطة الاسرى والمجلوبين من الروم الذين جاؤوا في جيوش العرب على ماروى التلمحري المؤرخ الثقة : واستنكاف اولئك من اتباع هذا التعليم الحديث لما توهموا فيه من مخالفة روح تعاليم المجمع الخلقيدوني المقدس فتورطوا في الاستمساك بالنقيض والمدافعة عنه هرباً من الضلال الموهوم وهم غير عارفين بما تقرر في المجمع المسكوني السادس بهذا الشأن : ثم حصل ما حصل بين الفريقين من النفور والشجار العنيف حتى استقل كل حزب عن الآخر وتعصب لرأيه وقطع كل مواصلة اخوية مع خصمه بحيث لم يبقَ من سبيل الى الاجتماع والتفاهم والاتفاق : ولم يكن من ثالث بينهما ذي سلطان أعلى يحسم هذا النزاع ويعيد السلام الى نصابه في الكنيسة الانطاكية ويجمع القلوب على المحبة والوئام ووحدة الايمان بيسوع المسيح ربنا : لان كنيسة رومية التي لها وحدها هذا الحق وهي ام جميع الكنائس ومعلمتهن التي كتبت لها الطاعة والخضوع والامتثال عند فصل مثل هذه المنازعات في أمر الايمان خاصة لم يكن لها من سبيل للوصول الى

سورية في هاتيك الايام الصعبة وتلك الظروف التعيسة ولا لاهل سورية اليها :
وقد اقيم بطريركان على الخلقيدونيين لكل فريق بطريرك : وكان كل فريق منهما يدعي ان بطريركه انما هو الشرعي المطاع دون غيره حتى نشأت منازعات جديدة بهذا الموضوع ايضاً الى ان استتب الامر لكل حزب على ما كان عليه بالاستقلال التام عن لآخر : فاستمر لهذه الاسباب حزب الخلقيدونيين الموارنة على الاعتقاد بمشيئة واحدة في المسيح واشتهر امره عند الجميع وميزه كل من كتب عنه كطائفة مستقلة عن الخلقيدونيين الملكيين بهذا الاعتقاد عينه :

عدد ٩٠ — والظاهر ان أهل هاتيك الاعصار القريبة من تاريخ ذاك الانفصال لم يحسبوا مع ذلك الموارنة وهم على هذه الحال انهم تبعوا تعليم المنوثيليين بعينه أو أخذوا هذا الرأي عنهم أو انتصروا لهم أو عرفوهم أو اتصلوا بهم أقل اتصال : ولهذا لم يدعوهم قط بهذا الاسم أي منوثيليين مع ان أهل هذه الشيعة قد حرموا جميعاً هم ومذهبهم في المجمع المسكوني السادس بهذا الاسم فقط الذي عرفوا به منذ أول نشأتهم : فلو كان الموارنة قد اتصلوا بهم أقل اتصال أو تمسكوا بهذا التعليم على رأيهم لما فات خصومهم خاصة وكل من كتب عنهم بهذا المعنى ان يقرفوهم ولو مرة واحدة بهذا الاسم المكروه أو باسم أحد المبتدعة : ولما تركوهم على اسمهم القديم الذي عرفوا به من ذي قبل كابطال التعليم الكاثوليكي القويم واشتهروا بالمناضلة عن المجمع الخلقيدوني المقدس حتى أطلق عليهم مع هذا الاسم اسم الخلقيدونيين فصار اسم الماروني والخلقيدوني مترادفين وقد لازمهم ذلك حتى بعد هذا الشقاق فافترقوا الى خلقيدونيين موارنة وخلقيدونيين مكسيميين كما رأيت مما أثبتناه حتى الآن من الآثار التاريخية الراهنة :

ومن ثم فلو كان الخلقيدونيون الموارنة بتمسكهم بالمشيئة الواحدة في السيد المسيح على رأي المنوثيليين تماماً وأخذوا هذا التعليم عنهم وانتصروا لائمته لما فات خصومهم أن ينزعوا هذا الاسم الكاثوليكي الشريف عنهم ويطلقوا عليهم بدلا منه اسم

المنوثيليين المرذول : والحال اننا لا نجد ولا أثراً واحداً من تلك الآثار التاريخية العريقة في القدم يذكرهم بهذا الاسم على الاطلاق حتى برز المؤرخ الشهير سعيد ابن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري في أواسط القرن العاشر وهو معروف بقلة التدقيق في رواياته عند عامة المحققين فاخترع من مخيلته الخصيبة قصة راهب اسمه مارون قد ابتدع على قوله في بهرة القرن السادس على عهد موريق ملك الروم مسئلة المشيئة الواحدة والفعل الواحدة في السيد المسيح وان الذين تبعوه في هذا المذهب الضال قد أطلق عليهم منذ ذاك الحين اسم موارنة نسبة لمارون هذا المبتدع : وانما سوغ له هذا الاختراع جهله لتاريخ المنوثيلية الحقيقي وما رآه في عصره من ان الذين كانوا في سورية على الاعتقاد بالمشيئة الواحدة انما كانوا يعرفون بالموارنة : فقياساً على اسم النساطرة من نسطور المبتدع واليعاقبة من يعقوب البرادعي أحد أئمتهم الخ وجهله من جهة أخرى أصل تسمية الموارنة نسبة الى القديس مارون الناسك ورهبانه على ما بيناه سابقاً ظن انهم انما سموا كذلك نسبة الى راهب اسمه مارون جعله مخترع هذا المذهب وخلط في التاريخ أي خلط مما لا يعزب عن ذي بصيرة وانصاف : وقد انخدع بترهاته هذه جمهور من المؤرخين الذين أخذوا عنه هذه الاسطورة واستندوا اليه دون روية ولا تدقيق :

وها نحن ذاكرون في هذا البحث ما وقع لنا ولغيرنا من الآثار التاريخية المعتبرة مما فيه ذكر الموارنة منذ القرن التاسع فصاعداً مع دروسنا الانتقادية على كل أثر منها على ما يلائم هذا الموضوع حتى نلم بكل اطرافه ومن ثم نقول وبالله المستعان :

الفصل الاول

في الآثار التاريخية التي ظهرت في القرن التاسع مما يتعلق بالموارنة

عدد ٩١ — ان أول أثر من آثار القرن التاسع التاريخية مما جاء فيه ذكر الموارنة وما يتعلق بحالتهم الدينية انما هو لثودورس أبي قرة أسقف حران: فهذا الكاتب الكنسي الجليل والفيلسوف الكبير قد تركت لنا يد الدهر من تآليفه عدة مقالات مترجمة الى اللغه اليونانية في مواضيع دينية شتى اثبتها الاب مين المشهور في مجموعته الضافية الذيول في القسم الذي خصصه بآباء اليونان: ثم عدة مقالات أيضاً وجدها في أصلها العربي حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا أحد رهبان دير المخلص بلبنان ونشرها مؤخراً بالطبع في بيروت: وقد اثبت في آخر هذه النسخة لائحة عناوين كل مقالات أبي قرة هذا الذي وجدها في مجموعة مين المشار اليها مترجمة الى العربية[1]: ونحن قد طالعنا كل هذه المقالات اليونانية

(١) وقد ضبطه بعضهم « ابو قارة او ابو كارا » والصحيح كما ضبطناه هنا على ما ورد في كتاباته وكتابات غيره العربية مما ظهر مؤخرا: وانما الذين ضبطوه على ماذكرنا قد عربوا اسمه عن اليونانية او اللاتينية كما نقله مترجمو مقالاته الى هاتين اللغتين منذ القديم مما فقد اصله السرياني او العربي:

اما كون ابي قرة قد كتب باللغة العربية فلا يحتاج الى دليل بعد ظهور هذا الاثر من مقالاته وليس من ريب في انه انما كتب في الاصل في هذه اللغة: واما كونه كتب باللغة السريانية ايضاً فيثبته قول هذا الكاتب نفسه في المقالة الثالثة من هذا كتاب مقالاته العربية وعنوانها في « موت المسيح » حيث قال (ص ٦٠ من طبعة بيروت الحديثة) ما حكايته «واتينا على شكل من امثاله بنظيره من اقوال

فلم نجد فيها أقل ذكر للموارنة ثم طالعنا مجموعة مقالاته العربية المذكورة فوجدنا في المقالة الثامنة منها (ص ١٠٤) وعنوانها « رسالة اجابة مسألة كتبها أبو قره القديس الى صديق له كان يعقوبياً فصار أرثوذكسياً عند رده عليه الجواب » ان قد جاء ذكر الموارنة بالعرض في نحو منتصفها بالعبارة الآتية :

الاباء القديسين في ثلاثين ميمرا وضعناها بالسريانية » : واما كونه لم يكتب باليونانية فدليله اولا ما جاء في عنوان المقالة الرابعة من مقالاته التي وجدت باليونانية وهذه ترجمته «رسالة تتضمن ايضاح الايمان المستقيم ارسلها البابا المغبوط توما بطريرك اورشليم الى الهراطقة الذين في ارمينية : وقد املاها بالعربية ثودورس المعروف بابي قرة الذي سار اسقفاً على حران : وترجمها الكاهن ميخائيل قيم الكرسي الاورشليمي الذي حملها اليهم » ثم ما يراه كل متأمل بصير في عناوين مقالاته اليونانية او اكثرها من انها جدالات وقعت بينه وبين بعض العرب او اليعاقبة او النساطرة من اهل سورية مما لا يُقدر بصواب انه حصل في اللغة اليونانية :

اما عصر هذا الكاتب الجيد فقد قال فيه الخوري قسطنطين الباشا انه كان منذ ايام القديس يوحنا الدمشقي وانه كان من تلاميذه : ومن المعلوم ان هذا الملفان الجليل قد رقد بالرب حوالي سنة ٧٥٦ : وتوما بطريرك اورشليم الذي بامره قد املى ابوقرة رسالته الى الارمن على ما ذكرنا آنفاً انما ارتقى الى هذه السدة البطريركية في سنة ٨٠٧ وتوفي سنة ٨٢٩ ويظهر ان اباقرة لم يكن اذ ذاك صار اسقفاً على حران : ذلك فضلا عن انه قد ظهر بين التآليف المنسوبة الى هذا الكاتب النحرير مقالة بالعربية في الجدال الذي حصل بينه وبين سبريشوع بطريرك النساطرة وبين حبيب بن خدمة المعروف بابي رايطة اسقف تكريت اليعقوبي بحضرة المأمون خليفة العرب (ويوجد من هذه المقالة عدة نسخ خاصة في مكتبة باريس الملوكية) : ومن المعلوم ان المأمون قد تولى دست الخلافة منذ سنة ٨١٣ الى سنة ٨٣٣ : وفي سلسلة بطاركة النساطرة ان سبريشوع قد رقي الى هذا المقام البطريركي سنة ٨٣١ وهو يناسب آخر مدة المأمون فيتحصل من ذلك ان اباقرة انما كان تلك السنة حياً يرزق : ومن ثم

كلام الاسقف ثودورس أبي قرة بخصوص الموارنة
(في المقالة الثامنة ص ١٢٤)

« وليس على أنقص من هذه الحال كان للكلمة الاله جميع التركيب
« الانسي بجميع هنداسه الذي هو خزانة ومعدن جميع الحركات الانسية.
« والكلمة هو الذي يستعمله كما يريد : فلذلك الافعال التي بدت منهُ هي
« للكلمة ولا نرى ان القوى التي كانت في التركيب الانسي بطلت لان
« الكلمة هوكان المدبر والمحرك لها وان كانقد يرى ذلك جند الموارنة [١]
« لا بل بوجود أصل الحركات الطباعية وكلما يصلح وينبغي لها طباعياً من
« الذي كان في ذلك التركيب الانسي الذي اتصل بالكلمة به يتحقق للكلمة
« انه صار انساناً »

لا يعقل انه كان من تلامذة الدمشقي كما لا يعزب عن ذي بصيرة :

ويظهر مما لاحظه الاب لويس شيخو اليسوعي العلامة المحقق في مجلة المشرق (٦ : ٢٢) انه كان في ذاك العهد كاتب نسطوري يعرف ايضاً بابي قرة اسقف حران ونصيبين واسمه مارشمعون من ريثا : ولا يقدَّر بصواب ان قد جرى جدال في امر الدين بينه وبين بطريركه امام المأمون :

(١) ان الخوري قسطنطين الباشا ناشر هذا الكتاب قد وضع هنا وفي الفقرات التي نثبتها في مايلي من المقالة التالية مكان لفظة « الموارنة » التي وجدها في الاصل الذي نقل عنه لفظة « مانوثيليين » وقال في خاتمة الكتاب انه قد أبدل هذه الكلمة من لفظة مترادفة لا تسمح له المحبة بابقائها على أصلها : فنحن مع الثناء الطيب على لطفه هذا وحسن قصده منه لا يسعنا الا ان نبين انه قد أخطأ من عدة وجوه بهذا الابدال دون مستند حقيقي : وكنا قد اعترضنا عليه باستفاضة في حاشية مسهبة علقناها على الصفحة ٤٩ من كتابنا عن أصل الجراجمة والمردة والموارنة وعلمنا انه اطلع

ثم في المقالة التاسعة التي تتلو هذه وعنوانها « ميمر في تحقيق ناموس موسى والانبياء . . . وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس الى الخلكيدونية وابطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة » (ص ١٤٠ من هذا الكتاب) قد جاء أيضاً ذكر الموارنة في عدة مواضع نذكرها هنا جميعها كما وردت بالحرف الواحد وهي على ما يلي :

أولا — ماجاء في الصفحة ١٥٤

« لكن أي شيء تنتفع به معشر النصارى الا ملة الخلكيدونية
« دون النسطوريين واليعقوبيين واللوليانيين - والموارنة - وغيرهم
« من الاراسيس الذين ينتحلون النصرانية »

ثانياً — ماجاء في الصفحة ١٦٩

بعد ان ذكر نسطور والمجمع الثالث الذي حرمه وحرم بدعته وبكت النساطرة على اتباعهم رأيه دون تحديد هذا المجمع الملتئم بروح القدس : ثم بعد ان ذكر أوطاخي وديسقورس واليعاقبة والمجمع الذي حرمهم وحرم بدعتهم وبكتهم على اصرارهم الخ قد قال ما حكايته :

« أما المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها
« حتى نحاوره بمثل ما حاورنا به أصحابه ونلحق به مثل ما ألحقنا بهم [1] »

عليها وقد عجبنا من عدم اكتراثه لما جاء فيها بهذا الصدد وهي قبل نشر هذا الكتاب ونحن لا نزال نصر على القول بان أباقرة انما ذكر هنا الاوثيلي لا المارونى وان بعض النساخ قد أبدلوا ذلك بما يوافق ميلهم كما فعلوا في غير هذا المحل مما هو ثابت عليهم والله أعلم :

(١) من المعلوم ان المجمع الخامس قد حرم بدعة مولهي اللاهوت وبطرس القصار زعيمهم وحرم زيدة الصلب على التريساجيون بمعنى هذا الضل : وقد رأيت

« ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا أيضاً في المسيح
« ما قالوا فانكرت الكنيسة قولهم وبارزهم أناس من الآباء .... فاجتمع
« المجمع السادس المقدس بالقسطنطينية بأمر أسقف رومية فطرحهم
« وأبطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجامع
« التي كانت قبله وهجرت مقاريوس وأصحابه وبصقت قولهم »

« فما بالك — يا ماروني — قبلت المجمع الاول والثاني والثالث
« مسترسلاً منبسطاً ولم تركك مع رأيهم رأياً كما أمرك روح القدس : فلما
« بلغت الى المجمع السادس كأنك قد نسيت تعليم روح القدس وسكرت
« سكراً لم تصح بعده فأقبلت على أبائك الذين يستحقون منك الكرامة
« وقد أمرت من روح القدس ان تقيم حدهم وجعلت تشتمهم كالكلب
« الكلب وتزيل حدهم »

ثالثاً — ماجاء في الصفحة ١٧١

بعد ان عدد المجامع والملوك الذين جمعوها من مجمع نيقية الذي جمعه قسطنطين

ان الموارنة قد استمروا على استعمال زيادة « يامن صلبت لاجلنا » وقد اتهمهم بعض الكتبة لذلك بالجنوح الى هذه البدعة وبينّا نحن في هذا الكتاب بطلان هذه التهمة لاستعمالهم ذلك بمعنى كاثوليكي محض حتى ان الكرسي الرسولي قد رضي عن هذا الاستعمال : فنرى والحالة هذه في قول أبي قرة هنا ان « ليس احد يتحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نجاوره » ما فيه من البرهان على عدم اعتبار هذا البطل للموارنة من اصحاب هذه البدعة الوخيمة ولو استعملوا هذه الزيادة : الا اذا قيل انه لم يكن يعرف الموارنة أو كونهم يستعملون ذلك حتى يتعرض لهم : فتأمل

الكبير حتى المجمع السادس الذي جمعه قسطنطين بن هرقل (كذا) قال ما حكايته حرفياً :

« فانت – يا ماروني – ان نقمت على المجمع الخامس والسادس
« بان الملوك جمعتهما وقد استحقا ألا يقبلا لان الملوك قهرت فيهما الناس ولهما
« فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الرابع والمجامع التي قبله : لان كل
« مجمع من هذه المجامع انما جمعه ملك كما بينا »

رابعاً — وبعد ان خاطب اليعقوبي بمثل هذا قال أيضاً

«وأنت يا نسطوري كذلك نبدي عليك هذه الحجة كما قد لزمت
« اليعقوبيين والمارونية فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع
« الملك اياه وتدفع لذلك قضيته »

عدد ٩٢ — وهذا كل ما جاء فيه ذكر الموارنة في تآليف ثودورس أبي قرة المعروفة حتى الآن اثبتناه جميعه في مواطنه ليسهل على أهل التحقيق درسه : فهلم بنا الآن نبحث أولاً عن صحة هذه الروايات : وقد سبق لنا أن أبدينا عليها ملاحظاتنا باسهاب على ما ذكرنا في الحاشية السابقة (على عدد ٩١) وقد اطلع عليها ولا ريب ناشر كتاب جامع الحجج الراهنة لانه يذكر كتابنا ذاك مراراً ويستشهده أيضاً : وقد استغربنا بعد ذلك استشهاده بهذا كلام أبي قرة ضد الموارنة دون أن يعير اعتراضاتنا وملاحظاتنا أقل اكتراث : كما فعل الخوري قسطنطين الباشا ناشر هذه المقالات المشار اليه مع انه من آداب المناظرة وأصول التدقيق في التحقيق عند العلماء أن يدفعوا أولاً كل اعتراض يرد على رواياتهم ليحق لهم أن يتمسكوا بها دون أقل ريب الا اذا أرادوا المكابرة والاصرار على آرائهم كيفما دارت الاحوال

وهذا غير مقبول عند أهل الذوق السليم كما لا يغرب [1]

ومع ذلك فاذا سلمنا ان الباقرة قد ذكر الموازنة حقيقة في الفقرة الاولى فما

---

(١) ومما لا حظناه سابقاً احتجاجاً على هذه الرواية انه كانت النسخة التي اعتمد عليها الخوري قسطنطين الباشا في نقل هذه المقالة الاخيرة عند ما نشرنا لاول مرة في مجلة المشرق البيروتية (٦ : ٦٣٣ وما يلي) انما هي حديثة العهد ومن الراجب ان تقابل بالنسخة الاصلية القديمة العهد التي كانت محفوظة في دير مار سابا السيق أو المأخوذة عنها التي كانت محفوظة عند المطران انتيموس الصيفي مطران صور وقد اطلع عليها العلامة السمعاني كما ذكر في المكتبة الشرقية (مج ٢ ص ٢٩٢ حاشية) ولم يذكر شيئاً عن ورود ذكر الموازنة في هذه المواطن منها خلافاً لعادته مما يدعو الى الريب العظيم في كونه قد ورد في الاصل هنا اسم الموازنة بدلاً من المنوثيلية : ومما يدل على عدم الاكتراث لاعتراضاتنا هناك وعلى التقصير في ضبط رواية هذا الكتاب قبل نشره لحسم الجدال في هذا الباب ما ذكره الخوري قسطنطين ناشره مؤخراً برمته قال في مقدماته عن تعريف هذا الكتاب والنسخة التي اعتمد عليها ما ملخصه : انه انما اعتمد على نسخة وجدها في دير المخلص بجبل لبنان نسخها المطران باسيليوس قينان سنة ١٧٣٥ عن نسخة له قديمة العهد كتبت على ما يظهر سنة ١٠٥١ م كانت في الاصل ملك الراهب اغابي في دير مار الياس بجبل اللكام ثم اتصلت بالمطران افتيموس الصيفي وهي منسوخة في ذلك العهد عن نسخة كانت في دير القديس سابا في نواحي القدس الشريف : وقد جاء في آخر المقالة الثامنة التي استشهدناها هنا ما يدل على ذلك وهو قوله (ص ١٣٩) «بصلاة والدة الله مريم وصلوات أبينا القديس سابا الذي في ديره نسخ الكتاب الذي هذا الكتاب نسخ عنه مع صلاة جميع الآباء الخ» وفي هذه الفقرة ما لا يغرب عن ذي بصيرة مما حصل من تصرف النساخ وفي كل حال فان حضرة الناشر على ما يظهر لم يطلع على النسخة القديمة التي اخذت نسخته عنها لاجل المقابلة في محلات الارتياب ولم يسع لذلك سداً لهذه الثلمة ولم يرد اعتراضاتنا وملاحظاتنا كما كان الواجب ولا ندري لذلك من سبب ولهذا بقيت روايته في محل الارتياب :

اثبتناه هنا عنه حيث قال « ولا نرى ان القوى التي كانت في التركيب الانسي بطلت لان الكلمة هو المدير والمحرك لها — وان كان قد يرى ذلك جند المارنة — » فقوله هذا عن الموارنة فيه نظر لاهل البحث والتدقيق : وعندنا ان في قوله — قد يرى — ما يفيد الريب او عدم القطع بان الموارنة كانوا يعلّمون هذا التعليم بصراحة : وانما كانوا يعارضون المكسيميانيين في هذه القضية من وجه انها كان يتأتى عنها في عرفهم ما ذكرناه غير مرة بحسب رواية التلمحري أي « كأن للابن ارادة مختلفة عن ارادة الاب وان في المسيح ارادتين مختلفتين ومتضادتين ومتحاربتين وعدوتين معاً » لانه اذا كان الكلمة هو المدير والمحرك للقوى التي كانت في التركيب الانسي وقد نفر من شرب كاس العذاب والموت على الصليب وطلب ان تزال عنه اذا كان مستطاعاً عند الاب يتحصل من ذلك كما يرى المتأمل البصير ان ارادة الكلمة التي تدير وتحرك الارادة الانسية في المسيح مختلفة عن ارادة الاب وبهذا المعنى كان الخلقيدونيون الموارنة يعارضون هذا الرأي ومن ثم فاذا كانوا لم يقبلوه على هذا الوجه المنكر فعذرهم واضح لذي عينين : وأنت ترى في كل حال كيف ان العلامة أبا قرة هنا لا يشدد النكير في ذلك على — جند الموارنة — أي حزبهم بل يقول بكل بساطة — وان كانوا قد يرون ذلك — مع ان المجال قد فتح له متسعاً لتقريعهم بشدة ورد أقوالهم فيما لو أراد ذلك :

فاين هذا من القول المنسوب اليه في الفقرات التي أثبتناها هنا أيضاً عن المقالة التاسعة من كتابه هذا حيث يقرف الموارنة (اذا صح انه يذكرهم حقيقة باسمهم) تقريفاً أشد كثيراً مما يقرف به النساطرة واليعاقبة وخاصة حيث قال « وسكرت سكراً لم تصح بعده . . . . وجعلت تشتمهم كالكلاب الكلاب » مما لا يناسب آداب هذا العلامة ولا فضله وفضيلته ولا يصح أن ينسب اليه بوجه من الوجوه؟: ومما يزيد في الريب في صحة هذه الرواية ما في هذه الفقرات من عدم التدقيق المخالف لحصافة هذا الكاتب الحكيم : فانه قد قال أولاً بكل صراحة « أما المجمع

الخامس فليس أحد يحامي عن الاراسيس التي حرمها » ثم قال بعد ذلك « فما بالك — يا ماروني — قبلت المجمع الاول والثاني والثالث مسترسلا منبسطاً » دون ان يذكر الرابع والخامس اللذين يقبلهما الموارنة بلا اشكال : ثم قال بعد ذلك « فأنت ياماروني ان نقمت على المجمع الخامس والسادس بان الملوك جمعتها . . . . » : فاذا ارتبنا والحالة هذه في صحة نسبة هذا الكلام الى العلامة أبي قرة لا نكون متعنتين كما قد يقال (١)

عدد ٩٣ — ومع هذا فهب أن هذا الكلام قد ثبتت نسبته الى أبي قرة هذا لا نراه يضر بقضيتنا على الشكل الذي قررناه في البحث السابق : فان الخلقيدونيين الموارنة بعد ما انفصلوا عن الخلقيدونيين المكسيمينيين بسبب المشيئة والمشيئتين في السيد المسيح على ما رأيت وحصل ما حصل من المشاغبات والمضاغنات والحرب العوان بين الفريقين مما أدى الى الافتراق والتباعد الشديد حتى لم يعودوا يتفاهمون لا غرو اذا رأينا بعض كتاب المكسيمينيين يغالون في تقريعهم الى هذا الحد ويتكلمون عنهم بهذا المعنى دون تدقيق : ومع ذلك ففي استمرارهم على تسميتهم اياهم بالموارنة (وهو اسم كان قبل ذلك و بعده يدل على الخلقيدونيين الارثذكسيين كما رأيت مما جاء في الآثار الراهنة حتى الآن ومما سيلي) فيه والحق يقال محل النظر عند أولي البصائر : والا كان الاولى والاجدر بهم فيما لو اعتبروهم على المنوثيلية

---

(١) ومما هو أغرب من ذلك ان ناشر كتاب جامع الحجج الراهنة الذي استشهد بكل حرص ماورد من هذا القبيل في كتاب أبي قرة المذكور قد أغفل المحل الاول وهذا الاخير مما ذكرنا نحن هنا : ونظن انه لامر ما قد أغفلها ولا نخاله الا قد رأى فيهما ما رأيناه نحن وبيناه آنفاً من ان الاول يدل على ان الموارنة لم يذهبوا مذهب المنوثيليين الذي يبطله العلامة أبو قرة في المقالة التاسعة بصراحة : والثاني يجعل شبهة كبيرة في صحة نسبة هذا الكلام اليه كما ذكرنا : والا فلماذا أغفلها ؟

البحتة تماماً أن يسمرهم منوثيليين من قبيل الاحتقار (كما استحسن مؤخراً الخوري قسطنطين الباشا) حتى يظهر بزيادة للملأ أجمع انهم المحرومون في المجمع السادس فلا يضطر بعض الملكية أن يبدلوا في الترجمة العربية لاعمال هذا المجمع لفظة «منوثيليين» بلفظة «الموارنة» مما لم يحلم به آباء المجمع السادس: وهكذا كانوا تبرأوا منهم تمام التبرؤ حتى لا يبقى من محل ليخلطهم بهم أهل البدع الاخرى والرأي العام في ذاك العصر:

عدد ٩٤ — ومما يدل على أن الرأي العام في سورية لم يكن يميّز بين الفريقين بل كان يحسبهم فئة واحدة ما جاء عند كتبة تلك الاعصار عند ما كانوا يعددون فرق النصارى المعروفة في عصرهم فكانوا يقولون ان هذه الفرق انما هي النسطورية واليعقوبية والخلقيدونية أو الملكية:

وهذا عبد الله بن اسماعيل الهاشمي في أول رسالته الى عبد المسيح بن اسحاق الكندي) طبعة لندن ١٨٨٥ ص ٧) يقول بهذا المعنى ما حكايته حرفياً:

كلام عبد الله الهاشمي في أوائل القرن التاسع

« فهذه كلها (أي الكتب المقدسة) قد قرأتها ودرستها وناظرت
« فيها تيموتاوس الجاثليق وقد علمت تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم
« والعقل: وناظرت فيها من أهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظاهرة
« أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين
« نسطوريوس وكيرلس وهم الروم: واليعقوبية وهم أكفر القوم وأخبثهم
« قولاً وشرهم اعتقاداً وأبعدهم من الحق القائلون بمقالة كيرلس
« الاسكندراني ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية:
« والنسطورية أصحابك وهم لعمري أقرب وأشبه بأقاويل المنصفين من

« أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً الى قولنا نحن معشر المسلمين »

وأظهر من ذلك في هذا المعنى قول حبيب بن خدمة أبي رايطة أسقف تكريت اليعقوبي المعاصر للعلامة أبي قرة كما أورده ناشر كتاب جامع الحجج الراهنة في ذيل هذا الكتاب (٥٠٨ من الطبعة الحديثة) : قال الناشر في المحل المذكور — من مجموع رسائل لحبيب بن خدمة أبي رايطة وهو مخطوط عربي في خزانة كتب باريس بعدد ١٦٩ يتضمن أولاً احتجاج عن الثلاث تقديسات الذي صلب لاجلنا : ثانياً رسالة في التجسد : ثالثاً رسالة في الرد على الملكية : قال ما يأتي في صفحة ٨٤ من رسالة الى أبي العباس البطريق أسوحا بن سباط الذي طلب أن يجتمع بحضرته مع أبي قرة الحكيم :

كلام حبيب بن خدمة أبي رايطة من كتبة القرن التاسع

« بلغني أيها السيد طعن أبي قرة الحكيم ونقمه علينا في تقديسنا

« الله سبحانه ذا القوة الدائم في وقت صلواتنا وختمنا ذلك بذكر صلب

« المنقذ المخلص اذ نقول مراراً ثلاثاً : أنت القدوس الله ذو القوة الذي

« لا يموت المصلوب دوننا فارحمنا . وعهدي بأبي قرة الفيلسوف وهو غير

« منكر في فسر الكلام واظهاره ان المصلوب المولود من مريم البتول

« اله متأنس قدوس طاهر قوي لا يموت وان كان ذلك منه حيلة ومكراً

« وتلبساً على أهل البساطة والفرق من المؤمنين لئلا يظنه نسطورياً خالصاً »

الى ان قال في الصفحة ٨٦ — ٨٧

« فان قالوا ان الفرق المشهورة بالنصرانية ثلاث أعني اليعقوبية

« والملكية والنسطورية ولسنا نجد في تقديس احدى هاتين الفرقتين

« الملكية والنسطورية ذكر الصلب البتة . قلنا بلى قد نجد الملكية

« الذين ثبتوا على بدعة المجمع المنافق مجمع خلقيدونيا المعين لهم والمقيم
« بشأنهم بعد الريب المظنون جهلاً البان (كذا) الارطيق الذي أحيا
« النسطورية بعد موتها يوربعام الثاني أعني مركبانوس الغشوم المناصب
« الناقض لما أسست وشيدت من الايمان الصحيح والدين القيم الملوك
« المنصورة الزاكية المهلكة من الملاك الحق بسابق علمه في اجتهادهم
« بانفسهم ومبالغتهم في تقوية الايمان به على حقه وصدقه من غير وهم
« ولا تقصير أعني قسطنطين وتيودوسيوس الاول والاخير عصمنا الله
« بصلواتهم : ان انكر ذلك وجحده الذين قبلوا الايمان المبدع المصنوع
« في خلقيدونيا هم المكانون (كذا) لتباعهم قول مكسيمانس بعد
« قبولهم النفاق الزور الاول المجتمع عليه المختلق في خلقيدونيا :وابو قرة
« العالم ومن رأى رأيه منسوب ملكياً خلقيدونياً مكسيميانوسياً
« والآخرون الباقون عليه الثابتون معهم على رجاسة المجمع المبتدع
« يتسمون ملكيين خلقيدونيين مارونيين المخالفين لمكسيميانوس
« المتولي ابي قرة وشيعته منهم اول دين مارون المعروف المشهور بأرض
« الشام والجزيرة وغيرها من اهل القرى والمدن فقد نجد هؤلاء ايها
« السيد في تقديسهم وختمهم صلواتهم بصلب الله .... الخ »

عدد ٩٥ — فلينظر كل متبصر ان أبا رايطة المعاصر لابي قرة قد حسب الملكية هنا أمة واحدة وهي غير النساطرة واليعاقبة : وقد قسمها الى فرقتين « ملكية خلقيدونية مكسيميانوسية وملكية خلقيدونية مارونية » : وقد حج أبا قرة الحكيم بفئة من الملكية وهي المارونية بانها كانت تضيف الصلب الى التريساجيون كاليعاقبة

متى كان موجهاً الى الابن الذي هو الفادي تعالى : فيتحصل من ذلك والحالة هذه انه لو كان الموارنة يعتقدون بالمشيئة الواحدة على طريقة المنوثيلية لما دعاهم خصومهم بغير اسم المنوثيليين في تلك الاعصار ليتبرأوا منهم تجاه الرأي العام : وفي هذا الكلام ما يثبت رأينا أيضاً بكل صراحة من حيث ان الموارنة في القرن التاسع لم ينحازوا الى اليعاقبة بل كانوا مختلفين عنهم تمام الاختلاف وبهذا القدر عني :

الفصل الثاني

في الآثار التاريخية التي ظهرت عند كتبة القرن العاشر مما يتعلق بالموارنة

عدد ٩٦ — وعلى تراخي الايام كان يظهر بزيادة انفصال الخلقيدونيين الموارنة على الخلقيدونيين المكسيمينيين الذين خصُّوا وحدهم باسم « الملكية » دون الاولين الذين عُرفوا باسم « الموارنة » وقد اشتهر استقلال كل أمة عن الاخرى بالصفة المميزة من حيث المعتقد بالمشيئة أو بالمشيئتين حتى لم يأت القرن العاشر الا وقد شاع هذا التمييز بين الكتبة الذين ظهروا في مطاويه من كل الامم التي في سورية ومصر بخلاف ما كانت عليه الحال في القرن التاسع كما رأيت :

ومن الغرائب انه لا نحن ولا غيرنا من الكتاب الذين تحروا البحث عن تواريخ الموارنة من دينية ومدنية منذ القرن السادس عشر حتى الآن قد عثروا على أقل أثر تاريخي راهن مما يلامس هذا الموضوع في تلك الحقبة التي هي من القرن الثامن حتى أوائل القرن الحادي عشر لا عند كتبة الموارنة الذين الى الآن لم يظهر منهم شيء يذكر سوى بعض الكتب المنسوبة الى القديس يوحنا مارون البطريرك الاول في سلسلة بطاركتهم : ولا بين آثار الكنيسة الرومانية من تاريخية وغيرها : لا عند كتبة اليونان الا ما يقال انه جاء بالعرض في مقالتين للقديس يوحنا الدمشقي :

وهو مع هذا سوري وقد قضى معظم حياته في دير القديس سابا بنواحي أورشليم : وفي كتاب القديس جرمانوس بطريرك قسطنطينية على ما ذكرنا غير مرة :

ونحن لا ندري لذلك من سبب معقول بحيث لا يزال سراً من الاسرار التي تتكفل الايام بكشفها : وفي كل حال نرى في صمت الكنيسة الرومانية عن هذه الملة كل هذه المدة ما يدعم رأينا بأن انفصال الموارنة عن الملكيين بسبب قضية المشيئة الواحدة والمشيئتين لم يكن ليعد لا لاهوتياً ولا قانونياً ولا شرعاً هرطقة صورية : والا لم تكن كنيسة رومية لتصمت عنهم كل هذه المدة هذا الصمت العميق : وصاحب كرسيها انما هو خليفة بطرس الرسول ونائب المسيح على الارض وبالتالي راعي خراف المسيح العام الذي لا يمكنه أن يغفل طرفة عين عن الخرفان التي يعرف انها ضلت عن رعيته وخطيرته الامينة : بل ينشدها ويبذل كل ما في وسعه ليردها الى الصواب : والا فيقطعها عن قطيعه الامين كالجرباء لئلا تعدي الاصحاء :

عدد ٩٧ — هذا أما كتبة القرن العاشر فاول المعروفين منهم حتى الآن انما هو افتيكيُس أو أوطاخي الاسكندري المعروف بسعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية على الملكيين : فهذا قد كتب تاريخاً مطولاً باللغة العربية منذ أول الخليقة حتى سنة ٩٣٣ وهي السنة التي صير فيها بطريركاً على الاسكندرية : وقد اشتهر تاريخه هذا تلك الايام بين كتاب مصر وسورية خاصة اشتهاراً غريباً بحيث قل ما تجد من لم يطالعه ويأخذ عنه ممن كتبوا بعده بدون أقل تدقيق : على انه منذ القرن السابع عشر قد فقد كل اعتبار وثقة عند المحققين الذين أخذوا ينتقدونه بكل عناية حتى أظهروا كل عيوبه : بحيث تقرر الآن عند العلماء انه ليس مما يمكن التعويل عليه في ما أثبته من الروايات وقد ملأها بالترهات والاساطير التي لا مستند لها في غير مخيلته : لانه كما قيل فيه لم يكن يحرص على الحقائق التاريخية بذمة شأن

المؤرخين الاعلام . ولم يكن يستنكف من اختراع بعض الروايات واثباتها كحقيقة راهنة وهي ليست على شيء من ذلك :

ومن مبتكراته التي يهمنا أمرها في هذا البحث ما أثبته عن الموارنة وأصلهم في الجزء الثاني من تاريخه هذا (ص ٩٠ من طبعة سنة ١٦٥٨ فقد قال ما حكايته بالحرف الواحد :

كلام سعيد بن البطريق الاسكندري في القرن العاشر

« وكان في عصر موريق ملك الروم راهب يقال له مارون يقول
« ان سيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد وقنوم
« واحد : فافسد مقالة الناس واكثر من تبعه على مقالته تلاميذه
« القائلين به اهل مدينة حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من اهل
« الروم فسميوا التابعين له والقائلين بمقالته المارونية — مشتق من اسم
« مارون : فلما مات مارون بنوا اهل مدينة حماه دير بحماه وسموه دير
« مارون ودانوا بدين مارون »

عدد ٩٨ — فسعيد هذا هو بالاجماع أول من ابتكر هذه الرواية كما رأيت : والظاهر انه تذرع اليها عن جهل فاضح لتواريخ تلك الايام وعدم العناية في تحقيق الروايات : فانه قد رأى في عصره ان الذين يتهمون بمقالة المشيئة الواحدة في المسيح على ما بينا حتى الآن يدعون « موارنة » وانهم طائفة مستقلة عن طائفة الملكية وعن سائر الطوائف الشرقية التي كانت في عصره كاليعاقبة والنساطرة فلم يعتنِ في التدقيق عن كنه معتقدهم وأصلهم واستقلالهم : ولكنه من جهة اعتمد على الظواهر وعلى اشتقاق اسمهم من رجل يدعى مارون : وقد علم من جهة أخرى أن مرجعهم جميعاً كان الى دير القديس مارون في أعمال حماة (وكان قد دثر في عصره) فلم يكلف

نفسه أقل عناء في البحث عن تاريخ هذا الدير والقديس الذي تسب اليه : ومن جهة ثالثة لم يرد أن يعنى في تحقيق تاريخ ظهور المنوثيلية : فاعتمد والحالة هذه على اشتقاق اسم المؤارنة من مارون قياساً على اشتقاق اسم النساطرة من نسطور المبتدع واسم اليعاقبة من يعقوب البرادعي زعيمهم وقال ما قال دون تردد بان مبتدع المارونية أو مذهب المشيئة الواحدة انما هو راهب اسمه مارون بني تباعه ذلك الدير الشهير على اسمه الى آخر ما رأيت من روايته هذه

فلا حاجة من ثم لتفنيد مزاعمه هذه بعد الذي بيناه لك فيما سلف وعرفته عن تاريخ حياة القديس مارون المناسك وشأن ديره ورهبانه على ضفاف العاصي بقرب افامية من سورية الثانية ورجوع اسم الموارنة الى هذا الاصل : وما عرفت أيضاً عن تاريخ نشأة المنوثيلية الذي يقصده ابن البطريق ويسميه مذهب المارونية وينسب اليه كل الذين اشتهروا فيه من قديم الدهر : وكيف لا يمكن أن يكون هذا المذهب قد نشأ على عهد موريق الذي جلس على عرش مملكة الروم سنه ٥٨٢ الى سنة ٦٠٢ :وقد أجمع المؤرخون من أهل التحقيق والثقة انه انما ظهر على عهد هرقل الملك في بهرة النصف الاول من القرن السابع

عدد ٩٩ — ومن الغرائب ما ذهب اليه مؤخراً الاب برنردس غبيره الغزيري الراهب الانطوني الماروني في كتاب له نشره في بيروت باللغة الافرنسية عنوانه « رومية وكنيسة انطاكية السريانية المارونية » فقد قال فيه بهذا الصدد منذ الصفحة ٢٨ فصاعداً ما ملخصه — ان مبتدع مذهب المشيئة الواحدة انما كان راهباً نسطورياً من الرها اسمه مارون عاش في القرن السادس وقد اشتهر به تلك الايام وشايعه عليه جمهور من الناس أطلق عليهم اسم موارنة في تلك الأنحاء نسبة اليه وهم غير موارنة سورية الثانية وسورية فونيقي الذين انما ينسبون الى القديس مارون الناسك الشهير والى رهبان ديره الذي كان على ضفاف العاصي بجوار افامية

على ما أثبتنا باستفاضة في البحث الاول من هذا الكتاب . ومن ثم فلا صلة بين الفريقين على الاطلاق . واستنتج من ذلك أن سعيد بن البطريق انما أراد بمارونه الذي نسب اليه هذه البدعة هذا مارون الرهاوي النسطوري فخلط بينه و بين مارونيا القديس المشار اليه ثم بين اشياع الاول المراطقة و بين المنسوبين الى الثاني الذين استمروا على الدوام باذن الله على الدين القويم — وقد استند الاب غبيره في زعمة هذا الى ما وجده في مقالة للقديس انسطاس بطريرك انطاكية منذ سنة ٥٦٧ الى سنة ٦٩٩ بشأن المشيئة الواحدة والفعل الواحد جاء فيها ذكر هذا مارون الرهاوي النسطوري . ولكن كل هذا لسوء الحظ ليس بثبت ويا حبذا لو ثبت ثبوتاً يدفع كل اعتراض اذاً لفض هذه المشكلة فضاً تاماً وأزال كل تهمة وشبهة اختراع عن سعيد بن البطريق وأبان حسن نيته في ما رواه من هذا القبيل ولو خلط فيه هذ الخلط القبيح واستنتج منه كل هاتيك النتائج الواسعة حتى جعل كل منوثيلي مارونياً و بالعكس

عدد ١٠٠ — ولكن أبت الحقيقة أن تتسامح بذلك . ونحن قد بحثنا في هذا الامر جهد الطاقة وراجعنا كل المقالات التي استشهدها الاب غبيره لهذه الغاية في مظانها ودققنا النظر في أمر كاتبها فوجدنا .

أولاً ان كاتب هذه المقالات انما هو انسطاس السيناوي الذي كان راهباً من دير طورسينا وقد كتب ذلك وهو راهب في ذلك الدير بدليل ماجاء في عنوان رسالته الى كنيسة بابل التي لا ندري لاي غرض يستشهدها الاب غبيره في كتابه المذكور (ص ٣٧) وليس فيها من ذكر لمارونه على الاطلاق . وهي تقع في الباب الرابع من مقالات هذا الكاتب الكنسي البليغ (راجع مجموعة الآباء اليونان لمين مج ٨٩ عمود ٣٥ — ٣١٠) وهذا عنوان الباب المذكور « كتاب انسطاس القس الحقير من دير طورسينا المقدس في الايمان بتدبير المسيح ابن الله كتبه الى كنيسة

بابل الكاثوليكية المقدسة بطلب اخواننا الارثذكسيين محبي المسيح المقيمين فيها» :
وقد قال العلامة الكويان في كتابه المشرق المسيحي المشهور ان هذا انسطاس السيناوي هو غير انسطاس بطريرك انطاكية الذي كان هو أيضاً راهباً من أحد أديار فلسطين وكان عالماً فاضلاً وكاتباً مجيداً : وقال أيضاً انه من الراجح جداً أن يكون انسطاس السيناوي قد وجد بعد ظهور الاسلام فبعد ظهور المنوثيلية : فلا عجب والحالة هذه أن يكون قد كتب في دحضها : وقد قرأت ما يؤيد ذلك أيضاً في كتاب خطي قديم جداً محفوظ في خزانة كتب مدرسة القديسين بطرس و بولس التي لعائلة آل مبارك مسعد في عشقوت[1] : قال في قصة هذا انسطاس السيناوي ما ملخصه — انه كان في أول أمره قائداً للروم وكان اسمه ماهان فأرسله هرقل الملك لحماية دمشق من العرب فكاد له رجل منها اسمه منصور لاسباب لا محل لذكرها هنا : وخادعه حتى انكسر هو وعسكره في محل يقال له وادي الرمان : فخاف ماهان بطش هرقل وهرب الى طورسينا حيث ترهب ودعى نفسه انسطاس وهو الذي فسر المزمور السادس من زبور داود اه

عدد ١٠١ — ومع هذا فمهما يكن من هذا الامر فاننا قد راجعنا مقالته في أمر المشيئة الواحدة والفعل الواحد التي أثبت معظمها الاب غبيره في المحل المذكور: وهي التي عنوانها بحسب مجموعة مين المذكورة « هدى الطريق ضد الاقفاليين[2] »

---

(١) وهو تاريخ كُتب باللغة العربية منذ الخليقة الى عصر كاتبه المجهول عندنا وقد نقص من أوله ومن أخره بعض الاوراق بحيث لم نستطع ان نهتدي اليه ولا الى ناسخه وتاريخ كتابته : وقد نقل كثيراً من تاريخ ابن البطريق وفي جملة ذلك ما جاء عن مارون والموارنة وقد جاء في آخر صفحة باقية منه ذكر هدم القيامة وبيت المقدس سنة ٤٠٠ ه وهي سنة ١٠٠٩ م : ومن ثم فربما يكون كاتبه من القرن الثاني عشر والله أعلم :

(٢) وهم فرقة من المنوفيزية معروفة بهذا الاسم ومعناه الذين لا رأس لهم

فلم نجد في هذه المقالة أقل ذكر لمارون بل جل ما هناك انه ذكر النساطرة والمنوفيزيين وقرفهم بهذا المعنى : ولا عجب لان كلا المذهبين يعلم معتقد المشيئة الواحدة صادراً في هذه النتيجة عن مبادئ مختلفة تمام الاختلاف كما علمت مما سلف بيانه : أما المحلات التي يأتي فيها هذا الكاتب النحرير على ذكر مارون النسطوري الذي يقصده هنا الاب غبيره فهي أولا في الباب الرابع عشر الذي عنوانه « ماذا صنع أمون الاسكندري وهو ضد المنوفيزية » فقد قال بعد كلامه عن فيلون وتعليمه الوخيم ما ترجمته « وقد نهج مع فيلون أيضاً هذا نهج الجهل نفسه ماوون المرذول وهو أحد خلفاء نسطور فقال في كتابه الكفري لدى معارضة الذين يقولون بلاهوت المسيح كما يلي — وقد ضل الذين يقولون تبعاً لقورلُّس المصري ان لاهوت يسوع لم يفارق جسده في القبر كأنه كان ينقله من فساد الى فساد — وهؤلاء بما انهم كصبية يلعبون في الساحة لا يهمهم من يخاطبهم كما يلي — أيها المجانين أي مكان يخلو من اللاهوت الشامل — لان الذي يملأ السماء والارض وهو حاضر في كل مكان قد كان ايضاً بالاحرى في قبر يسوع : اما انه كان يحوله من الفساد الى عدم الفساد فليس فيه ما يقضي بالعجب اذ ان الوثنيين أيضاً عند ما ينشرون من الموت سينالون أجساداً غير معرضة الى أقل شيء من الفساد »

ثانياً — في الباب الثاني والعشرين الذي عنوانه « لماذا يجب ان تستعمل الدقة واللباقة في مجادلة الذين يحرفون كلام الكتاب المقدس والآباء ويخرجونها الى معاني مستغربة » فقد قال ما ترجمته « اما مارون الرهاوي وهو أيضاً من مشايعي نسطور فقد قال اذ كتب ضد ساويرس كما يلي — اما نحن الذين أشرق علينا نور التقى فلسنا نكره ديسقورس وتيودورس بقدر ما نكره مجمع خلقيدونية بكل حق وصواب لان هذا المجمع لم يقل ان في المسيح جوهرين مثلما يعترف ساويرس وأبوه قوراس وديسقورس وتيودورس بكل حرية ان في المسيح جوهرين وانه يتقوّم من جوهرين أو اقنومين ويزيدون ان جوهري المسيح هما غير مختلطين : فاذا

كان جوهرا المسيح أي اقنوماه قد استمرا غير مختلطين تأتّى عن ذلك انه يمكن اعتبارهما ومعرفتهما غير مختلطين حتى يبقيا غير مختلطين في كل الابدية : ولكن كيف استمرا غير مختلطين ؟ وأنا أرى من العجب كيف انه لم يقل انهما بقيا غير منقسمين أيضاً »(١)

وهذا كل ماجاء في كلام انسطاس السيناوي من ذكر مارون النسطوري : وبكل أسف نقول اننا لم نجد فيه ما يسوغ الاستنتاج الذي استنتجه الاب غبيره كما يرى المتأمل :

عدد ١٠٢ — ذلك ومن آثار القرن العاشر التي بلغت الينا مما يتعلق بهذا الموضوع كتاب ليحيى بن عدي التكريتي اليعقوبي في الرد على محمد بن هرون المسلم المعروف بأبي عيسى الوراق في ما اتهم به الفرق النصرانية الثلاث أي النسطورية واليعقوبية والملكية في أبواب معتقد الثالوث وتجسد ابن الله

أ وهذا كلام ابن عيسى المذكور آنفاً(٢)

---

(١) يظهر من هذه الفقرة ان مارون هذا الرهاوي النسطوري قد كان في عهد ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل منذ سنة ٥١٢ لانه يظهر من هذا الكلام انه قد كتب ضد ساويرس : ويظهر ان ساويرس هذا قد جاوبه كما جاء في رسالة جواب الرهبان اليعاقبة الى رهبان مارمارون المذكورة في البحث الثالث من كتابنا هذا (عدد ٣٩) حيث ترى ما مؤداه «قال ساويرس في الفصل ٢١ من المقالة الثانية رداً على غرماطيقس — واذا قرات الرسالة التي كتبتها انا الى مارون وجدت فيها ايضاً الاعتراض الذي اعترضته انت وايراد حله مني بهذه الكلمات » : فيظهر ايضاً والحالة هذه ان مارون هذا انما كان قبل عهد موريق ملك الروم بمدة لا تقل عن الستين سنة : فن اين يتأتى ان يكون هذا الذي قصده سعيد بن البطريق في روايته هذه المبتسرة ؟

(٢) قال العلامة المطران يوسف داود في كتاب جامع الحجج الراهنة (ص ٢١٩)

« لم نذكر في هذا الموضع كل اليعقوبية لان في اليعقوبية صنوفاً
« أُخر تخالف هؤلاء في الاتحاد في معنى المسيح ولها ألقاب اخر لم نسمّها
« ولم نذكر اقاويلها في هذا الكتاب : ولا اقاويل غيرها من صنوف
« النصارى كالمارونية والاليانية والسبالية والاريوسية والبولية اصحاب
« بولس الشمشاطي »

٢ً ثم كلامه في الورقة ١٦٢ من هذا الكتاب

« قال ابو عيسى : اما الملكية فقد مر عليهم كلام كثير في المسيح
« عند مسائلتي اياهم في الاتحاد : ونسأل الآن أيضاً من اختار منهم ان
« يعبّر عن المسيح بذي جوهرين وذي مشيئتين »

٣ً الى ان قال في الورقة ١٩٧ من الكتاب المذكور

« قال يحيي : هذا آخر ما في كتاب عيسى من الرد على النصارى
« وقد بينا فساد جميع ما رده على اليعقوبية في هذا الكتاب وما كان
« فاسداً من رده على الملكية والنسطورية . . . قال يحيي ووجدت في
« آخر بعض نسخ هذا الكتاب بعد تمام الكتاب هكذا : ونحن مبتدئون
« بالنقض على ما أضيف الى اليعقوبية كالاليانية واصحاب أوطاخي وعلى

« وهذا الكتاب موجود في المصحف الواتيكاني العربي عدد ١١٣ فهذا يحيي اورد في كتابه اقوال ابن عيسى شيئاً فشيئاً ورد عليها : وبعد ان فرغ من رده على ماقاله ابن عيسى عن معتقد النسطورية وعن معتقد الملكية في امر اتحاد الكلمة بالناسوت اتى الى الرد على ما قاله في معتقد اليعاقبة في ذاك الشأن وبعد ماردعليه اورد كلمات ابن عيسى (وهي في ورقة ٨) كما ذكرناها نحن هنا :

« باقي صنوف النصارى كالمارونية والسبالية . . . في كتاب مفرد ان « شاء الله »

عدد ١٠٣ — وهذا آخر ما أورده صاحب كتاب الحجج الراهنة من كتاب يحيى المذكور عن كتاب أبي عيسى الوراق أثرنا ان نثبته هنا بتمامه لزيادة الفائدة : ونحن نرى في هذه الشهادة غير ما رآه المطران يوسف داود الذي غالى في نحتها توسلاً الى غرضه : وكل من دقق النظر في الفقرة الاولى والفقرة الثالثة رأى نظيرنا من الخلط في كلامه بين فرق النصارى ما يضعف قيمة كلامه : فانه قال في الاولى ان الاليانية ليست من صنوف اليعقوبية : وفي الثالثة قد جعلها من اليعقوبية مما يدل على انه انما يرمي الكلام في أمر فرق النصارى على عواهنه دون تدقيق : وكذلك قوله في الفقرة الثانية انه تكلم كثيراً عن الملكية في أمر الاتحاد وانه يريد أن يسأل منهم من اختار أن يعبر عن المسيح بذي جوهرين وذي مشيئتين : وقوله في الفقرة الثالثة انه شارع بالنقض على باقي صنوف النصارى كالمارونية الخ : لما يظهر خلطه بزيادة وجهله أمر الموارنة : اذ قد رأيت مما بسطناه حتى الآن أن الموارنة لا يختلفون عن الملكية في شيء من أمر الاتحاد الحاصل في المسيح وأمر الطبيعتين والاقنوم الواحد وسائر المعتقدات الكثوليكية الا في أمر المشيئتين والمشيئة : ولهذا عُرف الفريقان منذ أوائل القرن الثامن بالخلقيدونيين الموارنة والخلقيدونيين المكسيميين أو كما قال أبو رايطة أسقف تكريت اليعقوبي في بهرة القرن التاسع « بالملكيين الموارنة والملكيين المكسيميانوسيين » : ولهذا فقول أبي عيسى هنا « أما الملكية فقد مر عليهم كلام كثير في المسيح عند مسائلتي اياهم في الاتحاد » قد شمل به الموارنة لا محالة من حيث لا يدري : وقوله بعد ذلك « ونسأل الآن أيضاً من اختار منهم أن يعبر عن المسيح بذي جوهرين وذي مشيئتين » فقد صرح به ان من الملكيين من لا يعبرون عن المسيح بهذا التعبير أي من حيث المشيئتين : ولم يدرِ على ما يظهر ان هؤلاء هم المعروفون بالموارنة : ولهذا نراه بلا روية يحصي

الموارنة مع فرق من النصرانية لا شيء يجمعهم بهم ويفصلهم عن الملكية واليعقوبية والنسطورية كان بينهم وبين الملكية بوناً شاسعاً في المعتقد : ثم يعد بأنه سيرد عليهم على حدة :

وعلى كل حال لنا من هذه الشهادة امران : أحدهما ان الموارنة كانوا في القرن العشر أيضاً على اختلاف مع اليعاقبة خلافاً لما ذهب اليه المطران يوسف داود مراراً في مطاوي كتابه المذكور : والثاني أن الملكية منهم من كان يعترف بالمشيئتين ومنهم بالمشيئة الواحدة في السيد المسيح : ولهذا قال أبو عيسى انه اختار في رده الاولين دون الآخرين :

عدد ١٠٤ — وقد جاء كثيراً ذكر الموارنة في مؤلفات ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونين من بلاد مصر في أواخر القرن العشر : فمن ذلك ما أورد المطران يوسف داود في كتابه المذكور (ص ٢٢٢) مما ظنه موافقاً لغرضه وهو كما يلي : أولا مما كتبه هذا الاسقف القبطي في ذيل تواريخ بطاركة الاسكندرية وهومختصر في المجامع (١)

كلام ساويرس أسقف الاشمونين القبطي اليعقوبي

١ً في كتاب مختصر المجامع

« المجمع السادس للروم بعد الفرق مايتين وتسعة وثمانين أسقف
« اجتمعوا في القسطنطينية في السنة الثالثة عشر من مملكة قسطنطين
« في السنة الرابعة لمعاوية ....ونفوا كورس وبطرس بطرك الاسكندرية
« وقاريوس بطرك رومية وسرجيوس وقورس وبولس بطاركة انطاكية
« وقسطنطينية وكل من قال بمقالة اليعاقبة والموارنة ولعنوا أصحاب المشيئة

---

(١) عن المصحف الواتيكاني العربي عدد ٦٨٠ ص ٢٣٧

« الواحدة وفي هذا المجمع قرروا ان لا يقوم في مملكة الروم يعقوبي الا
« ويقتل وينفى وكذلك المارونية »

٢ً في كتاب المجادلة مع الطوائف[1]

« القول في تقدمة القسيس صبي وكذلك الافرنج ثم الموارنة : وهذا
« لا يجب وهذا أمر صعب جداً وذلك ان القسيس يكون مؤتمناً على
« اعمال جليلة »

٣ً في الكتاب نفسه

« ان الموارنة فرقة ممتازة عن اليعاقبة والارمن والملكية وعن
« اللاتين أيضاً »

عدد ١٠٥ — وقد قال المطران يوسف داود بعد ايراد هذه الشهادة لكي يثبت ان ابن المقفع لم يستند في كلامه عن الموارنة الى رواية سعيد بن البطريق ما حكايته « فترى ان ساويرس قد قال في الموارنة عن خبرة كاملة واطلاع دقيق على أحوالهم حتى كان يعلم انهم كانوا يرقون الصبيان الى درجة الكهنوت : وهل شيء من ذلك لدى سعيد : ثم ان سويرس قد ألف كتاباً مخصصاً للرد على سعيد ابن بطريق . . . . فكيف أمكن أن ينقل عنه وهو كان من غير دينه وكانت عداوة شديدة بين ملته وبين الملكيين الذين كان سعيد بطريركا عليهم »

فنعم البرهان برهانه هذا الذي يمجه كل ذي ذوق سليم : وقد فاته انه اثبت بكلامه هذا ان ابن المقفع كان مطلعاً تمام الاطلاع على ما كتبه بن البطريق عن الموارنة بدليل رده عليه في ما كان ضد مذهبه اليعقوبي : فما الذي كان يمنعه أن

(١) عن المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٥٩ ص ١٤٠

يأخذ عنه ما في كتبه من الفوائد التاريخية التي لا تلامس عقيدته ؟ العل المطران يوسف داود قرأ أفكار ابن المقفع فعلم منها انه لم يكن يريد ان يستفيد من كتاب ابن البطريق لانه كان على غير دينه ؟ أو أن من القواعد الراسخة عنده ما لا يسلم به ذوو اللب بأن ينظر الى من قال لا الى ما قال : وبمثل هذا الاعتبار يجعل ابن المقفع متعصباً غبياً الى هذا الحد حتى لا يبقى من قيمة لشهادته التي أوردها بحق الموارنة خاصة في الفقرة الاولى :

ونحن والحق يقال نرى ان لا قيمة لها في حد ذاتها وانما يستدل منها أن هذا الكاتب لم يكن مدققاً فيما يكتب بعد أن كتب مثل ما روينا عنه هنا بخصوص المجمع السادس كما يرى كل متبصر لبيب : وحسبه أن يمعن النظر في قوله « ونفوا... سرجيوس وقورس وبولس بطاركة انطاكية وقسطنطينيه وكل من يقول بمقالة اليعاقبة والموارنة . ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة الخ » كانه يرى أن أصحاب المشيئة الواحدة انما هم غير من ذكرهم سابقاً : فاذا كان لم يدقق في ما كتبه عن المجمع السادس وأمره مشهور أكثر من أمر الموارنة ولم يعرف بطاركة انطاكية من بطاركة قسطنطينية الذين حرموا في ذاك المجمع ولم يعرف أن كورس هو نفس قورس ولم يذكر ولا واحداً من بطاركة انطاكية وهو يعتقد انه ذكرهم كما يرى المتأمل فكيف يسوغ أن تقبل شهادته في حق الموارنة وهم فئة صغيرة بين نصارى سورية وليس من أثر يدل على انها قد وصلت الى مصر وصارت ذات شأن مشهور فيها حتى يعرفها ابن المقفع ويكتب عنها عن خبرة كما أراد صاحب كتاب جامع الحجج الراهنه الذي زين له غرضه حتى صار يرى في كل شيء ما يثبت قضيته دون التفات الى فلسفة النقد والتحقيق ؟ وما تراه قل من الامور الراهنة عن الموارنة حتى يستحق كل هذه العناية في نفي كونه قد أخذ عن ابن البطريق وقد هرف في ذكره حرم الموارنة في المجمع السادس مما لا أثر له في أعمال هذا المجمع ثم في قوله ان الافرنج والموارنة يقدمون القسيس صبياً وهذا لم يقل به أحد الا اذا كانوا يرشحونه الى الكهنوت

وهو صبي كما يصنعون اليوم وهذا غير ما قال ابن المقفع هنا ؟ ونحن نعلم ان المطران يوسف داود انما أتى بهذه الشهادة الثانية وبالثالثة أيضاً ليبين أن الموارنة كانوا معروفين في ذاك العصر كطائفة ممتازة عن سائر الطوائف : ولا غرابة في ذاك وهم الى اليوم ممتازون عن الجميع : بل الغرابة في استنتاجه من ذلك انهم اذن كانوا هراطقة وهو لا يستطيع اليوم أن يستنتج مثل هذا الاستنتاج اذا قلنا له ان الموارنة هم غير الارمن واليعاقبة والنساطرة والملكية والافرنج فتأمل :

عدد ١٠٦ — وممن ذكروا الموارنة من كتبة القرن العاشر المسعودي[١] المؤرخ العربي الشهير في كتابه المعروف بالتنبيه والاشراف (ص ١٥٤ من طبعة باريس) قال ما حكايته :

كلام المسعودي المؤرخ الشهير

« العشرون موريق ملك عشرين سنة : وظهر في أيامه رجل من « أهل مدينة حماه من أعمال حمص يعرف بمارون اليهِ تنسب المارونية

---

(١) قال الصلاح الكتبي في « فوات الوفيات » الذي كمل به كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان « هو ابن الحسن بن علي المسعودي المؤرخ من ذرية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : قال الشيخ شمس الدين عداوة في البغداديين : واقام بمصر مدة وكان اخبارياً علّامة صاحب غرائب وملح ونوادر مات سنة ٣٤٦ (ه اي سنة ٩٥٧ م) وله من التصانيف كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الاشراف والملوك : وكتاب ذخائر العلوم وما كان من سالف الدهور : وكتاب الرسائل والاستذكار بما مر في سالف الاعصار : وكتاب التاريخ في اخبار الامم من العرب والعجم : وكتاب التنبيه والاشراف : وكتاب خزائن الملوك وسر العالمين : وكتاب المقالات في سر الديانات : وكتاب اخبار الزمان وما أباده الحدثان : وكتاب البيان في اسماء الائمة وكتاب الخوارج والله أعلم »

« من النصارى الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا : وأمرهم مشهور بالشام
« وغيرها واكثرهم بجبل لبنان وسنير[١] وحمص واعمالها كحماة وشيزر
« ومعرة النعمان : وكان له دير عظيم يعرف شرقي حماه وشيزر ذو بنيان
« عظيم حوله اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان : وكان فيه من آلات
« الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حوله من
« الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وجور السلطان[٢] : وهو يقرب
« من نهر الارنط نهر حمص وانطاكية :وكان مارون قد احدث اراء ابان
« بها عمن تقدمه من النصارى في المشيئة وغيرها وكثر متبعوه وقد
« اتينا على شرح مذهبه وموافقته الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالوث
« ومخالفته اياهم في ما ذهب اليه من ان المسيح جوهران اقنوم واحد مشيئة
« واحدة :وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية وغير ذلك

---

(١) جاء في كتاب « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » للاب لامنس اليسوعي الكاتب النحرير في القسم الثاني منه « في جغرافية لبنان » ان أبا الفداء يدعو باسم « سنير » طرف جبل دمشق الشمالي وهو أنتيلبنان » قال « وسنير أحد الاسامي الواردة في التوراة يراد به حرمون وأطلق على رأينا على كل القسم الشمالي من هذا الجبل »

(٢) قال مترجم كتاب المسعودي الى اللغة الفرنساوية : ان هذا السلطان هو المعروف بسيف الدولة : وليس هذا بثبت لان سيف الدولة انما كان في عصر المسعودي وقد مات بعده بنيف وعشر سنوات : والظاهر ان هذا الدير قد خرب قبل ذاك بمدة لا تتجاوز أواسط القرن التاسع على ما نرى وارتآه العلامة الاب ناو الفرنساوي المذكور بالمدح غير مرة في هذا الكتاب

« في كتابنا في المقالات في أصول الديانات . ولبعض متبعيه من المارونية
« ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء
« والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم انتهى بتصنيفه
« الى خلافة المكتفي (وهي من سنة ٩٠٢ الى سنة ٩٠٨) : ولم أرَ للمارونية
« في هذا المعنى كتابا مؤلفاً غيره : وقد ألف جماعة من الملكية والنسطورية
« واليعقوبية كتباً كثيرة ممن سلف وخلف منهم : وأحسن ما رأيته
« للملكية في تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان كتاب محبوب بن
« قسطنطين المنبجي وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش
« المصري بطريرك كرسي مار مرقس بالاسكندرية وقد شاهدناه بفسطاط
« مصر انتهى بتصنيفه الى خلافة الراضي »

الى هنا كلام المسعودي وفيه فوائد جمة الا انه كما يرى المتأمل قد أخذ هذه الرواية عن مارون الذي ظهر في أيام موريق ونسبة المارونية اليه عن سعيد بن البطريق الذى عاصره وجالسه وطالع كتابه بعناية على ما يظهر من مدحه اياه : فلا حاجة والحالة هذه الى اعادة الكلام في أمر هذه الرواية المبتسرة اذ ان مصدرها واحد :

عدد ١٠٧ — ومن الغريب ان يكتب ابن البطريق ما كتب عن الموارنة وهو بعيد عنهم في مصر وليس ما يثبت انه اتصل بهم أو اتصلوا به بوجه من الوجوه : وان يقوم قبله كاتب نسطوري قضى معظم حياته في أورشليم ودمشق وقد كتب عن الفرق النصرانية التي كانت مشهورة في عصره دون ان يأتِ على أقل ذكر للموارنة وهو بين ظهرانيهم : اما هذا الكاتب فهو ايليا المعروف بالجوهري ذكره العلامة السمعاني في المكتبة الشرقية (مج ٣ ص ٥١٣) قال انه كان أسقفاً

على النساطرة في أورشليم فجعله بطريركهم يوحنا سنة ٨٩٣ مطراناً على دمشق : وقد بقي حياً يرزق الى أيام يوحنا عيسى بطريركهم منذ سنة ٩٠٠ الى سنة ٩٠٥ : وقد كتب هذا الاسقف في عدة أمور جليلة ذكرها العلامة السمعاني نفسه في المحل المذكور (ص ٥٠٧) : وله ايضاً مقالة ألفها في أورشليم زعم فيها ان فرق السريان الثلاث أي النساطرة والملكية واليعاقبة هم متفقون في عقائد الايمان الجوهرية ومخالفون في التعبير عنها فقط : قال السمعاني — وعندي من هذه المقالة نسخة كتبت في سنة ١٦٩٢ عنوانها « كتاب اجتماع الامانة بين السريان المكنين بالنسطورية والملكية واليعقوبية تأليف ماريليا المكني بالجوهري مطران القدس الشريف »

ومن كلامه عن اتفاق هذه الفرق في الايمان قوله « رأيتهم مجتمعين على القيام بالاحاد والاعياد المسيحية : ومتفقين على أمر القيام بأمر القربان انه جسد المسيح ودمه : ومقرين بالامانة التي أمر بها الثلاثماية وثمانية عشر الاباء الذين اجتمعوا بمدينة نيقية وهي تقرأ عند الجميع في كل وقت القداس : وهم ايضاً مجتمعين على صحة الكهنوت ومراتبها ومراتب الفطركية والاسقفية والقسوس والشمامسة ايضاً بماء المعمودية ولم يكن فيهم فرق في الدين ولا في الايمان ولكن في الهوى (الى ان يقول) ونحن نرى جميع اهل دين النصرانية متفقين بالانجيل كتاب الله الحق وكتاب فولوس والابركسيس والكتب العتيقة التوراة والانبياء والامانة والقربان والمعمودية والاعياد والصوم والكهنوت والصليب والاقرار بيوم القيامة والبعث والنشور من القبور والحلال والحرام والجنة والنار »

ثم شرح بأي معنى يعتقد النساطرة ان في المسيح طبيعتين واقنومين ويأنفون من ان يسموا العذراء والدة الله : وكيف يؤمن الملكية ان في المسيح طبيعتين واقنوماً واحداً ويدعون مريم العذراء أم الله : وكيف يعلم اليعاقبة ان في المسيح طبيعة واحدة واقنوماً واحداً ويدعون مريم أم الله كالملكية : وأردف ذلك بقوله

« اختلفوا في القول واتفقوا في المعنى وتناكروا في الظاهر واجتمعوا في الباطن وكلهم الى ايمان واحد ينقادون وبرب واحد يؤمنون ولرب واحد يعبدون » : ثم ذكر اختلافهم في رسم اشارة الصليب على وجوههم فقال « ان اليعقوبية تعمل الصليب بالاصبع الواحد وتأخذ من الشمال الى اليمين وغرضها بذلك الايمان بمسيح واحد على الصليب خلصهم بصلبه من جهة الشمال الذي هو الخطية الى جهة اليمين التي هي المغفرة . وايضاً النسطورية والملكية عملوا اشارة الصليب بالاصبعين وأخذوا من اليمين الى الشمال وغرضها بذلك الايمان بوجود اللاهوت والناسوت جميعاً على الصليب لان الخلاص بذلك وظهر الايمان من الجانب الايمن ورفع الكفر من جانب الشمال الذي هو الضلال هذا أمر ليس فيه فرق يوجب على احد الكفر عن المخالف له لان الايمان واحد»(١)

وقال في انكار النساطرة تسمية العذراء بأم الله وايجاب الملكية واليعاقبة لذلك ما

---

(١) وقد جاء في كتاب الناموس وهو شرع الكنيسة المارونية في تلك الاعصار الخالية (فصل ١٤ في الصلاة) ما حكايته بهذا المعنى : « الرابعة — الرشم بالاصبع مثال الصليب من فوق الى اسفل ومن الشمال الى اليمين : أما كون الرسم بالاصبع فلطرد الشياطين كفعل ربنا اذ اخرج الشياطين بأصبع الله : واما انه من فوق الى اسفل ومن الشمال الى اليمين فاشارة الى نزول المخلص من السماء الى الارض ونقله لنا من جهة الشمال الى جهة اليمين : وأما كون الرشم مثال الصليب فلان الصليب انما هو الاية التي تم بها الخلاص ولنذكر بهذا المثال انعام الله الذي صلب عنا . . والرسل أمروا ان نرشم جباهنا بمثال الصليب في كل حين بأمانة قلبية ليهرب الشياطين منا وجعلوا هذا علامة علينا لننجو بها من فساده كما جعل الله دم خروف الفصح علامة على بيوت بني اسرائيل مانعة المفسد من ان أن يقتل أبكارهم كما فعل بأبكار المصريين وأوقات الرشم في اول الصلاة وعند ما يردد ذكر الصليب ويكون الرسم اما بالاصبين واما باليد كلها » — اهـ

يأتي بحروفه » أما امتناع النسطورية وانكارهم أن يقولوا مريم والدة الله فليس ذلك جحوداً للاهوت المسيح ولا انكار حلول كلمة الله في السيدة مريم والدة المسيح وهو اله العالمين . . . . . بل قصدهم ان اسمه عز وجل يعم الثلاثة أقانيم الاب والابن وروح القدس واذا قلنا والدة الله أدخلنا الولادة على الاب والابن وروح القدس : واذا قلنا والدة المسيح اله العالمين فهو الابن وحده من حيث لا نجحد انه الله كذلك قول اليعاقبة والملكية ان مريم والدة الله ليس فيه انكار لناسوت المسيح ولا اظهار لولادة الاب وروح القدس بل هو اقرار بلاهوت المسيح محبول به ومولود : وفي كل الاحوال فليس في ذلك فرق ولا تباعد عن الحق » : ثم اثبت بمثل هذا الكلام ان اختلاف الطقوس والصلوات عند فرق النصرانية في المشرق لا يمس وحدة الايمان : وانما كان قصده من وضع هذه المقالة ايجاد السلم والاتفاق بين رعاة كل فرقة من هذه الفرق :

عدد ١٠٨ — فاغفال فرقة الموارنة في مقالته هذه وهو يقصد به كل فرق النصرانية التي كانت معروفة على زمانه في الشرق لا يمكن أن يعزى الى جهله اياها وهو بين ظهرانيها : ولا الى عدم الاكتراث لها لانه لا يقصد بكلامه غرضاً زمنياً بل دينياً محضاً كما يرى المتأمل : فمن الواجب اذاً ان يكون قد ضمنها في احدى هذه الفرق الثلاث : فلا يمكن أن يضمنها في النسطورية لانها لم تمتزج معها قط منذ أول نشأتها : ولا في اليعقوبية لاننا رأينا في كلام اليعاقبة أنفسهم مما أثبتناه حتى الآن شدة الاختلاف بين الفريقين والافتراق والتمييز المبين : لا سيما والموارنة لم يعتقدوا قط بطبيعة واحدة في المسيح وهم خلقيدونيون مشهورون : بقي أن يكون ضمنها في فرقة الملكية التي قال فيها كما رأيت انها تعتقد بطبيعتين واقنوم واحد وهو اعتقاد كل الخلقيدونيين كما علمت مما مر بك حتى الآن :

والظاهر من ذلك ان افتراق الموارنة عن الملكية لم يكن معروفاً الا عند أهل سورية بسبب المجاورة : والا لما فات هذا الاسقف النسطوري وهو مقيم في

أورشليم محط رحال النصارى عموماً وقد كتب مقالته فيها : ويظهر أيضاً ان الذي شهر هذا الافتراق بين الموارنة والملكية بزيادة انما هو سعيد بن البطريق بما ابتكره عن أصلهم حتى جعل اسم « المارونية » مرادفاً « المنوثيلية » ولم يستنكف من ثم أن يدعو هرقل الملك وهنوريوس البابا وجمهوراً من بطاركة قسطنطينية والاسكندرية وانطاكية كلهم موارنة وهو يريد انهم كانوا منوثيليين كما هو مشهور : ومما يدل على صحة زعمنا هذا ان كل الذين كتبوا بعده عن الموارنة أو ذكروهم بنوع ما قد أخذوا عنه واستندوا الى كلامه بدون أقل تدقيق أو نظر : والا فلا يعقل أن لا نرى أحداً قبله ذكر الموارنة بمثل ما ذكرهم به وقال مثل قوله هذا وصرح بأن المجمع السادس قد حرم المارونية وكل ماروني : بل جل ما قالوا فيهم انهم خلقيدونيون موارنة يتميزون عن الخلقيدونيين المكسيميين من حيث الاعتقاد بالمشيئة أو بالمشيئتين في السيد المسيح على الوجه الذي وصفناه غير مرة في ما مضى :

وقد سمى أبو رايطة أسقف تكريت اليعقوبي المعاصر لابي قرة كلا الفريقين بالملكية كما رأيت في الفصل السابق : وكذلك كل من ذكر فرق النصرانية قبل سعيد بن البطريق كان يعددها ثلاثاً أي النسطورية واليعقوبية والملكية أو الخلقيدونية: وهذا الآن كاف في هذا الباب لمحبي الحقيقة من أولي الالباب هدانا الله كلنا أجمعين الى الصواب بمنه وكرمه :

المبحث السادس

في الآثار التاريخية التي تتعلق بالموارنة منذ القرن الحادي عشر الى أوائل القرن الثالث عشر

توطئة

عدد ١٠٩ — من الغريب الذي يقضي بالعجب العجاب انه منذ أواخر القرن السابع حتى النصف الاول من القرن الحادي عشر لم يظهر أقل أثر من الآثار التاريخية المتعلقة بقضيتنا هذه لكاتب ماروني على الاطلاق : مع انه لا يقدر بصواب ان الموارنة في هاتيك العصور النائية وفيهم رهبان دير مار مارون والاساقفة فالبطاركة وهم على نوع ما حماة الذمار المناضلون حتى الدم عن مذهبهم الذائدون عن حياض قومهم تجاه مناوئيهم لم يكتبوا شيئاً في هذا الموضوع أو في غيره : ولهذا فعندنا ان في طمس آثارهم الى هذا الحد لسراً من الاسرار ربما أدركه اللبيب أو كشفه البحث والتنقيب : والا فاين على الاقل التاريخ الكبير الذي ذكره ابن العبري الشهير لثوفيل الرهاوي الماروني ؟ وأين التاريخ الآخر الحسن الذي ذكره المسعودي لقيس الماروني ؟ وأين رسائل رهبان الموارنة الى بطاركة النساطرة التي ذكرها طيمثاوس البطريرك على رأيت ؟ وأين المكتبة النفيسة التي كانت في دير مار مارون على ما جاء في أحد الكتب السريانية التي في المتحف البريطاني كما بينه العلامة الاب ناو الافرنسي ؟[١]

(١) قد ذكر العلامة ابراهيم الحاقلاني الشهير من تلامذة المدرسة المارونية

وأغرب من ذلك أيضاً انه منذ أول النصف الثاني للقرن الحادي عشر قد ظهر لهم أثران فقط جاء فيهما ما يلامس قضيتنا هذه : أحدهما كتاب مجموعة القوانين البيعية باللغة العربية وهو المعروف « بكتاب الناموس — أو كتاب الهدي — أو

برومية وعنهُ العلامة الدويهي (راجع تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ ص ٥٤ وما يليها) وعنهما كثيرمن علماء الموارنة ان للقديس يوحنا مارون البطريرك الاول للطائفة المارونية على رأيهم عدة مصنفات وصل بعضها الينا : وقد انكرذلك بعض المعارضين وأولهم ريثودوس المعاصر للمذكورين آنفاً : ولكل فريق حجج في اثبات قضيته لامحل لذكرها هنا : وقد اجمع رأي الموارنة ان لهذا البطريرك القديس المشار اليه كتاب مستقل في شرح الايمان القويم ارسله من دير مار مارون الى اهل جبل لبنان : وقد وجد منهُ عدة نسخ عندهم مكتوبة بالاصل السرياني مع ترجمة عربية ركيكة يقال انها لتوما الكفرطابي الذي سيأتي ذكره : واقدم هذه النسخ عهداً النسخة المحفوظة في خزانة الكتب الواتيكانية الشهيرة برومية العظمى وهي ترتقي الى سنة ١٣٩٢ :

على ان بعض المحققين قد ارتابوا أيضاً في أمر نسبة هذا الكتاب الى مار يوحنا مارون واتهموا الموارنة بانتحاله له اذ ليس من برهان يثبت على النقد الا ما جاء في ديباجة هذا الكتاب وهي على ما يظهر في كل النسخ التي وصلت الينا منه من كلام النساخ وكلهم من الموارنة وليست من كلام موءلفه مما لا يصح برهاناً قاطعاً على ذلك لاسيما وقد جاء في بعضها ذكر مكسيموس ومعارضته فيأمر المشيئتين وفي غيرها ذكر قورس ومعارضته في أمر المشية الواحدة وليس فيهذا الكتاب أقل شيء مما يدل على ذلك بل بالعكس لان كل ماجاء فيهمن الاستشهادات سواء من المجامع المقدسة أو من الاباء القديسين لايتجاوز منتصف القرن السادس وليس فيه أقل ذكر للمنوثيلية التي انما نشأت في أواسط النصف الاول من القرن السابع كما رأيت :

وقد قال العلامة الابناو الذيعنيبترجمة هذا الكتابونشرهفياللغة الافرنسية في مجلة الشرق المسيحي (مج ٤ سنة ١٨٩٩ ص ١٨٨ — ٢١٩) ثم على حدة ان

كتاب الكمال — وهو بمثابة الحق القانوني الكنسي : والثاني الكتاب المعروف « بالمقالات العشر » وهو عبارة عن جواب الى يوحنا بطريرك نطاكية على الملكيين سنة ١٠٨٩ وفيه شرح مسهب عن أمر المشيئة الواحدة في السيد المسيح بحسب

هـذا الكتاب يشبه كثيرا من عدة وجوه مقالة من هذا القبيل تنسب الى ليونس البزنطي من كتبة القرن السادس وهي مثبتة في مجموعة الاباء اليونان لين (مج ٨٦ قسم ٢ عمود ١٧٦٩ الى ١٩٠٢) : وقد لاحظ الاب غاليه الافرنسي في احدى مقالاته في مجلة صدى الشرق الافرنسية عدد ٦٠ في ايلول سنة ١٩٠٦) انه لا يمكن ان يحكم بتوكيد من من المذكورين أخذ عن الاخر الا اذا وجدت نسخة تصلح كقاعدة للنقد : لانه لم يكن في القرن السادس والسابع أسهل على الكتاب من تجميع أقوال الاباء الذين تكلموا عن الطبيعتين في السيد المسيح لانه كما حقق الاب لاساليت منذ سنة ٤٤١ الى سنة ٤٥٨ قد أُلِّفت مجموعات كثيرة من ذلك في الشرق والغرب .... وهذا الكتاب المنسوب الى يوحنا مارون لا يمكن ان يكون مؤلفاً قبل منتصف القرن السادس مما يمتد الى ما بعد سنة ٥٥٠ وبما انه لا أثر فيه مما يعارض المنوثيلية أو يشير اليها فهذا مما يحول دون الوصول بالمؤلف الى سنة ٦٢٠ أو سنة ٦٣٠ (انتهى ملخصاً)

ذلك وقد وقع لنا كتاب قديم العهد مخطوط بالحرف السرياني وهو عربي العبارة وقد أكل اكثره الزاج الذي في حبره حتى كاد يذهب بقسم كبير منه وهو الان من كتب مدرسة القديسين بطرس وبولس التي لال مبارك مسعد في عشقوت : وقد نقص من أوله وآخره بعض الصفحات بحيث لم نعرف منه اسم مؤلفه ولم نقف على نسخة اخرى له ويظهر لنا ان هذه النسخة هي الوحيدة والاصلية التي بخط المؤلف لما جاء فيهامن الحواشي والتنقيحات بالخط نفسه ونحن نعتقد انه من وضع احد تلاميذ مدرسة روميـة المارونية الاوائن ولغته وان تكن دارجة أرقى قليلاً من لغه ابن القلاعي وسواه من تلاميذ هذه المدرسة في ذلك العصر :

اما موضوع هذا الكتاب فمباحث دقيقة في عدة قضايا من اللاهوت الاعتقادي

اعتقاد الموارنة هاتيك الايام : وغير هذين الأثرين لم يصل الينا الا من كتبة الموارنة ولا من سواهم في كل ذاك القرن كأن يد الدهر اذ أبقت على آثار غير الموارنة مما يتعلق بهم أبت الا محو آثارهم و بالعكس وهذا من غرائب تصرفات الزمان :

وأولاً في الله الواحد والمثلث الاقانيم وقد نقص من أوله ٢٢ صفحة وبقيت الثالثة والعشرين وفي أول الرابعة والعشرون يبتدئ فصل عنوانه « كم أقنوم في الله » وفي الصفحة ٤١ عنوان لفصل آخر كما يلي « هل النصارى غيروا التوراة » : ثم يأتي في الصفحة ٤٦ على باب التجسد وعنوانه كما يلي « على المسيح الذي هو الابن ثاني اقنوم الثالوث المقدس — فقد برهنا انلا بدان يوجدالان واحد يدبرالوجودو برهنا انه موجود في ثلاثة أقانيم أبٌ وابن وروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم اله واحد : الان يجب ان نتكلم عن الثاني اقنوم الذي هو الابن الذي أرسله الاب الينا وصار انساناً مثلنا » ثم يأخذ بالقسم الاول من باب التجسد في المسيح ومن هو ومتى وكيف تجسد الخ ويلي القسم الثاني في الصفحة ٥٤ وعنوانه « على طبائع السيد المسيح » وبعد ان يستوفي الكلام في هذا الموضوع يأتي الى القسم الثالث في الصفحة ٩٨ فيضع فيه كتاب شرح الايمان المنسوب الى مار يوحنا مارون الذي نحن بصدده ويقسمه الى عشرة فصول ويعلق عليه بعض الشروح والملاحظات المعتبرة وفيها ما يفيد في بحثنا هذا نرجئه الى مابعد الفراغ من بيان سائر مواد هذا الكتاب التي أخذنا بالاشارة اليها هنا لاظهار فضل الكاتب وقيمة الكتاب :

ويلي القسم الرابع في الصفحة ١٧٨ وعنوانه « كم له الرب المسيح مشيئة » ثم القسم الخامس (ص ١٩٢) وعنوانه « كم للسيد المسيح اقنوم » : ثم القسم السادس ص ٢٠٥) — نوضع به امانة يعقوب البرادعي على ما وجدناها في كتبهم ونقسمها فصول فصول وعلى كل فصل نجعل شرح نبحث به صدق قوله وما يزيغ به : ثم يلي القسم السابع (ص ٢٤١) وعنوانه — نوضع به شهادات الاباء الذين قالوا بالطبيعتين وابونا مارون اجلب شهاداتهم في كتابه ليظهر ان بالمسيح طبيعتين واقنوم واحد — ويبلغ عدد الصفحات بعد ذلك الى ٢٨٤ ويبقى من الكتاب ١٢ صفحة فقط بدون

وها نحن الآن مبينون أولاً ماهية هذا كتاب الناموس ومؤلفه . ثم ماجاء فيه مما يتعلق بقضيتنا ، ثالثاً ماهية كتاب المقالات العشر ومؤلفه . ثم ما جاء فيه من التعليم بخصوص المشيئة الواحدة على ما يثبت قضيتنا . وننتقل من ثم الى القرن الثاني عشر فالثالث عشر بحسب الخطة المرسومة والمتبعة الى الآن في كتابنا هذا وبالله التوفيق

عدد وهي من هذا القسم السابع نفسه الذي لا ينتهي هنا لفقدان بعض أوراق من آخره كما أشرنا آنفاً : وانما أثرنا ان نذكر هنا محتويات هذا الكتاب النفيس بوجه الايجاز لعل بعض من تعلو بهم الهمة والغيرة على مثل هذه الاثار يعتنعون به حتى لا تذهب فوائده سدى :

اما ما جاء فيه مما يلامس موضوعنا في هذه الحاشية فهو كما يلي بالحرف الواحد : قال في مستهل القسم الثالث من باب التجسد « في هذا القسم نضع ما اتصل الينا من البار الطاهر مار يوحنا مارون بطريرك مدينة الله انطاكية : ولان هذا الطاهر كتب تعاليمه وشرح أمانته باللسان السرياني ونحن حتى لانغير قوله وكلامه نجعله بحقلين ففي الحقل الواحد نوضع السرياني في الاخر الكرشوني ويمجد الله بواسطة هذا الطاهر . . . نبتدئ الان ونطلب من الله العون على التمام — الفصل الاول — « باسم الله وبقوة الثالوث المساوي في الجوهر نبتدي نكتب رسالة امانة البيعة المقدسة التي كتبها البطريرك يوحنا المكنى مارون في دير مار مارون الطوباني و كان يوحنا بطريركاً على انطاكية وسورية وكل بلاد الشام : فلما تحركت البدعة المقسمة اتحاد الرب من نسطور : وثم من اوطيخا الجاهل باختلاف الطبيعتين المتحدتين الممدوحتين في ربنا وعند ما قبلوا تلاميذهما بدعتيهما حينئذ ابتدا يوحنا المتكنى مارون يعظهم ويبرهن لهم بشهادات واضحة بينة التي نأتي بها أخيرا : وأيضا ضاددتلاميذ قورس الذين كانوا يقرلون مشية واحدة وعانهم ملوك ذلك العصر ويوحنامارون رسم انا هذا الكراس» انتهى كلام كتاب شرح الايمان : وهنا علق عليه هذا المؤلف المجهول ما يلي حرفياً : « هذه الديباجة وهذا الكلام الى هنا ليسوا من قول مار يوحنا مارون كما

الفصل الاول

في مؤلف كتاب الهدى أو الناموس وتعريفه والنسخ التي اتصلت بنا منه

عدد ١١٠ — لم يذكر أحد من علماء الموارنة وغيرهم هذا كتاب الهدى أو الناموس الانسبه الى المطران داود الماروني . ولم يصل الينا منه نسخة الا باللغة العربية مكتوبة بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني . والحقيقة ان المطران داود

يبان من الشرح الذي نشرحه في الفصل الثاني (كما الشرح بنفسه يدل) بل انما ولفوه أناساً من بعد وفاته وهذا القول هو موجود في بعض نسخات أخرى متغير عن هذا : وهذا الخلف صار لان بعض أناس تريد ان هذا البار الاناء المختار كان في أيام المجمع السادس الذي أثبت ان بالمسيح مشيتين والذين كانوا على هذا الرأي في نسخاتهم كتبوا هذه الديباجة كما هي هنا ولاجل ذاك وضعوا تلك الكلمات بانه يوحنا مارون ضادد تلاميذ قورس الذين كانوا يقولون ان للسيد المسيح مشية واحدة . وهذا الكلام زادوه حتى يثبتوا قولهم وتعليمهم ان يوحنا مارون كان في عصر المجمع السادس : ثم أقول ان الذين وضعوا هذا القول السابق المذكور في نسخاتهم كانوا أولئك الموارنة الذين كانوا يقولون ويستقرون ان السيد المسيح مشيتين وحتى يثبتوا قولهم انه من قول يوحنا مارون وضعوهم في هذه الديباجة وهذه الفاتحة : وعلى رأيي ان الذين يقولون ان يوحنا مارون كان في عصر المجمع السادس هم تايهون : أولاً لان اليعاقبة في شرح ايمانهم يقولون ان يوحنا مارون كان في زمان ساويرس وهذا كان في زمان انسطاس ملك الروم ولانه كان يقول بمقالة افتيكيوس وديسقرس فبطركه انسطاس على انطاكية وعزل عن الكرسي البار افلابيانوس وجلّس ساويرس موضعه وذلك كان في سنة ٥١٣ م كما يذكر المعلم بلاتينا وغيره من المؤرخين : وعلى هذا القول ما يمكن القول ان

انما هو مترجمه من اللغة السريانية الى العربية في نحو سنه ١٠٥٨ م بطلب راهب فاضـل اسمه يوسف كما يتحصل مما جاء في أوله في بعض النسخ وهو كما يلي بالحرف الواحد

مارون كان في زمان المجمع السادس لان المجمع السادس كان في زمان البابا اغاثون الذي كان في سنة ٦٨١ م على حساب بلاتينا وان مار يوحنا مارون يكون عاش قرب المايتين سنة : هذا أمر لا يتدقق .... ثانياً في قصة يعقوب البرادعي يذكر ان مار يوحنا السرومي كان قايم عنصر الطبيعتين في السيد المسيح وهذا هو يوحنا مارون والقصة موجودة في دير قنوبين في كتاب سرياني به قصص القديسين كاتبه رجل يعقوبي اسمه داود والكتاب قايم الى يومنا هذا فيعقوب كان تلميذ ساويرس ومن ذلك ينتج ان مار يوحنا مارون ما يمكن انه لحق المجمع السادس : ثالثاً ان كان نصدق الكذاب سعيد ابن بطريق يقول ان مارون كان في عصر موريق ملك الروم الذي كان سنة ٥٨٤ م ويمكن ان في هذا العصر كانت وفاته : رابعاً لو يكون يوحنا مارون لحق المجمع السادس كان يجلب منه شهادت ويذكره كما أجلب شهادات من المجامع الخمسة كما هو باين من الشهادات التي أجلبها ونحن نأتي بها في آخر هذا القسم : خامساً لو كان وصل يوحنا مارون الى المجمع السادس لتكلم عن الهرطقات التي صار عليها هذا المجمع واذ لم يتكلم عن ذلك لا بخير ولا بشر فيحصل بلا شك انه ما وصل الى زمانه »

« واما اولئك الذين كانوا يقولون ان السيد المسيح له مشية واحدة عوض عن قورس كتبوا مكسيموس أي « تلاميذ مكسيموس الذين يعترفون بمشيئتين » وهذا مكسيموس كان في عصر قسطنطين الصغير الذي في أيامه صار المجمع السادس وبه لعنوا أصحاب المشيئة الواحدة : وفي زمانه ما كان مار يوحنا مارون ولا في أيام تلاميذه ولا يمكن ان يوحنا مارون ضادهم لاجل الاسباب التي أشرنا اليها سابقاً لان يوحنا مارون كان قديم بزمان توفي قبل ماتصير هذه البدعة في المشيئة الواحدة ولكن على هذا الشيء نتكلم ان كان يريد الله في القسم الرابع » اه

مستهل كتاب الهدى

« باسم الله الحي : نبتدىء بعون الله ونكتب الرسالة التي وصلت من
« الاخ المبارك الخيّر مار يوسف الراهب القس الى داود المطران في سنة
« الف وثلاثماية وسبعين لاسكندر اليوناني »
« اني قد سألت الاب الطاهر ايده الله وجمل الدين ببقاه عدة مرار
« ان يفسر الكتاب المنسوب الى الاب القديس وينقله من اللغة السريانية

ثم ان هذا الكاتب ذكر في الفصل الثاني مبتدأ كلام يوحنا مارون في شرح الايمان وأردفه بالملاحظة الاتية بحروفها وهي « انظر أيها الاخ القارئ كيف بان ان ذلك الكلام « تلاميذ قورس أو مكسيموس » ليس من قول البار يوحنا مارون لانه قال هنا « نعترف ونؤمن نحن أبناء البيعة المقدسة الكاثوليكية كما تعلمنا من الانبياء والرسل وطغمة الملافنة القديسين الثلاثية الذين في كل عصر أظهروا الامانة الارثوذكسية وفي المجامع الاربعة المقدسة جاهدوا جهاداً حسناً ضد الذين ذكرناهم آنفاً » فأقول الان في أي جلسة وفي أي رسالة تكلمت الاربع مجامع عن قورس أو عن مكسيموس : وان كان ما يجدون فكيف يقول هنا « ضد الذين ذكرناهم » فيتبع بلا شك ان يوحنا مارون ماذكر سابقاً لا قورس مثلما زعموا اولئك الذين يقولون بالمشيتين ولا مكسيموس كما وهموا الذين صدقوا بالمشية الواحدة : اذاً على رأيي ان كان مقدونيوس موضع مكسيموس او قورس : لان ضد مقدونيوس كان المجمع الثاني كما يذكر هو نفسه هنا (وهذا كلامه بعد الذي سبق ذكره) « وهي مجمع ٣١٨ في نيقية ضد اريوس المنافق ومجمع ١٥٠ في قسطنطينية ضد مقدونيوس الشرير الذي جدف على الروح القدس وقال انه مخلوق الخ » :— فيظهر من كلام هذا الكاتب المجهول انه يعتقد ان هذا الكتاب هو بكل توكيد لمار يوحنا مارون وانه والحالة هذه انما كان في بهرة القرن السادس : وهو يخالف الذين يجعلونه في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن وهم مع ذلك يدافعون عن صحة نسبة هذا الكتاب اليه فتأمل :

« الى اللغه العربية ويشرحه لي شرحاً مبيناً ويبين مافيه من التحريم والتحليل
« والمنهي عنه والمندوب اليه والمباح والمحظور وما فيه من الاحكام
« والحدود الخ »

ويلي ذلك جواب المطران داود

« وصلتني رسالتك ايها الاخ الروحانى اسبغ الله نعمته السماوية على
« نفسك ووفر حظك ونصيبك . . . .سألت ارشدك الله وايانا والهمك
« وايانا الى العمل الجيد برضاته ان انقل لك الكتاب المرسوم بكتاب
« الكمال المنسوب الى الاب القديس من اللغة السريانية الى اللغة العربية
« واشرح جميع ما فيه من الفصول والعلل الخ »

عدد ١١١ — اما هذا المطران داود فهو مجهول تماماً عند الجميع : ولولا ورود ذكره في هاتين الرسالتين هنا لما عُرف ولا اسمه أيضاً : مع انه على ما يظهر كان عالماً فاضلاً وكاتباً مجيداً وضليعاً من اللغتين السريانية والعربية كما يرى كل من أنعم النظر في هذه الترجمة التي لا يزال عليها مسحة من الفصاحة وسلامة الذوق في التعبير واختيار الكلام التقني في أبواب الشريعة خاصة بالرغم عما اعتورها من تحريف النساخ الذين نقلوها عن الاصل المكتوب بالحروف العربية الى الحرف السرياني المعروف بالكرشوني : والظاهر انهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية جيداً ولا يفهمون معاني الكلام فتصرفوا فيه كما زينت لهم الاوهام : وهذا كله يظهر بأدنى تبصر لكل لبيب طالع بامعان نظر أية نسخة كانت من النسخ الباقية من هذا الكتاب :

ومن سوء الحظ لم يصل الينا ولا نسخة من هذه الترجمة مكتوبة بالحرف العربي كما كتبها صاحبها في الاصل : ثم ولا أقل أثر للاصل السرياني المترجمة عنه :

وكل هذا من الغرائب أيضاً لان الكتاب مهم للغاية وهو دستور الكنيسة التي كتب لها فلا يستغنى عنه في أمر التهذيب البيعي وادارة المؤمنين في أحوالهم الدينية والزمنية على خطة سوية :

أما المؤلف الاصلي لهذا الكتاب المهم فهو مجهول أيضاً الا ما يعرف من الرسالتين المذكورتين حيث جاء انه ينسب الى « الاب القديس » : ولكن من هو هذا الاب القديس فلا أحد يعرف حتى الآن . وربما قدر بصواب انه أحد رؤساء تلك الكنيسة التي كتب لها ولهذا وصف بالاب القديس واستغني بهذا الوصف عن ذكر اسمه لشهرته تلك الايام

وقد وصل الينا من هذا الكتاب عدة نسخ أشهرها وأقدمها عهداً النسخة المحفوظة الى الآن في خزانة الكتب الواتيكانية الشهيرة برومية تحت عدد ١٣٣ من القسم السرياني . وقد جلبها من جبل لبنان العلامة السمعاني الكبير كما ذكر هو نفسه في فهرست الكتب العربية التي حملها من المشرق الى هذه الخزانة المشار اليها . قال في المجلد الاول (ص ١٢٩) ما مؤداه « الكتاب السادس والسبعون يشتمل على رسالة الاب يوسف الى داود مطران الموارنة المؤرخة في سنة ١٣٧٠ (للاسكندر وهي سنة ١٠٥٩ للميلاد الرباني) . الى أن قال بعد ان عدد مواد هذا الكتاب جميعها » وهو كتاب عربي خط بالحرف السرياني على رق بقطع الربع عدد صفحاته ٢٩٥ وقد نسخ في سنة ١٧١٣ للاسكندر وهي سنة ١٤٠٢ للميلاد »[١]

---

(١) وهذه مواد هذا الكتاب كما اثبتها العلامة السمعاني في كتابه المذكور اخذناها عن تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (مجلده ٥ ص ٥٤٢ — ٥٤٣) لانه لا وصول لنا في الحال لهذه النسخة الواتيكانية من كتاب الهدى : « العنوان الاول في الايمان : ٢ في الايمان بسري التثليث والتجسد : ٣ في الصلاة : ٤ في الاشياء النجسة : ٥ في الاشياء الطاهرة : ٦ في القربان الاقدس : ٧ في التقادم : ٨ في الشركة : ٩ في

عدد ١١٢ — ثم وقع في يدنا أيضاً نسخة أخرى معتبرة جداً وهي من كتب دير الكريم المرسلين اللبنانيين الموارنة في جبل لبنان كتبها بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني الشماس سمعان ابن القس هارون من قرية حد شيت في جبة

المعمودية : ١٠ في الصوم : ١١ في العشور : ١٢ في تقدمة الخراف : ١٣ في تقدمة الثمار : ١٤ في شرح دستور الايمان : ١٥ في قوانين الرهبان والراهبات : ١٧ في قوانين الكهنة : ١٨ في قوانين المؤمنين والصلوات القانونية : ١٩ في الصوم والطلاق والزواج والامانة والقضاء : ٢٠ في البطاركة والاساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والعامة : ٢١ قوانين المجمع القسطنطيني الثاني : ٢٢ قوانين كيرلس الاورشليمي في المعمودية والزيجة : ٢٣ في المسيح الاله : ٢٤ قانون يوحنا الانجيلي ٢٥ قانون في الاسباب المسوغة هجر الرجل امرأته وبالعكس : ٢٦ في المسيح والثالوث نقلاً عن كتاب عدي بن ابراهيم المعروف بابن عديان الذي دونه سنة ٣٨٦ ﻫ (وهي سنة ٩٩٧ م) : ٢٧ في الصلوة الربية : ٢٨ قوانين كليمنضس : ٢٩ : في حفظ أيام الاعياد : ٣٠ في تكريس الهياكل : ٣١ في الميرون المقدس : ٣٢ في المذابح : ٣٣ في الملابس الكهنوتية : ٣٤ في قوانين الرسل وهي واحد وثمانون قانوناً : ٣٥ قانون بطرس الرسول للكنيسة : ٣٦ في العشور والبكور : ٣٧ في مراسيم بطرس الرسول : ٣٨ مرسوم بولس : ٣٩ مرسوم بولس وعلى قول آخرين مرسوم يعقوب في ذكر الموتى : ٤٠ في جنازة الموتى : ٤١ في من يقاسون الاضطهاد من أجل الايمان : ٤٢ في درجات الكهنوت : ٤٣ قانون بولس في تناول القربان : ٤٤ في قوانين المجمع النيقاوي وهي اثنان وعشرون قانوناً : ٤٥ في قوانين مجمع انقورة وهي ثلاثة وعشرون قانوناً : ٤٦ في قوانين مجمع قيصرية الحديثة وهي خمسة عشر قانوناً : ٤٧ في قوانين مجمع كنكرا وهي عشرون قانوناً : ٤٨ في قوانين مجمع انطاكية وهي اربعة وعشرون قانوناً : ٤٩ في قوانين مجمع اللاذقية وهي تسعة وعشرون قانوناً : ٥٠ في قوانين مجمع قسطنطينية وهي اربعة قوانين — ٥١ في قوانين المجمع الخلقيدوني وهي سبعة وعشرون قانوناً — ٥٢ في قانون المجمع الافسسي ٥٣ في مراسم الملوك قسطنطين وتوادوسيوس ولاون وهي مئة واربعون مرسوماً

بشري سنة ١٨٦١ اليونانية وهي سنة ١٥٥٠م عن نسخة كانت في دير قنوبين تسبق هذا التاريخ نحو ثلاثمئة سنة(١) وقد جاء في أولها نسخة كتاب شرح الايمان المنسوب الى القديس يوحنا مارون في الاصل السرياني والترجمة العربية . و بعد الفراغ منه قد انتقل هذا الكاتب الى نسخ غيره مبتدئاً بقوله « باسم الله نكتب القانون الاول في ذكر الايمان وأصول الاعتقادات في مذاهب النصرانية والشريعة المسيحية »

ويوجد نسخة ثانية من هذا كتاب الهدى أيضاً في خزانة الكتب الملوكية في باريس تحت عدد ٢٢٣ من القسم السرياني يظهر من وصف حضرة الخوري بطرس ديب الماروني العلامة الفاضل (الذي كلفناه بمراجعتها اذ كان في باريس مؤخراً) انها تشبه هذه النسخة الواتيكانية وقد كتبت في القرن السادس عشر بالحرف السرياني وقد حُكَّ في أولها اسم « داود المطران » وأنزل مكانه اسم « توما » كما يظهر لذي عينين بأقل تأمل : وهو يقع في ٢١٠ صفحات : ويظهر من عبارة كتبت حديثاً بعد فهرست الكتاب بخط صاحب الامضاء فيها « اسطفان الدويهي أسقف البترون سنة ١٧٣١ م » انه كان من قبل ان يصل الى باريس في يد هذا الاسقف وهو ابن اخي العلامة الدويهي الكبير : ولما كان لا مزية لهذه النسخة عن تلك كما فهمنا لم نعنَ بدراستها على حدة واردنا ان ننبه القارئ اليها هنا حتى اذا شاء احدان يدرس هذا الكتاب درساً انتقادياً دقيقاً لا يفوته امرها :

(١) ان هذه النسخة التي بين ايدينا تنتهي بقانون عن الصوم والزناة وهو ناقص عند آخره . وقد كتب ناسخ هذا الكتاب المذكور آنفاً على الهامش بخط يده ما حكايته « يا اخي ان هذا الكتاب ناقص من النسخة التي كانت عتيقة من ثلاثمائة سنة » والباقي مأكول بعضه مع الحاشية عند تجليده الا انه قد يعرف من سياق الكلام وهو ليس مما يهمنا هنا : وعندنا ان هذه النسخة العتيقة انما كانت مكتوبة بالحرف العربي كما يظهر بأقل تبصر لان ناسخ هذه الحديثة بالقلم الكرشوني حيثما كان لا يدرك معنى الكلمة بحسب رأيه وقلة خبرته كان يصورها طبق الاصل بخطه العربي وهو من أشنع الخطوط : فمن ذلك انه كتب في محل بالحرف السرياني

وهو نفس القانون الاول من كتاب الهدى برمته كما في النسخة الواتيكانية والنسخة الباريزية . الا انه لم يثبت قبل هذا القانون لا رسالة الاب يوسف الى المطران داود ولا جواب هذا له ولا يذكر كاتب هذا القانون ولا الكتاب الذي أخذه عنه . ويلي ذلك نبذة من قوانين الرسل في صفحتين . وبضعة قوانين مقتضبة من أعمال مجمع نيقية في ما يتعلق ببعض أحوال الزواج المسيحي . ثم صلاة باللغة السريانية على من مات له ولد بدون تعميد . ويلي ذلك « كتاب الناموس » كما يعرف من مقدمته وهي كما يلي (ص ١١٢ عمود ٢) . « باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد . الحمد لله الذى شرفنا بأصول الايمان والاعمال . واتقن أفعالنا الظاهرة والباطنة بشريعتى العدل والكمال . وبعد فهذا الكتاب مجموع من الكتب الالهية والقوانين الروحانية . وما فرعه العقل عليها ورده اليها بليغاً مع الاختصار يخلو من الاخلال . وهو يجمع بين فائدتي التفصيل والاجمال . اقتصد بمجموعات جمعت ببصيرة وتدقيق واجتهاد . وانتخب من موضوعات وضعها من له في التصنيف خبرة واعتياد »

وبعد هذه المقدمة يأتي الى بيان موضوع الكتاب والى ذكر الكتب والقوانين التي اعتمد عليها فيه وبيان اختصار اسم كل منها عند النقل عنه أو الاستشهاد به . ثم الى فهرست في أبوابه وهو يقع في واحد وخمسين باباً . وعند

« الاجتناب » وكتب مقابلها بخطه العربي « الاغتياب » وهذا ما كان يطابه المعنى حقيقة فلم يفهمه فتصرف فيه مثل هذا التصرف : وقد وقع له مثل هذا التحريف شيء كثير حتى غدا الكتاب كطلاسم لا يستطيع ان يرده الى اصله الا اللبيب الحاذق بعد امعان النظر طويلاً : ومع هذا فالنسخة معتبرة كل الاعتبار لما حصل بهذا الوجه من نقل موادها بكل امانة عن النسخة العتيقة التي ترتقي على ما يظهر الى سنة ١٢٥٠ كما يرى المتأمل بحيث يمكن والحالة هذه ان تعد اقدم نسخة لهذ الكتاب النفيس :

بلوغه الى نهاية الباب الحادي والخمسين (ص ٦٢١) قال « تم الناموس المقدس بعون الله تعالى وحسن توفيقه » واتبع ذلك بتاريخ نسخ هذا الكتاب واسم ناسخه على ما ذكرنا آنفاً . وقد نقل بعد هذا احد عشر فصلا أو قانوناً في بعض الامور البيعية تقع في نحو ٧٢ صفحة[١]

(١) واليك بيان هذه الابواب كما وردت في هذا الكتاب : — الباب الاول في الكنيسة ومايتلق بها : ٢ في الكتب والاصول المقدسة : ٣ في التعميد والداخلين في الايمان : ٤ في البطاركة : ٥ في الاساقفة : ٦ في القسوس : ٧ في الشمامسة : ٨ لباقي خدام البيعة : ٩ في الكهنة جملة : ١٠ في الرهبان والراهبات : ١١ في آداب وصايا العلمانيين : ١٢ في القداس : ١٣ في القربان وانواعه : ١٤ في الصلاة : ١٥ في الصوم وأنواعه : ١٦ في الصدقة : ١٧ في متولي الصدقات : ١٨ في العشور والنذور والبخور والاوقاف : ١٩ في الاحاد والاعياد : ٢٠ في الشهداء والمعترفين والمجاهدين : ٢١ في المرضى : ٢٢ في الاموات — والجملة الثانية في الامور العالية والسياسية كالمأكول والمشروب والملبوس والمنازل والزواج وتحريم التسري : اما السياسة فقد تقدم ذكرها — الباب ٢٣ في المآكل والملابس والصنائع ٢٤ في الاملاك والزيجة : ٢٥ في تحريم التسري : ٢٦ في الهبة : ٢٧ في القرضة والرهن والضمان والكفالة : ٢٨ في العارية : ٢٩ في الوديعة : ٣٠ في الوكالة : ٣١ في الحرية والعبودية والقتل : ٣٢ في الحجر : ٣٣ في المبايعات وتوابعها : ٣٤ في الشركة : ٣٥ في الاكراه والغصب : ٣٦ في الابنية وتوابعها : ٣٧ في الطرق والشوارع والازقة ومجاري المياه وانهار الضياع : ٣٨ في القرض : ٣٩ في الاقرار : ٤٠ في من يجد ضائعاً : ٤١ في الوصية والمال : ٤٢ في المواريث : ٤٣ في الشكوك ٤٤ في الحكم ومن صنعه : ٤٥ في العتيقة والجديدة : ٤٦ في عقوبات الكفر : ٤٧ في القتل : ٤٨ في قصاص الزناء : ٤٩ في قصاص السرقة : ٥٠ في عدة جرائم ٥١ في عدة أمور : تمت الابواب والحمد لله الخ —

ودونك أيضاً عناوين الاحد عشر فصلاً المضافة الى هذا الكتاب لمزيد الفائدة ١ً فصل في القوانين المقدسة في الحائض : ٢ً قانون اخذ الجسد المقدس :

عدد ١١٣ — بيد انه يظهر بالاستقراء ان هذا « كتاب الناموس » المثبت في هذه النسخة الكريمة التي بين أيدينا هو غير كتاب الهدى المشهور الذي يذكره العلامة السمعاني كما يتحصل من فهرست أبواب كل منهما : أما كتاب الناموس هذا فقد كتب في الاصل بالحرف العربي ثم نقل الى الحرف الكرشوني هنا كما يظهر بأدنى تبصر لمن طالع هذه النسخة التي نحن بصددها حيث يجد كلمات كثيرة مصحفة ومذكورة بأصلها العربي على الهامش : وعبارته بالاجمال لا تقل فصاحة عن عبارة كتاب الهدى وهي تشهد لطول باع كاتبه باللغة العربية والاصول الشرعية :

والكتاب على ما يترجح جداً انما هو من كتب الطائفة المارونية بدليل ماجاء في الباب الثالث عشر منه (ص ٢٣٤ من هذه النسخة) عند ذكر آراء النصارى في أخذ القربان وهو ما مؤداه بالحرف الواحد : « فرأت الروم ان تقريبه في كل يوم واجب ولكنها قالت ان ترك أخذه في أكثر الاوقات أولى من أخذه دائماً.... أما الارمن فانهم لا يرون تقريبه بالجملة الا في أوقات مخصوصة مثل الخميس الكبير والفصح وما أشبه ذلك من الاعياد والكبار ثم لا يأخذه الا الكاهن الذي يقربه

٣ً قانون سنة الكنيسة وهو الاعياد فريضة لازمة وهي ايضاً من اصول الدين : ٤ً ومن المحارم في الزواج : ٥ً قانون قورلس لاجل المعمودية والزواج : ٦ً قوانين في ما يجب على النصارى : ٧ً باب الطهارة في الصلوات الفرضية : ٨ً قانون تقديس القربان واي وقت يجب تقديسه من النهار : ٩ً قانون آخر للقربان : ١٠ً اختلاف رأي النصارى في اخذ القربان المقدس : ١١ً قانون الصوم وتأدية الزكوة : وهذا ناقص عند آخره وبه نهاية الكتاب حيث اعتذر ناسخه على الهامش كما ذكرنا في الحاشية السابقة :

ومما يجب الانتباه اليه ان ما جاء في القانون ٨ و٩ و١٠ من هذه الفصول المضافة هو مأخوذ بالحرف الواحد عن هذا كتاب الناموس الذي سبقها مما يدل على ان الناسخ انما هو جامع هذا الكتاب نقله عن نسخ شتى فيترجح حينئذ ان قوله في آخره على الهامش ان النسخة التي نقل عنها انها كانت ناقصة الخ انما يتناول هذه الفصول الاخيرة التي بعد كتاب الناموس والله اعلم :

ومن يُخشى عليه الموت . . . . فأما أكثر السريان وهم أهل مذهبنا واكثر اليعاقبة وسريان المشرق والنساطرة فرأيهم في المراظبة على أخذه في اكثر الاوقات أولى من تركه : حتى أن أهل مذهبنا رأوا انه ان أمكن الانسان الا يذهب يوم واحد الا ويؤخذ فيه جسد سيدنا يسوع المسيح كيف ما قدر عليه كان أولى وأحرى : ونحن بعون الله نوضح أيما هو الاوفق والاولى وبالله نستعين » ثم يأخذ ببيان أفضلية رأي أهل مذهبه خلافاً للروم وغيرهم باستفاضة من المنقول والمعقول :

فيرى المتأمل بأدني تبصر في هذه العبارة أن السريان أهل مذهبه وهم غير الروم والارمن واليعاقبة والنساطرة وسريان المشرق لا يمكن أن يكونوا غير الموارنة : الا اذا أريد أن هذا الكلام الاجمالي انما يشمل الملكية أيضاً وهم من السريان الذين على مذهبه : ولكن يعارض ذلك انه قد ذكر الملكية غير مرة في كتابه هذا نظير فئة غير الفئة التي يقصدها من مثل كلامه هذا عادة : ومن ذلك قوله في الباب ٢٤ « في الخطبة والاملاك والزيجة » الفصل ٢ حيث يتكلم عن موانع الزواج (ص ٣٤٧) كما يلي « والنصارى في هذا الضرب على رأيين : الاول منع ثلاث ولادات وأجاز الرابعة وهم القبط والنساطرة وبعض السريان . . . . والرأي الآخر منع من ست ولادات وأجاز السابعة وهم الملكيون واعتمدوا على ماتضمنه رابع التطلس السابع . . . . وعلى ما ورد في قوانينهم الخاصة بهم » فكل من أنعم النظر في هذا الكلام يرى مثلنا لا محالة ان كلامه هنا عن الملكية انما يرمي الى فئة من نصارى سورية غير فئته التي يكتب لها كتابه هذا : وحسبنا في تعريفه :

عدد ١١٤ — أما الذي يهمنا في بحثنا هذا فانما هو القانون الاول من هذا الكتاب فهو هو بعينه في النسختين الواتيكانية والكريمية وفي النسخة البارزية أيضاً وفيه كلام صريح يتعلق بمعتقد الموارنة في أمر المشيئة الواحدة كما سترى في الفصل التالي فمن اللازم أن نبحث خاصة عن كاتب هذا الفصل في الايمان

ونحن نرى ان كاتبه أو مؤلفه هو غير مؤلف كتاب الهدى وعندنا ان الذي وضعه انما هو مترجم هذا الكتاب وهو المطران داود لوحدة التعبير العربي في كليهما : وقد رأيت في خطاب الاب يوسف وجواب المطران داود المذكورين آنفاً ان الكتاب على قولهما ينسب الى « الاب القديس » ولدى مطالعة هذا الفصل أو القانون الاول وجدنا كاتبه يستشهد أيضاً بكلام « الاب القديس » مرتين : أولاً في كلامه عن التثليث اذ قال (ص ٩٦) ما حكايته بالحرف الواحد « وقال الاب القديس ان النطق الذي هو الابن غير الروح التي هي الحياة في الوصف والخاصية وليس غير ابن بالجوهرية : وكذلك الاب غير الابن والروح في الاقنومية وفي الوصف وليس غيرهما في الجوهر لان الجوهر واحد والاوصاف ثلاثة » : الى ان قال ثانياً في الموضع نفسه بعد ذلك « ثم قال الاب القديس ان الجوهر هو الاقانيم والاقانيم هي الجوهر : فلو كان غير الاقانيم لكان رابعاً وليس هناك رابع ومن أثبت الرابع أبطل التثليث » الا أن يثبت ان هذا الاب القديس المستشهد هنا بكلامه هو غير الاب القديس المنسوب اليه كتاب الناموس :

ومما يسند هذا الرأي ان صاحب الفصل أو القانون الاول يستشهد أيضاً في القسم الثاني منه عند ذكر حجج النساطرة على مذهبهم بكلام أبي الفرج عبد الله بن الطيب العالم النسطوري الشهير اذ قال ما حكايته « وحججهم كثيرة على ماذكر ابو الفرج كاتب الجاثليق في كتاب الاتحاد » ومن المعلوم ان هذا ابا الفرج انما هو من كتبة القرن الحادي عشر وقد توفي على ما روى ابن العبري في سنة ٤٣٥ ﻫ وهي سنة ١٠٣٤ م أي قبل ان ترجم المطران داود كتاب الهدى بنحو أربع وعشرين سنة : ويقدر بصواب ان واضع كتاب الهدى باللغة السريانية كان قبل هذا العهد بمدة وهو على ما يظهر دستور كنيسته المستقلة فلا يصح في الذهن أن تكون قد تُركت الى هذا العهد بدون دستور تعول عليه أو ان يكتبه لها اللغة السريانية مع ان اللغة العربية كانت قد شاعت حتى غدت لغة الجمهور من أمته

حتى اضطر الاب يوسف وهو على ما يظهر قس غير ذي سلطة في الكنيسة أن يلح هذا الالحاح في طلب ترجمة هذا الكتاب المنسوب الى الاب القديس (كما قال) على المطران داود كما رأيت : ونحن نرى ان في قوله وقول المطران داود أيضاً « المنسوب الى الاب القديس ما يدعم رأينا هذا بان هذا الكتاب قد وضع من مدة طويلة قبل ذاك العهد حتى لم يعد يعرف مؤلفه الحقيقي فنسب الى أحد البطاركة السابقين كما يدل وصفه بالاب القديس :

عدد ١١٥ — وقد ذهب بعضهم الى ان هذا القانون الاول الذي نحن بصدده انما كتبه أو حرفه في ما يتعلق بمذهب الموارنة توما أسقف كفرطاب صاحب كتاب المقالات العشر التي سيأتي الكلام عنها في الفصل الثالث من هذا البحث : بدليل ان الرسالة المعروفة بقضية العدل » (كما في النسخة الكريمية) أو « برسالة العدل » (كما في نسختي باريس ورومية) التي يقول صاحب هذا الفصل أو القانون الاول فيه انه انفذها « الى الاب القديس ارسانيوس اسقف عين قرة » انما هو توما المذكور الذي كتبها وأرسلها الى هذا الاسقف : ونحن لا ندري الى أي شيء استندوا في صحة ذلك مع ان هذه الرسالة غير موجودة وعصر ارسانيوس أسقف عين قرة غير معروف ولم يأت أحد على ذكره في كل الآثار التي بين أيدينا الا في هذه المقالة : وليس في كتاب الكفرطابي المعروف به بلا اشكال وهو كتاب المقالات العشر ما يشير الى ذلك : فضلاً عن ان عبارة هذه المقالات انما هي من الكلام المبتذل الذي ليس عليه أقل أثر من فصاحة صاحب كتاب الهدى ودقة تعبيره وروايته[1]

---

(١) قال العلامة الدويهي في الفصل السادس من كتاب الاحتجاج (ص ٣٤١ من طبعة بيروت سنة ١٨٩٠) ما ملخصه : ان توما اسقف كفرطاب وكورة حلب لانخداعه بما كتبه سعيد بن البطريق عن مارون الذي ابتدع على قوله مذهب المشيئة الواحدة على عهد موريق ونسب اليه اتباعه في هذا المذهب وهم الموارنة المعروفون منذ

أما المطران داود فتظهر مارونيته من اهتمامه بنقل هذا الكتاب من السريانية الى العربية بعناية وعبارة فصحى كما ترى لاجل خدمة بني أمته : أجل انه عند كلامه في القسم الثاني من الفصل الاول من القانون الاول من هذا الكتاب (وهو

ذاك العصر قد تمسك هو أيضاً بهذا المذهب وأخذ يدافع عنه ويغري موارنة عصره به وقد كتب المقالات العشر انتصاراً له في سنة ١٠٨٩ م وجاء بعد ذلك بنحو عشرين سنة الى جبل لبنان كما هو مذكور في مقدمة كتابه هذا وقد بقي فيه نحو ست سنوات يغري الموارنة ويخادعهم حتى يردهم الى مذهب المشيئة الواحدة الذي يدَّعي انه مذهب أجدادهم وقد كتب رسالة بذلك الى ارسانيوس أسقف العاقورة وهي المعروفة برسالة العدل وبرهن له ذلك فيها باستفاضة من أقوال سعيد بن البطريق خاصةً : ولكن هذا الاسقف لم ينخدع له بل رد عليه قوله وأخذ يناهضه هو والبطريرك يوسف الجرجسي حتى رده على أعقابه بعد ان كان استغوى قسماً كبيراً من موارنة جبل لبنان وحرف ما وصل الى يده من الكتب ذاكراً فيها مذهبه هذا ليخدعهم بذلك (لله دره اذا ثبت انه بالرغم عن مطاردة البطريرك والمطران وأعوانهم له قد استطاع ان يقيم في لبنان ست سنوات ويعمل كل هذه الاعمال) وفي جملة الكتب التي حرفها ودس فيها هذا الرأي الفاسد كتاب الهدى حيث زاد الفقرة الاتية « ان أول فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة الى اريوس وهي التي تدعى الاريوسية ثم النسطورية وهي المنسوبة الى نسطور ثم اليعقوبية وهي المنسوبة الى يعقوب البرادعي ثم الملكية وهي المنسوبة الى مكسيموس المخالف الذي كان من ذرية السمرة وابوه كان اسمه زادوق وكان يهودياً وأمه جارية عجمية كما تقدم عنه الوصف في الكتاب الكبير أي كتاب العشر المقالات وخبره موَرخ في كتاب سعيد بن بطريق : ثم المارونية وهي المنسوبة الى دير مارون والى الاب القديس الطاهر مار يوحنا بطريرك انطاكية ٠٠٠٠ وقد ذكرت خبر هاتين الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالهما شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى الاب القديس ارسانيوس أسقف عين قوره وسميتها برسالة العدل الخ »

الذي نرجح انه هو موئلفه) عن الفرق النصرانية التي في الشرق لا يظهر تعرضه الى احداها حتى ولا الى الملكية أو المارونية بحيث لا يمكن أن يعرف على أي مذهب كان من هذه المذاهب الا انه في القسم الاول من هذا الفصل عند

وهذا ما ارتأى العلامة الدويهي انه من تحريف الكفرطابي وجعله يقدّر هذه الحكاية عنه مما لا يوافق الحقيقة ولا المعقول : اما هذه الرواية التي يدعي ان الكفرطابي قد حرفها في القانون الاول من كتاب الهدى فغير موجودة في نسخ هذا الكتاب التي بين أيدينا ولم نجد أحداً رواها على هذا الشكل سواه بحيث ترجح عندنا انه قد يكون وقع للعلامة الدويهي نسخة فيها هذه الرواية نفسها وهي مما يصح نسبته في الحقيقة الى الكفرطابي من عدة وجوه والحكم بان الكفرطابي قد تلاعب على الاقل بهذا الفصل من هذا الكتاب في هذه النسخة فقط وهي الان غير موجودة : اما في سائر النسخ التي وصلت الينا روايتها كنسخة رومية ونسخة باريس ونسخة دير الكريم فقد رويت هذه الفقرة المدعى تحريفها على الشكل الاتي « ثم الملكية وهي المنسوبة الى قسطنطين بن قسطاس ابن هرقل الملك : ثم المارونية وهي المنسوبة الى مارون يوحنا بطريرك انطاكية العظمى الخ » فأين هذا من قوله « الملكية وهي المنسوبة الى مكسيموس المخالف الخ » وهو مما يوافق كلام الكفرطابي في مقالاته العشر ؟ :

والظاهر ان العلامة الدويهي قد غير رأيه هذا فيما بعد اذ وقف على النسخة الموجودة الان في رومية لانه كتب على هامشها بخط يده عند هذه الرواية كما يلي « هذه زيادات توما الكفرطابي أم من الاسقف داود الذي نقله كما هو واضح من كلامه والرسالة التي يذكرها» (وهي رسالة العدل الى المطران ارسانيوس) : ثم أخذ يبحث عن حقيقة ما كان يظنه تحريفاً لما وجده من ضعف الرأي بنسبة ذلك الى الكفرطابي حتى اضطر أخيراً الى العدول عنه بتاتاً ومال بكليته الى نسبة كتاب الهدى برمته الى أبي الفرج عبد الله بن الطيب النسطوري العالم الشهير من كتبة القرن الحادي عشر : ولهذا نراه قد ألغى من كتاب الاحتجاج الفصل السادس

كلامه عن تجسد الكلمة يصرح بمذهب المشيئة الواحدة الذي ينسبه في القسم الثاني الى الموارنة : وهذا عندنا برهان قاطع على مارونيته : ذلك فضلاً عن اعتبار علماء الموارنة له على الدوام مارونياً كمرهج بن نمرون والدويهي والسمعاني وغيرهم اذ قل ما ذكروا اسمه الا مشفوعاً بصفة الماروني ولم ينازعهم به الى الآن أحد :

المذكور آنفاً برمته وكتب سواه بهذا المعنى كما يرى في نسخة كتابه هذا المحفوظة في دير سيدة لويزة للرهبان الحلبيين اللبنانيين في جبل لبنان وقد نقله عنها بذاته ناشر هذا الكتاب بالطبع في بيروت الذي عولنا عليه وهو في الصفحة ٣٤٤ : قال العلامة الدويهي في هذا الفصل الجديد بهذا الصدد ما ملخصه : ان هذا ابا الفرج عبد الله بن الطيب انما كان ماروني الاصل وقد خدع من مطالعة كتاب سعيد بن بطريق من جهة اعتقاد الموارنة بالمشيئة الواحدة فتمسك بذلك ونفي من لبنان الى العراق حيث أقام يؤلف رسائل وتفاسير واعتقادات ويبعث بها الى أهل جبل لبنان طمعاً في ان يجذبهم الى رأيه وفي جملة ذلك الرسالة التي انفذها الى ارسانبوس اسقف عين قوره وهو الذي الف هذا كتاب الهدى وارسله اليهم وقد ذكر في الفصل الثاني منه هذا الكلام وهو «ان أول فرقة ظهرت الخ» وقد رواها هنا العلامة الدويهي كما هي في النسخة الواتيكانية لا كما رواها سابقاً اذ نسب تحريفها الى الكفرطابي

فمن هنا ترى ان العلامة الدويهي اذ شعر بضعف رأيه في نسبة التحريف لتوما الكفرطابي ثم لداوود الاسقف قد عدل عنه الى هذا الرأي الجديد وهو أيضاً مما لايثبت على النقد من عدة وجوه لانه من الثابت الان عند اهل التحقيق ثبوتاً لامرد له ان هذا أبا الفرج عبد الله بن الطيب لم يكن في الاصل مارونياً من جبل لبنان ولا من خارجه ولم يتصل قط بالموارنة وانما كان نسطورياً بحتاً من أهل العراق : وأول ومن أثبت ذلك العلامة السمعاني الكبير في المكتبة الشرقية (مج ٣ ص ٥٤٤) حيث قال ما ملخصه : نه كان قسيساً نسطورياً نبغ في القرن الحادي عشر وكان كاتباً لايليا الاول بطريرك النساطرة وانه كان عراقياً بحتاً وقد ولد في بغداد : الى قال : ومما يثبت كونه نسطورياً بحتاً المكان الذي ولد فيه والامة التى نشأ فيها

وعندنا ان « الاب القديس » الذي ينسب اليه كتاب الهدى انما هو أحد رؤساء الطائفة المارونية ممن اشتهروا بالفضل والعلم والقداسة والغيرة على كنيستهم : وعلى الارجح هو أحد بطاركتها الاولين من بعد ما استقلت بذاتها منذ أوائل

وكونه جعل كاتباً لبطريرك النساطرة ثم ما أثبت في كتبه من الانتصار لمذهب النساطرة وخاصة مقالته في الرد على الذين يسمون البتول الطاهرة ام الله وفي تفسيره للاناجيل المقدسة وفي مجموعة القوانين التي الفها هو نفسه وتعظيمه في كل فرصة لاصحاب هذه البدعة : ثم شهادة ابي البركات تلميذه وابن العبري في تاريخه وكلاهما يدعوه نسطورياً على الدوام : واضف الى ذلك انه لم يذكر الموارنة قط في كل تآليفه المشهورة ثم استشهاد صاحب ترجمة كتاب الهدى بكلامه عن مذهب النساطرة على ما ذكرنا آنفاً في المتن : فأين هذا من رأي العلامة الديهي بشأنه ؟

ونحن نظن ان العلامة الديهي انما ارتأى هذا الرأي لانخداعه بأثر تاريخي مزيف اذ وجد في نسخة قديمة من كتاب شرح الاناجيل المقدسة لهذا ابي الفرج عبد الله ابن الطيب قوله في المقدمة « قادتني الضرورة .... ان اجمع ما قاله الملافنة المحققون مارثودورس المفسر الجليل ومار يوحنا فم الذهب ومن اتبعهما من مفسري الحياة باللغة العربية لاستيلائها على هذه البلاد أعني جبل لبنان وعدم فهم الناس اللغة السريانية » وفاته ان هذا الكتاب قد حرفه منذ القديم أحد الموارنة الذي انتحله وتصرف به تصرفاً سيئاً على ايثاره وبدل كل ما كان من شروح أبي الفرج موافقاً للمذهب النسطوري بما يوافق مذهب المشيئة الواحدة ولكن بعبارة أحط قدراً وفصاحة من عبارة المؤلف الاصلي : وهذا برهان جديد أورده المطران يوسف داود في كتاب جامع الحجج الراهنة ضد الموارنة ونحن نكتفي هنا بالاشارة اليه : أما عبارة ابن الطيب الاصلية في مقدمة كتابه هذا بحسب النسخة الصحيحة فهي قوله « باللغة العربية لاستيلائها على هذه البلاد أعني العراق وعدم فهم الناس اللغة السريانية » هذا وقد انتحل هذا الكتاب نفسه أيضاً أحد اليعاقبة وتصرف فيه كالاول ولكن بحسب رأي اليعاقبة أهل مذهبه على ما روى أبو البركات تلميذ

القرن الثامن كما بيناه فيما سلف . وانما اكتفى الاب يوسف في رسالته المذكورة آنفاً والمطران داود في جوابه بوصف هذا المؤلف الجليل بالاب القديس لموضع شهرته عند بني جنسه حتى صار يستغنى بهذا الوصف عن ذكر اسمه اجلالا وتكرمة

الفصل الثاني

في ما جاء في كتاب الهدى مما يتعلق بمعتقد الموارنة

عدد ١١٦ — لم يرد في هذا كتاب الهدي أو الناموس أو الكمال مايلامس الموضوع الذي توخيناه في مباحثنا هذه الا ما جاء في الباب الاول منه وعنوانه « القانون الاول في ذكر الايمان أصول الاعتقادات في مذاهب النصرانية والشريعة المسيحية » وهو يقسم الى قسمين . ففي القسم الاول تقرير الاعتقاد بالثالوث الاقدس ثم بتأنس الابن الكلمة . وفي القسم الثاني بيان أصول الاعتقادات في

بن الطيب وهذا التصرف المذموم في كتابه قد ولّد هذا الخطأ في أمر مذهبه الى ان ظهرت الحقيقة بفضل أهل التنقيب والتدقيق :

فثبت والحالة هذه ان هذا الباب الاول من كتاب الهدى انما هو لغير ابن الطيب وان الكفرطابي لم يحرفه وقد بقي من الارجح جداً انه للمطران داود نفسه مترجم كتاب الهدى من الاصل السرياني الى اللغة العربية : ومن ثم فرسالة العدل المنفذة الى ارسانيوس اسقف عين قوره (ولا أثر الان لها) هي له ايضاً :

على اننا نود ان ننبه الخاطر هنا الى أمر واحد وهو انه اذا صح أن يكون ابن الطيب قد ذكر أهل جبل لبنان في مقدمة كتابه في شرح الاناجيل وقال انه انما كتب لهم باللغة العربية لانهم لم يكونوا يفهمون السريانية لكفى هذا وحده لازالة كل ريب في انه لم يكن هو مؤلف كتاب الهدى الذي جاء في أوله ان المطران داود قد ترجمه عن السريانية : والعلامة الدويهي يزعم ان ابن الطيب قد كتبه الى اهل جبل لبنان ليخدعهم بأمر المشيئة الواحدة فتأمل

النصرانية . وفي كل من القسمين شهادة صريحة على حقيقة معتقد الموارنة من حيث المشيئة الواحدة في السيد المسيح . وها نحن مثبتون هنا ماجاء هناك من هذا القبيل بالحرف الواحد . ثم نأتي على درسنا الانتقادي على ذلك كعادتنا في هذا الكتاب

ومن ثم فاليك ما جاء في القسم الاول من هذا الفصل (ص ٢٢ من النسخة الواتيكانية وص ٩٦ من الكريمية)

من كتاب الهدى أو الناموس أو الكمال

« فنقول انه هكذا نعتقد وهكذا نؤمن ان أحد الاقانيم الثلاثة
« الشريفة وهو الابن الكلمة المولود من الاب ليس في الزمان والابتداء
« وليس كتوالد الاجسام بعضها من بعض بل هو نور من نور اله حق
« من اله حق في آخر الزمان من أجل كثرة رحمته قد صنع خلاص
« الجنس الادمي بمشيئة الاب وروح القدس : هبط من السماء من غير
« أن يفارق ذات الاب : ومن غير تغير ولا فساد تجسد من روح
« القدس والطاهرة ابنة يواقيم وحنة[1] وأخذ منها جسداً موازياً لنا في
« طبيعتنا وموازياً[2] لنا في جوهرنا الانساني : جسماً ذا نفس ناطقة
« عاقلة عالمة[3] وشابهنا في كل شيء سوى الخطيئة : وولد منها ابناً واحداً
« ورباً واحداً يسوع المسيح اقنوماً واحداً وشخصاً واحداً ذا جوهرين

---

(١) وفي النسخة الواتيكانية لا ذكر لاسم « حنة »

(٢) وفي الاصل في كلا النسختين « مواز »

(٣) وفي الواتيكانية « جسما ونفسا الخ » ونظن ان لفظة « عالمة » الموجودة هنا أصلها « عاملة » لان العالمية تضمنت في قوله « ناطقة عاقلة »

« معقولين من جوهر الاب الازلي بلاهوته ومن جوهرنا بناسوته[١]
« محسوس بالجسم الانساني[٢] وغير محسوس باللاهوت : محدود بالجسم
« الزماني الانساني وغير محدود باللاهوت الازلي الابدي : »
« واذ قد اعتقدنا فيه هذا الاعتقاد الذي قد ذكرناه فاننا لا نعتقد
« فيه أيضاً اثنين ولا مسيحين ولا مشيئتين ولا فعلين : حاشا من ذلك :
« بل هو واحد يسوع المسيح ابن الله الذي من أجلنا تأنس أقنوم واحد
« وشخص واحد هو يعقل بجوهرين ومشيئة واحدة وفعل واحد الاه
« أزلي ليس له ابتداء وانسان آدمي زماني[٣] ذو جسم نفساني حساس
« زماني وهو اله تام باللاهوت وانسان تام بالجسم الانساني . . . . . .
« الى أن قال . . . . . وبهذه الاوصاف قد آمنت البيعة المقدسة وبها
« أقرت واعترفت هي وجميع أولادها وعلى ذلك اتفق رأي النصارى
« المؤمنين وآمنوا بالرب يسوع المسيح ابن الله الحي الازلي الذي هذه
« أوصافه وكانت أرواحهم متفقة في جميع ما قدمنا ذكره الى هذا

---

(١) وفيها أيضاً « ذو جوهرين معقولين هو الاه وانسان معقولين من جوهر الاب بلاهوته وابن جوهر ناسوته » وهذه العبارة الاخيرة في نسخة الكريم قد حرفها الناسخ الغبي كما يلي « من جوهر الاب الازلي بلاهوته والابن هو بجوهرنا هو بناسوته » فاصلحنا الجميع كما اقتضى المعنى على ما رأيت

(٢) وفي الواتيكانية لا وجود هنا لكلمة «الانساني»

(٣) وفيها ايضاً وردت هذه العبارة مبتورة كما يلي « بل هو واحد يسوع المسيح ابن الله الكلمة الذي من اجلنا تأنس اقنوماً واحداً ازلياً ليس له ابتداء وانسان آدمي ذو جسم الخ »

« الذي انتهينا اليه من أوصاف الابن الازلي يسوع المسيح : ثم اختلفوا
« فيه كيف كان بعد الاتحاد وافترقوا فرقاً كثيرة : فقالت كل طائفة
« منهم في الاتحاد وبعد الاتحاد قولاً غريباً عن قول الفرقة الاخرى :
« ونحن نذكر بمشيئة الله سبحانه أقاويل كل فرقة مايتبين فيه رأيها ويظهر
« به اعتقادها على حسب الاختصار والتقرير الذي رتبنا عليه هذا الكتاب
« ومن الله نستمد المعونة والارشاد ومنه نسأل الهداية آمين »

ثم أتى الى القسم الثاني وبعد توطئة وجيزة في سلطة المجامع قال كما يلي :

« فأول فرقة ظهرت من الفرق المشهورة الفرقة المنسوبة الى اريوس
« وهي التي تدعى الاريوسية ثم النسطورية وهي المنسوبة الى نسطور :
« ثم اليعقوبيـة وهي المنسوبة الى يعقوب الذي كان من مدينـة تدعى
« بردعاء ولذلك يقال له البرادعى : ثم الملكية وهي المنسوبة الى قسطنطين
« ابن قسطنطين بن هرقل الملك : ثم المارونية وهي المنسوبة الى مارون
« يوحنا بطريرك انطاكية العظمى [١] : وقد ذكرت خبر هاتين الفرقتين
« الملكية والمارونية وشرحت بيان حالهما شرحاً شافياً في الرسالة التي

---

(١) وفي النسخة الكريمية يوجد بعض التشويش في هذه العبارة خاصة . فقد وردت فيها كما يلي « ثم الملكية المنسوبة الى الملكين . ثم المارونية المنسوبة الى مارون والى قسطنطين بن قسطاس بن قسطنطين بن هرقل » وفي هذه النسخة من مثل هذا التقديم والتأخير شيء كثير يظهر بأدنى تبصر للبيب . اما قوله « المنسوبة الى مارون » وتركه « يوحنا بطريرك انطاكية العظمى » فنراه أقرب الى الاصل . اما رواية النسخة الباريزية فهي كالرومانية تماماً .

« كتبتها الى الأب القديس ارسانيوس أسقف عين قره ورسمت برسالة
« العدل اضربنا عن ذكرها في هذا الموضع خشية من الاطالة . . . . .
« وثبتت هذه الفرق الاربع على ان الفرقتين الملكية والمارونية اللتين
« ذكرناهما انما هما فرقة واحدة ورأيهما في الاتحاد والجوهر والاقنومية رأي
« واحد وانما اختلفتا في المشيئة: فقالت الملكية بمشيئتين وقالت المارونية
« بمشيئة واحدة: واحتجت كل واحدة منهما بحجج وقد ذكرناها لهما وحججهما
« والذي أوجب الخلف بينهما في الرسالة الموسومة بقضية العدل[1] » .

ثم ذكر النسطورية واليعقوبية وحجج كل منهما في اثبات مذهبهما بايجاز بليغ:
وقال بعد ذلك :

« أما الفرقة الملكية والمارونية فادعتا أن المسيح بعد الاتحاد
« يوصف بانه جوهران واقنوم واحد واحتجتا في ذلك حججاً الاولى
« منها قالتا . . . . . »

وبعد أن ذكر تسع حجج لاثبات هذا الرأي قال ما مؤداه :

« فهذه حجج هذه الفرقة المذكورة وقد ذكرنا منها ما اتفقتا
« عليه : غير ان الملكية والمارونية قد اختلفتا في المشيئة والمشيئتين :

---

(١) كذا في النسخة الكريمية اما في النسختين الواتيكانية والباريزية فقد جاء « الموسومة بقدية العدد » . وعندنا ان ذلك من تحريف النساخ وصوابه ما جاء في النسخة الكريمية كما اثبتناها هنا . والمراد بذلك الرسالة السابق ذكرها وهي التي ارسلت الى ارسانيوس اسقف عين قرة . ويظهر ان الكاتب قد استفاض فيها بذكر كل الفرق على ما اقتضب منها هنا

« فقالت الملكية في المسيح انه ذو مشيئتين للجوهرين مشيئة الهية
« للجوهر الالهي ومشيئة انسانية للجوهر الانساني : وقالت المارونية
« بل هو ذو مشيئة واحدة للجوهرين الالهي والانساني : واحتجت
« كل طائفة منهما فيما ادعته بعدة حجج قد ذكرناها عن آخرها في
« الرسالة التي تقدم ذكرها : الا اني آثر أن أذكر ههنا بعض احتجاجهما:
« فمن بعض ما احتجت به الملكية انها قالت — انه لما كان المسيح ذا
« جوهرين جوهر الهي وجوهر انساني وجب أن يكون ذا مشيئتين
« مشيئة الهية للجوهر الالهي ومشيئة انسانية للجوهر الانساني: الآن
« الجوهر الالهي تختص به مشيئة التفضل والانعام واظهار المعجزات
« مثل شفاء المرضى وفتح أعين العمي وانهاض الزمنى واحياء الموتى وما
« أشبه ذلك : والجوهر الانساني يختص به العالميات مثل الاكل والشرب
« واظهار العجز والتعب وما أشبه ذلك من الامور الدنيانية التي جوهر
« اللاهوت منزّه عنها : ولو كان المسيح ذا مشيئة واحدة لوجب أن
« يكون جوهراً واحداً وعاد الامر الى ما قالت اليعقوبية . واستدلت
« على ذلك بقوله في الانجيل . أما النفس فمختارة مستعدة وأما الجسم
« فموجوع ضعيف . وبقوله . ما أتيت لاصنع مشيئتي بل مشيئة
« الذي أرسلني —

« وقالت طائفة المارونيــة — هاتان المشيئتان اللتان ادعيتموهما
« لا تخلوان من ان تكونا اما متساويتين أو متضادتين . فان كانتا

« متساويتين في جميع حالهما عاد الامر الى مشيئة واحـدة : وان كانتا
« متضادتين جاء من ذلك ان يكون الجوهر الالهي يشـاء مالا يشاء
« الجوهر الانساني وكذلك الجوهر الانساني يشاء مالا يشـاء الجوهر
« الالهي واذا حصل ذلك وقع التباين والتضاد وحصلا اثنين وبطل حكم
« الاتحاد وصار الثالوث رابعاً وآل الامر الى رأي نسطور وما ادعاه
« في المسيح[1] : واحتجت على ذلك بقوله في الانجيل الطاهر لما جاء اليه
« الابرص وقال له : ان شئت شفيتني : قال له : قد شئت : وقوله ايضاً
« خذ ما استأجرتك به واذهب بسلام فاني قد شئت ان اعطي صاحبك
« مثلك : وقوله ايضاً : ليس احد يفهم الأب الا الأبن ومن يشاء الأبن

---

(١) ما اشبه هذا الكلام بكلام التامحري في البحث السابق حيث قال ان المكسيمينيين كانوا يعيرون الموارنة بانهم يرمون باعتقادهم هذا الى اليعقوبية وان الموارنة كانوا يعيرون هؤلاء بانهم انما يرمون الى النسطورية بل الى التوثن والتهود بسبب اعتقادهم بالمشيئتين في السيد المسيح · وهذا مما يدل ايضاً على صحة هذه الرواية بحق الموارنة وعدم تحريفها من يد اهل الهوى كما اراد بعضهم · ومن مجرد تلاوة هذا الكلام يظهر لذي عينين ان الكاتب لم يقصد منه الاّ بيان الحقائق كما كان يعرفها دون اقل ميل الى خداع الموارنة بهذا المعتقد واغرائهم على التحول اليه والاستمساك به لان ليس في روايته وسياق كلامه ما يدل على ذلك ولو من وجه خفي · فاذا صح ذلك (ولا نخاله الا صحيحاً) ثبت من وجه آخر اصرح مما تقدم ان كاتب هذا الباب انما كان مارونياً بحتاً · لانه قد قرر عقيدته في القسم الاول من هذا القانون كما رايت كهذه عقيدة الموارنة بلا جدال ولا اشكال واثبت المشيئة والفعل الواحد في السيد المسيح مراراً بكل صراحة · ولو كان في القسم الثاني قد روى ذلك كمؤرخ خالي الغرض

« ان يكشف له: وغير ذلك مما اثبتناه على آخره في تلك الرسالة المذكورة:
« وقالت - فهذا الكلام يدل على ان المشار اليه واحد والمشيئة واحدة [1]
« وثبتت كل طائفة منهما على رأيها الذي رأته : هذا ايمان البيعة الجامعة
« الرسولية وأصول اعتقادات جميع اولادها في الايمان بالأب والأبن
« وروح القدس الاله الواحد [2] »

درس تاريخي انتقادي لاهوتي على هذه الشهادة

عدد ١١٧ — فمها يكن من أمر كاتب هذه الشهادة وهويته وجنسيته التي لا تظهر صريحاً في سياق كلامه هذا المجرد عن كل ميل فان ما أثبته هنا خاصة في القسم الثاني من هذا الباب بكل امانة ونزاهة انما هو موافق بالمعنى تمام الموافقة لما رواه التلمحري المؤرخ الشهير قبله عن وجه الخلاف الذي حصل في أوائل القرن الثامن بين الخلقيدونيين الموارنة و بين الخلقيدونيين المكسيميين الذين خصوا فيما

(١) يظهر من هذا الكلام ان الخلاف كان بين الفريقين وهمياً متأتياً بالاخص عن سوء التفاهم كما قلنا غير مرة لان الفريق الاول يقرر الارادتين مبدئياً والثاني من حيث الفعل الخارجي والنتيجة . ومن المعلوم المسلم به عند الفلاسفة ان الافعال ترجع الى الاقنومية نسبةً وان كان مبدؤها وقوتها في الطبيعة وهذا ما يرمي اليه الموارنة بهذا الكلام اي ان المسيح وهو ذو اقنوم واحد وطبيعتين وهو الذي كان يريد ويفعل بما انه واحد بالاقنومية ومن ثم صح ان يقول قد مشت وفعلت الخ

(٢) قوله هذا الاخير يشبه ما ختم به القسم الاول من هذا الباب دون ان ينحو باللائمة على احد من اهل هذه المذاهب المتباينة في تجسد الكلمة او يعطي حكماً ولو بالعرض على صحة راي فريق دون الاخر . مع انه يظهر من قوة كلامه ومن استخلاصه لحجة كل فريق في اثبات مذهبه انه كان من علماء عصره النجارير :

يلي باسم الملكية (راجع الأثر ٨ عدد ٧٤ و٧٥) كما يرى المتأمل الحصيف العقل : وهذا أيضاً مما يثبت بكل قوة صحة رأينا في هذه القضية من أن فرقتي الموارنة والملكية كانتا في الاصل فرقة واحدة من فرق النصرانية في سورية حتى اختلفتا في أمر المشيئة الواحدة والمشيئتين بسبب سوء التفاهم الذي حصل في هذه العقيدة منذ دخلت حديثاً الى سورية بواسطة بعض المجاوين والاسرى من الروم الذين جاؤوا في جيوش العرب (راجع الأثر الثامن عدد ٧٤) فكان ما كان من شدة النفور والمشاحنة والقتال والمضاغنة بين الفريقين المذكورين بحيث لم يبقَ من مجال للتفاهم والانضمام والولاء السابق واستقل كل فريق برأيه وهو يعتقد انه على الصواب وأخذ يقرف الفريق الآخر بالكلام القارص ويشدد عليه النكير ويتجنبه كمحروم على ما رأيت مما مرّ بك حتى الآن :

ولو لا ذلك لاستمرتا الى ما شاء الله فرقة واحدة يفرقهما عن النساطرة واليعاقبة ويجمعهما معاً شدة حرصهما على تعليم المجمع الخلقيدوني واستمساكهما به وقد ثبتت عليه على الدوام بالرغم عن سوء التفاهم الذي حصل بينهما في أمر المشيئة والمشيئتين على ما وصفنا : ومما يدل على ذلك دلالة صريحة قوله في هذه الشهادة المذكورة آنفاً وهي من منتصف القرن الحادي عشر « أما الفرقة الملكية والمارونية فادعتا ان المسيح بعد الاتحاد يوصف بانه جوهران واقنوم واحد » : وقوله في القسم الاول من هذه الشهادة أيضاً « وأخذ منها (أي من مريم البتول) جسداً موازياً لنا في طبيعتنا وموازياً لنا في جوهرنا الانساني · جسماً ذا نفس ناطقة عاقلة عالمة وشابهنا في كل شيء سوى الخطية : وولد منها ابناً واحداً ورباً واحداً يسوع المسيح اقنوماً واحداً وشخصاً واحداً ذا جوهرين معقولين من جوهر الاب الازلي بلاهوته ومن جوهرنا بناسوته : محسوس بالجسم الانساني وغير محسوس باللاهوت » فهل في كل ذلك من ريب أو شبهة أو اشكال مما يمس صحة هذه العقيدة وتمام موافقتها من كل وجه روح المجمع الخلقيدوني والتعاليم الكاثوليكية الصحيحة ؟

ولقد كان من الواجب والحالة هذه أن ينتج عنها طبيعياً تعليم المشيئتين والفعلين كما لا يغرب عن ذي بصيرة : لانه بقوله عن جسد المسيح انه موازٍ لنا في طبيعتنا وجوهرنا الانساني وانه ذو نفس ناطقة عارفة عالمة قد صرح تصريحاً لا مزيد عليه بأن ناسوت المسيح كان كاملاً تاماً حافظاً كل خواصه وقواه نظير ناسوتنا : وقوله بانه شابهنا في كل شيء سوى الخطيئة أراد به أن يشمل كل ما للطبع الانساني التام دون استثناء أقل شيء سوى الخطيئة التي هي نقص تأتى على الطبع الانساني بعد المعصية كما لا يغرب : ومن ثم قد شمل أيضاً المشيئة والفعل أو القوى البشرية التي يتأتى عنها ذلك وهذا يدل عليه خاصة قوله بانه ذو نفس ناطقة الخ :

عدد ١١٨ — فاذا تقرر ذلك ظهر بأقل تبصر أمر هذا سوء التفاهم الذي ذكرناه غير مرة بين الفريقين : فان الموانة اذ دخل هذا مذهب المشيئتين والفعلين عليهم بالطريقة التي وصفنا وهو مستحدث بالنسبة اليهم رأوا فيه ما يرمي الى النسطورية الفظيعة ويقرر أمر الطبعين والاقنومين في المسيح على ما تتبرأ منه النسطورية أيضاً لما يتأتى عنه من التباين والتضاد بين المتحدين مما لا يقول به غير الكافرين من اليهود والوثنيين : ولهذا أنكروه كل الانكار وتعرضوا لمحاربته بعزم شديد لمخالفته على هذا الوجه لروح تعاليم المجمع الخلقيدوني ولهذا قالوا بكل صراحة وحزم بعد تقرير ما سبق بيانه آنفاً : ومع ذلك « فاننا لا نعتقد فيه اثنين ولا مسيحين ولا شخصين ولا مشيئتين ولا فعلين : حاشا من ذلك : بل هو واحد يسوع المسيح ابن الله الذي من أجلنا تأنس اقنوم وشخص واحد وهو يعقل بجوهرين ومشيئة واحدة وفعل واحد » وقد اردف هذا الكلام بقوله « اله ابدي ليس له ابتداء وانسان آدمي زماني ذو جسم حساس زماني : وهو اله تام باللاهوت وانسان تام بالجسم الانساني » :

فلو حذفنا من هذا الكلام هنا لفظة المشيئة الواحدة بتاتاً كان هذا التقرير على وضعه كاثوليكياً محضاً لا محالة : واستنتج منه أمر المشيئتين والفعلين استنتاجاً

طبيعيا بلا أقل مغالطة أو مواربة : والا فما معنى قوله انه ذو جسم حساس الا انه كان يشعر بالجوع والعطش والتعب والآلام التي تنزه عنها جوهر اللاهوت (كما قال الملكية) ؟ وما معنى انه اله تام باللاهوت وانسان تام بالجسم الانساني : وكيف يكون انساناً تاماً اذا لم يكن له قوى الطبع الانساني التي تتأتى عنها المشيئة والفعل ؟
فليس اذن من هذا الوجه قد رفض الموارنة هاتيك الايام التسليم بالمشيئتين والفعلين في السيد المسيح : وليس من هذا القبيل قد ناهضوا هذا المذهب الجديد بالنسبة اليهم وحاربوا أصحابه هذه المحاربة العنيفة بل من وجه آخر مخالف لروح تعاليم المجمع الخلقيدوني تمام المخالفة بحيث يهدم بل يلاشيء معنى الفداء الالهي للجنس البشري على ما جاء في الانبياء والكتب المقدسة وتعليم الكنيسة والآباء القديسين : لانه يرمي الى ما هو أشنع من النسطورية : كما صرحوا وبيناه نحن عنهم مراراً :

عدد ١١٩ — ومن ثم يسوغ لنا ان نقول بكل صواب ان موارنة هاتيك الاعصار النائية لم يرفضوا هذا التعليم بالمشيئتين والفعلين بالمعنى الذي حددته الكنيسة المقدسة والمجمع السادس وهو لا يمكنه أن يخالف تعاليم المجمع الخلقيدوني : ولم يتمسكوا بمذهب المشيئة الواحدة والفعل الواحد على طريقة المنوثيلية أو انتصاراً لها بعد تحريمها قانونياً لانهم لم يعرفوها ولم يعرفوا أحداً من أصحابها ولم يصدروا في ذلك عن مبادئها أو يرموا الى اغراضها السيئة : بل رفضوه على الوجه الآخر الذي فهموه بحسبه على يد المجاوين والاسرى من الروم : وهو وجه قويم بذاته لان الكنيسة لم تعلم قط ولن تعلم أبداً ان في المسيح مشيئتين متضادتين ومتحاربتين وعدوتين معاً : وانما هي تقول بكل صواب ان الارادة البشرية في السيد المسيح كانت موافقة تمام الموافقة للارادة الالهية بحيث لم يكن يمكنها ان تخالفها أو تضادها في كل ما تريده : وذلك لان الارادة الانسانية فيه كانت كاملة ومرتبة الى الخير الاسمى فلم تتمرد على العقل بسبب الخطيئة الاصلية كما حصل في ارادتنا نحن البشر التي قال فيها بولس الرسول ما قاله في الفصل السابع من رسالته الى أهل رومية وهو ملخص بالآية الآتية

منه أيضاً : قال « لان ما أريده من الخير لا اعمله بل ما لا أريده من الشر اياه اعمل . . . . فاني ارتضي ناموس الله بحسب الانسان الباطن : لكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس روحي ويأسرني تحت ناموس الخطيئة الذي في أعضائي » وهذا ما يرمي اليه على ما نرى صاحب كتاب الهدى بقوله ان جسم المسيح قد كان « ذا نفس ناطقة عاقلة عاملة (والصواب عاملة) وشابهنا في كل شيء سوى الخطيئة » وهو تفسير جلي لمعنى قولهم انه لم يكن في المسيح ارادتان متضادتان ومتحاربتان وعدوتان معاً » كما يرى المتأمل ولقولهم أيضاً (كما سيأتي في كلام الاسقف توما الكفرطابي) ان السيد المسيح انما أخذ الطبيعة البشرية الكاملة قبل المعصية اذ لم يكن في أعضائها ناموس آخر يحارب ناموس روحها ويأسرها تحت ناموس الخطيئة بل كانت الارادة البشرية خاضعة لحكم العقل في كل شيء وموجهة طبعاً الى الخير الاسمى :

وبهذا المعنى يجوز والحالة هذه على ما نرى أن يقال بكل صواب ان الارادة في السيد المسيح كانت واحدة معنوياً أي في مفعولها ونتيجتها لا في قوتها ومبدئها : وهذا ما كان يريده الموارنة خلافاً للمونوثيليين بقولهم مشيئة واحدة : وهو يتحصل أيضاً من قول صاحب كتاب الهدى المذكور آنفاً عند ما اثبت بعض براهين الموارنة لاجل اثبات رأيهم هذا ضد الملكية : فقد قال ما مؤداه « وقالت طائفة المارونية هاتان المشيئتان اللتان ادعيتموهما لا تخلوان من تكونا اما متساويتين أو متضادتين : فان كانتا متساويتين في جميع حالهما عاد الامر الى مشيئة واحدة :وان كانتا متضادتين جاء من ذلك أن يكون الجوهر الالهي يشاء ما لا يشاء الجوهر الانساني وكذلك الجوهر الانساني يشاء ما لا يشاء الجوهر الالهي واذا حصل ذلك وقع التباين والتضاد وحصلا اثنين وبطل حكم الاتحاد وصار الثالوث رابعاً (والصواب رابوعاً) وآل الامر الى نسطور وما ادعاه في المسيح »

فليس أصرح من هذا الكلام في بيان حقيقة اعتقاد الموارنة من هذا القبيل

وهو ان الطبيعة الانسانية في السيد المسيح كانت تامة كاملة حافظة جميع خواصها بحسب تعليم المجمع الخلقيدوني ومن هذه الخواص الارادة : ولكن هذه الارادة البشرية لما كانت متساوية مع الارادة الالهية أي موافقة لها تمام الموافقة في جميع أحوالها جاز أن يقال فيهما لنفي التضاد الذي حصل في طبيعتنا البشرية بعد المعصية ثم لنفي الاثنينية الاقنومية ولتأييد معنى الوحدة الشخصية في السيد المسيح انهما ارادة واحدة لا من حيث المبدأ والقوى التي تصدر عنهما في الباطن بل من حيث النتيجة والمفعول الخارجي : وهذا المعنى يظهر أيضاً بزيادة من الكلام الذي يلي هذه الفقرة وهو « واحتجت على ذلك بقوله في الانجيل الطاهر لما جاء اليه الابرص وقال له — ان شئت شفيتني — قال له — قد شئت — وقوله أيضاً — خذ ما استأجرتك به واذهب بسلام فاني قد شئت ان اعطي صاحبك مثلك : — وقوله أيضاً — ليس أحد يفهم الاب الا الابن ومن يشاء الابن أن يكشف له — » فان فعل المشيئة في هذه الامثلة وغيرها من مثلها تارة يصدر من المسيح بما انه اله وتارة يصدر منه بما انه انسان وفي كلا الوجهين يصدر عن المسيح الواحد ويرجع اليه وحده بما انه ذو الطبعين والاقنوم الواحد وما يشاءه بالطبع الانساني اذا لم يكن موافقاً تمام الموافقة لمشيئة الطبع الالهي لا يمكن أن يحصل ويصدر عن المسيح الواحد الفرد بالاقنومية حتى يصح أن ينسب اليه وحده في كل حال : وهذا معنى قول الموارنة ان المشيئتين كانتا متساويتين غير متضادتين وليس ما يمنع من القول بأنهما مشيئة واحدة : وهذا كما يرى المتأمل غير ما تدعيه المنوثيلية[1]

---

(١) قال العلامة اللاهوتي الكبير الكردينال فرنسلين في كتابه عن تجسد الكلمة (قسم ٣ باب ٦ قضية ٤٠) ما مؤداه : ان المنوثيليين كانوا ينزعون في مذهبهم الى القول بان الكلمة بحسب طبعه الالهي انما هو المبدأ الاولي لكل الاعمال والارادات وان الطبع البشري الذي لا عمل له بذاته انما كان يتلقى في نفسه عمل

عدد ١٣٠ — وقد لاحظ هنا العلامة مرهج بن نمرون البانى في مقالته اللاتينية المطبوعة برومية سنة ١٦٧٦ باذن الرؤساء (ص ٩٠) كما يلي مؤداه « انه اذا قال الموارنة أحياناً بمشيئة واحدة على ما روى المطران داود صاحب ترجمة كتاب الهدى فانهم اذ ذاك انما يعتبرون اسم « مشيئة » اتفاق المشيئتين على موضوع واحد بالتساوي والتراضي وليس بالنظر الى القوة التي يعتقدونها اثنتين وهي الالهية والانسانية »

الكلمة الالهي كالة صماء ؟ ومع انهم كانوا يسلمون ان الطبع البشري بالنظر الى جوهره هو غير الالهي لم يكونوا يتحاشون القول عند تقرير مبدأ الاعمال بان ذلك انما هو (على ما يظهر) هذا المركب من الطبع الالهي والطبع البشري كما يبدو ذلك على نوع ما فينا نحن البشر اذ من النفس والجسد يحصل مبدأ العمل : وكما يزعم الابوليناريون من حيث ان الكلمة كانت تقوم مقام العقل فيجعلونها في المسيح صورة ومبدأ للاعمال العقلية : ومن ثم كان المنوثيليون يستنتجون من ذلك بكل سهولة ان الفعل (او قوة الفعل) وكلما يمكن ان يقال له عملاً انما كان يصدر عن قوة الكلمة الالهية . ولهذا فكل ما كان المسيح يفتكره او يريده اويفعله او يشعر به او يحتمله كل ذلك انما كان يفعله ويحتمله الله الكلمة بذاته وفي طبعه الالهي لانه لم يكن يفعل مثل ذلك او يحتمله لو لم يكن مبدأ العمل هذا المركب من الطبع الالهي العامل والطبع الانساني الذي يتلقى هذا العمل الالهي في نفسه كانه واسطة لظهوره » (انتهى كلام العلامة فرنسلين)

فاين هذا من قول الموارنة في هذا كتاب الهدى ان الطبيعة الانسانية في المسيح انما كانت ذات نفس عاقلة ناطقة عالة (او عاملة) وانه شابهنا في كل شيء سوى الخطية؟ فاذا كانت كذلك نتج لامحالة انها حفظت كل قواها الطبيعية التي منها الارادة وقوة الافعال البشرية . ومن المقرر عند الفلاسفة المدرسيين ان النفس انما هي الصورة الجوهرية في الانسان وهي مبدا الفعل . ومن ثم فمتى سلمنا ان الطبع البشري في السيد المسيح كان ذا نفس ناطقة الخ نتج عن ذلك بلا اشكال انها (اي هذه النفس) انما هي الصورة الجوهرية في هذا الطبع البشري وهي مبدا الفعل الانساني كما

وقد جاء بعد هذا الكلام بالشهادة المذكورة آنفاً عن كتاب الهدى : ثم قال « وهذا المعنى نفسه قد قاله على وجه التقريب صاحب كتاب — المجموعات المارونية — في جوابه على السؤال الثاني عشر وهو كما يلي بالحرف الواحد »

« السؤال ١٢ »

« هل المسيح يقال عنه انه قادر على كل شيء أم عاجز ولا يقدر « على كل شيء لان الانجيل قال ان المسيح دخل الى بيت وأراد أن « لا يعلم به أحد فلم يقدر أن يخفى »

« الجواب »

« المسيح من جهة ناسوته كان يريد ان يخفى فلم يقدر : لكن من « جهة لاهوته هو قادر على كل شيء ويفعل كل ما أراد كقول المزمور « كلما شاء الرب صنعه في الارض والسماء والابحار وجميع الاعماق . فحيث « ان المسيح كان لا يريد ويفعل ويريد ولا يقدر يفعل فله بالضرورة « مشيئتين ثابتتين متحدتين بلا افتراق ولا تضادد بل الناسوتية تخضع « للاهوتية : فالذي يقول مشيئة واحدة ضد هذا القول فهو تجديف .

لايغرب . وهذا كما يرى المتأمل البصير فرق جوهري جداً بين راي المنوثيليين وراي الموارنة في امر الاعتقاد بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد في السيد المسيح . فان المارونية ترمي الى ان الفعل والمشيئة فيه انما هما واحد بالنتيجة لابالمبدا لان المشيئة البشرية بالنظر الى كونها غير متأثرة من جرح الخطيئة الاصلية كارادتنا المشوشة لم تكن تريد الا الخير المحض الذي تريده المشيئة الالهية بحيث يحصل التوحيد من هذا الوجه ولا يبقى من محل للتضاد والمحاربة التى تحصل عادةً فينا

« فأما من يفهم معنا المشيئة الواحدة أي بالاتحاد والاتفاق صار المراد
« واحد كما ان رجلين أو أكثر يتفقوا في أمر واحد فتصير مشيئتهم
« فيه واحدة مع ان لكل واحد مشيئة لذاته فيقال ان مشيئتهم مشيئة
« واحدة فبهذا القياس ليس تعدم احدى المشيئتين بل المفهوم من
« المشيئة الواحدة أي ان المراد واحد والقصد واحد مع ثبات ان
« اللاهوت له مشيئة والناسوت له مشيئة فهذين بلا افتراق بل القولين
« بهذا المعنى واحد » :

ثم اردف الباني ذلك بقوله (ص ٩٥) « فيحصل من هاتين الشهادتين ان الذين يقولون على هذا الوجه بالمشيئة الواحدة لا يريدون ان في المسيح مشيئة مفردة تماماً ولكن أن ليس فيه ارادتان متضادتان بل ان الارادة البشرية تخضع للالهية وتتمم أوامرها : وهذا معنى كاثوليكي محض بشهادة المجمع السادس العام الذي جاء في جلسته السابعة عشرة كما يلي « اننا نقرر بكل صواب على مقتضى تعليم الآباء فعلين طبيعيين بلا افتراق وارادتين طبيعيتين غير متضادتين : تنزه تنزهاً كبيراً عما قال الهراطقة المنافقون : بل ان ارادته البشرية موالية وغير معاندة ولا محاربة أو بالاحرى خاضعة لارادته الالهية القديرة : لانه كان من الواجب أن تتحرك ارادة جسده وتخضع أيضاً لارادته الالهية كقول اثناسيوس الحكيم النحرير » (انتهى كلام الباني) :

الفصل الثالث

في توما الكفرطابي وكتابه المقالات العشر في المشيئة الواحدة

عدد ١٢١ — ان كل ما يمكن التعويل عليه علمياً في أمر توما هذا انما هو ما جاء عنه في مقدمة كتاب المقالات العشر الذي تركه لنا وأبقته يد الزمان الى يومنا هذا: فيتحصل من هذه المقدمة انه انما كان مطراناً للموارنة على كفرطاب وكورة حلب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر حتى أوائل القرن الثاني عشر: وانه في نحو سنة ١٠٨٩ قد كتب كتابه هذا في اثبات المشيئة الواحدة في السيد المسيح لجواب ليوحنا بطريرك انطاكية على الملكيين الذي كان على ما يظهر يناقشه في ذلك كتابةً ليرده الى الاعتقاد بالمشيئتين[1] واذ علم ان هذا البطريرك قد حرقه جدد هو كتابته وحفظه في كنيسته كمرجع لابناء رعيته في هذا الموضوع: ثم كتبه ثالثة

(١) ان هذا البطريرك انما هو يوحنا الرابع المشهور اليوناني الاصل. وكان مقيماً في انطاكية وقد ذكر غليام اسقف صور في تاريخ الصليبيين وغيره ايضاً انه عند ما بلغت جيوش الافرنج الى انطاكية وافتتحوها في سنة ١٠٩٨ لم يطق الاقامة معهم بل رحل الى قسطنطينية حيث قضى نحبه بعد مدة وجيزة. ويظهر انه كان قد دخل في الشقاق العظيم الذي تسبب به ميخائيل كيرولاريس بطريرك قسطنطينية بين كنيسته وكنيسة رومية منذ اواسط القرن الحادي عشر على ما هو مشهور. ويترجح ذلك من تركه كرسيه وذهابه الى قسطنطينية لشدة نفوره من الافرنج وعوائدهم ومن كتاب له يندد به على استعمال الفطير في ذبيحة القداس الطاهر: وهذا كان في جملة الامور التي اتخذها ميخائيل كيرولاريس المذكور واشياعه ذريعة لبث هذا الشقاق الذي اخذ حده على ما يظهر بعد مجيء الافرنج الى الشرق واختلاطهم مع اليونان في امور مدنية محضاً:

في أوائل القرن الثاني عشر اذ كان في جبة بشري من جبل لبنان بطلب كاهن فاضل من قرية كفرشع التي في بلاد جبيل :

وهاك ما جاء في هذه المقدمة بهذا الصدد[١] بعد البسملة

« نخبركم يا اخوة فاما كان في بعض الزمان من تاريخ اسكندر ابن
« فايلفوس اليوناني الف وأربعماية سنة جرى فيها مكاتبات ومراسلات
« بين بطريرك الروم في مدينة انطاكية انبا يوحنا وبين توما مطران
« كورة حلب المازوني بركة صلاتهما ترحمنا أمين : .... فاما كثرت
« المكاتبات بينهما الى نهاية ما يكون عند ذلك كتب أنبا يوحنا
« بطريرك انطاكية رسالة جزيلة طويلة الشرح كثيرة المعاني وأرسلها
« مع قصاد الى أنبا توما مطران الموارنة الى كفرطاب بلد كورة حلب[٢] ....

(١) يظهر بأقل تبصر ان هذه المقدمة ليست من كلام صاحب هذا الكتاب بل هي لاحد اتباعه الملازمين له وقد يكون الذي بيض هذا الكتاب بأمره وهو نفسه قد املاها عليه لان ما فيها من الدقائق في حكاية حال هذه الرسالة وكاتبها وما جرى له مع هذا البطريرك الخ كل ذلك يستلزم ان يكون الكاتب شاهداً عيانياً وربما كان كاتب سره

(٢) ان كفرطاب هي بلدة قديمة بين نهر العاصي ومدينة حلب على مقربة من معرّة النعمان . وعلماء الموارنة ينكرون بالاجماع مارونية توما اسقف كفرطاب وكورة حلب الذي نحن بصدده وجل ما يستندون اليه في ذلك كلام مبتسر لجبرائيل بن القلاعي في القرن الخامس عشر أو السادس عشر وهو على ما ذكره العلامة الدويهي في الفصل السادس من كتاب الاحتجاج (عن نسخة سيدة لويزة كما في طبعة بيروت ص ٣٤٨) كما يلي . قال العلامة الدويهي في المحل المذكور « هذا فضلا عن ان جبرائيل بن القلاعي وقع بيده كتاب

« فلما وصلت الرسالة الى انبا توما مطران كفرطاب ثم انه تأملها جيداً
« وقرأها في بالغ فهمه شافياً حينئذاً وجد فيها تعاليم كثيرة مخالفة قوانين
« المجامع وكنيسة الله الجامعة الرسولية وانها أقوال باطلة لا شهادة لها
« من كتب البيعة بل ما غير قايمة على الهوى غرضاً غالب على أمور

توما المذكور المسمى بالعشر المقالات وبعد اطلاعه عليه كتب بخط يده قائلاً — ان توما هذا لم يكن مارونياً ولكنه مشرقي ولد في حاران وربي في ماردين مدينة الماردين ثم نُفي من هناك لظنة توجهت اليه فذهب الى جبل لبنان وأقر بالطبيعتين مخادعة للموارنة ثم اخذ يعلم ان في المسيح مشيئة لامشيئتين اه — وليس احد يدري الى أي شيء استند ابن القلاعي في روايته هذه لانه لم يذكر لذلك من مستند . ومما يدل انه انما ابتكر ذلك من مخيلته ما جاء بخط يده مما علقه بين السطور بالحبر الاحمر في النسخة التي بين أيدينا من كتاب المقالات العشر وهو كما يلي بالحرف الواحد : أولاً قد كتب بين السطور الاولى من مقدمة هذا الكتاب « فتتباين أنت في عقلك يامن أنت بتكتوب كذب وليس تستفيق اولاً لان الروم حتى الى الان ليس ملكون (ملكوا) في كورسي انطاكية ولا الموارنة عماون (عملوا) مطران في كورة حلب بل البطرك كان سورياني في كورسي السوريان وتوما كان من حاران ليس ماروني كان نيقولاوي » ثم عند قوله في نفس المقدمة ان بطريرك الروم عند ما وقف على جواب توما المذكور « أجاب قائلا لهم هذا خطاب رجل سرياني من اهل الشام » قد علق هنا ابن القلاعي نفسه بين السطور ايضاً ما يلي حرفياً « ابصار (ابصر) فان كان من حاران أملا » وهذا على ما يظهر كل برهانه على ان هذا الرجل كان من حاران فتأمله وانظر ايضا كيف يعرف في الفقرة الاولى بما لا يعرف

هذا ونحن لم نجد حتى الان للقائلين بقوله من مستند سواه على صحة رأيهم هذا مع ان الجميع في مطاوي كلامهم يسلمون بان ليس من اثر عند الموارنة يدل على وجود توما هذا سوى ما جاء في مقدمة كتابه الذي نحن بصدده . فكل ما قيل

« العدل المايلة الى عداوة كراي جبار طالب الحرب . عند ذلك حزن
« أنبا توماس حزناً شديداً وبكى على قساوة قلب السيد البطريرك أنبا
« يوحنا ونقص أمانته المايلة الى طلب هوا وثار وقوة بلا استحيا ولا
« خوف من الله مستهزياً بمذهب مار توما الى الغاية : عند ذلك وقف أنبا

فيه والحالة هذه انما هو من باب الحدس والتخمين هرباً من الاقرار بان الموارنة كانوا في ذاك العصر متمسكين بمعتقد المشيئة الواحدة دون ان يدرسوا كلامه في هذه القضية من الوجه العلمي لانه لم يكن بين ايديهم من أثر تاريخي ثابت مما اكتُشف هذه الايام يدل دلالة صريحة على ذلك سوى ما كتبه سعيد بن البطريق عنهم وقد رأيت كيف خبط فيه خبط العشواء حتى فقد كل ثقة .

وقد قال العلامة الدويهي بهذا الصدد في كتاب الاحتجاج (ص ٢٩٣ من طبعة بيروت) بعد ان ذكر رواية ابن البطريق ومن اخذ عنه مستثنياً كما يأتي « فهذه الامور لو انها جرت في ايام سعيد المذكور او في بلاده لكانت تستوجب ان نقبلها ونصدقها . ولكن لما كان وجود سعيد بعد موريق باكثر من ثلاثماية سنة ولم يسبقه في هذه الفترة مؤرخ تعرض الى ذكره اصلاً وجب ان تكون شهادته مردودة واخباره مرفوضة » ومن هنا تأتّى ايضاً انه لما كان كتاب الهدى وكتاب المقالات العشر لتوما الكفرطابي قد جاءا بعد ابن البطريق بمدة ورأى فيهما علماء الموارنة المتأخرون ما يثبت ان اجدادهم انما كانوا على مذهب المشيئة الواحدة ولم يكن بين ايديهم من ذكر سابق لذلك حكموا تخريجاً لهذا الامر الغريب على كتاب الهدى وصاحبه وعلى توما هذا وكتابه بما لم يبقَ له اليوم من محل بعد الذي ظهر من الاثار التاريخية التي تخالفه وتثبت الخلاف في هذا الامر ايضاً الذي انما بني على التخمين والتخريج

ونحن هنا لا نرد كلام ابن القلاعي في اصل توما الكفرطابي الا بما رد به العلامة الدويهي رواية ابن البطريق في اصل الموارنة . فقد قال في الفصل الاول

« توما مبتهلاً ضارعاً الى رحمة السيد المسيح بايمانه المستقيم ملتمساً منه
« المعونة كي أن يمنحه ذكاوة روحانية وحكمة سماوية كي يبين فيها عدل
« الايمان المقدس .. عندذلك ورد اليه حكمة سماوية وأخذ ينقض رسالة
« أنبا يوحنا لفظة وكلمة كلمة في تبطيل المشيئتين واثبات المشيئة
« الواحدة بتأنس ربنا السيد المسيح عزوجل بشهادات واضحة من كتب
« البيعة المقدسة الانجيل وقصص الرسل ورسايل بولس وكتاب موسى
« والانبيا . وقوانين الرسل وقوانين المجامع وحقق بذلك باعتقاده النير
« طبيعتين ومشيئة واحدة لاهوته وناسوته ربنا السيد المسيح متحدة بلا

من كتاب الاحتجاج المذكور (ص ٢٩٤ من طبعة بيروت) ما حكايته « ومن المعلوم ان القضايا الخبرية تحتمل الصدق والكذب كما يظهر من مفهوم حدها ولا سيا هذه القضية فان وجه كذبها صريح لان القضية إما ان تكون منقولة عن فلان عن فلان عن فلان الخ الى من حدثت عنه بشرط ان يكون النقلة اثباتاً يوثق بهم . فمثل هذا النقل مصدق بالاجماع . واما ان تكون منقولة عن فلان عن فلان عن فلان الى ان تنتهي الى ناقل صادق مركون اليه . ثم ينقطع التسلسل وتتبلبل الرواة . فهذا النقل غير مصدق الا قايلاً » اه — والحال ليس في كلام ابن القلاعي في هذا الصدد شيء من ذلك فضلاً عن ان بينه وبين توما الكفرطابي ما ينيف على الاربعماية سنة وعما يعارضه من رواية هذا الاثر نفسه . فانهُ يظهر من كلام صاحب هذه المقدمة المعاصر لصاحب كتاب المقالات العشر ان توما هذا كاتبه انما كان مارونياً صرفاً وكان له مقام عند موارنة عصره ولهذا استطاع ان يقيم بينهم على الرحب والسعة في مقام بطريركهم في جبة يانوح زهاء اربع سنوات ثم في جبة بشري زهاء سنتين . خلافاً لما زعمه بعض المتأخرين من امر اضطهاده ومصادرته مما لا يدل عليه اقل شيء راهن وبهذا القدر غني

« انفصال وكل طبيعة حافظة خاصتها بفعل حقاره الذي رضي انه يتواضع
« بذلك الناسوت المقدس من غير ان أستحال من مجده بشيء بل ولد من
« العذرا بروح قدسه بمشيئة أبيه وكان يرضع وينشو ويأكل ويشرب
« وينام ويتعب ويمشي وتألم وصلب بجوهر طبع ناسوته بمشيئة لاهوته
« لان مشيئة اللاهوت واحدة لم تنقسم (١) .. وان أبا توما مطران
« كورة حلب جمل رسالة جزيلة تضاد اعتقاد البطريرك يوحنا مشيئتين
« وجمع فيها شهادات وجعلها عشر مقالات .. وأرسلها الى بين يدي السيد
« البطريرك الى مدينة انطاكية مع رسول قاصد الى شرف أبويته ...
« عندذلك أجاب (البطريرك) قائلاً لهم (أي لخواصه) هذا خطاب
« رجل سرياني من أهل الشام فيه هذه المعاني السنية الجزيلة الروحانية
« تعالوا نبطل شهادة هذه الرسالة بجواب آخر نرسله اليه ونغلبه ...

(١) قوله وكل طبيعة من طبيعتي المسيح حافظة خاصتها الخ انما هو تقرير اعتقاد الموارنة بحسب روح تعاليم المجمع الخلقيدوني كما بيناه غير مرة ومنه يظهر ان قولهم بالمشيئة الواحدة انما يريدون به غير ما يزعم المتوثيليون بل اتفاق المشيئة الانسانية مع المشيئة الالهية حتى صارت الاولى لا تريد الا ما تريده الثانية ولهذا قيل بأنهما كلتيهما قد توحدتا بلا انفصال ولا تضاد ولا تباين وقيل لهما من ثم مشيئة واحدة هرباً مما توهموه من النزوع الى مذهب النساطرة من حيث تعدد الاقنوم كما رايت مما اوضحناه فيما سلف . اما الكلام الذي يتلو هذه الفقرة فانه يدل دلالة صريحة على الفعلين في المسيح لانه انما يعمل كل هذه الاعمال البشرية محضاً « بجوهر طبع ناسوته » اما قوله « بمشيئة لاهوته الخ » ففيه نظر وكأني به يريد ان يقول ان مشيئة اللاهوت هي الركن لكل ما يريده المسيح ولو كان بشرياً والا حصل التضاد

« عند ذلك حكم سقراط ابن البندقي انها تحرق ولا يعرف لها أثر ولا
« خبر بانطاكية لئلا تفسد ضمائر الشعب .. عند ذلك أحرقوها لئلا يميل
« أحد من عباد المشيئتين الى اعتقادها ولم قدروا يردوا لها جواب ...
« فلما بلغ الى أنبا توما خبر الرسالة انهم أحرقوها .. عاد كتبها أخير
« ما كانت وجعلها في ديوان كنيسته المقدسة يضاد فيهـا كل مكثري
« الفضول : فلما صار من أمور حوادث الزمان الوارد من الله تبارك
« وتعالى توجه أنبا توما الى جبل لبنان بمشيئة ربنا السيد المسيح له المجد
« وكان يظن انه ما يقيم فيه غير نصف سنة ويعود الى مستقره فحدث
« بغتة ان الافرنج نزلوا الى طرابلس الشام وراموا افتتاحها وكذلك صار
« انهم فتحوها[1] وان القديس انبا توما مكث في جبة يانوح أربع سنين وعاد
« رجع الى جبة بشري وأقام فيها مدة سنتين : وفي بعض الايام حضر بين
« يديه خوري ماهر قديس من أهل فرشح وتضرع اليه بمسألة جزيلة
« كي انه يعود يجدد لهم هذه الرسالة بعينها قوة بشهادات صادقة بلا

---

(١) يظهر ان توما الكفرطابي قد جاء الى لبنان بعد حصول هذا الجدال بينهُ وبين البطريرك يوحنا بمدة طويلة لا تقل عن عشر سنين . لان الافرنج بعد ان فتحوا انطاكية سنة ١٠٩٨ زحفوا الى اورشليم وفتحوها سنة ١١٠٠ . ثم اتى قوم منهم وفتحوا اولاً مدينة جبَيل عنوةً ثم حاصروا مدينة طرابلس منذ سنة ١١٠٤ ففتحوها في نحو سنة ١١١٠ . والظاهر ان توما المذكور كان قد جاء الى جبل لبنان في هذه الاثناء هرباً من طوارق الحدثان بسبب ما كان من الحروب بين المسلمين والافرنج وبقي فيه على الرحب والسعة الى ما بعد فتح طرابلس . ولم يُعرف له بعد ذلك من اثر

« محال كما ثبتوها لنا المجامع المقدسة[1] .. ثم ان أنباتوماوقف بين يدي ربنا
« السيد المسيح متضرعاً لرحمته أن يفتح عيني عقله كي يجدد تلك الرسالة
« كما كانت قوة لايمانهم وتقوى لجانبهم كي يضادوا كل مكثر باطل
« وكذب وبغضة وحسدة من ملة أهل مكسيماس الراهب الذي قطع
« هرقل ملك قسطنطينية يده ولسانه لاجل انه افترى وجعل تلك
« الرواهب رموز جواهر الجسد ربنا السيد المسيح في كفهم وانفاه الى
« الريكية ومات هناك الى اللعنة » اهـ

عدد ١٢٢ — ويوجد من هذا الكتاب عدة نسح أقدمها عهداً نسخة كانت عند العلامة ابراهيم الحاقلاني برومية ثم نقلت بعد وفاته في جملة ما نقل من كتبه الى المكتبة الواتيكانية وقد ذكرها العلامة السمعاني في فهرست هذه المكتبة (مج ١ ص ٥٧٦) قال « الرابع عشر (من هذه كتب الحاقلاني) . . . كتاب توما الحاراني أسقف كفرطاب في المشيئة الواحدة في السيد المسيح وهو يقع في عشرة فصول يقال لها المقالات العشر وقد أرسله الى يوحنا بطريرك الملكيين الانطاكي سنة ١٤٠٠ يونانية (سنة ١٠٨٩ م) وهو مكتوب باللغة العربية بالحرف السرياني وصفحاته ١٥٧ من رق : وقد نسخه يوسف من قرية حاقل في ٢٠ شباط سنة ١٧٠٣ يونانية (سنة ١٣٩٢ م) » وهو مضموم الى كتاب شرح معتقد الموارنة المنسوب الى يوحنامارون : وعدده في فهرست الكتب الواتيكانية ١٤٦ :

---

(١) يظهر ان توما هذا لم يأتِ الى جبل لبنان لاجل رد اهله من الموارنة بالخداع والاغراء الى مذهبه هذا كما ارتأى بعضهم لانهُ كما يرى التأمل البصير لم يأته ولا برسالتهِ هذه معه حتى اضطر ان يكتبها من جديد باعمال فكر شديد بعد الحاح خوري فرشع المذكور عليه والحافه كما رايت

وقد وقع لنا نسخة من هذا الكتاب محفوظة حفظاً جيداً من عبث يد الزمان ومكتوبة بخط جلي على ورق مسمط سميك في خزانة الكتب التي لمدرسة القديسين بطرس و بولس المختصة بآل مبارك مسعد في عشقوت : وهي في مجموعة مكتوبة كلها بخط واحد وعلى ورق من جنس واحد ومعروفة عرماً حسناً قديم العهد : وقد جاء في أولها كتاب شرح الايمان المنسوب الى مار يوحنا مارون : ثم هذا كتاب المقالات العشر وهو يقع في خمس وخمسين صفحة بقطع كبير : ثم يلي ذلك عدة مقالات في مواضيع تتعلق ببعض قضايا الايمان على مقتضى الرأي السديد[1] : وليس فيه ما

---

(١) ولاجل مزيد الفائدة راينا ان نذكر ابواب هذا الكتاب . فمن بعد المقالات العشر المذكورة آنفاً يلي باب عنوانه « مسائل وجواب للقديس مارافرام السرياني وابراهيم ابن اخته وتلميذه رداً على اليهود وعلى الحنفاء » وهو مكتوب بلغة عربية ارقى فصاحة من اللغة الدارجة هاتيك الايام ونظن ان ما وقع فيها من الخطأ في الاعراب انما هو من جهل النساخ . فالسؤال الاول من هذه المقالة « في سبب سجود النصارى مستقبلين المشرق ٢ً في سبب تكريم الصليب ٣ً في التوحيد والتثليث ٤ً في الموضوع نفسه ٥ً كيف يمكن ان تحبل مريم وتلد من غير مجامعة رجل ولم تتغير خواتم البتولية ولم تنحل ٦ً اعتقاد النصارى بالثالوث الاقدس ٧ً ما معنى قولنا — ابن الله وابن مريم — لان اذا سمعنا الخارجون نقول باسم الاب والابن ظنوا اننا نعتقد ان الله الاب تزوج مريم وولد منها المسيح ٨ً شرع على اعتقاد دين النصارى لمن يعتنهم ويوبخونهم به — وقد استشهد في هذا الاخير بكلام لماريعقوب السروجي مما يدل على انه لا تصح نسبته الى القديس افرام — . ٩ باسم الثالوث الاقدس من كتاب الوطح (؟) وهو مجادلة بين نصراني ومسلم » وكل ذلك حسن العربية فصيحها كأنه بقلم واحد . ثم يلي ميامر بالشعر السرياني للقديس اسحق تلميذ مار افرام وهي خمسة وامامها ترجمتها الى العربية بلغة جيدة ايضاً وعنوان الاول منها « في الايمان وتجسد الرب » والثالث « في الطبعين المتحدين » . ثم يلي الجميع ميمر سادس لغير القديس اسحق وهو بلغة سريانية فصحى وقبالته ترجمة عربية كالتي سبقت وهو من

يدل على تاريخ نسخه ولا على الناسخ الا ما علقه على آخره « جبرائيل ابن بطرس القلاعي » حيث يقول ما معناه . انه في اليوم العاشر من كانون الثاني سنة ١٥٠٤ م ارسل اليه الاخوان الموقران الشدياق . . . والشماس عيسى ولدا الخوري يوسف من قرية حاقل لكي يفكه من عرمته الاولى ويعرمه ثانية إلى ان قال « ايش ينفعك يا شدياق عيسى تكتب كتب وتحط في الصندوق ؟ » مما يدل ان هذا الكتاب قد كتبه الشدياق المذكور في ذاك العهد(١)

وزن مار افرام وقد التزمت فيه القافية فى كل مصرعين . وهو من قول ذوي الطبيعتين ضد أهل الطبيعة الواحدة ويقع كل ذاك في ٧٦ صفحة . ويلي كل هذا مقالات مكتوبة بلغة عربية دارجة في ايمان الموارنة وهو من كلام المتأخرين وفيه شرح بديع عن المشئتين .

(١) ودونك ما جاء في آخر هذا الكتاب تعليقاً بالحبر الاحمر بخط غير حسن وهو بالحرف الواحد .

« فلما كان تاريخ التجسد الالهي سنة الف وخمسمائة وثلاثة في اول شهر من السنة ١٠ يوم من كانون الثاني وصل الي يدي انا الحقير جبرائيل ابن بطرس القلاعي بتذكار الى رحمة الله هذا الكتاب الحاضر تحت وصية من عند الاخوة الموقرين الشدياق . . وأخيه الشماس عيسى اولاد الخوري يوسف من قرية حاقل ان افكه من تعريمه الاولي وأعرمه ثانية وصعب عليّ ذلك جداً وليس اني تكرهت فى قضيان حاجتهم بل تكرهت لاجل ثلاثة اكتبهم حتى ان كل أحد يقراهم ويعذرني اني عرمته في زهد ضد ارادتي . ١ً ان تباين لي فكه عونه لان تعريمه كان احسن من صنعتي وأمكن ولكن كان عيبها لانها كانت رخيصة الثمن وفى داخل البيت بغير خطر يبعث كتب في رسمال مسكين من بلاد الي بلاد . ٢ً لاجل المونة لان ليس أنا فى مدينة أقدر أجد ما احتاجه لصنعتي وان خبصت بنهتك وبصني عنه . ٣ً هي بعدما ان فكيته تبحرت به وجدت فيه أسود وأبيض . سم وترياق . حلو ومر وبهت فيه وطاب فى قلبي اني انظفه من الزيوان وأنقيه واحرق ماهو خارج : وبعد ذلك غلب عليّ الرأي يقول ليس يكون ذاك فى رضي قانيه بل اذا ثبت عندك وقت وتجد سم مجهور

وقد قابلنا ما بين أيدينا من المقالات العشر المنقولة عن النسخة الواتيكانية المذكورة بما جاء في هذه النسخة التي نحن بصددها فاذا ليس من خلاف يذكر بينهما ولهذا قد اعتمدنا هذه النسخة عينها في بحثنا هذا

حط الترياق مقابله واصمد دكانك حتى ان كل من له عقل وعرف ان في الوعى سم وشرب تكون أنت بريء من دمه أو كذلك فعلت : أعظم ذلك العشر مقالات التي انكتبت بشخاخ ابليس . ولاجل ذلك حق ليس اطلاق لاحد ان يكتب عن الامانة اذا لم يكن ماهرا في اللويكا (اللوجيكا وهي المنطق) والفلسفة والتيولوجيا لان لولا ضو اللويكا ليس عرفنا الابيض والاسود . ولولا الفلسفة تكنس كانت محازن الكنيسة تمتلي زبالة وكانت ابيارها تدود . ولولاالتيولوجيا تعدل كان الاخ يقتل اخاه . ولكن هؤلاء الثلاثة هم سلاح المباشرين الكنيسة . ومع ذلك كل كتاب ليس يستعيد بعد كتابته في حضرة معلم ليس يثبت اذا كان ايش ينفعك ياشدياق عيسى تكتب كتب وتحط في الصندوق لان يقال ان الدارس يجلب العلم والصندوق يحفظ وليس يتكلم وعقل الانسان عقل ناقص يتتمّم اذا كان تأدب واقتبل العلم عن معلم والنعاس والهم والطمع يضنون الانسان ويلاونه فزع ويسون لسانه وعقله عن الدرس والعلوم » اه

فمن هذا الكلام يظهر ان هذا الكتاب قد كتب قبل هذا التاريخ بمدة وقد قام كاتب هذه الحاشية بما وعد به فانه علق على اول رسالة شرح الايمان المنسوبة للقديس يوحنا مارون حيث دس بعضهم اسم « مكسيمس » وهو ليس في الاصل ثم على ما جاء في المقالات العشر لتوما الكفرطابي مما يخالف الراي المستقيم ماينبه القارىء الى فساده وذلك بخطه بالحبر الاحمر بين السطور . وترك باقي المقالات بدون اقل تنبيه لان ليس فيها مايخالف الحقائق الراهنة

والظاهر ان المقالات التي تلي ميامر القديس اسحق هي من قلم ابن القلاعي ويدل على ذلك لغتها الدارجة وما جاء في آخر الثانية منها قوله « وهذا الاعتقاد مستقيم قلاعي ناصح . . . وعليه تأسس وانبنا بيت القلاعي من قبل ان جبل

عدد ١٢٣ — أما لغة هذا الكتاب فعامية وانشاؤه فمن الدارج جداً وليس فيه ما يشعر بغزارة علم وسعة اطلاع بل بالعكس . وقد خلط كاتبه خلطاً شنيعاً في أمور تاريخية أوردها دون روية ولا تدقيق فمن ذلك ما جاء في أواخر المقالة الرابعة عن تاريخ مذهب المشيئتين المحدث على رأيه في الكنيسة . قال ما حكايته مخاطباً البطريرك يوحنا المذكور

« ونحن وأنتم دمنا ثابتين على ذلك زمان كثير الى زمان مكسيماس
« خاصتكم الذي من تحقيق ولد زنا لان أمه كانت مرأة عجمية زنت مع
« رجل يهودي من ملة السامرة : فلما ولد منها هذا المذكور ونشأ ثم انه
« تدرب بكل أموراً منشقة عن العدل بكل مكر وأفعال ردية لانه تربا
« في طبرية وانتقل من هناك الى مدينة قسطنطينية وعند ذلك الحين
« كان في مدينة قسطنطينية ملكين اخوة مرقيان وأخيه تسلما مقاليد
« سياسة مملكة الروم حينئذ تقدم اليهم مكسيما المذكور وطفق يشير
« عليهما بان يوجب اننا نزيد مشية أخرى ويكونا مشيتين لذو الطبعين
« وهذا الاعتقاد يلزم افتراق الطبيعتين من الاتحاد الشريف : ثم ان
« الملكين امتثلا قوله لان قال كما انتما ملكين يصير لكما شعب يسمى
« ملكيين باعتقاد مشيتين وطبعين وفعلين ومذبحين ويصلب بأصبعين
« فلما حسن ذلك عند الملكين كي يظهر لهم سمعة جديدة في العالم أمرهم
« مكسيماس يكتبوا مناشير الى بلد الشام كي انهم يعتقدوا مقالة

بي في بطن امي وحتى الان والى الابد اثبت على ايمان بيت القلاعي ... وهي كلها بخط واحد مع كل المجموعة وتقع في ٥٦ صفحة .

« المشيئتين التي قالها مكسيماس فلما انتهت كتبهم الى بلاد سوريا الشام
« وبلد حلب ودمشق وجبل لبنان حينئذ قالوا أهل الشام اننا نحن
« راجعين الى حكم دير ماران سرياني تفسيرها عربي دير ربنا . لان صفة
« هذا الدير كان على شط العاصي خارج مدينة حماه وكانت جملة رهبانه
« ثمانماية راهب كلهم قديسين ، ثم وصلت لهم كتب الملكين مرقيان
« وأخيه الى دير ماران فلما وقفوا على قراءتها وتأملوا مضمون اشارتها
« للحين نفروا منها غاية الانفار : ثم ان الرهبان ردوا جواب كتب
« الملكين قائلين لهم هكذا أنتم تعلمون لان نحن بأيدينا أمانة الثلثماية
« وثمانية عشر أباً بمدينة نقية وقامت عليها خمس مجامع وثبتتها لنا واحرموا
« لكل من يغيرها أم يميل عنها : وتأمرونا نقيم مذهب مكسيماس
« بيد غالبة وسيف : ومذهب حق لم يكون بقوة حرب وهذا الشقاق
« اخترعه مكسيماس من تلقين قلبه بأعراض (١) مفسدة مايلة عن عدل
« المجامع : فان كان مكسيماس قوله حق يجي ويجتمع نحن واياه بمدينة
« الله انطاكية فان راينا نعمة روح القدس حل عليه علمنا ان قوله عدل
« واذ لم يكون كذلك والا لم يكرهنا أحد على اتباع مقالته غصباً بغير

(١) نرى ان الصواب هنا « باغراض » بالغين المعجمة وانما نقلت بالعين المهملة لالتباسها على الكاتب الذي على ما يظهر نقل هذا الكتاب بالحرف السرياني عن اصل عربي . وهناك امثلة كثيرة من هذا القبيل يراها المتأمل باقل تبصر مما يدل على ان هذا الكتاب قد كتب في الاصل بالحروف العربية وانما النسخة الاصلية قد فقدت ولم يبقَ سوى النسخ المكتوبة بالحرف السرياني والله اعلم

« شهادة برهان من كتب الكنيسة المقدسة الرسولية وتثبيت قوانين
« المجامع المقدسة المهذبة بنعمة روح القدس (١) :
« ثم ان أولئك الرهبان القديسين كتبوا جواب مرسلات
« الملكين وتسلم رسل الملوك وانصرفوا من عندهم فلم يشعروا الا وقد
« ظهرت جيوش الاسلام وقطعت البلد وتغلبوا على دمشق ومصر
« وأيضاً بيت المقدس وجميع الشام فلم عادوا الملكين كاتبوا ديرمارون
« عند ذلك ثبتوا أهل الشام وجبل لبنان على تلك المقالة المقدسة المفوضة
« من الرسل والمجامع المقدم ذكرها : فلما عاد توفوا الملكين مرقيان
« وأخيه حينئذ تقلد سياسة مملكة الروم بعد هولاي هرقل الملك
« المنصور الذي رفع مجد دين النصرانية وأباد أعاديها وأهلك اضدادها من

---

(١) مهما يكن من أمر صحة هذا الكلام تاريخياً أو عدمها فانه فى كل حال يدل علي ان الموارنة فى أول الامر انما قد رفضوا هذا المذهب الجديد بالنسبة اليهم علي هذا الشكل اي انه عرض عليهم بقوة واكراه كتعليم رجل فرد انتصر له ملوك قسطنطينية لاغراض سياسية لا كتعليم الكنيسة المقرر بالمجامع العامة القانونية ولهذا قد قام عندهم ان أجدادهم قد اتوا فعل شجاعة محمود جدا وانهم قد حجوا الملوك حجة قانونية لا مرد عليها مما يدل على حسن نيتهم واستعدادهم للرضوخ للحق اذا تبرهن لهم بالطرق الراهنة وأقرته السلطة العليا فى الكنيسة لا بالقوة والسيف والحرب والاكراه كما جرى فعلاً بينهم وبين المسكيمينيين على ما رأيت حتى الان مما حصل بسبب هذا الانفصال والشقاق والنفور الشديد حتى لم يبق معه من مجال للتفاهم والاتفاق على الحقائق الراهنة بهذا الموضوع

« الفرس وغيرهم وأهلك بلدانهم وأخرب حضرانهم وأمحى ذكرهم ورفع
« منارة الصليب الكريم على جميع الاعالي وكسر معبودات المجوس
« عباد الاوثان وأقام بحق الملك نظير قسطنطين الكبير الملك القديس
« الذي ثبت مقالة الثلمايه والثمانية عشر في مدينة نيقية : وان الملك
« هرقل القديس نكر على مقالة مكسيماس ثم كتب عرّف الباف
« لاون بطريرك رومية بفساد تلك المقالة الذي زادها مكسيماس بغير
« شهادة حق : فلما بلغ كتاب الملك هرقل الى لاون حينئذ تأمله وفهم
« مضمون صحة ايمانه عندذلك أرسل جوابه رسالة يبارك له بملكه ويدعي
« له بالنصر قائلا له ان الذي ابتدع هذا الشقاق مستحق تأديب قطع
« لسانه ويده : فلما وصل كتاب البطريرك قبله هرقل قبل الوقوف عليه
« حينئذ أشخص بين يديه مكسيما وأمر بعض غلمانه أحد اسمه قسطا
« قطع لسان مكسيما ويده وأنفاه الى جزيرة تسمى الريكية : وهذا
« المقال مؤرخ عندنا وعندكم بكتاب سعيد ابن بطريق وهناك
« مات مكسيما منفياً وبطلت مقالة المشيئين ومحا ذكرها في ملك
« هرقل وابنه قسطنطين وابن قسطنطين كان اسمه قسطاس مقدار
« سبعين سنة . وبعد هولاي تقدموا تلاميذ مكسيماس الى أهل
« المراتب وقدموا لهم البرطيل والرشوات الجزيلة وردوا المقالة المنشقة
« كما كانت من مكسيما وانشقوا أولئك الى تلك المقالة وثبتنا نحن اهل
« حلب وحماه وحمص في الشرق وجبل لبنان بمقالة الخمس مجامع وثبتوا

« تلاميذ مكسيماس منشقين وحودهم لا يخالطهم أحداً : وأكثروا
« المقال والعيب واللعنات بغضة منهم ورقاعة الى جميع صنوف النصاره
« المؤمنين اخوتنا المسيحيين وأنتم تلاميذ مكسيماس اخذتم لكم لعنة
« تلعنوا بها جميع المسيحيين ظلماً وبغضة بغير شهادة عدل وما سمعتم
« ماقال الانجيل المقدس صلوا على من يلعنوكم ظلماً افرحوا وابتهجوا!
« الآن أجركم كثير بالسما وباركوا على من لعنوكم ومن صخرك ميل
« مر معه ميلين : وقال الكتاب ان الذي يلعن لعنته راجعة اليه وعلى
« دماغه تنزل لانها ظلماً : والانجيل المقدس يأمرنا بالصفح لبعضنا بعض
« وكذلك نحن نصلي على ملوككم وعليكم وعلى جميع اخوتنا النصارى وأنتم
« أخذتم لكم لعنة تلعنوا بها النساطرة والافرنج والارمن والقبط
« والحبش واليعاقبة والموارنة : ونحن قد تحققنا بعدل ان لعنتكم راجعة
« اليكم وعلى هامتكم تنزل آمين » :

« لا تعتبوا علينا ولا تلومونا لاننا أورينا كم الصواب ولكم بروسكم
« ولربنا المجد : ونحن سمينا موارنة من دير ماران تفسيره دير ربنا : وأنتم
« انشقيتم وحودكم وسميتم ملكيين على اسم الملكين عابدين مشيئتين
« وارادتين وفعلين وغرضين ومذبحين وتصلبوا بأصبعين وافرقتم السيد
« المسيح مسيحين عرفتك ذلك بعد اكرامك يا أبي القديس وصلي عليّ
« من شان الله له السبح امين امين »

عدد ١٢٤ — لقد ذكرنا هذا التاريخ عن المقالة المذكورة لغرضين أحدهما أن

يتبين للقارىء شدة جهل الكاتب للتاريخ وقد تعرض له هذا التعرض بلاحساب حتى صار يهرف بما لا يعرف من قبيل الهذيان كما يرى المتأمل. مع انه انما كان يكتب الى بطريرك عالم عظيم باعتقاد انه كان يريد أن يفحمه و يتغلب عليه في الجدال. وقد اعتقد انه أدرك أمانيه من هذا القبيل وأتى بالآيات الباهرات رداً عليه حتى أوقعه في الخذلان كما يتحصل من مقدمة هذا الكتاب بكل صراحة . ثم لبيان انحطاط لغته فضلاً عن انشائه السافل مما يدل على انه في الحقيقة لم يكن من فرسان هذا الميدان خلافاً لما يدعيه بكل جسارة

والغرض الثاني انما هو لبيان ما كان قائماً في ذهن موارنة تلك الايام واعتقادهم مما يتحصل بكل سهولة من هذا كلام الكفرطابي وهو أحد أساقفتهم مع قطع النظر عن الخبط والخلط الذي خلطه في الحقائق التاريخية على ما رأيت . وهو أن أول من علم بالمشيئتين والفعلين انما كان مكسيماس الذي ابتكر هذا المذهب الحديث من مخيلته ضد تعاليم الكنيسة الرسولية والآباء والمجامع المقدسة وقد انتصر له بعض الملوك وأكرهوا المؤمنين عليه لاغراض سياسية . ولهذا لم يكن من المسيحيين غير الروم والملكية أشياعهم من تمسك به وانتصر له . وان صاحب كرسي رومية قد رفضه وناصبه وكلف الملك أن ينكل بمكسيماس مبتدعه ولهذا فهم يعتقدون ان الفرنج أي اللاتين قد رفضوه أيضاً تمام الرفض و بقوا على ما سبقه من الاعتقاد بالنقيض . وكان الروم والملكيون يلعنونهم في جملة من كانوا يلعنون من الطوائف المسيحية[1]

---

(١) وكل ذلك مما يدل دلالة صريحة على ما بيناه غير مرة فى ما سلف من كتابنا هذا من ان الموارنة لم يبلغ اليهم هذا المعتقد بالمشيئتين بواسطة السلطة الشرعية ولا بالطرق القانونية ولم يعلموا ماجرى فى امر مذهب المنوثيليين فى المجمع السادس ولا كيف عقد قانونياً ولا كيف شهر والزم المؤمنون بالتسليم بتعاليمه وتحديداته كما كان يجري في كل المجامع المسكونية السالفة : وانما قد دخل عليهم وعلى كل سورية على يد الاسرى والجلوين من الروم كتعليم رجل فرد لا سلطة له فى الكنيسة على الاطلاق . ولهذا نسبوا اليه كل الذين تمسكوا بمذهبه واتبعوه

الفصل الرابع

درس فلسفي انتقادي على حقيقة تعليم الكفرطابي في المقالات العشر

عدد ١٢٥ — هلم بنا الآن نبحث عن حقيقة تعليم الكفرطابي في كتابه هذا الذي نحن بصدده وعن روح هذا التعليم ومراميه
فهو على ما يلوح لنا لايختلف عما بيناه من روح تعاليم الموارنة الذين سبقوه بهذا الشأن واليك بيان ذلك

من الخلقيدونيين فسموهم مكسيميين . وكان ما كان بينهم وبين الفريق الاخر من التنافر والعدوان والحرب الدينية العوان حتى استقل كل فريق عن الاخر بذاته استقلالاً تاماً وحصل هذا البعد الشاسع الذي حال دون الالفة والوئام والتفاهم بما ينبغي من التوءدة والتجرّد والمحبة المسيحية حتى يتفق الجميع على الصواب ويعودوا الى الانضمام على راي واحد وتحت راية واحدة كما كانوا من قبل ذلك .

اما كنيسة رومية الرسولية ام جميع الكنائس ومعلمتهن فلم يكن لها على ما يظهر من سبيل للاتصال باهل سورية ولا لاهل سورية للاتصال بها بوجه من الوجوه بسبب ما حل بهم من نكبات الزمان وطوارق الحدثان التي تأتت عن الحروب الهائلة والدائمة في تلك الحقبة عينها بين العرب والروم على ماهو مشهور ولهذا لم يكن يتسنى للموارنة ان يعرفوا اقل شيء عن حقيقة اعتقادها وتعاليمها بهذا الشأن ولم تكن هي ايضاً لتعرف اقل شيء من امرهم لامن هذا القبيل ولا من سواه بدليل انه لاذكر لهم في اثارها التي تتصل بهاتيك العصور النائية على الاطلاق . وهم كانوا والحالة هذه يعتقدون تمام الاعتقاد عن جهل معذور فلسفياً حتى اواخر القرن الحادي عشر على ما يظهر من كلام الكفرطابي *الموافق معنى الكلام التلمحري (راجع الاثر ٨ عدد ٧٤) بان هذا المذهب الجديد انما كان مذهب كنيسة الروم وحدها وقد والاها عليه بعض الخلقيدونيين المتصلين بها من

لدى امعان النظر نراه أولاً شديد التمسك بتعاليم المجمع الخلقيدوني كثير الحرص على روح هذه التعاليم من حيث وجود طبيعتين كاملتين متحدتين بأقنوم واحد وهو الالهي في السيد المسيح وقد حفظت كل طبيعة منهما جميع خواصها بنوع تام. ودونك نص كلامه بعينه في هذا الموضوع

اهل المدن في سورية . اما سائر الطوائف المسيحية في الشرق والغرب فقد كانوا على غير هذا المذهب وفي جملتهم كنيسة رومية المعبر عن طوائفها هنا « بالافرنج » وقد قال الكفرطابي ايضاً في المقالة الاولى من هذا الكتاب الذي نحن بصدده ما حكايته بهذا المعنى « ونحن والافرنج وجميع السريان والحبش والنوبة والقبط نعتقد مشيئة لاهوته المتحدة بطبع ناسوته بلا انفصال لانه وحيد »

فيتحصل من ثم انه او لم يعتقد موارنة تلك العصور مثل هذا الاعتقاد الموهوم الذي كان يتعذر عليهم دفعه أو بالاحرى لو علموا ان هذا الاعتقاد الجديد بالنسبة اليهم انما قررته السلطة الشرعية في المجمع السادس العام واقرَّته كنيسة رومية بالطرق القانونية وثبتت عليه هي وبنوها كتعليم الحق الذي لا تشوبه شائبة لما تأخروا طرفة عين عن قبوله والتمسك به كخلقيدونيين ارثوذكسيين خاضعين تمام الخضوع كأجدادهم الكرام لسلطة الكنيسة العليا بكل طاعة وانقياد ودون اقل تردد او مماحكة أو عناد كما جرى في أمر تمسكهم بالمجمع الخلقيدوني وتعليم البابا لاون الكبير . بدليل انهم بالرغم عن تمسكهم بمذهب المشيئة الواحدة على ما وصفنا انما كانوا يعتقدون كل الاعتقاد بأولية كنيسة رومية وتسلطها على جميع الكنائس . وهذا يظهر لذي عينين مما جاء في كتاب شرعهم الكنسي الذي وصفناه في الفصل الاول من هذا البحث . في الباب الرابع منه قد جاء بهذا الصدد ما يلي بالحرف الواحد « واباء المجمع المقدس مجمع نيقية امروا ان تكون البطاركة في جميع الدنيا اربعة لا غير مثل كتبة الانجيل والانهار وعناصر العالم . ويكون الرئيس منهم والمقدم صاحب كرسي بطرس برومية على ما امر بهِ الرسل » وبعد ذلك بنحو صفحتين قال أيضاً ما حكايته « وكما ان البطريرك سلطانه وأمره على من تحت يده كذلك

قال في آخر المقالة الاولى

« والسيدة استحقت تسمى والدة الوحيد ابن الله القديم الازلي
« لانها حملته في أحشاها تسعة أشهر ولم فك خاتم بتوليتها لما أخذ منها
« ناسوت كامل ناطق ذانفس عاقلة[1] »

لصاحب رومية سلطان على سائر البطاركة . فانه الاول مثل بطرس فى ما كان له سلطان على جميع رؤساء النصرانية وجماعة أهلها لانه خليفة المسيح ربنا على شعبه وكنائسه » .

ويؤيد هذا البرهان ان الموارنة عند ما تسنى لهم الاتصال بكنيسة رومية فى القرن الثاني عشر على عهد الافرنج الذين قاموا بالحروب الدينية فى سورية وفلسطين وعرفوا بواسطتهم حقيقة ومعتقدها من ايمانها هذا القبيل وسواه ايضاً قدانضموا جميعهم دفعة واحدة الى حضنها الوالدي وضووا الى حظيرتها الامينة واختلطوا بخرافها اذ قد عرفوا صوت الراعي الحقيقي فاتبعوه بلا ارتياب ولا تذبذب ولا جدال او مماحكة حتى عد ذلك بعض الكتبة من عجائب النعمة الالهية . وهذا مما يبين لكل بصيرة مجردة عن الهوى انهم ولو تمسكوا كل هذا التمسك بمذهب المشيئة الواحدة على ما بسطناه حتى الان لا يصح ان يدعوا هراطقة بحصر المعنى لنقص شروط الهرطقة الصورية فيهم على ما حددها الائمة . وانما كانوا بالرغم من ذلك من ابناء الكنيسة الجامعة الرسولية ومن غنم رعية الراعي الصالح الذي هو خليفة بطرس زعيم الرسل ونائب السيد المسيح على الارض ولو بعدوا بعض البعد عن الحظيرة العامة بسبب نوائب الدهر التي حالت بينهم وبين صوت راعيهم الحقيقي

(١) من لا يرى من الفلاسفة ان في قوله هذا اقراراً صريحاً بان ناسوت المسيح كان له قوة الارادة لانها تتبع العقل ضرورة اذ لا يراد شيء قبل ان يعقل وهذا مبدا مجمع عليه

وفي المقالة الثانية

« واعلم أبي القديس الروحاني لان نحن وأنتم كنا متفقين في مجمع
« نيقية الى المجمع الخامس[1] نعتقد نحن وأنتم طبيعتين لاهوته وناسوته
« ربنا السيد المسيح باتحاد شريف حافظة الخاصتين بلا فساد لاننا نتأمله
« بخوف ورعدة لانه واحد هو ثم هو منظور بالآلام والصلب انسان
« تام واله تام لطيف متحد بالناسوت أقنوم واحد وابن واحد .. ولا
« بعد الاتحاد بالناسوت كان الناسوت بري منه بل متحداً بالناسوت
« على شبيه النار بالحديد لم تغيرت خاصته لطف النار اذ لم تكن نار ولا
« الحديدة معاً صارت جمرة واحدة اذ لم تكن حديدة بل الخاصتين
« متحدة بلا استحالة حافظة الخواص .. لانه كان يقيم الميت بلاهوته
« ويمشي بطبع ناسوته[2] : وهو ثم هو اياه وحيد ابن الله ومن مريم
« واحد هو لا يدخل عليه أقسام ولا تغير شيئاً بل كل جوهر بخاصته

---

(١) وهذه شهادة صريحة على ان الموارنة كانوا الى هذا العصر يسلمون بالمجمع الخامس خلافاً لما اتهمهم به بعض من تكلموا عنهم عن غير روية كما بيناه غير مرة

(٢) ليس اصرح من هذا الكلام في تقرير وجود الارادة البشرية في السيد المسيح وعلى الخصوص بعد قوله « لانه واحد هو ثم هو منظور بالالام والصلب انسان تام واله تام » والا فكيف يفسر هذا الكلام اذا أنكرت الارادة البشرية فيه جل شأنه ؟ وعندنا انهُ اذا انكرت بعد ذلك فبمعنى آخر غير المعروف الان عند الفلاسفة كما سترى

« باتحاد عجيب بلا تبهدل ولا استحال انها انبدلت البتت بل حافظة
الخواص الشريف »

وفي المقالة السادسة

« لانك قلت لنا اننا على خلاف وضلالة باعتقادنا طبيعتين متحدة
« مشية واحدة أردنا نفسر قدامك ذلك لان الاب قال ان ربنا السيد
« المسيح اله تام وانسان تام وتشبه لنا بكل الانسانية بالتمام ماخلا الخطية
« ونحن مؤمنون بذلك لانه اله تام مساوي أبيه وروحه طبيعة واحدة
« ومسرّة واحدة ومساوي لنا بالناسوت التام بالعقل والروح والنطق
« انسان واحد لم يقال له انه ثلاث أناس[1] »

عدد ١٢٦ — ثانياً وانه بالنتيجة يسلم تمام التسليم بوجود القوة التي تصدر عنها الارادة في الطبع البشري المتحد مع الطبع الالهي باقنوم الكلمة في السيد المسيح. ولكنه ينكر ان تكون هذه القوة أو الارادة قادرة على الميل الى الشر والى مايخالف الارادة الالهية كما هي فينا نحن البشر الضعفاء من بعد المعصية. ولهذا يقول صريحاً ان الله الكلمة انما أخذ الطبع البشري تاماً كاملاً كما كان في أبينا آدم قبل المخالفة. اذ كانت ارادته موافقة من طبعها لارادة الله بحيث لم يكن يريد الا ما يريده الله فكان والحالة هذه يتحرك من هذا القبيل بحسب ارادته تعالى : ولهذا كان يمكن

(١) ترى هل في هذا الشرح ما يخالف المعتقد الكاثوليكي من هذا القبيل وهل يمكن الكاثوليكي ان يرتاب في صحة هذا الاقرار؟ وكيف هو انسان تام وتشبه لنا في كل الانسانية ماخلا الخطية اذا لم يكن له ارادة بشرية اوعلى الاقل قوة الارادة؟ فهذا كان معتقد الموارنة وقد تعمد الكاتب هنا شرحه بكل صراحة وهو كاثوليكي محض . وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب

أن يقال اذ ذاك ان ارادة آدم وهو في حال البر والنعمة هي نفس ارادة الله أو هي وارادة الله واحدة ولكن بالنظر الى المفعول لا الى القوة التي تصدر عنها . وهذا معنى كاثوليكي محضاً كما يرى المتأمل وبحسبه قال رسول الامم ان السيد المسيح بناسوته قد « شابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة » : فقوله « شابهنا في كل شيء » أراد به انه كان أيضاً يعقل ويريد نظيرنا في الطبع البشري . وقوله « ما عدا الخطيئة » يريد به انه لم يكن يريد الشر أو ما يخالف الارادة الالهية

ودونك كلام الكفرطابي نفسه بهذا المعنى فتأمله بامعان

فمن ذلك قوله في المقالة الخامسة

« سؤالنا من الاب القديس بمحبة ربنا السيد المسيح : قولوا لنا « اعتقادكم بهذي المشيتين متحدة هي أم مفترقة : فان قلتم لنا انها متحدة « قد رجعتم الينا كرهاً بغير هواكم وجعلتم اعتقادكم مشية واحدة على غير « اختياركم : وان قلتم انها مفترقة كي تأكل وتشرب قد أدخلتم على ربنا « تفريق وأبعدتم اتحاد الطبيعتين وصرتم تهذوا [١] مثل اريوس جدكم « ونسطور عمكم وجعلتم في ربنا أقنومين الواحد يأكل ويشرب والآخر « يصوم ويصلي . وهذه صفات لا تنفع عن القديسين وذوي العلم والرياضة

---

(١) وفي الاصل « تجزوا » ولا معنى لها هنا وهذا مما يدل أيضاً على ان هذا الكتاب قد كتب في الاصل بالحروف العربية فالتبست الهاء والذال على الكاتب ثم ان هذه الفقرة هي نظير ما جاء بهذا المعنى في كتاب الهدى وقد بينا هناك (عدد ١١٨) سلامة هذا الكلام وافادته وجود الارادة البشرية بقوتها في السيد المسيح فلا حاجة الى المراجعة

وفي المقالة الرابعة

« مثل آدم قبل ان يخطي لم كان فيه مشية تعرف شر بل كان له
« عقل حر ناظراً الى خالقه قائم بمشيته . وناسوت ربنا السيد المسيح لم
« كان من مباضعة رجل بل حراً من البشر ومشية العالم . . وانما المشية
« التي دخلت على آدم عرضية فليس هي مشية خلقة جوهر الطبيعة بل
« لاجل مخالفته وصية الباري واكله من شجرة المعصية التي افطر عليها
« سقط من رياضة حريته وبقي خاطي (١) فلما أراد خالقه يترأف عليه
« وعلى جنسه ليردَّ لهم حريتهم الاولى تكرم عليهم واتحد بهم ماخلا
« الخطية التي هي اهوية مشيات العالم .لان الانجيل يقول اتى الى خاصته
« والذين قبلوا قوله وآمنوا فيه جعلهم ابناء الله من التعميد الذين ليس
« هم من هوى جسد ولا من مشية رجل بل ولدوا ثاني من الله بالتعمد
« بحلول روح القدس بعقولهم وقدستهم واشتركوا مع الله الكلمة عند

(١) ليس أبين من هذا الكلام ولا اصرح منه على ما نرى نحن ويرى كل متأمل خالي الغرض ان ليس في مذهب الموارنة هذا ما يخالف المعتقد الكاثوليكي بيد انهم على ما يظهر من هذا الكلام هنا انما يحسبون المشيئة الميل النفساني الى الشر الذي دخل على ابينا آدم بالعرض بعد المخالفة وبهذا المعنى فقط ينكرون وجود المشيئة البشرية في السيد المسيح ويكررون لذلك قول الرسول انه « شابهنا في كل شيء ما خلا الخطيئة » فهم عندنا لايلامون والحالة هذه على تشبثهم بمذهبهم هذا لما فيه من حسن النية والروح الكاثوليكي المحض مع قطع النظر عن معنى لفظة المشيئة عندهم وعند غيرهم من الفلاسفة :

« تناولهم جسده ودمه المقدس . قد بان الحق ها هنا لانه رد أهويتهم
« المفسودة الى مشيئة الله أبيه وانما الاكل والشرب وغيره هو خاصة
« الطبيعة البشرية فما هو مشية . . . وتحققنا ذلك من بولس السعيد
« رسول السيد المسيح بمشية الله لانه قال — مشية الروح لم توافق
« مشية جسده ومشية جسده لم توافق مشية روحه لان الجهتين
« متضادان : وهذا بيّن واضح لان هذه المشية الناسوتية التي هي مضادة
« المشية الروحانية انما دخلت على آدم من عرض هوى الخطية : آدم كان
« حر من الخطية مرتقي عقله الى مشية تدبير الله وارادته : والناسوت
« الذي تأنس فيه ربنا كان حر من الخطية بلامجامعة شهوة نطفة ناسوت :
« وبارادة لاهوته رضي يأخذ عليه أعراض الناسوت

وفي المقالة السادسة

« لان ربنا ليس ناسوته من نطفة جسد بل خلق جسده بروحه
« وقوّم بقنومه اقنوم واحد وهو حر من الخطية . . . وقال بولس
« الرسول انه حمل الطاعة الى حد الموت طائع مسرة أبيه لانه شاء به
« ليصلب عند اتحاده بالناسوت وقال في موضع آخر انه اصلح الجهتين
« طبع لاهوته في طبع ناسوته انسان جديد واحد ولم يكن وروده
« يوافقنا في خطيّة بل تشبه لنا بالامور المشكورة (١) رحمة منه . . . ولم

---

(١) ومن ذلك الارادة البشرية القوية التي تخضع للعقل وتسير على ما يوافق رضى الله تعالى كما كانت في آدم قبل المعصية :

« تشبه بالأمور المذمومة التي تعرض الخطية[١] فان قلت لنا ان ناسوت
« المسيح تام قلنا لك نحن جواب قولك لان الله عز وجل خلق آدم تام
« كامل ولم كان محتاج الى شيء آخر قبل ان يخطي : فلما أخطأ آدم
« وملكت عليه أعراض الخطيــة وصارت فيه مشيات كثيرة تضاد
« بعضها بعض تـكرم رب آدم وأراد يرد لهم حريتهـم لآدم والبشر
« اتحد بناسوتهم في شبههم ماعدا الخطية لانه حراً : لانه لم يكن حراً
« من بعد المخالفة غيره وهذا المثال يظهر البرهان لانه لبس جسد مثل
« عبد وهو حرّ كي انه يعتق عبوديتهم من الخطية وجعل ينادي بشأنهم
« عن جسد الخطية جميع ما كانوا شجبوا به وهو لايشجب أم تغير عند
« ماتشبه بهم . . . ولم تزل الانبياء تضرب الامثال بسبب حلول رحمته
« بناسوتنا الآ حتى يبطل عنا مشية الخطية ويردها الى مشية أبيه[٢] »

(١) التي منها الشهوات والاهواء الملتوية التي جلبتها الخطيئة الاصلية وهي كانت سبب الخطايا في البشر بعد المصية وقد تسمى ارادة او ارادات بالفساحة وهذه قد تنزه عنها السيد المسيح تنزهاً كبيراً كما لايغرب :

(٢) لقد حصحص الحق وبان لذي عينين من خلال هذا الكلام الصريح الذي يظهر منه بأجلى بيان ان الموارنة لم يكونوا منوثيليين على الاطلاق ولم يتمسكوا بتعليم المنوثيلية ولم يعرفوه كما برهنا حتى الان بل هم على الروح الكاثوليكي البحت كما يتحصل من هذا الاقرار الصريح الذي لا يمكن ان ينتج عنه الا انهم لم يكونوا ينكرون قوة الارادة على الطبع البشري في السيد المسيح التي كانت بلا ريب في آدم قبل المعصية وانما ينكرون المشيئة الطارئة على آدم قبل الخطيئة بمعنى الاميال الباطنية الى الشر وهذا يظهر خاصته من قوله « فلما أخطأ آدم وملكت عليه أعراض الخطية وصارت فيه مشيات كثيرة تضاد بعضها بعض الخ »

وفي المقالة الثانية

« وقال عن الذين قبلوه انهم صاروا ابناء الله الذين ليس هم من
« هوى جسد ولا من مشية رجل كلهم من الله ولدوا : اعني انهم لما
« جازوا جرن المعمودية سكنت روح الله في عقولهم وقدستها وقلعت
« عنهم مشية الجسد ولم يجي حسبهم من مشية جسد ولا من شهوة
« نطفة وسماهم اخوه لما حلت فيهم روحه اللاهوتي وجعلهم ابناء الله
« باكرام (أي بالذخيرة) : أبيه هو خاص قديم جوهري (أي بالطبيعة)
« وأبيهم هم بالاكرام من التعميد : وكذلك قال بطرس الرسول - الذي
« قدسه الله وارسله — انه قدس الناسوت بروح القدس لان الأب
« احب تأنس الابن وروح القدس قدس الناسوت لكي يبين مساواة
« اللاهوت مشية واحدة : فاذا كان الذين هم مولودين من نطفة لما
« تعمدوا رجعوا تحولوا الى نبوة الروح كيف ان الخالق احتاج الى
« مشيتين ولم كانت مشية واحدة تكفاه (١)

عدد ١٢٧ — ثالثاً انه والحالة هذه اذا انكر وجود المشيئتين في السيد المسيح فذلك لانه من جهة يعتبر المشيئة في مفعولها لا في قوتها . ولما كانت الافعال بحسب قول الفلاسفة واللاهوتيين اجمالاً ترجع أو تنسب الى الاشخاص أو الاقانيم وكان

---

(١) قوله « لما تعمدوا رجعوا تحولوا الى بنوة الروح » يريد به كما يؤخذ من مجمل كلامه هنا وفي محال اخرى انهم صارت ارادتهم موافقة لارادة الله بحيث لم يبق لهم ارادة جسدية أو ميل الى الشر والخطية كما يرى المتأمل

في السيد المسيح اقنوم واحد فمن الضروري أن تكون المشيئة بهذا المعنى واحدة لانها سواء كان مفعولها مما يصدر عن اللاهوت كاقامة الموتى وتفتيح العميان وتكثير الخبز الخ أو مما يصدر عن الناسوت محضاً كالأكل والشرب والنوم والبكاء والجزع الخ ترجع وتنسب أو تصدر عن المسيح الواحد الفرد . وبما أن الارادة البشرية بذاتها لم يكن يمكنها أن تخالف الارادة اللاهوتية على الاطلاق بل كانت متفقة ضرورة معها تمام الاتفاق فلا غرو اذن اذا نُسِبَ المفعول أو الفعل الى الارادة الالهية وحدها دون أقل حساب للارادة البشرية التي أبطل على نوع ما عملها بذاتها الا منقادة بتمام اختيارها للارادة الالهية كما قد يحصل فينا نحن البشر بحتاً عند ما نعمل بقوة النعمة بحسب مشيئة الله ونريد ما يريده باختيارنا . فيمكن أن يقال اذ ذاك بالفصاحة ان ارادتنا انما هي ارادة الله لا ارادة الطبع البشري

ومن جهة ثانية ينسب الاعمال البشرية محضاً الى خواص الطبع الانساني كالأكل والنوم والجزع والبكاء الخ مما لم يكن يستطيع الله الكلمة أن يعمله لو لم يتخذ الطبع البشري كاملا بجميع خواصه . ومن ثم فهو يميز بين الخواص ومفعول الارادة وانما يحسب الارادة هنا أميال الانسان الى الخير أو الى الشر وينكر أن يكون في السيد المسيح له المجد أقل ميل الى الشر كما رأيت مما ذكرناه عنه حتى الآن : ويستنتج والحالة هذه ضد قول الخصم انه اذا صح أن تعتبر المشيئة على هذا الشكل لزم أن يقال أن في السيد المسيح مشيئات متعددة بتعدد الاميال أو الاعمال فمشيئة تأكل ومشيئة تقعد ومشيئة تنام الخ : ومن هنا حصل البرهان على ما هنالك من سوء التفاهم بين الفريقين من الخلقيدونيين مما أدى الى هذا الانفصال والافتراق الذي لم يكن بعده من اتفاق بسبب الضغائن والحروب الدينية التي تأتّت عن ذلك حتى كان ما كان مما بيناه الى الآن :

ومما تقدم بيانه يرى المتأمل اللبيب كيف ان حزب الموارنة كانوا يستنتجون بحسب خطة هذا التعليم وهذا المذهب الفلسفي الذي كانوا متمسكين به نظير سائر

فلاسفة السريان ان القول بالمشيئين الالهية والانسانية في السيد المسيح انما يرمي الى النسطورية الذميمة لانه يقتضي التسليم باقنومين : وهذا ما جعلهم ينفرون من هذا المذهب الجديد بالنسبة اليهم على أوضحنا غير مرة :

ودونك الآن كلام الكفرطابي نفسه مما يثبت كل ذلك :

فقد قال في المقالة الاولى

« انصت قول ربنا في انجيله المقدس له المجد — اني ماجئت اصنع
« مشيتي بل مشية من أرسلني . . . قد ظهر الصحيح (من هذه الآية)
« انه بطل مشية ناسوته وحظر ضعفها وما صنعها بل بطلها : كيف يجوز
« لنا نحن المؤمنين المسيحيين ان نعود نقيمها أم نثبتها لانه نهانا عنها ؟
« وان قلت لنا هذا القول قال السيد المسيح عن مشية لاهوته
« اذ كان داير على الارض : قلنا لك نحن قد افصلته من لاهوته
« وحصل رأيه عندك مثل نسطور وجعلت ربنا السيد المسيح
« قد حصل بمنزلة نبي مثل واحد من الانبياء كارميا وحزقيال
« ودانيال وأشعيا وغيرهم من جملة الانبياء : فيكون لاهوته يأتي اليه
« مرة ثم يغيب عنه وأفسدت الاتحاد الشريف : فلا تظن ان ربناالسيد
« المسيح بعد اتحاده بناسوته المقدس بمشيئة أبيه انه انفصل جهتين أم
« أم ابنين : بل هو كما قال بولس الرسول انه قوة الله وحكمته . . . .
« والابن وحده اتحد بناسوته لا ازداد ولا نقص كيما لا يصير تثليثه
« رابع مشية ناسوته تضاد تدبير مشية لاهوته : ونحن والافرنج وجميع

« والحبش والنوبة والقبط نعبد مشية لاهوته المتحدة بطبع جوهر ناسوته
« بلا انفصال لانه وحيد كما يشهد يوحنا الانجيلي قائلاً الوحيد الذي
« بحضن الاب الذي هو ثم هو متجسد رب واحد مسيح واحد ابن
« واحد معبود واحد ارادة واحدة »

وفي المقالة الثانية

« انصت قول ربنا في انجيله المقدس حيث لقيه الابرص خارج
« بيت المقدس : وان الابرص صاح بأعلى صوته قائلاً — يا سيدي
« ان شئت تطهرني أنت قادر — فأجاب السيد المسيح — قد شئت
« فاطهر — ولوقته تطهر من برصه : فافهم يا أبي القديس ولا تقاوم
« الحق لان ما قال السيد المسيح قد شئت انا بلاهوتي وناسوتي كي
« تزعم باعتقادك انهم وجهين ومشيتين وجعلته اثنين وافرقته من الاتحاد
« الشريف : وانما قال « شئت » وهذا دليل اللفظة توحيد : والذي
« طهر الابرص فهي مشية اللاهوت : فان قلت لنا انه تطهر بمشية
« ناسوته أفمت ادارة ناسوته وبطلت ارادة لاهوته وهذا لا يمكن ولا
« يصدقه أحد .... وبطبع ناسوته كان يستعمل الضعف الاكل والشرب
« والتعب والآلام والصاب والموت لا بمشية لاهوته . لانه قال
« يا ابتاه ان كان يستطاع يعبر عني كاس الموت لأشربه . بل مشيتك .
« وبعد ذلك شربه بارادة لاهوته واللاهوت واحد وهو مشية واحدة
« فاذا اعتقدت ان لربنا السيد المسيح ارادتين وفعلين ومشيتين يحتاج

« لازم يلزمك انه اقنومين وهم اثنين وابنين ومسيحين : وقد رجعت
« الى اعتقاد نسطور لان ماسبب حرمانه ورميه من درجة كهنوته الا
« لاجل هذا الافتراء والخلاف . بل نحن نقول ارادة واحدة لا غير
« لانه كان يقيم الميت بلاهوته ويمشي بطبع ناسوته : وهو ثم هو اياه
« وحيد ابن الله ومن مريم واحد هو لا يدخل عليه أقسام ولا تغير شيئاً
« بل كل جوهر بخاصته[1]

وفي المقالة الثالثة

« عند ما وقف (السيد المسيح) يصلي وهو يقول يا أبتاه ان كان
« يمكن يجوز عني هذا الكاس لا أشربه . بل ليس مشيئتي بل مشيئتك

---

(١) متى فهم القارئ ان اهل هذا المذهب انما يتكلمون عن المشية من حيث مفعولها الخارجي ونسبته الى الفاعل فقه بلا ريب مغزى هذا الكلام : ومن المعلوم ان الافعال تنسب أو ترجع الى الاشخاص أو الاقانيم كما قرر الفلاسفة بالاجماع : وهذا ما يريد ان يبينه الكاتب من هذا القبيل بالمثل الذي أورده عن كيفية شفاء الابرص فقوله ان شئت وقول السيد المسيح قد شئت بالافراد يرجع الفعل به الى فاعل واحد فرد وهو الاقنوم المعبر عنه بالضمير « أنت أو أنا » كما لا يغرب : فمن هذا الوجه يقول ان الارادة واحدة لان مفعولها ينسب الى واحد فرد وهذه الوحدة انما الذي كونها وقررها هو الاقنوم والا كان المسيح اثنين لوجود الطبعين فيه على رأي النساطرة وهذا ما كان الموارنة يريدون نبذه وانكاره بهذه الطريقة وبالجملة يظهر لكل بصير انه لا ينكر قطعياً وجود القوة التي تصدر عنها الارادة البشرية بل عملها لان الارادة اللاهوتية هي التي استغرقت ذلك بحيث لم يبقَ من مفعول للارادة البشرية بالاستقلال ومن ثم لا غرو ان ينسب المفعول للاشرف

« فلا يمكن انها مشيتين . . . وان قلت انها مشية ناسوته كانت أخره
« غير مشية لاهوته فهو قال اني ما جئت اعملها ولم جئت من ذات
« نفسي بل أبي ارساني . لان مار يعقوب السروجي يقول في تفسير
« هذه اللفظة عند ما أتى ربنا السيد المسيح الى الصلب حظر ضعف
« ارادة جسده لان جسده فرّ وفزع من الموت فرد الامر الى لاهوته
« حتى لا تحتج وتقول مشيتين فاعلات[1] .... فلما سمعت لربنا السيد
« المسيح يقول مشيتك لا مشيتي ظننت أنت انهم تنتين وقسمته
« ارادتين فاعلات كل واحدة منفصلة من الاتحاد الشريف ... ثم هو

(١) لقد كفانا هذا الكاتب الماروني هنا مؤونة الاجتهاد في شرح مغازي كلامهِ بهذا المعنى لانهُ لايمكن ان يقال أوضح من قولهِ هذا هنا لبيان كونهِ لاينكر وجود القوة التي تصدر عنها الارادة في ناسوت المسيح وانهُ انما ينكر كونها كانت تؤثر فعلاً في العمل الذي لم يكن في كل حال الا بحسب ارادة اللاهوت : والا فما معنى قولهُ هنا ان السيد المسيح « حظر ارادة جسده لان جسده فرّ وفزع من الموت الخ » الا ان كان لجسده ارادة ذاتية جزعت وأرادت الفرار من شرب كاس الموت فأوقفها على حدها قائلاً « ولكن لا ارادتي (البشرية) بل ارادتك (الالهية) وبهذه الارادة انتصر على الضعف البشري ؟ اما قولهُ ان السيد المسيح « قد بطل مشيته الناسوتية ونزيد نحن نقيم شيئاً لم أمرنا ذكره » فانما أراد بهِ التماس العذر وبيان السبب الذي لاجلهِ لايرى ان ينسب أقل عمل للارادة البشرية مستقلة ولا بالاشتراك مع الارادة الالهية التي هي والحق يقال المؤثر الاول والاوجه بل الاصلي في فعل ارادة السيد المسيح فالاولى عنده ان ينسب الفعل كلهُ لها دون التفات الى الارادة البشرية المنقادة باختيارها تمام الانقياد للارادة الالهية : وهذا المعنى نفسه يظهر باكثر صراحة في ما يلي من كلامهِ في المقالة الرابعة فتبصر :

« الابن الوحيد بلاهوته وناسوته كل خاصة لم تغيرت : وأنتم اعتقدتم
« وجعلتم الخاصة البشرية انها مشية فلم يصح ان خاصة تصير مشية لان
« المشية البشرية تتقلب بانواع كثيرة والخاصة جوهر لا يتغير مما هو
« وهو ثابت متحد فيه الأبن الوحيد له المجد لان ربنا يسوع المسيح
« تبارك وتعالى ذكره قد بطل مشيته الناسوتية ونريد نحن نقيم شيئاً
« لم أمرنا ذكره وهو مالا يجوز عند المؤمنين القديسين ذوي العقول
« والفهم »

وفي المقالة الرابعة

« من انجيل يوحنا — لست أقدر أعمل شيئاً من ذات نفسي وانما
« أحكم بما أسمع وديني عدل هو لاني لست أطلب مشيتي بل مشية من
« أرسلني — ان كنت اشهد لنفسي فليست شهادتي حق — اخبرني
« عن نفس ناسوته قال انه لم يشهد لها أو لغيرها . فان كان قال هذا عن
« نفس ناسوته كفاك مني الجواب لان ماشهد لنفس جسده اذ قال —
« اني أنا اشهد لنفسي ليست شهادتي حق — فهذا تبطيل ارادة نفس
« جسده وأنت غافل عن هذا التفسير لانه بعد هذا قال — الاعمال
« التي اعطاني الأب لا كملها هي هذه الاعمال التي اعملها تشهد لي ان
« الأب أرسلني والأب الذي أرسلني يشهد لي — فهذا الفصل أوضح
« علانية لان ما كان له مشية اخرى خارجة عن أبيه بل مساوي معه
« بالجوهر واللاهوت والقوة والجبروت مع روح القدس . وهو باقنومه

« وحده تجسد وبلاهوته تولى خلاصنا . وهو ثم هو اياه وحيد متحد
« بذلك الناسوت الضعيف يفعل فيه الحقارة ُحبل به وولد ورضع ونشى
« قليلاً قليلاً وأكل وشرب ومشى وتعب وتألم ومات وقام في لاهوته
« وناسوته ولم تغير بشيء من مجده . وهو ثم هو لم استحال بشيء باتحاد
« الطبيعتين . . . ونحن مقرين بلا محال في حقوقه وتدبيره جميعه الذي
« فعله لخلاصنا وهو ثابت عندنا على الارض ما خلا هذه اللفظة انه قال
« ما جئت أعمل مشية ناسوتي . ولو كان عمل مشية ناسوته فايش كانت
« حاجة الى تبطيلها؟ كان خلاها مع باقي تدبيره ... وانما تعرف كل طبيعة
« بجوهر خاصتها لطف لاهوته الازلي المتحد بناسوته الكثيف ولطف
« نطق نفسه الجسدية . فان كنتم وهمتم أنتم عن معرفة ذلك وافتكرتم
« ان الخاصة طبع ناسوته مشية لا يمكن ذلك لان المشية كثيرة الانواع
« مشية تصوم ومشية تأكل ومشية تقعد ومشية تنام . فواجب من
« العدل أنكم تعدوا وتكثروا مشيات واقسام عديدة . واجعلوا ربنا
« المسيح الوحيد مقسوم عشرين مشية لكل فعل تدبير تولاه بناسوته
« اجعلوا فيه مشيات(١) وانما الأكل والشرب وغيره هو خاصة الطبيعة
« البشرية فما هو مشية . لان مشيتين تجعل افتراق بين اتحاد الخاصتين

(١) فمن هذا الكلام يظهر جلياً لكل احد بأي معنى يأخذ المشية وينكر وجودها على هذا الوجه في السيد المسيح ويظهر ايضاً سوء التفاهم بين المتجادلين الخ :

« فلم تقدر[1] تقول انهم فعلين ويلزمك بذلك انهم اقنوميين لانك تقول
« باعتقادك ان الفاعل واحد باقنوم واحد وابن واحد وكذلك مشية
« واحدة . . . لما رأيت ان ربنا له السجود الفاعل باقنومه تواضع بكل
« حقارة وغيرها قلت هذه مشية ناسوتية . ولما رأيته يقيم الميت قلت
« ان هذه مشية لاهوتية . ونحن نقول أقام الميت بلاهوته مثل اله
« وتواضع بالناسوت مثل انسان ولم هو الفعل مفترق لفعلين بل الفعل
« واحد بمشية واحدة لانه راجع الى الوحيد اقنوم الابن الذي قوّم
« الناسوت بقوامه اقنوم واحد وهو ابن واحد قبل التانس وبعد التانس
« لانه واحد الثالوث ولم يدخل مع الثالوث رابعاً . . . . . وقال بولس
« الرسول وثبتوا الآباء القديسين في المجامع المقدسة بخطوط ايديهم
« شهاداتهم الحقانية قايلين — لان كنيسة الله واحدة جامعة رسولية
« بخوف الله سبحانه وتبارك اسمه مشية واحدة وعلم واحد وارادة واحدة
« ومعمودية واحدة[2] — بشهادة كيريلس اسقف اسكندرية — الذي

---

(١) الصواب « تقدر » بالتاء لا بالنون كما وجدت في الاصل الكرشوني وهذا الغلط مما يدل على ان هذا الكتاب قد كتب في الاصل بالحروف العربية التي يمكن فيها ان تلتبس التاء بالنون بخلاف الحروف السريانية كما يرى المتأمل :

(٢) ان هذا الكلام لمّا يثبت بنوع صريح للغاية ما قلناه مرارا من ان هذا الكاتب الماروني انما يعتبر المشيئة بمفعولها الخارجي ومرجعه الى الاقنوم الواحد الفرد لا بالنظر الى القوة التي تصدر عنها وهو لا ينكر وجودها في ناسوت المسيح : اما قوله عن كنيسة الله انها واحدة وذات مشيئة واحدة وعلم واحد وارادة واحدة

« يعترف مشيئتين بتأنس السيد المسيح غير مشية الاب فهـذا جعل
« يحارب الاب السماوي لان الابن مساوي مع الاب والروح
« القدس بالارادة والمشية .... لان المجامع المقدسة لذكرها السلام
« ما اعتقدت ان للسيد المسيح مشيئتين ولن يذكروا غير اتحاد لاهوت
« وناسوت طبيعيتين متحدة مشية واحدة بالخاصتين معاً : لانهم حكموا
« اذا كان اتحاد من جهتين لطيف وكثيف يسمى اتحاد ملتحم مثل النار
« بخاصة الحديد فلم تستحيل الخاصتين بتة عن جوهرها : وهذا الاعتقاد
« الشريف النيّر ثبت في مجمع نيقية الثلثماية وثمانية عشر وكذلك ثبت في
« مجمع الستماية وست وثلثين أباً في مدينة خلقيدونا ونحن وأنتم دمنا
« ثابتين على ذلك زمان كثير الى زمان مكسيماس خاصتكم الخ »

وفي المقالة الخامسة

« بل نحن نعلم لان ربنا السيد المسيح كان تدبيره بمشية واحـدة

ومعمودية واحدة فانما هو مما يبين به فكره وقصده بقوله ان ارادة السيد المسيح انما هي واحدة اي بمعنى الوحدة المعنوية التي تتأتى عن اتفاق المريدين ولو تعددوا وعن وحدة المفعول ولو رجع الى كثيرين عدداً متفقين في المبدا والغاية : كما هو حاصل في السيد المسيح فان الارادة البشرية لا يمكنها الا ان تكون متفقة تمام الاتفاق مع الارادة الالهية حتى يتأتى عنهما وحدة المفعول بلا تضاد ولا محاربة الخ ولهذا فهو من هذا القبيل يدعوهما « ارادة واحدة » كما ساغ ان يقال بكل صواب ان للكنيسة كلها وهي جماعة المؤمنين « مشيئة واحدة وعلم واحد وارادة واحدة » وهذا المعنى هو كاثوليكي لا مشاحة فيه كما يرى المتأمل :

« كما انه تفل في الطين بصاق الناسوت وأبرأ فيه عيني الاعمى معاً كما
« علم هو لا كما توهمت الجهال (١) ولما دنت اليه بسرقة تلك الامرأة
« نازفة الدم رزقت الصحة من هدب ذيله : فلم يذكر التفسير انها كانت
« انها كانت مشية الثوب أم مشية اللاهوت أم الناسوت بل بريت معاً
« من ايمانها لانها قالت ان تقدمت الى ذيل ثوبه بريت : فهذه أمرين
« فعلها بمشية واحدة : ماذا تقول يا قديس انها صارت ثلاث مشيات
« مشية ايمان الامرأة والثوب ومشية الناس وأيضاً مشية اللاهوت
« فالآن أبونا تعبان بهذه الصفات الغير واضحة : لان نحن نعتقد ان
« الامور العالية والوضيعة فعلها بمشية لاهوته بأكله وشربه وصلبه .
« بناسوته بلا فرقة بل راجعة كل الامور الى اقنوم الفاعل بتوحيد المسرة

وفي المقالة السادسة

« وان قلت انا انها مشية واحدة لاهوتية وأخرى ناسوتية ترضع

(١) ان هذا المثل الذي جاء به هنا عن كيفية ابراء عيني الاعمى يقطع كل جدال في انه يسلم بوجود الارادة البشرية العاملة بالاتفاق مع الارادة الالهية في السيد المسيح لان التفل في الطين ووضع الطين على عيني الاعمى انما هو فعل بشري محض : وابراء الاعمى به انما هو فعل الهي كما لا يغرب وكل منهما يقتضي ارادة ذاتية الا ان الارادتين قد فعلتا ذلك كل منهما في دورها برضى الارادة الالهية الواحدة مما كان لا بد منه لغاية سامية لا ندركها والا حسب المسيح والعياذ بالله مداجياً ومشعبذاً يضل الناظرين باتيانه عملاً بشرياً لا يوافق النتيجة الحاصلة عنه :

« وتأكل وتشرب وغير ذلك . . . . وقلت لم يكن بغير مشية أخرة
« ناسوتيةانه يقدر يأكل ويشرب وهذا واضح قدفعلها بمشية واحدة أيضاً
« بعد قيامته وهو متحد بناسوته وجوهر ناسوته صعد كما هو لا يأكل
« ولا يشرب وبطل مشية الاكل والشرب[١] : لانك لم اكتفيت بقوله
« انه قال ما جئت أعمل مشية ناسوتي . لان داود يقول لم يعسر على الله
« شيئاً . فلو انه يعلم ان له نقص من هذا كان خلا هذه اللفظة مع باقي
« تدبيره له المجد ابداً أمين أمين »

عدد ١٢٨ — وهذا الآن كاف بهذا الموضوع وقد حصحص الحق منه لذي عينين وزهق الباطل : وهذا كلام الكفرطابي انما هو بلا اشكال تعليم كل الموارنة في تلك العصور النائية وليس بين أيدينا من أثر سواه يوضح ذلك تعمداً بكل هذا الاسهاب : ومنه يتضح بلا ريب ان روح تعليم الموارنة لا يخالف بوجه من الوجوه روح تعليم الكنيسة الكاثوليكية في هذه القضية الاعتقادية المقررة : وان مذهبهم هذا لا يتفق في جوهره ونتائجه مع المنوثيلية الحقيقية : ولهذا يمكن أن يقال بكل صواب انهم ولو تمسكوا تمسكاً شديداً بهذا مذهب المشيئة الواحدة على هذا الوجه المشروح حتى الآن لا يجوز أن يدعوا منوثيليين صورياً أي من حيث ان هذا الاسم انما هو لفئة مخصوصة من المسيحيين معروفة بتعليمها من هذا القبيل و مبادئها الضالة والجائرة عن محجة الصواب والمخالفة من كل وجه لروح التعليم الكاثوليكي القويم التي ظهرت بشكلها المذموم في الربع الاول من القرن السابع وقضي عليها في المجمع السادس الذي

---

(١) انظر كيف انه بهذا الكلام انما يصرح بانهُ يأخذ المشيئة بالفعل لا بالقوة : وهذا مما يبين أيضاً ما بين المتجادلين من سوء التفاهم وجهل الموضوع الواقع عليه الجدال : وبهذا القدر غنيٌ ان شاء الله تعالى :

عقد في أوائل الربع الاخير من هذا القرن نفسه حتى لم يبق لها من أثر في الـكنيسة كلها :

ومما يؤيد رأينا هذا من حيث ان هذا شرح الموارنة لمذهبهم الخصوصي انما هو في الحقيقة موافق من كل وجه لروح تعليم الـكنيسة الـكاثوليكية في هذا الموضوع نفسه. ما قاله العلامة اللاهوتي الـكبير الـكردينال فرنسلين في باب التجسد من كتابه المشهور في اللاهوت الاعتقادي (ص ٤٩٦ في قضية الارادتين والفعلين) وهو كما تلي ترجمته عن الاصل اللاتيني :

« سقوليون (اي حاشية) — الى حالة الطبيعة الساقطة التي صرنا « اليها بعد الخطيئة الاصلية قد احدثت فينا أميالاً مخالفة للعقل السليم « وللشريعة الالهية : ومن ثم فالحرب العوان التي يصفها القديس بولس « الرسول في الفصل السابع من رسالته الى اهل رومية بأن الروح تشتهي « ما يخالف الجسد والجسد ما يخالف الروح مع ان القـوة المريدة هي « واحدة الا انها تارة تتأثر من الميل الى الخيور الصالحة والمقدسة التي تلذ « للروح : وتارة من الخيور الجسدية التي تلذ للطبيعة الفاسدة وهي مخالفة « للاولى . فاختلاف هذه الاميال باختلاف المحرك الروحي والجسدي « قد سوَّغ ان يسمى كل ميل منها في خطته مشيئة ومن ثم فبهذا « المعنى يقال انها مشيئتان في الانسان مشيئة الروح الميالة الى الامور » السامية ومشيئة الطبيعة الفاسدة الميالة الى الامور السافله . وعلى « هذا الوجه يقال بكل حق وصواب ان مشيئة الجسد تضاد مشيئة « الروح »

الى انه قال ما ملخصه

« ان من ينكرون وجود ارادتين بشريتين في السيد المسيح
« متحاربتين معاً كما هما فينا أو ينكرون الارادة البشرية فيه من حيث
« مضادتها للالهية حتى يقال لكلا الارادتين واحدة بالاتفاق والمفعول
« فمثل هذا التعليم يمكنه أن يكون في الحقيقة كاثوليكياً: فالباباهنوريس
« الاول قد فهم هذه القضية على هذا الوجه من شرح سرجيس بطريرك
« قسطنطينية عند ما كتب له عن الجدال العنيف الذي حصل بين
« قورس بطريرك الاسكندرية والقديس صفرون في هل للسيدالمسيح
« ارادة واحدة وفعل واحد أم ارادتان وفعلان . . . . . ولهذا قال في
« جوابه الى سرجيس المذكور : انه ليس في طبع المسيح الانساني
« ارادتان متضادتان - كما شهد بذلك يوحنا الرابع خليفة هنوريس في
« رسالته الى قسطنطين الملك : والقديس مكسيمس في مجادلاته مع
« بيرس وفي رسالته الاعتقادية التي بعث بها الى مرتينوس حيث قال —
« ان هنوريس انما أراد هذا المعنى في رسالته المذكورة دون سواه ....
« ومما يثبت أيضاً ان البابا هنوريس انما أراد هذا المعنى وليس الا . . . .
« كلامه عينه وهو كما يلي — انما نعترف بارادة واحدة فيالسيد المسيح
« لان الطبيعة الالهية في الحقيقة انما أخذت طبيعتنا دون اثمنا أي تلك
« التي خلقت قبل الخطيئة وليس التي فسدت بالمخالفة : لانه قد حبل به
« بلا خطيئة ولم يذق أقل شيء من فساد الطبيعة المؤوفة التي من شأنها

« أن تحارب شريعة عقله : لانه انما ولد فوق شريعة الحالة البشرية الراهنة
« ولهذا قال : لم آت لاعمل مشيئتي بل مشيئة الاب الذي أرسلني . . . .
« وقد قال البابا يوحنا الرابع هنا ان هذا الكلام يفترض فيه وجود
« الارادة البشرية مع الارادة الالهية في كل فقرة منه وانما تنكر ارادة
« الجسد المضادة للارادة الالهية »

عدد ١٢٩ — فما أشبه كلام البابا هنوريس هنا بكلام الموارنة في شرح مذهبهم هذا الذي تولاه عنهم توما الكفرطابي في ما ذكرنا عنه حتى الآن : بحيث قد يظن انهم انما أخذوه عن رسالة هذا البابا بهذا الصدد وليس هذا من الغرابة في شيء وربما كان ذلك هو الذي سوّغ لهم أن يقولوا ان الافرنج (أي الكنيسة اللاتينية) انما كانوا على هذا الاعتقاد كما رأيت :

ولا يعارض ذلك ان هنوريس البابا قد ذكر بين المحرومين في المجمع السادس : لان المقرر الآن عند الأئمة انه لم يحرم بسبب ضلال تعليمه هذا وانما حرم لانه تساهل مع زعماء المنوثيلية الى هذا الحد متعجلاً بالجواب دون أن يبحث البحث الكافي بصفة كونه رئيس الكنيسة الاعلى المؤتمن على وديعة الايمان الحقيقي عن قصد أولئك المبتدعة الاشرار الذين تذرعوا برسالة هذا البابا لاضلال المؤمنين بمذهبهم واغرائهم على التمسك به ولكن على ما كانوا يقصدون منه من القصد الوخيم الذي لم ينتبه اليه هذا البابا كما كان الواجب :

الفصل الخامس

في الآثار التاريخية التي تتعلق بالموارنة في القرن الثاني عشر

عدد ١٣٠ — ما كاد القرن الحادي عشر يميل الى الافول حتى نودي في كل أوربة لاول مرة بالجهاد لاجل استنقاذ الاراضي المقدسة في فلسطين من يد المسلمين: فتحمس الناس وتألبوا متطوعين زرافات تحت رايات ملوكهم وأمرائهم من كل نحلة: فزحف هؤلاء بجيوش جرارة الى الشرق واذ بلغوا الى مدينة قسطنطينية في نحو سنة ١٠٩٦ ورأى السكسيس الكمناني ملك الروم كثرة عديدهم وعددهم ندم على ما فرط منه من الاستنجاد بملوك الغرب على المسلمين وأوجس خيفة على عرشه فأضمر لهم الشر: واذ شعروا بتغيره عليهم وكيده الذي كان يكيده لهم أخذوا عبثاً يبرهنون له جهدهم حسن نياتهم وغاياتهم الصالحة من تعبئة هذه الجيوش الهائلة ومجيئهم الى الشرق ولذلك جرى بينهم وبينه ما لا محلّ لذكره هنا:

أما هم فقد غادروه أخيراً على قلىً غير مكترثين له وزحفوا نحو سورية: وهذا ما زاد في النفور الذي كان قد حصل بين الروم واللاتين منذ أواسط هذا القرن على يد ميخائيل كيرولاريس بطريرك قسطنطينية وكان ينمو يوماً فيوماً حتى أدى أخيراً الى الشقاق التام بين الكنيستين الغربية والشرقية بسبب مثل هذه الظروف السياسية على ما هو مشهور ولا يزال حتى الآن:

وقد بلغت جيوش الافرنج بعد شق النفس الى مدينة انطاكية في أواخر سنة ١٠٩٧ وأقاموا عليها الحصار حتى فتحوها عنوة بعد حروب طاحنة في غرة حزيران سنة ١٠٩٨: وكان اذ ذاك فيها يوحنا الرابع بطريرك الروم الانطاكي فغادرها الى

الى قسطنطينية حيث قضى نحبه[١] وأقام الافرنج عليها بطريركاً منهم يقال له برنردس الوالنسي وكان افرنسي الاصل: وبعد أن استتب لهم الامر في انطاكية واصلوا الزحف في سنة ١٠٩٩ على أورشليم وقد مروا بعرقة ثم بطرابلس وصاحبها ابن عمار فاعترضهم في مسيرهم ولـكنه لم يثبت أمامهم بل اضطر الى مصالحتهم على غرامة ومؤن يؤديها لهم وأن يطلق الاسرى الذين كانوا عنده من النصارى :

وقد روى غليام أسقف صور اللاتيني في كتابه المشهور عن تواريخ الصليبية (ك ١٣ ف ٢١) انه لما خيم الافرنج فوق مدينة طرابلس هبط اليهم جماعة من المؤمنين السريان الذين يسكنون جبل لبنان فوق جبيل والبترون وطرابلس مما يلي الشرق لاجل تهنئتهم وعرض خدماتهم عليهم : فرحبوا بهم وتلقوهم بعواطف الحب الاخوي واتخذوا منهم هداة ليرشدوهم الى آمن الطرق وأيسرها في تلك الجبال الهائلة التي كانت تعترضهم[٢] :

---

(١) وهذا البطريرك هو الذي دار الجدال بينهُ وبين توما الكفرطابي بالمكاتبة على ما رأيت : وجاء في الفصل الاول من المجلد الخامس من تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (عدد ٨٠٣ ص ٥٠٥) ما حكايته « وذكره) أي هذا البطريرك) غوليلموس أسقف صور اللاتيين في تاريخه : ومما قاله عنهُ — انهُ بعد بلوغ جيشنا الى انطاكية وحصرهم لها اضطهده المسلمون : ولما فتحوها ولم يكن البطريرك يألف عادات اللاتين مضى الى قسطنطينية : وهذا لم يقل بهِ غليلموس وحده بل رواه كثيرون من المؤرخين : ولم ينتخب اللاتينيون خلفاً له مدة حياته لئلا يكون اسقفان لكرسي واحد خلافاً للقوانين البيعية وأقوال الاباء » اه : فيتحصل من ذلك ان الافرنج قد اعتبروا اذ ذاك هذا بطريرك الملكيين وحده البطريرك الشرعي على انطاكية كما يرى المتأمل : وبعد موته نصبوا بطريركاً من اللاتين عليها غير حافلين بغيره ممن يدعون هذا الحق : وربما كان ذلك لانهُ كان يوناني الاصل ومعضوداً من ملك قسطنطينية و بطريركها ثم لانهُ كان ساكناً في انطاكية نفسها والله أعلم :

(٢) ان علماء الموارنة يستدلون بالاجماع من قول هذا المؤرخ المعاصر تقريباً

ثم واصل الافرنج زحفهم على أورشليم وشددوا عليها الحصار حتى فتحوها عنوة في سنة ١١٠٠ بعد حراب ضروس : ولما استوثق لهم الامر فيها نادوا بالبطل الشهير غفريد ذي بوليون ملكاً عليهم وسموا لها أيضاً بطريركاً منهم : فاهتم الملك بارسال وفود المبشرين الى البابا أربان الثاني بما وفق الله اليه من الظفر الباهر وتم من فتح أورشليم والمناداة به ملكاً عليها الى غير ذلك مما تقتضيه ظروف الحال :

وفي هذه الاثناء جاء برتران بن ريموند كنت سان جيل في سبعين سفينة من جينوا وفتح أولاً مدينة جبيل التي في سفح لبنان عنوةً بعد حصار شديد . ثم فتح مدينة طرابلس في سنة ١١١٠ وغيرهما من المدن الساحلية وتولى على كل ما فتحه بعد أداء يمين الامانة لملك أورشليم . ثم بنى القلعة الحصينة التي في سمار جبيل فوق مدينة البترون للذود عن هذه الناحية من غارات المسلمين ولا تزال آثارها الى اليوم تنبئ عن عظمتها

عدد ١٣١ — فمما لخصناه هنا من تاريخ دخول الافرنج الى سورية وفلسطين عن أوثق الروايات يرى المتأمل ان الموارنة قد اتصلوا بهم من أول الامر لان السريان المؤمنين الذين وافوهم مهنئين فوق طرابلس عند زحفهم على أورشليم من الجبال التي فوق جبيل والبترون وطرابلس على ما روى غليام أسقف صور انما هم

« جماعة من السريان المؤمنين » ان هؤلاء الموارنة الذين نزلوا الى الافرنج من تلك الجبال أوطانهم انما كانوا على الايمان المستقيم نظير الافرنج : والا لما كان وصفهم هذا المؤرخ بالمؤمنين وهو وصف عنده لا يستعمل عادة لغير اصحاب الايمان الكاثوليكي واما البقية فيصفهم بالهراطقة او المشاقين حتى لا تجد قط في كلامه ما يخالف هذه القاعدة : ومن المقرر انهُ انما تلقى هذه الاخبار عن هذه الحملة الافرنجية التي اعتنى بتدوين تواريخها بكل حرص عمن سبقه من شهود العيان الذين كانوا فيها ودوَّنوا مفكراتهم عنها وهم لم يسبقوه بمدة طويلة بل ربما عرف بعضهم شخصياً وتلقى عنه هذه الروايات مشافهة :

على الارجح من الموارنة أنفسهم وهذه بلادهم كما يتحصل من مواطن أخرى ذكرهم فيها غليام نفسه في مدارج تاريخه المذكور مصرحاً باسمهم الخصوصي ومن غيره من مؤرخي الافرنج في تلك العصور وكلهم يجعلون عددهم بين الاربعين والستين الف رجل :

ثم بعد أن فتح الافرنج جبيل وملكوا كل ما بينها وبين طرابلس وهو مما يدخل فيه بلاد الموارنة لا بد من أن يكون الموارنة قد زادوا اتصالاً بهم منذ أصبحوا على نوع ما حكامهم فامتزجوا بهم امتزاج الخمر بالماء ووالوهم بكل اخلاص واستفادوا منهم مادياً ومعنوياً وكانوا واياهم يداً واحدة على مصالح البلاد

ومما يروى انه كان بطريركاً على الموارنة في تلك الايام يوسف الجرجسي وكان مقامه في يانوح من جبة المنيطرة في جبل لبنان . وانه عند ما أرسل غفريد ملك أورشليم وفود المبشرين بالنصر المبين الى رومية قد انتهز الفرصة هذا البطريرك وأرسل مع هذه الوفود رسولاً يحمل رسائل الخضوع والطاعة الى الحبر الاعظم ويطلب التثبيت . وكان البابا اربان الثاني قد رقد بالرب فاستقبل ذلك الوفد بسقال الثاني خليفته بكل ترحاب وارتياح وأرسل لهذا البطريرك رسائل الجواب وتاجاً وعكازاً حبرياً على سبيل الهدية . ولكن هذا ليس بثبت . ويقال أيضاً ان هذا البطريرك قد توفي سنة ١١٢٠ وليس من أثر راهن يدل على ذلك(١)

« ١ » ان العلامة الدويهي قد ذكر هذا البطريرك في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة وفي كتاب الاحتجاج وفي غيرهما وذكر ايضاً خبر ايفاده رسولا برسائل الخضوع والطاعة مع وفود ملك اورشليم : وجل ما استند اليه في كل ذلك انما هو ما ذكره ابن القلاعي بصدده : وأولا في رواية قصة توما الكفرطابي حيث قال انه لما جاء الى جبل لبنان في اوائل القرن الثاني عشر ليبث مذهب المشيئة الواحدة بين الموارنة ناهضه البطريرك يوسف الجرجسي وارسانيوس اسقف العاقوره : وهذا قد

عدد ١٣٢ — ومن الغريب انه لم يظهر بين الآثار التاريخية المعتبرة التي وصلت الى يدنا حتى الآن لا عند الموارنة ولا عند غيرهم من كتبة ذاك العصر مما يتعلق بهذه الطائفة وأحوالها الدينية أو المدنية الا بعض ما يلم ببعض بطاركتهم وما ذكره غليام أسقف صور في تواريخه مما سنذكره في ما يلي :(١)

ظهر بطلانه مما اوضحناه في محله من الفصل السابق : ثم في رسالة كتبها في سنة ١٤٩٤ الى البطريرك سمعان الحدثي بها يحثه على الاسراع في طلب التثبيت من بابا رومية على مثال البطاركة الذين سلفوا وفيها ذكر هذه الرواية عن بعثة هذا البطريرك رسوله مع وفود ملك اورشليم الى رومية كما رويناها آنفاً : وقد قال العلامة الدويهي في محلات عديدة من تاليفه ان رسالة هذا البابا الى الجرجسي كانت محفوظة الى عهده في دير قنوبين : مع ان ابن القلاعي نفسه يقول في الرسالة المذكورة ما مؤداه « لا يمكن لاحد ان يخاصمني قائلا ان الذي قلته هو أمر محدث ابدعته من عند نفسي لان أكثر من خمسة عشر كتاباً من كتب الباباوات بختوها ورصاصها تشهد لي وهي الان عندك في ديرك وفيها ايمان القدماء منكم منذ مئتين واثنتين وثمانين سنة فصاعدا فبهذا التاريخ لا يمكن ان يشار الا الى براءة البابا اينوشنت الثالث المشهورة الى البطريرك ارميا العمشيتي وهي محفوظة مع كل ما جاء بعدها حتى الان : فلا ندري والحالة هذه اين ذهبت البراءة المرسلة الى الجرجسي وكيف لم يذكر ابن القلاعي انها كانت محفوظة في ايامه

ومما يجب الانتباه اليه مسئلة استعمال بطاركة الموارنة للتاج والعصا في الحبريات فقد قال المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية بعد ان اثبت هذه الرواية عن الجرجسي (مج ٦ ص ١٩٦) ما حكايته «وقد اتحف البابا اينوشنسيوس البطريرك ارميا بتاج وعكاز وغيرهما من الملابس البيعية واخذ قدماؤنا منذ ذاك الحين يقتربون من عادات اللاتين في الملابس الكهنوتية وغيرها كما حقق السمعاني في مكتبة الناموس» فتأمل . . . .

(١) واغرب من ذلك نقص الاثار التاريخية مما يتعلق ببطاركة هذه الطائفة منذ

ويقال أن قد قام بعد الجرجسي على هذه السدة البطريركية بطرس الاول بدليل ما جاء معلقاً باللغة السريانية على هامش الصفحة ٢٦٢ من الكتاب السابع من الكتب السريانية المخطوطة التي نقلها العلامة السمعاني الى خزانة الكتب الواتيكانية وهو كما يلي مترجماً بالحرف الواحد

اول انفصالها واستقلالها عن سائر الطوائف في سورية : وقد رأيت في ما سلف من رواية التلمحري المؤرخ الثقة عن حادثة الاضطهاد الذي أثاره توفيليطا بن قبرة بواسطة الخليفة على رهبان دير مار مارون والوارنة حوالي سنة ٧٥٠ ان هؤلاء «قد استمروا ينتخبون لهم بطريركاً من ديرهم» مما يدل على انهم من قبل ذاك الحين شرعوا بهذا الاستقلال الكنسي وأخذوا يقيمون بطاركة لهم : فمن هم هؤلاء البطاركة وما هي اسماؤهم ؟ لقد ذكر علماء الموارنة بالاجماع وأخصهم العلامة الدويهي في سلسلة هؤلاء البطاركة التي انشأها بكل اجتهاد وعناية على ما هو مشهور ان البطريرك الاول لهم انما هو يوحنا مارون الذي أُقيم بطريركاً في نحو سنة ٦٨٦ وتوفي سنة ٧٠٧ وخلفه ابن أُخته قورش ثم جبرائيل ثم يوحنا مارون الثاني و كل هؤلاء انما كانوا من رهبان دير مار مارون : وان هذا الاخير قد جاء الى جبل لبنان وسكن في يانوح من جبة المنيطرة واذ ادركه الاجل أَوصى الاكليرس والشعب ان يخلفه يوحنا آخر من دملصا وهكذا كان : ثم أَردف كلامه بخصوص هؤلاء البطاركة قائلاً « فهؤلاء البطاركة الخمسة المتقدم ذكرهم أَمرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخلفوا بعد توفان (البطريرك الانطاكي الذي أُقيم في المجمع السادس) من الرسالة التي في سنة ١٤٩٥ شيعها جبرائيل بن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة في الفصل الحادي عشر : ووجدنا أيضاً ذكرهم في كراسة سريانية كانت عند بسالفنا المغفور له البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابراهيم سنة ١٦٢٤ (يونانية وهي سنة ١٣١٥ م) فتكون أقدم من تحرير ابن القلاعي بمئة وثمانين سنة : وفي نسخ اخرى عرضها علينا أَخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره» بيد ان العلامة الدويهي لم يذكر أقل شيء في هذه السلسلة عن تاريخ تنصيب

« أنا الحقير شمعون الراهب اسماً كتبت هذه الاسطر في هذا
« الكتاب عند أبينا الطوباوي بطربركنا مار بطرس بطريرك الموارنة
« الساكن في الدير المقدس دير السيدة مريم الذي في ميفوق في وادي
« ايليج من أرض البترون : الى أن أعطاني أمراً بأن أكون رئيساً ومديراً
« لدير القديس يوحنا الذي في كوزبند بجزيرة قبرس .... وذلك
« في سنة ١٤٣١ اليونانية (وهي سنة ١١٢١ م) »

هؤلاء البطاركة الاربعة ووفاتهم : الا انه قد جاء في كتاب آخر له يعرف بتاريخ المسلمين عند ذكره تواريخ سنة ٣٢٧ للهجرة ما نصه بالحرف الواحد « وفي سنة ٣٢٧ وهي السنة السادسة لدرغول كانت نقلة البطريرك يوحنا من انطاكية الى جبل لبنان كما وجدنا في التواريخ السريانية بل انه مضى الى يانوح وكانت يانوح من أشرف القرى والمجالس في جبة المنيطرة وأهلها كثيرو الغيرة والعبادة . . ثم ان البطريرك يوحنا لما قرب أجله جمع جميع كهنة البلاد وأقام لهم بطركاً آخر باسمه من قرية دملصا » :

ولدى التبصر وجدنا ان هذه السنة المبينة آنفاً توافق سنة ٩٣٩ تقريباً على الحساب المسيحي : ثم فتشنا عن درغول هذا الذي يذكر السنة السادسة له فلم نعثر عليه في تواريخ العرب أو غيرهم في سورية وجوارها

الا اننا قد وجدنا ذكراً كبيراً لاسم طغرل بك من الدولة السلجوقية منذ سنة ١٠٤٠ الى سنة ١٠٦٤ التي توفي فيها وكان بطلاً مغواراً استولى على خراسان ثم بغداد حتى اضطر الخليفة القائم ان يخطب في جوامعها وزوجه ابنته واستولى على الموصل وجميع العراق واشتهر امره في كل سورية .

وقد عثر سيادة العلامة المفضال المطران بطرس شبلي مطران بيروت الماروني في بعض تفتيشاته عن الآثار المارونية على أثر قديم العهد مكتوب باللغة السريانية بين أوراق الطيب الذكر والحميد الآثار البطريرك بولس مسعد في خزانة الكرسي

وهذه الشهادة انما تفيد ان هذا البطريرك ماري بطرس قد كان حياً يرزق في سنة ١١٢١ وليس الا : وذكر العلامة الدويهي أن قد خلف بطرس هذا على هذه السدة البطريركية غريغوريوس من حالات : وهذا كلامه بعينه في كتاب سلسلة البطاركة المشهور « وبعد هذا (أي بطرس) جلس غريغوريوس من حالات من عمل جبيل : وهذا على موجب قول ابن القلاعي في رسالته الى البطريرك شمعون سير اليه البابا زخيا الثاني الذي صيّر سنة ١١٣٠ الكردينال غليلموس » وقال في كتاب الاحتجاج (ف ٧ ص ٣٥٤ من طبعة بيروت) ما حكايته « ان البطريرك

البطريركي في بكركي وهو من قبل عهد العلامة الدويهي بكثير وربما كان من بقايا الكتب التي استندا اليها هذا العلامة في رواياته : وفي هذا الاثر الداثر خبر مجيء البطريرك يوحنا مارون هذا الثاني الى لبنان وسكناه في يانوح في السنة السادسة لدرغول : اما السنة العمومية فطموسة فيه قليلا وهو يعتقد ان درغول هذا انما هو طغرل بك السلجوقي المذكور آنفاً وقد تحرف اسمه على ما يرى بهذا الشكل .

فاذا صح هذا التقدير يكون انتقال هذا البطريرك الى لبنان قد حصل في أواسط القرن الحادي عشر : واذا لم يصح وأردنا ان نعتمد رواية العلّامة الدويهي على علاتها فيكون انتقاله في أواسط القرن العاشر وفي كلا الحالين يبقى الاشكال التاريخي في محله اذ يكون بين وفاة يوحنا مارون الاول سنة ٧٠٧ وبين انتقال يوحنا مارون الثاني الى لبنان اكثر من مئتي سنة : ولا يعقل ان يكون قد توالى في هذه المدة بطريركان فقط على الموارنة وهما قورس وجبرائيل : فأين هذا من قوله ان هؤلاء البطاركة الخمسة الخ

وعندنا انه اذا أردنا الاعتماد على هذه الرواية يلزم ان نجعل خبر هذا الانتقال عند خراب دير مار مارون مقام بطاركة الموارنة من أول امرهم وهذا قد حصل على ما يظهر في القرن التاسع وقد ذكر المسعودي في القرن العاشر عنه ما يشعر انه على عهده كان قد خرب من مدة غير يسيرة كما رأيت في الفصل الثاني من هذا المبحث عدد ١٠٦ والله أعلم

شمعون الحدثي لما قام بطريركاً كتب اليه الاسقف جبرائيل بن القلاعي في سنة ١٤٤٩ رسالة يحثه بها أن يتعجل طلب التثبيت من بابا رومية على شبه البطاركة الذين سلفوا قبله قائلاً (في جملة ما قال) ومن قبله على يد الكردينال غليلمو رسول بابا رومية الى شعبكم: واليه اجتمع رؤساء كهنتكم وعلماء أمتكم وكان بطريرككم يدعى غريغوريوس من حالات وهناك وضعوا خطوط أيديهم كبيرهم وصغيرهم وحلفوا أن يكونوا تحت طاعة بابا رومية وثابتين في ايمانه»: ثم قال بعد ذلك (في الفصل المذكور ص ٣٥٦) ما حكايته أيضاً «ولما كانت سنة ١١٣١ قدم الكردينال غليلمو من قِبَل البابا زخيا الثاني (وهو اينوشنت) الى الامصار الشامية برسائل الى البطريرك غريغوريوس من حالات لاجل طلب الطاعة والاتحاد مع كنيسة رومية. فاجتمع عند الكردينال في مدينة طرابلس رؤساء كهنة الطائفة وعلماؤها فحلفوا انهم طائعون لبابا رومية ثابتون على ايمانه واثبتوا حلفهم بخط أيديهم»: وعلاوة على ذلك قد روى مرهج بن نمرون الباني في كتابه المعروف بسلاح الايمان ان هذا البطريرك قد أرسل وفداً الى البابا اينوشنت الثاني سنة ١١٣٠ يهنئه بارتقائه الى كرسي بطرس الرسول:

فيظهر ان كل هذه الروايات عن هذا البطريرك غريغوريوس الحالاتي انما هي مستندة الى ما رواه ابن القلاعي من هذا القبيل دون أن يذكر مستنده فيه: ولا غرو مع هذا أن تكون روايته من الصحة بمكان لانه من المعقول بعد أن اتصل الموارنة بالافرنج وعرفوا منهم ما هو ايمان رومية قد استسلموا لهم في كل أمر من هذا القبيل بكل طيبة خاطر ولم يكونوا يستنكفون من الاشتراك في كل ما كان يتعلق برومية والخضوع للأحبار الأعظمين :(١)

(١) أخبرنا سيادة العلامة بطرس شبلي مطران بيروت الماروني والكتاب ماثل للطبع ان أحد أصحابه المتشرقين قد عثر في بعض تنقيباته على أثر تاريخي جديد يتعلق بالموارنة في كتاب سرياني قديم في خزانة الكتب الشهيرة التي في أكسفرد

ثم قال العلامة الدويهي في كتاب سلسلة البطاركة بعد كلامه المذكور عن غريغوريس هذا دون أن يذكر تاريخ جلوسه ولا تاريخ وفاته لانه لم يهتد الى ذلك ما حكايته: «ثم عقبه يعقوب من رامات في بلاد البترون على ما كتب بخط يده في كتاب مار يعقوب السروجي المصان عندنا في قنوبين في نصف الميمر الخامس والستين لتقديس الميرون هكذا:

« لما كان تاريخ سنة ١٤٥٢ لليونان (وهي سنة ١١٤١ م) في شهر
« تموز المبارك في عشرة أيام مضت منه حضر اليَّ انا بطرس بطريرك
« الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات
« من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير مار كفتون وقد
« أعطيته سلطاناً من الله ومن حقارتي بأن يكون رئيساً ومديراً على
« دير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرس المحروسة »

وذكر العلامة المطران اسطفان عواد الشهير في كتابه المعروف بفهارس المكتبة المادشية التي في مدينة فلورانسية بايطالية انه وجد مكتوباً في كتاب الاناجيل القديمة

عن تاريخ كنيسة الملابار السريانية : وانه قد أرسل اليه نسخة عن الفقرة التي تتعلق بالموارنة في اصلها السرياني ومعناها — انه في نحو سنة ١١٢٧ م قد انفصل مارون وامته عن البطريركية الانطاكية وتبع الافرنج وكنيسة رومية — وهذه الرواية توافق كما يرى المتأمل هذه رواية ابن القلاعي وتثبت صحتها :

ولم نستطع لضيق الوقت ان نتوغل في التنقيب عن أمر هذا الكتاب وكاتبه وقيمة هذه الشهادة التاريخية المفيدة جدا اذا صحت في هذا الباب · بيد اننا عملا بالقول المأثور « ما لا يدرك كله لا يترك كله » رأينا ان ننبه الخواطر الى ذلك هنا تاركين لغيرنا من المحققين ما فاتنا من ذلك وكم ترك الاول للاخر :

الذي كان في كرسي بطريركية الموارنة ونقل الى هذه المكتبة على هامش الصفحة ١٨ منه باللغة العربية ما يأتي بحروفه :

« لما كان تاريخ سنة ١٤٦٥ يونانية (وهي سنة ١١٥٤ م) ثامن يوم
« مضت من شهر ايلول حضر الى عندي انا بطرس بطريرك الموارنة
« الجالس على الكرسي الانطاكي القاطن بدير سيدة ميفوق في وادي
« ايليج الولد الراهب اشعيا من دير قزحيا وعملته ريس على الرهبان
« القاطنين في دير مار يوحنا دير الكوزبند في جزيرة قبرس حسبما
« ورد من الرهبان بخط أيديهم وهم الولد الراهب جبرائيل ورفيقه الراهب
« شمعون والراهب حبقوق والراهب ميخائل وللرب المجد امين »

فيظهر لنا ان بطرس هذا هو غير الراماتي الذي سبق ذكره لاختلاف التعبير بين الكتابة السابقة و بين هذه كما يرى المتأمل : ولم يذكر العلامة الدويهي هذا البطريرك لانه لم يقف على هذا الأثر الراهن بل انتقل من الراماتي المذكور الى ذكر البطريرك يوحنا اللحفدي وهاك ما قال فيه حرفياً :

« وبعد البطريرك المذكور (أي يعقوب من رامات) ملك الكرسي يوحنا اللحفدي من بلاد جبيل : وهو رجل ذو مكارم وفصاحة كما هو واضح من النافور الذي باسمه : وتخبر التواريخ القديمة انه اتخذ سكناه في دير مار الياس بقرية لحفد وسام أربعة مطارنة لانجاده في سياسة الشعب فسكن أحدهم في دير مار حوشب والثاني في دير مار سمعان والثالث في دير مار اليشع والرابع في دير السيدة في القرية المذكورة : وانه لما كان عيد العنصرة حضر اليه شعب كثير مع شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره الى دير السيدة التي فوق هابيل ؟ وهو موضع معطاش فما زال يشرب من مياه البواليع حتى بنى فيه بئراً وانشأ ديراً جليلاً : وتذكر التواريخ القديمة والرسالة التي كتبها ابن القلاعي جبرائيل الى القس جرجس بن

بشاره في الفصل الحادي عشر ان دير هابيل استمر كرسياً لبطاركة بني مارون الى حياة البطريرك إرميا : الا اننا نحن ما اهتدينا الى معرفة البطاركة الذين أقاموا فيه حتى نثبت هنا أسماءهم »

عدد ١٣٤ — وعندنا انه لم يتخلل بين اللحفدي وأرميا العمشيتي سوى بطريرك واحد اسمه بطرس كان ساكناً في ميفوق : والدليل على ذلك أثر راهن وجده العلامة المطران اسطفان عواد كتب بخط أرميا نفسه على هامش كتاب الاناجيل المذكور آنفاً وأثبته بالتصوير طبق الاصل في كتاب فهارس المكتبة المادشية نفسه وهذه ترجمته عن الاصل السرياني :

« في سنة ١٤٩٠ لليونان في اليوم التاسع من شباط انا الحقير ارميا
« من قرية دملصا المباركة انيت الى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق
« في وادي ايليج من عمل البترون الى سيدنا بطرس بطريرك الموارنة
« ورسمني بيديه المقدستين مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على
« ضفة النهر : وبقيت هناك أربع سنوات وكان سكان الدير المذكور
« حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع
« ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين : وبعد انقضاء
« السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس
« والكهنة وألقوا قرعة فأصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات
« المقدس : ثم أرسلوني الى رومية المدينة العظمى وتركت اخانا المطران
« تودروس يدبر الرعية ويهتم بشؤونها »

فتاريخ السنة اليونانية المذكورة يوافق تاريخ سنة ١١٧٩ المسيحية وفيها كان بطرس بطريرك الموارنة ساكناً في ميفوق على ما رأيت وليس بين هذا التاريخ

وتاريخ البطريرك بطرس الذي قبل اللحفدي وهو سنة ١١٥٤ سوى خمس وعشرين سنة فلا غرو أن يكون قد تخلل بينهما في هذه المدة بطريرك واحد وهو يوحنا اللحفدي المذكور الذي على ما يظهر من كلام الدويهي فيه قد عاش مدة طويلة في المقام البطريركي :

والذي جعل العلامة الدويهي يقول بكثرة البطاركة الذين كانوا بين اللحفدي وإرميا العمشيتي ما اعتقده من صحة رواية ابن القلاعي التي استند اليها في اقامة عدة بطاركة بعد اللحفدي في دير سيدة هابيل : والظاهر ان ذلك من جملة مبتكراته ويعارضه الأثر المذكور آنفاً الذي جاء فيه كما رأيت ان بطرس بطريرك الموارنة في سنة ١١٧٩ كان مقيماً في دير ميفوق :

عدد ١٣٥ — ومما هو حري بالانتباه الخاص ان العلامة الدويهي قد جعل تنصيب إرميا العمشيتي بطريركاً على الموارنة في نحو سنة ١٢٠٩ : وهذا مما جعله يصدق كلام ابن القلاعي المذكور آنفاً : ولم يورد دليلاً على ذلك غير الاستقراء التاريخي لانه لم يقف على الأثر السابق ذكره وهو بخط إرميا نفسه : ومن جهة ثانية قد رأي تاريخ وجود إرميا في رومية وحضوره المجمع اللاتراني وتوجيه البابا زخيا (اينوشنت) براءته المشهورة اليه بتاريخ سنة ١٢١٥ : فلم ير والحالة هذه الا أن يقرر تاريخ تنصيبه بطريركاً في السنة المذكورة :

أما الآن وقد ظهر هذا الأثر المعتبر فقد زال الاشكال بحيث صار يمكننا أن نقرر إقامة ارميا هذا بطريركاً على الطائفة المارونية في سنة ١١٨٣ كما روى هو عن نفسه بخط يده على ما رأيت :

ولا يعارض ذلك الخطأ الذي حصل في تدوين تاريخ السنة اليونانية حيث وضع « خمسماية » بدلاً من « أربعماية » لان ذلك قد يتأتى للكاتب من قبيل السهو: وقد قرأ العلامة المطران اسطفان عواد مكتشف هذا الأثر ومترجمه الى اللاتينية في الكتاب المذكور آنفاً كما أثبتنا نحن هنا أي سنة ١٤٩٠ وهو أقرب الى الصواب

لانه يوافق سنة ١١٧٦ المسيحية في ما ان ذاك يناسب سنة ١٢٧٩ وليس عندنا في هذا التاريخ بطريرك بهذا الاسم تصح عليه هذه الرواية لا سيما ومدينة جبيل في هذا التاريخ كان حكامها من المسلمين فلا دخل لهم مع الموارنة وعلى الخصوص في أمر انتخاب بطريركهم كما يرى المتأمل :

ويؤيد هذا الرأي ما جاء أيضاً مدوناً بخط إرميا هذا نفسه على هامش كتاب الانجيل المذكور مما نقله المطران اسطفان عواد في كتاب فهارس المكتبة المادشية الذي تقدم بيانه : وها كه مترجماً عن السريانية حرفياً كما جاء في الصفحة الاولى منه وهو « أنا عبد المسيح إرميا البطريرك وقفت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري : وقفاً مؤبداً وكل من يأخذه منه يكون ملعوناً من الله ومن كهنته » ثم في الصفحة نفسها بعيد هذا قد جاء بخط البطريرك نفسه ما ترجمته أيضاً « قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور الى العالم الآخر المفعم بالسرور الراهبة المحصنة ابنة داود يوم الجمعة في السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ (وهي سنة ١٢٠٠) » فمن هنا يتحصل بكل سهولة أن ارميا كاتب هذه الاسطر انما كان بطريركاً قبل هذه السنة بمدة : فلو اعتبرنا التاريخ السابق الذي نحن بصدده حقيقياً لحصل خلل كبير كما يرى المتأمل

ولا يعارض ذلك أيضاً كون هذا البطريرك يقول عن نفسه انه من دملصا والعلامة الدويهي انما يتكلم عن إرميا العمشيتي : لانه أولاً لا يوجد في ذاك العصر بطريرك ذهب الى رومية وكان اسمه ارميا سوى هذا وهو كما رأيت يصرح عن نفسه انه توجه اليها بعد تنصيبه بطريركاً : فتسمية الدويهي له بالعمشيتي انما هي من الاوهام التي ولَّدها فيه ابن القلاعي : ومع هذا فقرية دملصا هي على مقربة من قرية عمشيت فلا غرو اذا كان ابن القلاعي أو من أخذ عنه قد خلط بينهما :

وقد يعترض أيضاً على طول المدة التي يجب بحسب هذا التاريخ أن يكون صرفها هذا البطريرك على هذا المقام : فان من المشهور الذي لا ريب فيه ان براءة

البابا زخيا الثالث الموجهة اليه باسمه انما هي مؤرخة في سنة ١٢١٥ فاذا صح ذلك تأتى أن يكون استمر بطريركاً زهاء اثنتين وثلاثين سنة : ولكن هب انه اقيم بطريركاً وهو ابن خمس وأربعين سنة فيكون عمره اذ ذاك سبعاً وسبعين سنةوهو ليس من الغرابة في شيء :

اما سفره الى رومية فليس من الضروري أن يكون قد تم على أثر انتخابه بطريركاً ولو صرح هو بقوله في أواخر الفقرة المذكورة « ثم أرسلوني الى رومية » مما يحتمل التأخير الى مدة غير محدودة حتى يمكن توفيقها مع الوقت الذي يتقرر فيه وجوده في تلك العاصمة: ومن المعقول أن يكون قد تم ذهابه اليها بعد مجيء بطرس كردينال كنيسة القديس مرقلّس الى سورية بصفة معتمد من قبل البابا اينوشنت الثالث: وهذا الحبر الاعظم قد جلس على كرسي بطرس كما هو مقرر تاريخياً في نحو سنة ١١٩٧ : فلا غرو أن يكون البطريرك ارميا قد ركب البحر بعد هذا التاريخ بمدة غير يسيرة :

عدد ١٣٦ — بقي أن ننظر من هو هذا أمير جبيل الذي طلبه على قوله الى المجمع الذي تم فيه انتخابه بطريركاً

قد رأيت في مقدمة هذا الفصل ان مدينة جبيل قد فتحها الافرنج في نحوسنة ١١٠٦ واستولوا عليها عنوة بعد أن طردوا منها حكامها المسلمين : فكان عليها بعد ذلك أمير منهم مرجعه الى أمير ايالة طرابلس الافرنجي : وقد جاء في تواريخ الحروب الصليبية التي أثبتها المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية (مج ٦ ص ٩٢) في ذكر موقعة حصلت بين الافرنج والمسلمين عند مرجعيون سنة ١١٨٣ ما حكايته « ولكن تغلب المسلمون في آخر الامر وقتلوا من الافرنج مقتلة كثيرة وأسروا كثيرين منهم ابن برزان صاحب الرملة ونابلس وهو أعظم الافرنج محلاً بعد الملك : ثم صاحب جبيل وصاحب طبرية وغيرهم من كبار فرسانهم »

ثم (ص ٩٩) في وصفه موقعة حطين بين الفرنج والمسلمين سنة ١١٨٧ قال ما حكايته « وأحدق المسلمون بالفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلاً وأسراً وكان في جملة من أسر ملك الفرنج الكبير والبرنس ارنواط (أرنولد) صاحب الكرك وصاحب جبيل وجماعة السبتارية (الاسبيتاليين) »

ثم (ص ١٠٤) في عدد ٨٣٧ تحت عنوان — في ما فتحه صلاح الدين من بلاد الفرنج بعد وقعة حطين — قال ما مؤداه « وأما جبيل فكان صاحبها في جملة الاسرى الذين سيروا الى دمشق : فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط اطلاقه : وعرف بذلك صلاح الدين فأحضره مقيداً عنده ولما حضر سلم صلاح الدين حصنه وأطلق الاسرى المسلمين الذين كانوا به فأطلقه صلاح الدين كما شرط له : وكان هذا صاحب جبيل من أعيان الفرنج وأصحاب الرأي والمكر وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين »

فمن هذه الشهادات يتحصل أولاً بكل سهولة أن أمير جبيل في هاتيك الايام على الاقل انما كان من الافرنج : ثانياً انه في سنة ١١٨٣ قد حضر الحرب في جهات مرجعيون وأسر ويظهر انه نجا من الاسر ثم في سنة ١١٨٧ حضر موقعة حطين وأسر فيها أيضاً وافتدى نفسه بأن سلَّم جبيل الى المسلمين : وفي ذلك برهان قوي أيضاً يؤيد كلامنا بأن إرميا المعروف بالعمشيتي قد انتخب بطريركاً على الطائفة المارونية في سنة ١١٨٣ كما يتحصل من الأثر الذي وجد بخط يده على ما ذكرنا آنفاً : لانه يقدر بكل صواب أن هذا أمير جبيل انما دعاه الى مجمع الانتخاب المذكور قبل أن توجه الى الحرب في هذه السنة نفسها : وهذا ما لا يمكن أن يكون قد حصل بعد ذلك لانه كما يرى المتأمل قد ترك جبيل منذ تلك السنة ولم يعد يرجع اليها بصفة حاكم يمكنه أن يجري ذلك كما لا يغرب عن ذي بصيرة :

الفصل السادس

في مسئلة لياذ الموارنة بالافرنج منذ دخلوا سورية واتصالهم بكنيسة رومية

عدد ١٣٧ — قد رأيت مما ذكرناه في أوائل الفصل السابق كيف أن الموارنة عند ما بلغت جيوش الافرنج الزاحفة على أورشليم سنة ١٠٩٩ الى ما فوق طرابلس قد هرعوا من جبالهم الى استقبال هاتيك الجيوش الجرارة بالحب الاخوي: وكيف قد فرح بهم الافرنج واتخذوا منهم هداة يرشدونهم الى أقرب الطرق وأسهلها في مسيرهم الى أورشليم: على ما روى غليام أسقف صور الذي دعاهم «بالسريان المؤمنين» كما وصفهم لهُ من شاهدوهم اذ ذاك من الافرنج بأم العين وتعاطوا معهم أجل انه لم يكن في ذاك الحين من سبيل للسؤال عن أمر ديانتهم والتدقيق في هذا الموضوع حتى يستطاع الجزم بانهم انما سموهم «مؤمنين» لاتفاقهم معهم من كل وجه في حقائق الايمان الكاثوليكي كما أراد بعضهم. بل جل ما يمكن أن يقال ان الافرنج الذين قاسوا الامرين من كيد الروم واشياعهم في هذه الحملة منذ بلغوا قسطنطينية ورأوا من القلى والتجنب والمخادعة ممن كانوا صادفوهم حتى ذاك الحين من نصارى سورية لاسباب لا محل لذكرها هنا عند ما شاهدوا هؤلاء السريان الذين نزلوا اليهم من جبال لبنان وخبروا مودتهم واخلاصهم وحسن استعدادهم لخدمتهم بكل سرور وامانة لم يستنكفوا من أن يتخذوهم في الملمات ويأنسوا اليهم ويدعوهم بالتالي «مؤمنين» لا سيما وقد رأوا منهم كل نصح وصدق في المهمات التي انتدبوهم اليها

أما من جهة الموارنة فقد رأيت مما رويناه في الفصل الاسبق من كلام توما أسقف كفرطاب وكورة حلب المعاصر لهذه الحادثة كيف انهم كانوا يعتقدون تمام الاعتقاد بان الافرنج انما كانوا على مذهبهم المضاد بوجه العرض لمذهب الروم والملكيين

اشياعهم من حيث القول بالمشيئة الواحدة والمشيئتين على ما بسطناه حتى الآ ن باسهاب . ومن ثم فمن البديهي أن يكونوا عند سماعهم بمجيء الافرنج الى نواحيهم قد استأنسوا بهم وعدُّوهم نصراء لهم على الملكيين خصومهم في تلك الحرب الدينية العوان التي كانت بين الفريقين على ما رأيت . فأتوهم بهذا الاعتقاد فرحين مستسلمين لهم في كل أمر وامتزجوا بهم بكل سهولة لا سيما وهم يعتقدون كما هو الواقع انهم أبناء كنيسة رومية أم جميع الكنائس ومعلمتهن التي يجب لها الخضوع والطاعة والانقياد في أمر الاعتقادات الدينية خاصة بلا بحث ولا جدال كما جاء في كتاب الهدى الذي هو دستورهم (راجع عدد ١١٤)

عدد ١٣٧ — وقد رأيت أيضاً ان الافرنج بعد مدة قليلة من فتوح أورشليم الذي تم سنة ١١٠٠ قد فتحوا مدينة جبيل اللبنانية ثم مدينة طرابلس واستولوا على كل ما كان بينهما من السواحل و بنوا القلعة المشهورة الى الآ ن في سمار جبيل فوق البترون لصد غارات المسلمين . وهذه البلاد انما هي بلاد الموارنة خاصة في هاتيك الايام . وقد استولى على كل هذه الناحية أمير من الافرنج من قبل أمير طرابلس الافرنجي بحيث دخلت كلها منذ سنة ١١٠٦ التي تم فيها فتوح مدينة جبيل في حكم الافرنج . فكل ذي لب يرى ما كان اذ ذاك من الفرح العظيم عند الموارنة لدخولهم تحت حكم أصحابهم الافرنج . فلا غرو والحالة هذه اذا قيل ان الفريقين قد اهتموا منذ ذاك الحين في أمر الدين لان له المقام الاول عند هؤلاء المجاهدين في سبيله . وان الموارنة قد سلكوا معهم منذ تسلطوا على بلادهم على ما يوافق مشربهم دون أقل صعوبة . لا سيما ولم يذكر أحد مؤرخي هاتيك الايام لا من الافرنج ولا من سواهم أقل شيء مما يعارض ذلك ومن المعقول جداً أن يكون الافرنج أنفسهم قد أخذوا يهتمون منذئذ في أمر الموارنة من هذا القبيل اهتماماً خاصاً وان يكون هؤلاء انصاعوا اليهم في كل أمر حتى يمكن أن يقال بكل صواب ان الموارنة الذين كان البعد الشاسع وظروف الاحوال في تلك العصور الخالية وعدم

المواصلات بسبب طوارق الحدثان وما شاكل ذلك مما يحول بينهم وبين كنيسة رومية حتى لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوا حقيقة مذهبها في أمر المشيئة الواحدة والمشيئتين وقد تشبثوا بمذهبهم على الشكل المعروف ضد الروم والملكيين للاسباب التي ذكرناها غير مرة دون أن يخرجوا صورياً كما يقال عن روح المذهب الكاثوليكي الروماني القويم. هؤلاء الموارنة عند ما اتصلوا بالافرنج على هذا الوجه وعرفوا منهم حقيقة مذهب الكنيسة الرومانية من هذا القبيل لم يستنكفوا من الانضمام اليهم تماماً بكل سهولة والامتزاج بهم والانصياع لهم بكل تعقل ورصانة. وهذا كان من أخص الاسباب التي جعلت الافرنج يراعونهم في كل أمر ويستخدمونهم في الملمات بكل طيبة خاطر:

عدد ١٣٩ — فاذا صح ذلك لا نرى مانعاً من تصديق رواية ابن القلاعي (وان كانت على ما وردت غير مسندة الى أثر تاريخي معروف) بأن يوسف الجرجسي بطريرك الموارنة في أول القرن الثاني عشر قد أرسل مع وفد ملك أورشليم الى رومية رسوله ورسائله بالخضوع للحبر الروماني: وروايته الثانية عن نزول بطريرك الموارنة ورؤسائهم الى مدينة طرابلس في سنة ١١٣١ للاشتراك مع الافرنج في تأدية الطاعة الى البابا زخيا الثاني على يد معتمده الكردينال غليلمو[1]:

وقد اثبت كل ذلك العلامة الدويهي في الفصل السابع من كتاب الاحتجاج (صفحة

---

(١) ان ابن القلاعي قد كتب هاتين الروايتين في سنة ١٤٩٤ في رسالته الى البطريرك شمعون الحدثي كما بيناه في الفصل السابق: ونحن نرى انه ولو لم يسند ابن القلاعي قوله هذا الى رواية مؤرخين اسبق منه فيجب ان لا يزدري بها لانه ولابد قد استند على الاقل الى تقليد الطائفة وشهادة التواتر وهي لا تبعد كثيرا عن عصره وعصر البطريرك الذي يكتب اليه. فلو لم يكن ذلك مستندا استناداً صحيحاً ومعروفاً عند الجميع لما تجرأ ان يأتي به كحجة لا مرد لها لاجل افحام هذا البطريرك بالمعنى الذي يكتب به اليه لاجل الاقناع.

١٣٥ من طبعة بيروت) فقال بهذا الصدد ما حكايته « لما كانت سنة ١١٣١ قدم الكردينال غليلمو من قبل البابا زخيا الثاني الى الامصار الشامية برسائل الى البطريرك غريغوريوس من حالات لاجل طلب الطاعة والاتحاد مع كنيسة رومية فاجتمع عند الكردينال في مدينة طرابلس رؤساء كهنة الطائفة المارونية وعلماؤها فحلفوا انهم طائعون لبابا رومية ثابتون على امانته واثبتوا حلفهم بخط ايديهم . فلا تتوهمنَّ ان البابا سألهم الطاعة له بسبب انهم كانوا مخالفين ولكن بعد وفاة البابا انوريوس اختار قومٌ انقليطس وكان المذكور رديء السيرة فسلب اواني مار بطرس وسائر ذخائر الكنائس برومية . وبالرشوة استعطف خواطر اكابر رومية وعقد مجمعاً حرم فيه زخيا الثاني وكل من ينادي باسمه او يعضده . ولأجل ان يقرب روجيار امير صقلية وبلادها وعده بان يجعل صقلية ملكاً مؤبداً له ولذريته وانفذ رسائله ورسله الى ملوك النصارى ورؤسائهم وشعبهم في بلاد المغرب والى يوحنا ملك الروم والى بطاركة المشرق يخبرهم جميعاً بقيامِ لينادوا باسمه ويرذلوا زخيا خصمه . واما زخيا فلما راى خيانة الرومانيين وميلهم الى انقليطوس شخص من رومية الى فرنسة وانحاز الى كبرائها فعقدوا هناك مجمعاً للبحث عمن يليق بان يتولى كرسي رومية فوقع اختيارهم على زخيا ورذلوا انقليطوس واطاعوه وقبل قدميه لويس ملك فرنسة وزوجته واولادهما وكذلك هنريكوس ملك الانكليز وحلف رؤساء الكهنة بالطاعة له في امصار فرنسة واسبانية وانكلترة والمانية وغيرهما . وكذلك فعل رؤساء الافرنج في بلاد الشام . وهكذا فعل أيضاً رؤساء الامة المارونية على يد الكردينال غليلمو لصحة امانتهم وصدق طاعتهم للبابا زخيا دون غيره » اه

فهذه الرواية تاريخية راهنة من حيث ما جرى للبابا زخيا الثاني وانقليطوس الدخيل . فمن المعترل جداً ان يكون الموارنة وهم على ما رأيت من الاتصال بالافرنج والامتزاج بهم في هاتيك الظروف قد نزلوا الى طرابلس وهي قاعدة تلك الاقطاعة الافرنجية لاستقبال الكردينال المعتمد ولبّوا طلبه كما لبّاه الافرنج انفسهم من حيث

تادية القسم بالطاعة للبابا الشرعي الذي هو زخيا الثاني وامضاء المواثيق التي انشئت في ذلك[١] : ويؤيده ما جاء بهذا المعنى في تاريخ كنيسة الملايار (راجع عدد ١٣٢ حاشية)

عدد ١٤٠ — وقد حان أن نأتي الآن على كلام بمثل هذا الصدد لغليام أسقف صور اللاتيني الذي كتب تاريخ هذه الحملة الافرنجية الاولى من أول أمرها الى سنة ١١٨٤[٢] :

قال هذا المؤرخ المعاصر الجليل القدر في تاريخ سنة ١١٨٢ (كتاب ٢٢ فصل ٨) بعد أن تكلم عن موت نور الدين ثابت وتركه الموصل ميراثاً لاحد أقاربه (كما هو عنوان هذا الفصل) وانتقل فوراً دون توطئة الى الكلام عن الهدنة التي

---

(١) وعندنا انه لا يمكن ان يقدّر بصواب ان الملكيين قد فعلوا مثل ذلك لان الافرنج كانوا قد نزعوا منهم البطريركية واستولوا عليها وأقاموا بطريركاً لهم على انطاكية وآخر على أورشليم مما زاد في نفور الملكيين الذين اعتبروا ولا بد ان عمل الافرنج هذا من باب التعدي على حقوقهم الشرعية والاضطهاد لهم . لا سيما وقد كان الشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية قد تحكم تماماً حتى بلغ حده وثبت على هذه الحال منذ هاتيك الايام كما لا يغرب عن كل ذي المام بالتاريخ

(٢) ان غليام هذا قد ولد في أورشليم في نحو سنة ١١٢٧ : ويظن انه من الافرنج الذين استوطنوها بعد الفتح : وقد تلقى العلوم في المغرب وعاد منه في سنة ١١٦٢ فعهد اليه أموري ملك أورشليم بولده بودوين الرابع ليهذبه : ثم صير أسقفاً على صور في سنة ١١٧٤ وحضر المجمع اللاتراني في سنة ١١٧٩ وكان كاتباً لوقائعه وكتب تاريخهُ هذا المشهور عن حملة الافرنج وجهادهم وفتوحاتهم و كل أحوالهم في سوريه وفلسطين منذ ١٠٩٧ حتى سنة ١١٨٤ ويظن انهُ توفي في هذه السنة أو بعدها بقليل لانهُ كان قد شرع بكتابة الكتاب الثالث والعشرين من تاريخه هذا ولم يكتب منه سوى التوطئة والفصل الاول . ويقال بل توفي في نحو سنة ١١٩٢ كما ذهب اليهِ بعض المحققين والله أعلم .

عقدها صلاح الدين الايوبي مع الافرنج الى سنتين وعن ذهابه الى مصر لينصرف الى أشغاله الخاصة وعن أساطيل ملك صقلية التي كان أعدها وزحف بها على مصر وقد ضعضعتها الانواء الشديدة حتى غرقت عند حدود اسبانية الخ مستطرداً كما يلي: (١)

شهادة غليام أسقف صور مترجمة عن الاصل حرفياً

« وفي هذه الاثناء بينما كانت المملكة تتمتع بالسلام الموقت (أي « الهدنة) كما قلنا آنفاً فان طائفة من السريان القاطنين في عمل فينيقية « حول قمم لبنان مما يلي مدينة جبيل قد حصل لها تغيير كبير في الحالة « التي كانت عليها : لانهم كانوا قد تبعوا مدة نحو خمسمائة سنة ضلالة « رجل مبتدع اسمه مارون حتى اتخذوا منه اسم موارنة : وقد تغربوا

(١) ان سياق كلامه في هذا الفصل لمَا أوجب الريب في صحة نسبته كله اليه ولا سيما الفقرة التي تتعلق بالموارنة . لانه وضع عنوان الفصل كما يلي « في موت نور الدين وتركه الموصل ميراثاً لاحد أقاربه الدمويين » وقد تكلم في أوله عن ذلك . وبعد ان فرغ منهُ أتى الى الكلام عن خبر الهدنة دون أقل علاقة لها بالخبر الاول وبعنوان الفصل مع ان ذلك انما هو مما يهمهُ في أول درجة وهو عمدة في الكلام على مايرى المتأمل . ثم أتى الى الكلام عن ارتجاع الموارنة وختم الفصل بهِ . وعندنا انهُ كان قد كتب هذا الفصل بحسب عنوانه ثم بلغه بعد حين خبر انضمام الموارنة الى الافرنج في أمر إداء القسم بالطاعة للبابا الشرعي كما جرى في سنة ١١٣١ فلقه على الهامش كما تراءى له وكتب كل مايعرفه عنهم بدون تدقيق ثم اضيف الى متن الفصل دون تغيير شيء من عنوانه — ومما يستلفت النظر في هذا الموضوع ان غليام هذا كان قد تكلم في الفصل الاول من هذا الكتاب ٢٢ عينه عن أمر هذه الهدنة التي عقدت بين صلاح الدين وملك أورشليم ثم في الفصل الثاني منه عن العهد الذي عقده مع كنت طرابلس فكيف عاد الى ذكر هذه الهدنة في الفصل الثامن منه بوجه العرض دون الماع الى ما سبق من ذكرها .

« عن كنيسة المؤمنين وأخذا يعملون أسرارهم على حدة : ولكنهم
« الآن رجعوا الى رشدهم بالهام الهي وهبوا من خمولهم فجاؤوا الى
« هيماريك البطريرك الانطاكي وهو الثالث من بطاركة اللاتين ولا
« يزال للان يدير تلك الكنيسة[١] : وبعد ان رفضوا الضلالة التي
« استمروا عليها بكل خطر مدة طويلة قد رجعوا الآن الى وحدة
« الكنيسة الكاثوليكية قابلين الايمان الارثوذكسي ومستعدين ان
« يتمسكوا بتقاليد الكنيسة الرومانية وان يحفظوها بكل احترام :
« ولم يكن جمهور هذا الشعب قليل العدد بل كان يقال انهم انما يتجاوزون
« الاربعين الفاً يقطنون مشارق لبنان ووهاد الجبل في اسقفيات جبيل
« والبترون وطرابلس كما قلنا غير مرة[٢] : وكانوا رجالا أشداء مدربين

---

(١) ان الافرنج قبل ان غادروا انطاكية زاحفين على اورشليم سنة ١٠٩٩ قد اقاموا بطريركاً منهم عليها وهو برنردي الافرنسي من مدينة فالانس توفي على حسب رواية غليام هذا سنة ١١٣٥ وروى غيره انه انما توفي سنة ١١٣٢ وخلفه رودلف الاول وتوفي سنة ١١٤٢ : وخلفه هيماريك ويقال أموري واستمر الى سنة ١١٨٨ التي توفي فيها : وخلفه رودلف الثاني الذي توفي سنة ١٢٠٠ :

(٢) ان تحديده هنا للبلاد التي كان يقطنها الموارنة في عصره يوافق تمام الموافقة لتحديد البلاد التي نزل منها « جماعة من السريان المؤمنين الى الافرنج اذ خيموا فوق طرابلس عند زحفهم على أورشليم كما رأيت في اول الفصل السابق :
ولما كان هنا قد صرح بأن هؤلاء السريان القاطنين في تلك الانحاء انما هم المعروفون بالموارنة تحتم ان يكون الاولون المعبر عنهم بالسريان المؤمنين هم ايضاً من الموارنة وزال الاشكال من هذا القبيل كما يرى المتأمل : وقد روى ايضاً غليام

« على السلاح وقد أفادوا أصحابنا جداً في المواقع المتواترة التي حصلت
« لهم مع الاعداء : ولهذا قد شمل قومنا من جراء ارتدادهم الى سلامة
« الايمان فرح عظيم : أما ضلال مارون وأتباعه فهو (وقد كان قبلا كما
« يقرأ في المجمع السادس الذي عقد على ما هو مشهور ضدهم وقد نالهم
« فيه حكم الشجب) ان في سيدنا يسوع المسيح لن يوجد ولم يكن
« من البدء سوى فعل واحد ومشيئة واحدة : وقد زادوا على هذه
« المقالة التي رفضتها الكنيسة الارثوذكسية أشياء كثيرة مضرة جداً
« من بعد ما انفصلوا عن جماعة المؤمنين : ولما كانوا قد ندموا على هذا
« كله كما قلنا رجعوا الآن الى الكنيسة الكاثوليكية هم وبطريركهم
« وبعض أساقفتهم الذين مثلما كانوا يتقدمونهم في الشر قدغدوا الآن
« بعد رجوعهم الى الحق نبراس هدى لهم الى التقوى » اه [1]

نفسه عند كلامه على حصار اورشليم انه اذ ضاقت بالافرنج الحيل واحتاجوا الى اخشاب ليشددوا الحصار ولم يكن حولها من غابات « اتفق وجود رجل سرياني مؤمن فدلهم على غاب بعيد الخ وهذا الرجل انما هو من الموارنة الذين رافقوهم من لبنان ليدلوهم على الطرق وهذا وصفه بالسرياني المؤمن كما وصفهم من قبل :

(١) ما اشبه هذا الكلام برواية المؤرخ الاخر يعقوب دي وتري الذي أقيم مطراناً على عكا سنة ١٢١٨ ثم كردنيالاً سنة ١٢٢٩ : ففي الفصل ٧٧ من الكتاب الاول من تاريخ أورشليم الذي اودعه اخبار ما جرى من الحروب في فلسطين بين الافرنج والعرب . قال بخصوص الموارنة ما يأتي مترجماً عن الاصل اللاتيني حرفياً «فان اناساً غير قليلي العدد كانوا يسكنون حوالي مشارف لبنان في مقاطعة فينيقية مما يتاوخ جبيل وهم مدربون جداً على الرماية بالقوس والسهام ويقال لهم موارنة

عدد ١٤١ — ففي هذه الشهادة أمران مهمان يجب الانتباه اليهما بنوع خاص : أحدهما قوله ان الموارنة كانوا منذ نحو خمسمايةسنة قد تبعوا ضلالة رجل مبتدع اسمه مارون ومنه اطاق عليهم اسم موارنة : مستشهداً على معنى ضلالة مارون هذا بماجاء في أعمال المجمع السادس الذي عقد على قوله ضدهم ونالهم فيه حكم الشجب : وهو

نسبة الى زعيمهم وهو رجل يدعى مارون كان يقول بارادة واحدة وفعل واحد في المسيح : وهذا ضلال ابتدعه رجل اسمه مكاريس أسقف انطاكية وقد شجب مع اشياعه في المجمع السادس القسطنطيني الذي اجتمع اليه ١٥٠ عضواً ورُبط بسلاسل الحرم بصفة كونه مبتدعاً ونبذ من جماعة المؤمنين : أما مارون المذكور آنفاً فبعد ان عمه عن غير روية بغواية ابليس قد تبعه في ضلاله كثيرون سموا لذلك موارنة : وقد استمروا زهاء الخمسماية سنة منبوذين من الكنيسة المقدسة ومن شركة المؤمنين يتممون اسرارهم على حدة : ولكن اذ رجعوا بعد ذلك الى هداهم فقد قبلوا تقاليد الكنيسة الرومانية معترفين بحضرة هيماريك البطريرك الانطاكي بالايمان الكاثوليكي ورافضين الضلال المذكور : ولهذا فمع كون كل الاساقفة الشرقيين ما خلا اللاتين لا يستعملون لا الخاتم ولا التاج الحبري ولا يحملون عصا الرعاية بأيديهم وليس عندهم نواقيس ولكنهم قد تعودوا أن يستدعوا الشعب للاجتماع الى الكنيسة بقرع العصي والاخشاب فان الموارنة المذكورين يحفظون عوائد اللاتين وطقوسهم للدلالة على طاعتهم : ومن ثم فبطريركهم قد حضر المجمع اللاترانى العام » : فأي لبيب يطالع هذه الرواية بامعان نظر ولا يحكم لاول وهله ان صاحبها انما اخذها برمتها عن رواية غليام الصوري الثابتة في المتن غير ملتفت الى اختلاف التعبير لان هذا امر عرضي وعلى الغالب لا يتقيد به كاتب التاريخ خاصة ؟ ومن تراه يقول ان دي وترى لم يعتمد في ما كتبه عن حروب الافرنج وغيرها على تاريخ غليام المذكور ؟ وعندنا ان هذا الكاتب الجليل لم يكتب في هذه الفقرة من عندياته وعن معرفته الخاصة الا ما ذكره في ختامها وفيه شهادة باهرة على ان الموارنة كانوا يستعملون ما يستعمله اللاتين مما ذكره آنفاً قبل عهد

كلام يجب أن لا يعتدّ به لان كاتبه انما اقتبسه بلا ريب عن سعيد بن البطريق الذي اتخذه على ما صرح هو في مقدمة كتابه من المستندات التي استند اليها في رواياته التاريخية مما يسبق تاريخ الحملة الافرنجية . ولهذا لم يبقَ لكلامه من قيمة بهذا المعنى الا بقدر ما لكلام سعيد المذكور

وقد رأيت تزييفه في ما سلف فلا حاجة الى المزيد . والا فمن أين أتى بهذا الكلام الواهن وهذه الرواية التي لا أصل لها وخاصة قوله ان المجمع السادس قد عقد ضد مارون والموارنة ولا ذكر لهم فيه على الاطلاق ؟ وهذا لعمر الحق لم يأخذه عن الموارنة لأن ليس في تواريخهم وتقليداتهم ما يشير الى ذلك بل انهم انما كانوا من اتباع رهبان دير مار مارون القديس المعظم ولذلك اطلق عليهم هذا الاسم كما

البطريرك ارميا وبراءة البابا زخيا الثالث المؤرخة في سنة ١٢١٥ :

ومثل ذلك في الحكم بجامع الحجة ما رواه عن هذا الحادث بعينه الكردينال ماريس سنوتس البندقي في كتاب له اسمه « اسرار المؤمنين من الصليبيين » كتبه باللاتينية وقدمه في اوائل القرن الرابع عشر للبابا يوحنا الثاني والعشرين قال في الفصل الثاني من الجزء الثامن من الكتاب الثالث عشر (راجع المجموعة « اعمال الله بواسطة الافرنج » المطبوعة في سنة ١٦١١ مج ٢ ص ١٨٣) «ويوجد آخرون . . . يقال لهم موارنة من زعيم لهم كان اسمه مارون : وهم يقولون بفعل واحد ومشيئة واحدة فقط : وهذه الضلالة قد ابتدعها رجل اسمه مكاريس اسقف انطاكية وقد حرم في المجمع السادس القسطنطيني بصفة كونه مبتدعاً لهذه الضلالة ونبذ من جماعة المؤمنين : اما هؤلاء الموارنة . . . فلما كانوا قد خرجوا عن شركة المؤمنين والكنيسة المقدسة مدة نحو خمسماية سنة قد كانوا يتممون اسرارهم على حريتهم ولكنهم قد عادوا الى رشدهم فيما بعد على عهد الملك بلدوين الاخير واعترفوا بالايمان الكاثوليكي بحضرة هيماريك البطريرك الانطاكي واتبعوا تقاليد الكنيسة الرومانية » اه

رأيت مما ذكر حتى الآن . ولكن هذا لما يدل دلالة صريحة على ان غليام الصوري قد عرف الموارنة عن بعد وانه لم يخالطهم ولم يدقق في أحوالهم وأمر ديانتهم وتقليداتهم . واذ أراد أن يروي شيئاً عنهم بالعرض عند آخر حياته قد اكتفى بما قرأه عنهم في تاريخ ابن البطريق

والامر الثاني هو ما يرويه عما جرى الموارنة في نحو سنة ١١٨٢ من رجوعهم كلهم أجمعين الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية وقبولهم الايمان الارثوذكسي وتقاليد الكنيسة الرومانية بعد رفضهم تلك الضلالة على يد هيماريك بطريرك انطاكية اللاتيني . وهو والحق يقال مما يترك مجالاً للنظر . لا سيما وقد رأيت أن الموارنة قد اتصلوا بالافرنج اتصالاً بليغاً منذ أول الامر ودخلوا تحت حكمهم وسيطرتهم وقد اختلطوا بهم كل الاختلاط وانجدوهم في حروبهم كما ذكر غليام نفسه في هذه الفقرة عينها حيث قال « ولم يكن جمهور هذا الشعب قليل العدد بل كان يقال انهم انما يتجاوزون الاربعين ألفاً يقطنون مشارف لبنان ووهاد الجبل في أسقفيات جبيل والبترون وطرابلس كما قلنا غير مرة . وكانوا رجالاً أشداء مدربين على السلاح وقد أفادوا أصحابنا في المواقع المتواترة التي حصلت لهم مع الاعداء » . فهل يا ترى بعد كل هذا الامتزاج بالافرنج في عز صولتهم وانتصاراتهم قد استمر الموارنة مخالفين لهم في هذه العقيدة ومتجنبين المعاطاة معهم من هذا القبيل الى هذا الحد حتى اذا غُلب الافرنج على أمرهم وضايقهم خصمهم صلاح الدين الايوبي أشد المضايقة واسترجع منهم أكثر البلاد التي كانوا قد تملكوها ومدوا سيطرتهم عليها فاشتغلوا بأمر نفسهم عن كل أمر آخر كما هو مشهور في تواريخ تلك الحقبة من الدهر قد نزل الالهام الالهي اذ ذاك على الموارنة بجماتهم فذهبوا الى هيماريك بطريرك انطاكية الافرنجي وعملوا ما ذكره غليام المذكور من أمر رجوعهم الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية دفعة واحدة ؟ لعمر الحق ان ذلك لمن الغرائب التي لا يدركها العقل البشري بسهولة !

عدد ١٤٢ — ولا يعارض ذلك ما قد يقال من أن غليام الصوري انما كان شاهد عيان أو على الاقل معاصراً لهذا الحادث الغريب وقد رواه كما عرفه بذاته أو تلقاه عن شهود عيانيين . لان الاول غير ثابت و يظهر من تعليقه هذا الخبر على فصل مستقل عنه ولم يُعقَد له (كما يتحصل بكل سهولة من عنوانه على ما رأيت آنفاً) انه قد بلغه بعد أوانه بمدة غير يسيرة . أما الثاني وهو اقرب الى الصواب فيجب أن لا يعتبر على حرفيته وظاهره باعتبار كاتبه . لانه قد يطرأ عليه من المغالاة وقلة التدقيق ما يشوّه وجه الحقيقة . ولله در القائل « وما آفة الاخبار الا رواتها »

ومما يقدّر بكل صواب ان هذا المؤرخ الجليل عند ما بلغه خبر انضمام الموارنة الى هيماريك بطريرك انطاكية على علاته وأراد أن يذكره في تاريخه بين الاحداث المهمة عمد الى تاريخ سعيد بن البطريق الذي أتى بذكرهم مستفاضاً . فقرأ ما جاء فيه عن أصلهم واعتمد عليه بدون أقل تدقيق كما يرى المتأمل . ولذلك قال ما قاله عنهم مما تقتضيه أصول الانشاء وخصوصاً عند المؤرخين الذين اذا ذكروا قوماً ولو بالعرض يودون أن يذكروا أيضاً ما يعرفونه عنهم من ذي قبل ولو لم يكن من غرض تاريخهم . ومن ثم فعندنا ان هذه الرواية كما وردت يجب أن لا يعتمد كثيراً على ظاهرها بما انها شهادة معاصر . لا سيما وهاتيك الايام كانت فيها المواصلات أصعب منها في هذه الايام بحيث كانت أخبار الحوادث التي تنقل بالتواتر لا ضامن لها يضمن بقاءها على ما جرت تماماً

عدد ١٤٣ — وعندنا والحالة هذه انه لا يبعد ان يكون رجوع الموارنة في ذلك الزمان على يد هذا البطريرك اللاتيني انما كان من قبيل ماحصل في سنة ١١٣١ على ما رأيت . وقد روى العلامة الدويهي في الفصل السابع من كتاب الاحتجاج (ص ٣٥٦ من طبعة بيروت ما حكايته بهذا الشأن . قال « انه في سنة ١١٥٩ انتقل الى رحمة ربه البابا ادريان فوقع الخلف بين الكردينالية على اختيار البابا الجديد فاختار واحد وعشرون منهم اسكندر لرئاسة البيعة . وثلاثة اختاروا ويكتور يعني

منصوراً : و بسبب ان منصوراً كان شريف النسب قام بمعاضدته كثيرون من أهالي رومية ونمى الانشقاق بينهم حتى عم النصرانية : وكان أهل فرنسة واسبانية وبريطانية ينادون باسم اسكندر وأما أهالي النمسة فنادوا باسم منصور لان فريد ريكو سلطانهم حلف له الطاعة عن نفسه وعن كل مملكته : أما منصور فلبث خمس سنين بتلك الرئاسة ومات وعقبه بسقاليس فأقام فيها ست سنين وقضى أجله : ثم خلفه فالسطوس ولم تزل نيران الانشقاق تضطرم الى سنة ١١٧٧ : فألهم الله ملك النمسة ورفع واجب الطاعة الى البابا اسكندر وتبعه سائر الكردينالية والرؤساء والأمراء الذين كانوا مخالفين حتى أن فالسطوس نفسه أدى له الطاعة صاغراً وانحنى لتقبيل قدميه : ولما انقشعت غيوم الانشقاق من بين المسيحيين أمر البابا اسكندر بعقد مجمع برومية حضره ثلاثماية أسقف فقرروا أن يكون رؤساء الكهنة ورعاياهم خاضعين للبابا اسكندر فحلفوا له بالطاعة ونادوا باسمه : وكان ذلك سنة ١١٧٩ الموافقة سنة ٥٧٦ للهجرة وفيها كان ابرام الهدنة بين صلاح الدين وبلدوين ملك القدس[1] : وكان في جملة من حضر المجمع برومية مطارنة صور وقيصرية وطرابلس وبيت لحم وسبسطية : وعند عودتهم حلف امامهم هيماريك بطريرك انطاكية وسائر رؤساء الامصار الشرقية باداء الطاعة للبابا اسكندر دون

---

(١) قد حسب بعضهم ان غليام الصوري انما يتكلم عن هذا رجوع الموارنة في تاريخ سنة ١١٨٢ وتعيين هذا التاريخ ليس بثبت وغليام نفسه لم يصرح بهِ على الاطلاق : اما العلامة الدويهي فحسب ان غليام انما يتكلم عن ذلك كانه وقع في سنة ١١٨٠ كما جاء في الفصل المذكور من كتاب الاحتجاج وكما ترى هنا ايضاً وهذا اوجه على ما نرى فان ابرام الهدنة بين صلاح الدين والافرنج انما حصل في سنة ٥٧٦ ﻫ وهي توافق سنة ١١٨٠ المسيحية : ولم يقل غليام ان ذلك انما جرى بعد نهاية الهدنة بل في اثنائها : وذلك يوافق ايضاً الزمان الذي حصل الاهتمام فيه بأخذ ايمان الطاعة من الاساقفة الكاثوليك في الشرق والغرب للبابا الاسكندر حسب تقرير المجمع اللاتراني المذكور :

غيره : ومع المذكورين أقسم أيضاً أعيان الموارنة المقيمين في بيت المقدس (١) ورفعوا واجب الطاعة له على يد هيماريك الافرنجي بطريرك انطاكية » اه

عدد ١٤٤ — وقد روى مثل هذه الرواية بايجاز غليام الصوري نفسه في تاريخه المذكور (كتاب ١٨ فصل ٢٦) قال ما ترجمته حرفياً « وفي ذاك الزمان نفسه بعد موت البابا ادريان بالقرب من اناني . . . . فَلَدى مداولة الكرادلة في انتخاب الخلف قد اختلفت الاراء كما يحصل غالباً في مثل هذه الحال : فقسم منهم انتخب رولان كردينال الكنيسة الرومانية من القسوس على كنيسة القديس مرقس وكان مسجل الكرسي الرسولي فرسموه أسقفاً باسم الاسكندر: والقسم الآخر اختاروا السيّد اوكتاف وهو رجل شريف النسب وكردينال الكنيسة من صف القسوس ايضاً على كنيسة القديسة سيسيليه في قاطع التيبر ورسموه اسقفاً باسم ويكتور : وهذا الشقاق لاجل كثرة خطايانا قدعم الكنيسة اللاتينية . . . . وفي السنة الثامنة عشرة

---

(١) لا ندري لماذا العلامة الدويهي قد خص موارنة بيت المقدس دون غيرهم بذلك ولم يكن اذ ذاك البطريرك عندهم مع ان غليام المؤرخ يصرح بذكره مع بعض الاساقفة في هذه الحادثة ومن المعقول ان يكون الجميع قد اشتركوا مع الافرنج في تأدية يمين الطاعة والخضوع لا موارنة بين المقدس فقط :

وقد استدل بعض المتأخرين من قول غليام في هذه الرواية « وبعض اساقفتهم » على ان بعض الموارنة قد بقوا مصرين على امرهم الاول ولم يشاؤوا ان يخضعوا مع البطريرك والشعب الخاضع : ولعمري ان هذا تطرف في الاستنتاج ولم يسمع قط ان الموارنة في جبل لبنان قد انقسموا على نفسهم في تلك الايام وبهذا المعنى بحيث كان منهم موارنة كاثوليك وموارنة غير كاثوليك : وهذا لا يزال يحتاج الى برهان حتى يصح هذا الاستنتاج كما يرى المتأمل : وعندنا ان قوله «بعض الاساقفة» ربما دل على ان لم يكونوا كلهم في هذه الحادثة لا ان بعضهم انشقوا مع بعض الشعب عن اخوانهم : ولا يقدَّر بصواب ان يكون موارنة لبنان في ذاك العهد اكثر من العدد الذي عينه المؤرخ لان البلاد التي وصفها ولا تسع اجعلها محل سكناهم كثر من ذلك :

رجع الى وحدة الكنيسة فريدريك الامبراطور الروماني الذي كان من الجهة المعاكسة : وبعد مصالحته مع البابا الاسكندر عاد السلام الى الكنيسة وانقشع كل ظلام وضلال » اه

ثم قال في المحل نفسه (كتاب ١٨ فصل ٢٩) ما حكايته « وفي تلك الايام جاء الى مدينة جبيل مع بعض أهل جينوا يوحنا كردينال الكنيسة الرومانية من رتبة القسوس على كنيسة القديسين يوحنا وبولسَ اوفده البابا الاسكندر بصفة معتمد له الى الجهات الشرقية : واذ حاول أن يدخل المملكة بصفة معتمد أرسل يسترخص من الملك وبعض أمراء المملكة من اكليريكيين وعلمانيين لاجل سبر أفكارهم في أمر دخوله بهذه الصفة : وكانت الدنيا كلها مقسومة بسبب الشقاق الذي حصل في أمر الباباوية بعضهم للبابا الاسكندر والآخرون للجهة المعاكسة : ومن ثم فبعد المداولات الكثيرة أوعز اليه أن يستمر في مكانه ولا يدخل المملكة قبل أن يتم الرأي ويبلَّغ اليه من قبل السلطة الاكليريكية وأمراء المملكة في كيف يجب ان يتصرف بهذا الشأن : وفي هذه الاثناء قد عقدوا مجلساً في مدينة الناصرة مؤلفاً من البطريرك وسائر رؤساء الكنائس ومن بعض الامراء مع الملك واخذوا يتداولون في ما يجب ان يُعمل في مثل هذا الاشكال العظيم : أما الاحبار الشرقيون من كلا البطريركيتين فكانوا جميعاً يتظاهرون انهم في حال التجرد وفي الخفية كان بعضهم لهذا وبعضهم لذاك : وقد حصل والحالة هذه ما يحصل عادةً بين المختلفين في الرأي فأخذت الاصوات بالاقتراع وكان بعضهم يقولون بوجوب قبول البابا الاسكندر ومعتمده وان هذا هو الاولى: وكان رأس هذه الفئة السيد بطرس سالفنا في مطرنية صور ذو الذكر الصالح : وغيرهم بالعكس متمسكين بالتحزب لويكتور بحجة انه كان على الدوام صديق المملكة والمحامي عنها ولهذا كانوا يقولون بعدم قبول المعتمد...... فتغلب رأي الجهة التي كانت موافقة للبابا ومعتمده : ومن ثم قد استدعي المعتمد

ليدخل الى المملكة بصفة كونه معتمداً وبقدر ما سر ذلك جمهوراً من الناس قد غدا ثقيلاً عليهم » اه

وهذا كل ما رواه غليام أسقف صور في ما يتعلق بهذا الموضوع . وهو في الفصل الذي ذكرناه هنا أولاً يوافق في المعنى رواية العلامة الدويهي الى ان تم الصلح بين الامبراطور فريدريك والبابا الاسكندر بعد ثماني عشرة سنة من انتخابه أي في نحو سنة ١١٧٧ .

عدد ١٤٥ — ومن الغريب ان غليام قد أبلغ روايته هذه في الفصل المذكور الى هذا التاريخ ثم تكلم بعد ذلك بثلاثة فصول عن حادث وقع في أول الخلاف والشقاق الذي حصل في الكنيسة بين البابا الاسكندر وويكتور مزاحمه وهو حادث مجيء الكردينال يوحنا الى مدينة جبيل الى آخر ما كان من دخوله مملكة أورشليم بصفة كونه معتمداً رسولياً : مما يستنتج منه ان غليام انما أتم كتابة تاريخه هذا بعد حصول هذا الصلح والسلام في الكنيسة بأسرها .

وأغرب من ذلك انه وقف في كلامه عن هذا الموضوع عند هذا الحد مع انه قد عقد بعد ذلك المجمع اللاتراني في سنة ١١٧٩ وحضره هو بصفة كونه مطران صور وجُعل فيه كاتب الوقائع كما هو مشهور . وقد كان الغرض من عقد هذا المجمع اصلاح ما كان قد اختل في الكنيسة بسبب هذا الشقاق فتقرر فيه البابا الحقيقي الشرعي الاسكندر المشار اليه . وتقرر ايضاً ان يطلب يمين الطاعة له من كل أساقفة الكنيسة غرباً وشرقاً لاجل تقرير السلام العام ومحو كل أثر لهذا الشقاق المذموم الذي تسبب به ابليس الرجيم . فكان ما كان مما رواه العلامة الدويهي بهذا الشأن في سورية وفلسطين . ولم يروِ غليام شيئاً من ذلك بعد الذي رواه في الفصلين اللذين أوردناهما هنا . وعندنا ان هذا مما يدل على ان هذا الكاتب النحرير والعلامة الكبير (الذي استحق لموضع فضله ومقدرته في التأليف والكتابة ان يقام كاتب وقائع المجمع اللاتراني) لاسباب هامة شغلته عن كل أمر واضطرته

الى الاقامة في رومية مدة طويلة حتى قيل انه توفي فيها . لم يعد يهتم اهتمامه الاول في أمر تاريخه هذا بل صار يعلق ما كان يبلغه من الحوادث تعليقاً كمفكرات بقصد ان يعتني في ترتيبها وتنسيقها عند سنوح الفرص الملائمة على ما يقتضي الذوق السليم فلم يعد يسمح له الزمان بذلك حتى بقي كل شيء على علاته . والا فلا يفهم كيف وقع له مثل الذي ألمعنا اليه حتى الآن من قلة الضبط والتدقيق واستقصاء الحوادث التي وقعت في عصره بالعناية اللازمة مما لا عذر فيه لكاتب مثله (١)

فلا غرو والحالة هذه اذا روى عن الموارنة مارواه على علاته دون ان يدقق في حقائقه . ولا ندري من ثم ما المانع من تصديق رواية العلامة الدويهي عن اشتراك الموارنة مع الافرنج في سورية في تأدية يمين الطاعة للابا الاسكندر على يد هيماريك بطريرك انطاكية لانهم كانوا في حدود بطريركيته : وهذا الذي حسبه غليام ارتداداً أولياً ونهائياً ورواه كما بلغه تعليقاً في غير محله على الفصل المذكور

---

(١) ومن الغريب انه في مستهل الكتاب ١٦ من تاريخه هذا قد قال ماموداه « ان ما كتبناه حتى الان من التاريخ انما اخذناه عمن حفظوا ذلك من عهد حدوثه بقدر ما والت الذاكرة ولهذا قد دونا على عهدة الغير بكل صعوبة هذه الحقائق وسياق الاحداث والسنين التي ذكرناها بحسب ما وصل الينا ممن ذكروا بكل امانة : اما ما يلي من الان فصاعداً فقد نظرنا قسما منه نحن بذاتنا كشاهد عيان والقسم الاخر اخذناه عمن قد حضروا هذه الاحداث بذواتهم على ما ابلغوه الينا بكل امانة : ومن ثم قد اعتمدنا في الرواية على الامانة والسهولة من وجهين : لانه ذكرى ما يحدث في الزمان الحاضر هي اهم وأرسخ وما يرى بالعيان يثبت في الذهن بحيث لا ينسى بسهولة خلافاً لما يطرق على السماع » فمن هنا يتأتى ما نراه نحن في امر روايه غليام عن الموارنة في هذه الفقرة التي في غير محلها وليس ما يثبت ان غليام هذا قد كان فيها شاهد عيان او اخذها عن ثقة يدرك الامور كما حصلت بالتدقيق الكافي حتى يعتمد عليها كل الاعتماد ويقال بتوكيد ان الموارنة انما رجعوا اذ ذاك عن ضلالهم وكان ذلك اول رجوعهم واتصالهم برومية على ما يريد خصومهم :

عدد ١٤٦ — ومهما يكن من الامر فاننا نرى في قول غليام بان هذا الكردينال المعتمد قد جاء في ذاك الحين الى مدينة جبيل واستقام فيها الى مابعد فض المشكل ما يسوّغ لنا القول بأنه تعرف على الموارنة عن كثب وقد جاءوا من الجوار للسلام عليه ولتأدية مراسيم الخضوع والاحترام له بصفة كونه معتمد الحبر الاعظم وأمير الكنيسة وضيف أمير جبيل ولي أمرهم : فلا بد من ثم أن يكون قد خاطبهم بشأن المهمة التي ندب اليها وبأمر البابا الحقيقي الشرعي للكنيسة كلها وحرضهم على طاعته والخضوع له دون غيره : والا فلا يعقل أن يكون الموارنة قد استمروا الى ذاك العهد على قليٍ وتجنب مع أمير جبيل وهو حاكمهم حتى يتأخروا عن اداء الواجب في ظرف مثل هذا لرئيس كبير من رؤساء الكنيسة وله أجل مقام واعتبار عند الافرنج وقد أضافه بكل حفاوة واكرام على ما يقدَّر بصواب

ومما يجب الانتباه اليه هنا ان تاريخ رواية غليام الصوري عن رجوع الموارنة الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية يوافق تمام الموافقة لتاريخ السنة التي طلب بها البطريرك بطرس ارميا الدملصاوي الى دير ميفوق وجعله أسقفاً على دير كفتون وهي سنة ١١٧٩ .وقد مكث في هذا الدير أربع سنين وعند انقضائها طلبه أمير جبيل الافرنجي والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة وانتخبوه بالاقتراع القانوني بطريركا في دير حالات الذي بقرب جبيل . على ما روى إرميا هذا بخط يده عن نفسه (راجع عدد ١٣٤)

فلا يتأتى على ما نرى ان يكون الموارنة قد رجعوا اذ ذاك حديثاً الى حضن الكنيسة ويتعرض أمير جبيل الافرنجي لامورهم الدينية كل هذا التعرض فيستدعي الاساقفة وغيرهم من الاعيان اليه لاجل التدخل في أمر انتخاب بطريرك لهم : الا اذا كان هناك عادة أقدم من هذا التاريخ تسوّغ له ذلك : وهذا مما يدل دلالة صريحة على انحياز الموارنة للافرنج في جبل لبنان وانقيادهم لسيطرتهم في كل أمورهم من قبل هذا العهد على ما برهناه حتى الآن : وعندنا انه لو كان قد جرى هذا الاتحاد على

ما رواه غليام المذكور في ذاك العهد وهو حادث مهم جداً في تاريخ الموارنة قد نقلهم من حالة الى حالة وكان ولا بد لارميا فيه مثل أسقف دخل كبير وحظ أوفر لما فاته أن يلمع اليه ولو بكلمة : مع اننا نراه قد ذكر في مفكرته هذه عدد رهبان دير كفتون وأسماء بعضهم وهو أمر تافه جداً : وذكر أيضاً انه أقام في هذا الدير زهاء أربع سنوات متوالية دون أن ينتقل منه الا الى جبيل بطلب أميرها حين انتخب بطريركا :

عدد ١٤٧ — ويظهر مع كل هذا ان اتصال الموارنة بالافرنج من أول الامر واشتراكهم معهم في تأدية يمين الطاعة للباباوين الشرعيين الذي كان يحصل حيناً بعد آخر لم يكن يحسب رجوعاً قانونياً مما ينتبه اليه الجميع : ونظن أن ذلك انما كان يحصل لاحتساب الموارنة « مؤمنين » دون التفات الى مسئلة المشيئة الواحدة التي لم يتحرش لهم أحد بها ولم يصرحوا هم بها لاحد لم يسألهم عنها فكانوا لذلك لا يختلفون في أمر المعتقد بشيء عن الافرنج : ومن ثم كان يعد أمر اشتراكهم معهم في تادية يمين الطاعة أمراً عادياً لا يستدعي اهتمام الجميع : فلا عجب والحالة هذه اذا كان غليام الصوري لم ينتبه هو أيضاً الى ما كان قد حصل من مثل ذلك قبل الحادثة التي رواها على هذا الشكل وكان قد قرأ عنهم في تاريخ سعيد ابن البطريق مارواه هذا عنهم وعن أصلهم فعد عملهم هذا أي تأدية يمين الطاعة مع روءساء الافرنج للبابا الاسكندر في نحو سنة ١١٨٠ على يد هيماريك بطريرك انطاكية رجوعاً أولياً عن ضلالهم هذا الذي ذكره عن رواية ابن البطريق كما رأيت :

ومما يؤيد ذلك ما جاء في رسالة البابا زخيا (اينوشنت) الثالث الى ارميا هذا بطريرك الموارنة المورخة في سنة ١٢١٥ وهو كما يلي مترجماً عن الاصل اللاتيني بكل تدقيق : قال ما موّداه

« اينوشنت الاسقف عبد عبيد الله »

« الى الاخوة المحترمين إرميا البطريرك أو المقدم (الجاثليق)

« والمطارنة والاساقفة والى الابناء الاعزاء الرؤساء والاكليرس
« والشعب الماروني »

« لما كانت جودة الحكمة الالهية التي لا تنضب ولا تحصى هي التي
« بثبات لا يعتريه أدنى تقلب تسوس وترتب وتسوق بنوع كامل عجيب
« وسديد سير هذا العالم الزائل وحالة الجنس البشري الغير الثابتة التي
« تسرع على الدوام الى الغروب . . . قد اقتادت أخيراً العناية الالهية
« برحمتها الكثيرة في سبيل الحق الصريح أولئك الذين قد طال ما احتملت
« بحكم عادل وخفي عن ادراك البشر ان يسلكوا متسكعين في ديجور
« الظلام الى ان نضحتهم بطل النعم السماوية وجعلتهم يمشون في نور
« الهدى : وهو ما بلغنا مؤخراً ان قد حصل لكنيسة اليونان ولكم
« فسبب لنا فرحاً عظيماً »

« وبالواقع فانكم كنتم في ما غبر أشبه بالخرفان الضالة لا تفقهون
« باستقامة انه لا يوجد سوى عروس واحدة للمسيح وحمامة واحدة
« هي الكنيسة الكاثوليكية وانه ليس الا راعٍ واحد حقيقي أيضاً هو
« يسوع المسيح وبعده وبه بطرس نائبه الرسولي الذي وكل اليه الله
« غنمه ليرعاها بكلمة راجعها له ثلاثاً والذي ايمانه وايمان خلفائه الاحبار
« الرومانيين لم يكن لينقص كما وعد الرب حتى يستطيع ان يثبت اخوته »

« ولكن عندما أرسلنا من مدة الى نواحيكم الصالح الذكر
« الكردينال بطرس قسيس كنيسة القديس مرقاوس بصفة معتمد

« الكرسي الرسولي قد ارتجعتم الى راعيكم وأسقف كنائسكم وعرفتمونا
« حبراً أعظم للكنيسة بأسرها ونائب يسوع المسيح : وعرفتم أمكم
« الكنيسة الرومانية المقدسة بالهام الرب حتى يقود بحسب وعده في
« الوقت الملائم الخراف السيدية وغيرها ممن اختارهم منذ الازل الى
« المرابض فتكون الحظيرة واحدة كما ان الراعي هو واحد فقط »
« ولما كنتَ اذ ذاك في طرابلس امام الكردينال المذكور أنت
« أيها الأخ البطريرك وبعض معاونيك أي يوسف مطران قزحيا[١]
« وثودورس مطران كفرفو وكثير غيرهما من الاساقفة والقسوس
« والعلمانيين الخاضعين لك ووقفت أنت وهم أيضاً عن انفسهم وعن
« غيرهم من الحضور أي بعض الاساقفة والرهبان والاكليرس والشعب
« الطرابلسي وأقسمتم بتمام الرضى المطلق على مقتضى الصورة التي بها
« يتعهد المطارين بالطاعة للكرسي الرسولي بان تؤدوا في مايلي بروح

(١) وفي الاصل اللاتيني Hssasa ولا ندري كيف ترجمها العلامة الدويهي « ماراسيا » وانما نحن اخترنا هنا اسم قزحيا لانه أقرب الى الاسم اللاتيني المذكور ويرد اليه بأقل تحريف في الخط كما يرى المتأمل : وقد جاء أيضاً في هذه البراءة اسماء اسقفيات اخرى غريبة وهي كما يلي Terra Russara Monetrae de Raschin, Caphrptu et Groscensis :
وجاء اسم الكرسي البطريركي الذي تخضع له هذه الكراسي كما يلي S. Marioe de Anoch. : وقد ترجمه ذلك الدويهي أيضاً جبة بشري : جبة المنيطرة : رشعين : كفرفو : عرقه : وسيدة يانوح وانما هذا على مانرى من وجه التقريب والله أعلم :

« الاتضاع واجب الطاعة والاحترام والتقوى للكنيسة الرومانية ولنا « ولخلفائنا »

فكل من وقف على هذا الكلام يقطع بلا تردد ولا ادنى ريب ان الموارنة انما رجعوا الى حضن الكنيسة على عهد البابا زخيا الثالث صاحب هذه الرسالة على يد معتمده الكردينال بطرس المشار اليه في مدينة طرابلس : ومن المعلوم ان البابا قد جلس على السدة البطرسية في سنة ١١٩٧ : مع ان غليام الصوري يقول انهم انما رجعوا على يد هيماريك بطريرك انطاكية اللاتيني في نحو سنة ١١٨٠ اي قبل هذا العهد بنحو عشرين سنة وابن القلاعي والدويهي أيضاً يقولان ان بطريركهم غريغوريوس الحالاتي قد اشترك مع الافرنج في طرابلس في تأدية يمين الطاعة للبابا زخيا الثاني سنة ١١٣١ : فكما ان البابا لم يذكر في رسالته هذه رجوعهم الذي رواه غليام مع انه كان قريب العهد كذلك غليام نفسه لم يذكر رجوعهم قبل هذا العهد : ومن ثم فكما ان عدم اشارة البابا زخيا الى رجوعهم على يد هيماريك لا ينفي صحة رواية غليام كذلك سكوت غليام عن اتحادهم بالكنيسة الرومانية أو اتصالهم بالافرنج من هذا القبيل على ما بيناه الى الآن لا يؤثر على صحة ذلك كما لا يند عن كل ذي بصيرة مجردة عن الهوى :

فاذ اصح ذلك ما المانع اذن من ان يقال ان الموارنة انما اتصلوا بكنيسة رومية ووافقوها في كل أمر منذ اوائل القرن الثاني عشر اي مذ اتصلوا بالافرنج ودخلوا تحت سيطرتهم واختلطوا بهم كل الاختلاط وعرفوها بواسطتهم حتى انهم لم يستنكفوا من أن يشتركوا معهم في سنة ١١٣١ عند تأدية يمين الطاعة للبابا زخيا الثاني ثم في سنة ١١٨٠ عند تادية الطاعة للبابا الاسكندر ولم يعلم غليام الا بالاشتراك الاخير فروى ما رواه عنهم بدون تدقيق ؟

عدد ١٤٨ — وعندنا بعد ذلك ان ما جاء في رسالة البابا زخيا الثالث عن تاريخ رجوع الموارنة الى حضن الكنيسة الرومانية انما هو من قبيل تعيين الوقت الذي به

عرفت رومية رسمياً هذه الطائفة في ضمن حظيرتها واحتضنتها كالام الحنون وأخذت تعتني بها فعلاً كما تعتني بأبنائها الاخصاء: والظاهر انه قبل ذاك الحين لم يكن أحد تعرض لها بالبحث الدقيق عن معتقداتها وعوائدها وطقوسها لا سيما ولم يكن عن اختلاف جوهري في ذلك بينها و بين اللاتين من هذا القبيل على ما رأيت: ومما يثبت ذلك قول البابا زخيا المشار اليه في الرسالة المذكورة آنفاً وهو كما يلي:

« ولما كان الكردينال المذكور قد فهم ما نالكم من الشوائب في
« بعض الامور فقد اعتنى في اصلاح ذلك عندكم بملء السلطان الرسولي
« حاتماً أن تعتقدوا من الآن فصاعداً على مقتضى اعتقاد الكنيسة
« الرومانية فان الروح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الاب لانه
« انما روح كليهما على ما هو ثابت من أقوال الكتاب المقدس وبعض
« البراهين العقلية: وان تحفظوا صورة التعميد بحيث تكون تسمية
« الثالوث واحدة فقط في التغطيسات الثلاث: وان تستعملوا سر التثبيت
« بأن تولوه أنتم الاساقفة: والاّ تضعوا في تكريس الميرون شيئاً آخر دون
« البلسم والزيت: وان يعترف كل منكم بخطاياه لكاهنه الخاص ولو
« مرة واحدة في العام: وان يقتبل كل منكم سر القربان المقدس بالاخبات
« الواجب على الاقل ثلاث مرات في مدار السنة: وان تعترفوا بمشيئتين
« في الرب أي الالهية والانسانية: والا تستعملوا في ذبيحة القداس آنية
« من زجاج أو خشب أو نحاس بل من القصدير ومن الفضة والذهب:
« وان يكون عندكم نواقيس لتعيين الاوقات واستدعاء الشعب الى
« الكنيسة: وقد قبلتم أنتم هذا كله كابناء الطاعة بالتقوى والاتضاع:

« وقد أثبتنا نحن كل ما ذكر وأمرناكم بحفظه أنتم أيها الاخوة والابناء
« الذين نحتضنهم بالحب الواجب بالرب متخذين الكنائس المقامة في
« نواحيكم تحت حماية القديس بطرس وحمايتنا ونقرر لها بخطنا هذا
« الانعام بأن يلبس الاحبار المنصبون في حدود الموارنة الملابس
« والشارات الحبرية المناسبة لمقامهم على مقتضى العوائد اللاتينية مجتهدين
« في تطبيق ذلك على نحو ما تستعمله الكنيسة الرومانية »

« ثم اننا بعد اثبات ما كان معروفاً لك ولاسلافك أيضاً حتى
« الآن في الكنيسة الانطاكية من العوائد المألوفة نسمح لك ولخلفائك
« بالسلطان الرسولي باستعمال الباليوم الذي هو ملء الخدمة الحبرية متى
« كان مأخوذاً بالطريقة العادية : وهذا يجب على البطريرك الانطاكي
« (اللاتيني) ان يسلمه اليك بطيبة خاطر وبدون اقل صعوبة »

عدد ١٤٩ — فكل من أمعن النظر في هذا الكلام البابوي السامي يرى لا محالة كما نرى نحن بكل تجرد ان الموارنة ولئن كانوا قد انحازوا الى الافرنج ووالوهم في كل أمر حتى الامور الدينية أيضاً وامتزجوا بهم كل الامتزاج في كل أمر قبل معاطاتهم مع الكردينال بطرس معتمد البابا زخيا الثالث المشار اليه بمدة غير يسيرة: فالكرسي الرسولي لم يكن تدخَّل بعدُ رسمياً في أمر معتقدهم وعوائدهم الكنسية ولم يبحث عنها فعلاً كرئيس شرعي ليعنى في سد مواطن الخلل منها : بدليل انه الى ذاك الحين لم يتعاط معهم قط رأساً كقوم رجعوا اليه أو تعرفوا عليه أو اتصلوا به حديثاً وقبلهم بين خرفان رعيته بعد أن كانوا شاردين عنها : مع انه اذا سلمنا أيضاً جدلاً بانهم انما رجعوا حقيقة على يد هيماريك بطريرك انطاكية اللاتيني في نحو سنة ١١٨٠ كما روي غليام الصوري كان من الواجب أن يحصل ذلك كما لا

يعزب عن ذي المام بمثل هذه الامور : ونحن والحق يقال لا ندري أسباب هذا التأخر الا بالاستقراء والتقدير المعقول : فقد رأيت ما جرى لكنيسة رومية في مدار القرن الثاني عشر من النوائب بسبب الاختلافات التي حصلت منذ الربع الاول منه على رئاسة هذا الكرسي الرسولي حتى الربع الاخير الى ان استوثق الامر للبابا الاسكندر الثالث في نحو سنة ١٨٧٧ واخذ يسعى في طلب يمين الطاعة من كل أساقفة المسكونة الذين لهم اشتراك مع كنيسة رومية وكان ما كان على ما نعتقد من اشتراك الموارنة مع اساقفة الافرنج في سورية وهو ما عده غليام الصوري رجوعاً عن ضلالهم في ذاك الحين وكتب فيه ما كتب قارناً ما عرفه عنهم من كتاب سعيد بن البطريق بما بلغه اذ ذاك عن خضوعهم مع الافرنج للبابا المشار اليه

ففي تلك الظروف الصعبة يتقدّر بكل صواب ان كنيسة رومية لم تكن لتهتم لهذا الامر بل كانت تكتفي بأخذ المواثيق بيمين الطاعة والخضوع لرئيسها الشرعي فضاً لتلك المشاكل الجوهرية : وبعد ما استراحت منها جاء معتمد البابا زخيا الثالث الى الشرق فتفقد أحوال المؤمنين وفي جملتهم الموارنة : واذ رآهم من الخضوع والطاعة للكرسي الرسولي ومن الاتصال بالافرنج والامتزاج بهم في كل أمر على ما وصفنا غير مرة وجه اليهم عنايته الرسولية وتفحص أمر معتقدهم وطقوسهم وعوائدهم شأن الراعي الصالح الذي يهتم بالرعية و ينظر في عللها وأدوائها و يعالجها بالادوية الفعالة التي تضمن صيانتها من كل أذى : واذ وجد فيهم بعض الشوائب قد عمل على نزعها وسد ما هناك من الخلل بكل عناية كما أثبت البابا زخيا على ما رأيت : ونحن نرى ان في قوله الاخير من الفقرة المثبتة آنفاً أي « بعد اثبات ما كان معروفاً لك ولاسلافك أيضاً في الكنيسة الانطاكية من العوائد المألوفة » لبرهاناً صريحاً على صحة ماقلناه من ان بطاركة الموارنة الذين سلفوا إرميا هذا حتى سنة ١١٨٣ كانوا معروفين في البطريركية الانطاكية اللاتينية كاصحاب حقوق ممتازة لانهم كانوا

محسوبين هم وطائفتهم من الكاثوليك : والا فأية عوائد مألوفة في كنيسة انطاكية يثبتها لهم الحبر الاعظم بهذا الكلام ؟

عدد ١٥٠ — ومما يجب الانتباه اليه بنوع خاص في هذا كلام البابا زخيا الثالث أولا ان جل ماأمرهم بالتمسك به على مقتضى روح الكنيسة الرومانية المقدسة من وجه الاعتقاد والايمان انما هو قضية انبثاق الروح القدس من الأب والأبن معاً : ثم قضية المشيئتين الالهية والانسانية في السيد المسيح : أما القضية الأولى فبما انها كانت قد تحددت حديثاً في الكنيسة على هذا الشكل بوجه التصريح مما عارضه الروم : وكان من ثم يطلب التسليم بها من كل أحد كقضية من قضايا الايمان الجوهرية وقد أدخلت على قانون الايمان النيقاوي المشهور الذي يتلوه المؤمنون كل يوم كما لا يغرب :وأما الثانية فلأن الموارنة كانوا فيما مضى يستنكفون من القول بالمشيئتين للاسباب التي ذكرناها فيما مضى وان لم يكن ذلك بروح غير كاثوليكي على ما بيناه باستفاضة حتى الآن : فأمرتهم رومية ان يصرحوا بالمشيئتين نظيرها كما أمرتهم بالاقتداء بها أيضاً في أمور هي من قبيل التهذيب البيعي محضاً لهذه الغاية عينها بحيث لم تظهر من الاهمية لذلك ما كان يجب ان تظهره فيما لو كان الموارنة محسوبين من هذا القبيل من المنوثيليين الهراطقة صورياً : ولهذا نراه ذكر مسئلة الاعتراف بالمشيئتين في آخر ما فرضه من التهذيبات مع انه لو كان يحسب ذلك مما له أهمية كبرى لوضعه بعد قضية الانبثاق التي وقعت في الاول وعززه بذكر المنقول والمعقول كما عززها :

عدد ١٥١ — ثانياً ان كل ما يظهر من نص هذه الرسالة الحبرية السامية ان الكردينال بطرس معتمد البابا في الانحاء الشرقية لم يكلف الموارنة في ذاك الحين برفض هرطقة ما على الطريقة القانونية المألوفة التي تطلب عادة من الراجعين الى حضن الكنيسة الكاثوليكية عن هرطقة أو ضلالة جوهرية : وجل ما هناك انه طلب منهم ان يبرزوا يمين الطاعة للكرسي الرسولي على الدوام بمقتضى الصورة

التي يتلوها الاساقفة الكاثوليكيون عند اللزوم : فلو كان الموارنة اذ ذاك محسوبين من الهراطقة صورياً كالنساطرة واليعاقبة والمونوثيلية الخ لما اكتفى المعتمد الرسولي بذلك ولا عده الحبر الاعظم كافياً لاحتساب الموارنة من غنم رعيته المنضوين الى حظيرته المقدسة : لان الضلال المشهور المقرون بعناد مشهور يستوجب توبة صريحة ورجوعاً مشهوراً وخضوعاً علنياً ثم حلاً بالسلطان الرسولي من حرم الهرطقة بنوع مشهور أيضاً : وكل هذا ليس له من أثر لا في براءة البابا ولا في محل آخر مما يدل على ما نرى ان الموارنة لم يكونوا معدودين كذلك وانما كانوا على ما كانوا عليه عن جهل معذور ونية صالحة ولم يكن في تعليمهم ما يخالف روح تعليم الكنيسة الرومانية ولهذا لم يقتضِ رجوعهم وقبولهم فيها الا اصلاح التعبير بكل بساطة أي بان يقولوا مشيئتين بدلاً من قولهم مشيئة واحدة كما يرى المتأمل الحصيف العقل والمجرد عن كل هوى ممن لا يهمهم غير الحقيقة أينما كانت :

ويؤيد ذلك ما اقتضاه ويقتضيه عادة الكرسي الرسولي المقدس عند قبول بعض الهراطقة في شركة الكنيسة الكاثوليكية : وشاهده ما يقرأ في اعمال رجوع بعض النساطرة واليعاقبة وغيرهم وقبولهم في شركة المؤمنين الحقيقيين وبراءآت الاحبار الاعظمين بهذا الشأن وفي هذا القدر غنى ان شاء الله تعالى

الخلاصة

انا وقد بلغنا الى هذا الحد المقصود بحسن توفيقه تعالى من هذه المباحث التاريخية الانتقادية فيما يتعلق بأصل الطائفة المارونية واسمها وديانتها وأحوالها بحسب ما وقع لنا من الآثار التاريخية الراهنة منذ أوائل القرن الخامس حتى أوائل القرن الثالث عشر للميلاد الرباني قد رأينا من الضروري لاجل مزيد الفائدة أن نأتي الآن على النتائج التي ظهرت لنا من كل ذلك فنقول و بالله المستعان :

عدد **١٥٢** — أولاً ان اسم « الماروني أو الموارنة » قد بدأ يظهر في الآثار القديمة منذ أوائل القرن السادس : وهو من باب النسبة الى القديس الناسك الشهير الذي ظهر في أواخر القرن الرابع متنسكاً على جبل من نواحي أفامية من سورية الثانية وذاع صيته في كل الاصقاع بالفضل والفضيلة والكرامات الباهرة التي كان الله سبحانه يؤتيها على يده كل المستشفعين به : واشتهر أيضاً بتلاميذه القديسين الذين أخذوا عنه الطريقة المثلى في هاتيك الارجاء حتى بلاد القورسية على ماروى تودوريطس المؤرخ الكنسي الشهير المعاصر لذلك :

وما عتم أن ظهر بعد موته في أوائل القرن الخامس كنيسة عظمى على اسم هذا القديس الجليل ثم دير كبير على ضفة العاصي بالقرب من مدينة أفامية فيه عدد عديد من الرهبان عرفوا منذ ذاك العصر برهبان دير القديس مارون: وقد امتاز هذا الدير ورئيسه بحق الاولية على الاديار الكثيرة التي كانت في هذه الناحية من سورية الثانية :

ومنذ عهد المجمع الخلقيدوني الذي عقد في نحو سنة ٤٥١ قد اشتهر رهبان هذا الدير وكل من لاذ بهم من المؤمنين بالتمسك بتعاليم هذا المجمع المقدس والانتصار لها والمناضلة عنها بكل عزم وحزم حتى الدم بالرغم على ما نالهم بسبيل ذلك من

الاضطهاد والشدائد من قبل خصومهم المنوفيزيين وخاصة على عهد زعيمهم ساويرس البطريرك الدخيل الانطاكي في سورية منذ أوائل القرن السادس على ما هو مذكور في أعمال المجمع المسكوني الخامس : وقد استمرت هذه العداوة والحرب الدينية بين الفريقين في كل سورية وجوارها طول المدى : وكان المنونيزيوم (وهم الذين عرفوا منذ أواسط القرن السادس باليعاقبة نسبة الى يعقوب البرادعي والبردعاني المشهور أحد تلامذة ساويرس المذكور) يدعون هؤلاء الرهبان خصومهم الالداء وكل من والاهم على ذلك من المؤمنين بأصحاب دير مارون أو الموارنة نسبة الى اسم هذا القديس صاحب المقام : أو بالخلقيدونيين نسبة الى المجمع الخلقيدوني المقدس كما ترى في رسالة اليعاقبة الى الموارنة التي كتبت في نحو سنة ٥٩٠ : وهذا الاسم الاخير قد شمل مدة ما كل الذين كانوا على الرأي الكاثوليكي القويم في جهات أفامية التي هي على ما رأيت مهد المارونية وفي غيرها أيضاً من نواحي سورية بحيث كان اسم الخلقيدونيين أعم من اسم الموارنة الذي كان يطلق على الذين كانوا يتصلون على نوع ما بهؤلاء الرهبان وينتمون اليهم : ومنذ أواخر القرن الثامن قد شمل الجميع اسم « الملكيين » نسبة الى ملوك الروم كما ظهر منذئذ تقريباً عند بعض الكتبة من غير الخلقيدونيين :

عدد ١٥٣ — ثانياً ان هؤلاء الخلقيدونيين منذ أوائل القرن الثامن قد انفصلوا هم أيضاً الى خلقيدونيين موارنة وخلقيدونيين مكسيميين : وعرف كل فريق منهما باسمه هذا على سبيل التمييز الى أن تفرد الاولون باسم الموارنة والآخرون باسم « الملكيين » تخصيصاً كما يعرفون الى اليوم :

أما سبب هذا الانفصال فخلاف شديد جرى في ذلك الحين بين المذكورين على قضية المشيئة والمشيئتين في السيد المسيح : فأخذ فريق منهم تعليم المشيئتين عن كنيسة قسطنطينية بواسطة بعض الاسرى والمجلوّين من الروم الى سورية في جيوش العرب على ما روى التلمحري : وهؤلاء الذين دعوا لذلك بالخلقيدونيين

المكسيمينيين نسبة الى القديس مكسيموس المعترف الذي اشتهر في بهرة القرن السابع بالانتصار لهذا الرأي القويم والمناضلة عنه ضد المنوثيلية : ثم بالملكيين استقلالاً نسبة الى احد ملوك الروم والاصح عندنا انه قسطنطين اللحياني على ماجاء في كتاب الهدى لان هذا الملك العظيم هو الذي انتصر على ماهومشهورلهذاالمذهب واعتنى بعقد المجمع السادس لتقريره :

وعارضهم رهبان دير مار مارون وأسقف محلهم و بعض من والاهم من المؤمنين أشد المعارضة في هذا المذهب المستحدث بالنظر اليهم بحجة انه يخالف روح تعاليم المجمع الخلقيدوني ويرمي الى النسطورية الفظيعة أو الى ما هو أقبح منها : ولهذا دعي هؤلاء بالخلقيدونيين الموارنة واشتهروا منذئذ في سورية خاصة بأصحاب مذهب المشيئة الواحدة : فكان ما كان بين الفريقين من سوء التفاهم والعناد والكيد والبغضة والشحناء والحروب الدينية الذميمة مما أدى الى الانفصال التام حتى استقل كل منهما عن الآخر في كل شيء . ولما لم يكن في تلك الحقبة من بطريرك شرعي على انطاكية بسبب ما كان بعد الفتح العربي من ظروف الزمان وطوارق الحدثان قد سبق حزب الموارنة فسمى الاسقف الذي كان مقامه في دير القديس مارون بطريركاً عليهم وكان مرجع الجميع اليه . ثم توسل الفريق الآخر عند الخلفاء بكل الوسائل الفعالة فسمحوا لهم بعد حين بتنصيب بطريرك لهم ولكن دون انتخاب قانوني على ما روى ثوفان المؤرخ الرومي الشهير . وكان البطريرك الثاني بهذه الطريقة عليهم ثوفيلكتوس أو توفيليطا ابن قنبرة كما سماه التلمحري . وهذا استعان بالخليفة العربي صديقه الذي اختاره لهذا المنصب على التنكيل بالموارنة وقاد جيشاً من العرب الى دير مار مارون لاجل اجبارهم على الخضوع له ولم يتحول من تخومهم الا بأعجوبة من لدن الله على ما روى التلمحري نفسه :

عدد ١٥٤ — ثالثاً ان الموارنة ولو قالوا بالمشيئة الواحدة لا يصح ان يقال بصواب انهم انما كانوا من المنوثيليين بحصر المعنى وهم الذين حرمهم المجمع السادس وحرم

مذهبهم أيضاً : ومن ثم لا يمكن ان يعدوا هراطقة لاهوتياً كما يريد بعضهم اذ لا يصح فيهم تحديد الهرطقة وشروطها بوجه من الوجوه

وبيان الاول — قال العلامة اللاهوتي الكبير الكردينال فرنسلين الشهير في كتابه عن تجسد الكلمة (قسم ٣ باب ٦ قضية ٤٠) ماموداه « ان المنوثيليين كانوا ينزعون في مذهبهم الى القول بان الكلمة بحسب طبعه الالهي انما هو المبدأ الاولي لكل الاعمال والارادات : وان الطبع البشري الذي لاعمل له بذاته انما كان يتاقى في نفسه عمل الكلمة الالهي كآلة صماء : ومع انهم كانوا يسلمون ان الطبع البشري بالنظر الى جوهره هو غير الالهي لم يكونوا يتحاشون القول عند تقرير مبدأ الاعمال بان ذلك انما هو (على ما يظهر) هذا المركب من الطبع الالهي والطبع البشري معاً كما يبان ذلك على نوع ما فينا نحن البشر اذ من النفس والجسد معاً يحصل مبدأ العمل وكما يزعم الابوليناريون من حيث ان الكلمة كانت تقوم مقام العقل فيجعلونها في السيد المسيح صورة ومبدأ للاعمال العقلية : ومن ثم كان المنوثيليون يستنتجون بكل سهولة ان الفعل (أو قوة العمل) وكل ما يمكن ان يقال له عملاً انما كان يصدر عن قوة الكلمة الالهية . ولهذا فكل ما كان يفتكره المسيح أو يريده أو يفعله أو يشعر به أو يحتمله كل ذلك انما كان يفعله أو يحتمله الله الكلمة بذاته وفي طبعه الالهي لانه لم يكن يفعل ذلك أو يحتمله لو لم يكن مبدأ العمل هذا المركب من الطبع الالهي العامل والطبع الانساني الذي يتلقى هذا العمل الالهي في نفسه كأنه واسطة لظهوره » :

أما الموارنة فهم براء من كل هذا لانهم أولاً لا ينكرون وجود القوة النفسانية في الطبع البشري التي تصدر عنها الارادة وهم يقولون بكل صراحة على ماجاء في أول كتاب الهدى — ان الكلمة قد أخذ من مريم البتول جسماً موازياً لنا في طبيعتنا وموازياً لنا في جوهرنا الانساني جسماً ذا نفس ناطقة عاقلة عاملة وشابهنا في كل شيء سوى الخطيئة — وهو من ثم انسان آدمي زماني ذو جسم نفساني

حساس زماني وهو اله تام باللاهوت وانسان تام بالجسم الانساني — ثم ان الطبيعة البشرية فيه (على ماقال توما أسقف كفرطاب وكورة حلب الماروني) قد حفظت جميع خواصها بحيث ان الاكل والشرب والنوم والقيام والقعود والشعور بالتعب والآلام كل ذلك يرجع الى هذه الخواص الانسانية — وان الكلمة انما أخذ الطبيعة البشرية كاملةً تامةً كما كانت في أبينا آدم قبل المعصية اذ كان لا يريد الا ما يريده الله تعالى وهذا معنى قول الرسول انه شابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة أي انه كان يقدر ان يعمل كل ما نعمله نحن البشر الا الخطيئة التي هي مخالفة ارادة الله فلم يكن يستطيع ان يعملها لتقيد ارادته البشرية بالارادة الالهية : ولهذا كانوا ينكرون لا قوة الارادة البشرية في السيد المسيح بل كما قال الكفرطابي نفسه المشيئة التي حصلت لآدم بعد المعصية وهي التي وصفها القديس بولس الرسول في الفصل السابع من رسالته الى أهل رومية . وبهذا المعنى وحده كانوا ينكرون وجود المشيئتين في السيد المسيح لانهما انما تكونان اذ ذاك متضادتين ومتحاربتين معاً . وانما قالوا مع ذلك بتوحيد المشيئة لاعتبارهم اياها في مفعولها لا في القوة التي تصدر عنها فكأني بهم خلطوا بين المراد والارادة . ولما كان المفعول أو العمل الخارجي انما يرجع أو ينسب على رأي الفلاسفة المحققين الى الشخصية أي الاقنومية وكان الاقنوم في السيد المسيح واحداً وهو الالهي حق لهم أن يقولوا من وجه الاستنتاج ان المريد واحد والارادة واحدة كما لا يغرب عن ذي بصيرة . ومما يبين هذا الوجه بكل صراحة قول الكفرطابي أيضاً في المقالة الرابعة مخاطباً المكسيمينيين وهو كما يلي « فان كنتم وهمتم أنتم عن معرفة ذلك وافتكرتم ان الخاصة طبع ناسوته مشية لا يمكن ذلك لان المشية كثيرة الانواع . مشية تصوم ومشية تأكل ومشية تقعد ومشية تنام . فواجب من العدل انكم تعدوا وتكثروا مشيات واقسام عديدة واجعلوا ربنا المسيح الوحيد مقسوم عشرين مشية لكل فعل تدبير تولاه بناسوته اجعلوا فيه مشيات »

عدد ١٥٥ — وبيان الثاني — انه اذا ثبت ان الموارنة لم يكونوا منوثيليين بحصر المعنى من جهة ان تعليمهم بالمشيئة الواحـدة هو مخالف تمام المخالفة لمذهب هؤلاء الهراطقة المرذولين كما رأيت وهو بالنتيجة لا يخالف المعتقد الكاثوليكي الا لفظياً فقط : ثم من جهة انهم لم يعرفوا المنوثيلية بشكلها المذموم اذ لم تدخل سورية قط ولم يكن لها من مريدين وأنصار فيها : ومن ثم لم يكن للموارنة أقل صلة بأحد من زعماء هذه البدعة ولا أخذوا هذا الرأي عنهم ولا تمسكوا به على طريقتهم ولا انتصارا لهم تأتى عن ذلك لا محالة ان حرم المجمع السادس المسكوني للمنوثيليين ولمذهبهم لم يتناول لا الموارنة ولا طريقة تعليمهم هذا على ما بيناه حتى الآن : فبناء على ذلك لا يصح ان يُسمّى الموارنة بسبب هذا التعليم هراطقة صورياً كما يقال لاسيما وليس في عملهم هذا من عناد ولا جسارة ولا مكابرة ولا عصيان على سلطة الكنيسة العلياء الشرعية . ومن المعلوم ان السلطة المعتبرة في الحقيقة شرعية بالنظر اليهم في تلك الاحوال انما هي سلطة بابا رومية الذي هو رئيس الكنيسة بأسرها وخليفة بطرس الرسول ونائب المسيح على الارض وهو وحده الصخر الثابت الذي بنى السيد المسيح عليه كنيسته وصلى لاجله لئلا ينقص ايمانه حتى يستطيع ان يثبت اخوته . ثم سلطة المجامع العامة التي يرأسها بابا رومية بنفسه أو بواسطة معتمدين ينوبون عنه وحينئذ كل من لا يخضع لهذه السلطة العلياء يعد مكابرا وقحاً ومعانداً ذميماً وخارجياً عن وحدة الكنيسة ومقطوعاً من شركتها ومستحقاً اسم الهرطوقي أو المشاق . ولا يصح في الموارنة شيء من ذلك من وجه الانصاف لانهم لم يعارضوا قط لا سلطة بابا رومية أو الكنيسة الرومانيـة أم جميع الكنائس ومعلمتهنَّ ولا سلطة المجمع العام الشرعي . أما الاول فصريح لانهم قد استمروا كل هذه المدة على هذا الاعتقاد الكاثوليكي الراهن من حيث اعتبار سلطة بابا رومية أعلى سلطة في الكنيسة كما جاء في كتاب شرعهم الخصوصي المعروف بكتاب الناموس وقد ذكرنا ذلك في محله : ولكن لما لم يكن لهذه السلطة العلياء من وصول اليهم في تلك

الحقبة ولم يكن لهم ايضاً من سبيل اليها ليعرفوا تعاليمها الحقيقية ومعتقدها من هـذا القبيل . وجل ما كان عنـدهم عنها انها كانت محافظة كل المحافظة على تعاليم المجمع الخلقيدوني المقدس المسند الى تعاليم البابا لاون الكبير ولذلك كانوا يحافظون هم ايضاً على سلامة هذا التعليم بكل جد واجتهاد وهذا ما جعلهم يعتقدون تمام الاعتقاد ان الافرنج على ما صرح توما الكفرطابي انما كانوا على هـذا المذهب لذلك لا يصح بوجه من الوجوه ان يحسبوا الا متحدين بالروح مع الكرسي الرسولي الروماني وخاضعين له ضمناً بكل طاعة وانقياد كما برهنوا على ذلك عند أول اتصالهم به منذ أوائل القرن الثاني عشر . ويؤيد ذلك ان ليس من أثر لا في كنيسة رومية ولا عند الموارنة مما يدل أقل دلالة على الخلاف .

وأما الثاني فلان المجمع السادس لم يشهر في سورية ولم يعرف عندهم رسمياً ولم يعارضوا تعاليمه : وانما كانوا يعارضون بهذا المعنى تعاليم كنيسة الروم باعتقاد انها مخالفة للمجمع الخلقيدوني وتعاليم رومية في هذا المذهب الذي دخل عليهم من طريق غير مشروع وكتعليم رجل فرد هو مكسيمس المعترف ويتأتى عنه ما يتأتى من روح النسطورية الفظيعة . ذلك فضلاً عن انه لم يكن اذ ذاك في سورية بطريرك شرعي على انطاكية ليشهر تعليم الكنيسة الحقيقي على رعاياه ويكلفهم التمسك به دون غيره أو يفصل على الاقل مثل هذا الخلاف بينهم توحيداً للعقائد الدينية على وجه الصواب ويوجب على المعارضين مايوجبه القانون . وهـذا من الامور الجوهرية التي يجب الانتباه اليها في هذه القضية كما لا يغرب عن ذي بصيرة اما البطريرك الذي جاء بعد ان تم الانفصال والاستقلال التام وحصل البعد والعدوان بين الفريقين فلا يعدُّ بصواب سلطة شرعية بالنسبة الى الموارنة . لانه من جهة انما كان من خصومهم الذين تسببوا بتنصيبه عليهم ولم يقم بانتخاب المؤمنين قانونياً بل قدمه لهم الخليفة وكلفهم القبول به وقد قبلوه فعلاً لاجل فض المشكل على ما روى ثوفان : وقد عامل هـذا البطريرك حزب الموارنة معاملة عدوانيـة كمنتصر لحزب

خصومهم الذي كان رئيسه الخاص لا كبطريرك عمومي حكيم وراعٍ صالح غيور شأنه ان ينشد الضالين من غنم رعيته بالدعة والتوءدة والصبر والمحبة والاهتمام مما لا يخرج به عن حد الاعتدال حتى اذا كان من لزوم في مثل هذه الظروف لعقد مجمع اقليمي او بطريركي لاجل فصل مثل هذا الخلاف والمناداة بتعاليم الكنيسة الحقيقية دفعاً لكل التباس لا يتأخر طرفة عين عن ذلك : ولكن أين هذا من تصرف ثوفيليط بن قنبرة مع حزب الموارنة ؟ وهل يلام هؤلاء بعد ذلك اذا استمروا على استقلالهم عن مثل هذا البطريرك في كل أمر وتمسكوا برأيهم الذي لم يصادفوا ساطة شرعية تردهم عنه أو تصلح الملتوي منه ؟ واذا لم يكن ذلك فأين العناد والجسارة والعصيان والتمرد مما يجعل صاحبه هرطوقياً أو مشاقاً في عرف الكنيسة والأئمة الصادقين ؟

عدد ١٥٦ — رابعاً ومما يؤيد ذلك كل التأييد ان هؤلاء الموارنة عند ماتسنى لهم ان يتصلوا بكنيسة رومية عن كثب ويعرفوا تعاليمها الحقيقية بواسطة الافرنج الذين أتوا الى سورية مجاهدين لاجل الدين منذ أواخر القرن الحادي عشر قد استأنسوا بهم ولاقوهم بفرح لا يوصف وبادلوهم عواطف المحبة الاخوية كمؤمنين من أهل مذهبهم وبذلوا لهم كل مساعدة حتى رافقهم بعضهم في الزحف على أورشليم وقد قال غليام أسقف صور في وصفه حصار أورشليم في نحو سنة ١١٠٠ ان رجلاً مؤمناً من السريان الوطنيين قد دل الافرنج على غابة كثيفة فقطعوا منها الاشجار اللازمة لعمل بعض أوائل الحصار : وبعد مدة وجيزة من فتح أورشليم قد فتحوا مدينة جبيل ثم مدينة طرابلس واستولوا عليهما وعلى كل ما بينهما وفي جملة ذلك بلاد الموارنة من جبل لبنان : ومن المعقول الذي لا يرده الا المكابر ان الموارنة قد امتزجوا منذ ذاك الحين بهؤلاء الافرنج امتزاج الماء بالراح ووالوهم في كل أمر : ويؤيد ذلك قول غليام أسقف صور عنهم وهو كما يلي « ولم يكن جمهور هذا الشعب قليل العدد بل كان يقال انهم يتجاوزون الاربعين الفاً يقطنون

أعالي لبنان ووهاد الجبل في أسقفيات جبيل والبترون وطرابلس كما قلنا سابقا : وكانوا رجالاً أشداء مدربين على السلاح وقد أفادوا أصحابنا جداً في المواقع المتواترة التي حصلت لهم مع الاعداء » : فلا يُرد والحالة هذه قول ابن القلاعي والعلامة الدويهي ان بطريركهم وأساقفتهم وأعيانهم قد نزلوا الى طرابلس سنة ١١٣١ واشتركوا مع الافرنج في ابراز يمين الطاعة للبابا زخيا (اينوشنت) الثاني على يد معتمده الكردينال غليلمو : ولا القول الآخر بانهم فعلوا مثل ذلك في مدينة جبيل للبابا الاسكندر الثالث على يد معتمده الكردينال بطرس : وكل ذلك كان من المقدمات لاتحادهم مع كنيسة رومية بوجه شرعي في سنة ١١٨٢ على يد هيماريك بطريرك انطاكية اللاتيني على ماذكر غليام الصوري : ثم بعد ذلك على يد الكردينال بطرس في مدينة طرابلس وهو معتمد البابا زخيا الثالث على ما جاء في رسالة هذا الحبر الاعظم التي وجهها الى أرميا بطريرك الموارنة في سنة ١٢١٥ وبها سجل اتحاد الموارنة بكنيسة رومية وخضوعهم لسلطان هذا الكرسي الرسولي الاعلى وقبولهم في عداد غنم رعيته واقرار بطريركهم على ما كان له ولسلفائه من العوائد والحقوق في الكنيسة الانطاكية : وقد انتهى بذلك كل اشكال من هذا القبيل :

ومن ثم فلو لم يكن الموارنة معترفين منذ البداية بسلطة بابا رومية على كل الكنيسة بأسرها وبحقوق كنيسة رومية الرسولية على كل الكنائس في المسكونة كلها وبوجوب الخضوع والطاعة لها وحدها ولمن لهم شركة معها وبأحقية اتباع تعاليمها المستقيمة وتقليداتها الراهنة لما انحازوا اليها بكل سهولة جميعهم معاً مما لم يسبق له نظير ولم يحصل مثله في غابر الزمان بالرغم مما يُبذل على الدوام من الوسائل الفعالة : ولذلك قد قال غليام الصوري وبعده البابا زخيا الثالث ان ذاك الارتداد العمومي

انما كان بالهام الهي : وكل هذا مما يؤيد ما رأيناه حتى الآن من حيث ان الموارنة بشفاعة أبيهم وشفيعهم المشفع القديس مارون المعظم الذي تشرفوا بالانتساب اليه وهم على الدوام يفاخرون باسمه فوق كل شيء لم ينفصلوا قط فعلاً عن روح الكنيسة الكاثوليكية ولا عن جسمها أيضاً : وهذا مهما قال المعارضون جل فخرهم وشرفهم من الدين والدنيا أدامه الله لهم الى منتهى الدهر بمنه تعالى وكرمه :

الخاتمة

عدد ١٥٧ — لقد حصحص الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً : وقد ثبت على كل حال ان الطائفة المارونية منذ القرن الثاني عشر أو اواخره على الاكثر قد تربعوا في حضن كنيسة رومية ودخلوا حظيرها المقدس وانضموا الى غنم رعيتها واخذوا يسمعون صوت راعيها الاسمى الذي انما هو نائب السيد المسيح الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن رعيته وهو يعرفها وهي تعرفه بلا اشكال وتتبعه دون الغريب الذي تنفر منه النفوس : وقد سجل الحبر الاعظم ذلك برسالته المشهورة لهم .

فمن الغرائب والحالة هذه أن يقال منذ القرن الثاني عشر فصاعداً أن هذه الطائفة ما برحت تمتاز عن غيرها من الطوائف المسيحية باستمساكها بمذهب المشيئة الواحدة كما جاء في بعض الآثار التي ترتقي الى هذا التاريخ : وليس عندنا من تخريج معقول لذلك الا أن يقال كما يرى المتأمل اللبيب الخالي الغرض أن بعض الكتبة ممن صرحوا مثل هذا التصريح الغريب من بعد هذا العهد قد وقع لهم ما قد يقع لغيرهم ممن يلقون الكلام على عواهنه بدون تروّ ولا تدقيق : أو يتقيدون بروايات من تقدمهم عن ضمير سليم وهم لا يعلمون ماذا يكتبون وليس لهم أقل عناية في حقيقة ما يروون : أو ممن تقودهم بعض الاهواء الى ما لا يسلم به العقل السليم : والا فما الباعث الى مثل هذا القول الذي لا ينطبق على الحقائق التاريخية ؟

عدد ١٤٨ — ولا يعارض ذلك قول بعض الكتبة المتأخرين بان الموارنة لم يثبتوا على الصلح مع كنيسة رومية ولا على الاتصال بها والتمسك بتعاليمها القويمة من هذا القبيل بل اخلفوا ورجعوا الى ضلالهم رجوعاً صريحاً اضطر بعض الاحبار الاعظمين الى توجيه العناية الخاصة اليهم لاجل ردهم الى جادة الصواب : ولا ما يقال عن بقاء موارنة قبرس بمعزل عن موارنة جبل لبنان مصرين على التمسك

بمعتقد المشيئة الواحدة الى أن رجعوا الى حضن الكنيسة الرومانية في أواسط القرن الخامس عشر على يد انذراوس المطران القرلشي معتمد البابا أوجين الرابع وشهر هذا البابا رجوعهم رسمياً بالخط الرسولي الذي كتب سنة ١٤٤٥ في المجمع اللاتراني برومية وهو تتمة المجمع الفلورنتي العام الشهير[1] : فان لذلك كله أحوالاً وظروفاً مما يشف عن حقيقة ما يقال بهذا الصدد لا يسعنا أن نوردها هنا اذ ليس من قصدنا في هذا الكتاب أن يتجاوز المدة التي ضربناها لنا وهي منذ أوائل القرن الخامس الى أوائل القرن الثالث عشر كما رأيت : وقد تركنا الخوض في هذا الموضوع من بعد هذه

---

(١) ومما قاله البابا اوجين الرابع في هذا الخط الرسولي بهذا الصدد ما ترجمته الحرفية عن الاصل اللاتيني (مجموعة البراءات اللاتينية للاب طوبيا العنيسي عدد ٧ ص ١٤) ان معتمده المطران اندراوس المشار اليه بعد مجادلات طويلة « قد ردّ الى حقيقة الايمان الارثذكسي الياس اسقف الوارنة مع الجم الغفير من الشعوب والاكليروس الذين يخضعون له في جزيرة قبرس : وقد كان هو وطائفته ملطخاً بتعاليم مكاريس الى ان قال « اما الياس اسقف الوارنة فقد وفد الينا معتمداً ليقرر جهراً اعترافه بايمان الكنيسة الرومانة »

وقال بعد ان ذكر صورة تقرير الايمان الذي كان اداه طمثاوس مطران النساطرة ما حكايته « ومثل هذا التقرير من كل وجه قد لفظ بكل احترام اسحق الابن الحبيب بالمسيح معتمد اخينا الياس اسقف الموارنة باسمه وبالنيابة عنه رافضاً هرطقة مكاريس في امر المشيئة الواحدة بالمسيح »

واغرب من هذا ما قاله البابا بندكتس الرابع عشر الذي اشتهر في مدح الموارنة والثناء على صحة ايمانهم وتمسكهم بالكرسي الرسولي مدى الدهر على الرغم من تقلب الاحوال عليهم : فقد قال بهذا الصدد في براءته التي بدءوها « لقد وردت » عدد ٥ كما يلي « بعد ما جاء اوجين الحبر من فلورنسة الى رومية قد استقبل ايضاً رسل ملك الحبشة واقتاد السريان من كلدان وموارنة الى طاعة الكرسي الروماني » فتأمل :

المدة لغيرنا ممن تسمو بهم هماتهم الى دراسته والتنقيب عن الآثار الراهنة التي تتعلق به فيوفونه حقه من البحث والقياس حتى تنجلي هذه الحقيقة لذي عينين وكم ترك الاول للآخر :

وعندنا ان موارنة قبرس لم يكونوا ليتخلفوا منذ أول الامر عن موارنة جبل لبنان في شيء اذ لم يكونوا مستقلين عنهم بل كانوا خاضعين تمام الخضوع كغيرهم من اخوانهم لبطريرك الموارنة الذي كان مقيماً في جبل لبنان وكان مرجعهم اليه كما رأيت في أوائل الفصل الذي ما قبل الاخير من هذا الكتاب حيث ثبت من الآثار الراهنة أن رهبان دير مار يوحنا الكوز بند في جزيرة قبرس وهو للموارنة منذ القرن الحادي عشر كانوا يرجعون في كل أمورهم الى هذا البطريرك وكان هو يسمي لهم الرئيس ويفوضه بكل ما يلزم لادارته : واذا كان الموارنة قد كثر عديدهم في قبرس من بعد ذلك فانما هو بسبب اتصالهم الكثير بالافرنج وامتزاجهم الشديد بهم وسلوكهم معهم على ما يوافق مشربهم في كل شيء وعلى الخصوص من جهة الدين الذي كان له المقام الاول عندهم : فلا يعقل والحالة هذه أن يكون موارنة قبرس قد تخلفوا عن اخوانهم ورئيسهم الاعلى وأساقفتهم وأعيانهم في هذا الأمر المهم جداً عندهم وعند الافرنج معاً مدة ثلاثة قرون :

عدد ١٠٩ — ذلك فضلاً عما في الآثار التاريخية مما يدل على الخلاف : فمن ذلك أن رفائيل رئيس أساقفة اللاتين في نيكوزية قبرس قد وضع سنة ١٢٥٢ رسالة في التعليمات الواجب اتباعها على كاثوليك هذه الجزيرة : وهي محفوظة في مجموعة أعمال المجامع لمنسي (مج ٢٦ من ص ٣١١ الى ٣٨٢) وقد صرح فيها بأنه لما كان قد تولى العناية عن غير استيهال باليونان والسريان الذين في مملكة قبرس .. الى أن قال « وبما اننا قد وجدنا طائفة اليونان والسريان يسلكون بغير قاعدة في أمور شتى . . . فنأمر الاساقفة والكهنة . . . . من اليونان والسريان بحفظ هذه التعليمات بلا خلل تحت طائلة قصاص الحرم » فلا ريب أن هؤلاء السريان الخاضعين

هاتيك الايام لرئيس أساقفة اللاتين الى هذا الحد انما هم الموارنة المتحدين مع كنيسة رومية بدليل أن سواهم يذكرون في الآثار القبرسية باسم النساطرة واليعاقبة الخ :

وقد روى المؤرخ ودّنغتون في كتابه عن تاريخ السنين (مج ٢ ص ٥٥٠) انه في سنة ١٢٨٩ قد كتب البابا ادريان الخامس الى رهبان الاخوة الصغار وهم الفرنسيسيين أن يبذلوا جهدهم في ارجاع الهراطقة من نساطرة ويعاقبة وأرمن وجرجيين ممن كانوا في جزيرة قبرس الى الكنيسة الكاثوليكية : ثم ذكر في المحل نفسه (ص ٥٥٧) انه في سنة ١٢٩٥ « لما جاء ريموند لولّس الى قبرس قد سأل الملك هنريك أن يأمر اليعاقبة والجرجيين والنساطرة وغيرهم ممن شردوا عن حقيقة الايمان بأن يحضروا جميعاً مواعظه لعله يستطيع بذلك أن يقود بعضهم الى حضن الكنيسة » وأنت ترى أن ليس في كل ذلك من ذكر للسريان أو للموارنة وهذا مما يدل على صحة ما قلناه وعلى أن هؤلاء السريان الموارنة الذين كانوا اذ ذاك كثيري العدد في جزيرة قبرس انما كانوا محسوبين من الكاثوليك كما يرى المتأمل الخالي الغرض :

ومما يؤيد ذلك ما جاء في كتاب المشرق المسيحي للعلامة لكريان (مج ٣ ص ١٢٠٧) وهو أن أساقفة قبرس من اللاتين قد عقدوا مجمعاً خاصاً في سنة ١٣٤٠ وقد اشترك فيه أساقفة اليونان والموارنة واليعاقبة والارمن والنساطرة : وكان الغرض منه تكليف الهراطقة الى رفض ضلالاتهم والرجوع الى الكنيسة الكاثوليكية المقدسة : ومن ثم قد تحددت فيه قضية انبثاق الروح القدس من الاب والابن معاً معارضة لهرطقة الروم : ثم قضية وحدة الاقنوم في السيد المسيح معارضة لهرطقة النساطرة : ثم قضية وجود الطبعين في السيد المسيح معارضة لليعاقبة والارمن وكلاهما من المنوفيزية : أما مسئلة المشيئتين فلم يؤتَ على ذكرها البتة في هذا المجمع الذي أمضاه من الشرقيين أساقفة الروم وأسقف الموارنة المدعو جرجس كما يرى في أعمال هذا المجمع التي أثبتها العلامة لكويان في المحل المذكور آنفاً برمتها :

فلو كان موارنة قبرس اذ ذاك على غير المذهب الكاثوليكي القويم وكانوا معروفين أو مشتبه فيهم من حيث التمسك بمذهب المشيئة الواحدة لما تأخر آباء هذا المجمع عن الخوض في هذا الموضوع كما خاضوا في غيره من الهرطقات التي قصدوا محاربتها لاجل ارجاع أهلها الى جادة الصواب : فسكوتهم اذن مع وجود مطران الموارنة بينهم بدليل توقيعه على اعمال هذا المجمع لبرهان راهن صريح للغاية على انه لم يكن ثمّت من أشياع لهذا المذهب على الاطلاق : وبالتالي لم يبقَ من ريب في ان الموارنة كانوا في كل هاتيك الايام أي منذ اتصالهم بالافرنج محسوبين من أبناء الكنيسة الكاثوليكية :

عدد ١٦٠ — وعندنا بعد هذا إما ان يكون المطران الياس أسقف الموارنة في قبرس منذ أواسط القرن الخامس عشر لاسباب لانعلمها قد رجع الى الدفاع عن مذهب المشيئة الواحدة والتمسك به على طريقة المونثيلية فاضطره المطران اندراوس معتمد البابا أوجين الرابع في قبرس الى الاقلاع عنه بالطريقة المذكورة آنفاً وقد شمل بذلك كل الشعب الماروني الخاضع لهذا الاسقف في تلك الجزيرة ليعطي عمله هذا من الاهمية ماليس له فكان ما كان من ارسال معتمده المدعو اسحق الى المجمع العام في رومية ليعترف عنه وعن شعبه بالايمان الحق كما جرى فعلاً : أو ان اندراوس معتمد قداسة البابا المشار اليه كان قد قرأ عن الموارنة انهم كانوا فيما غبر متمسكين بأمر المشيئة الواحدة ومشهورين بذلك فعندما أراد ان يتمَّ مهمته معهم في قبرس حدث مطرانهم في هذا الامر وبالرغم عما رآه من صحة ايمانه ومعتقده من هذا القبيل قد أصر على تكليفه بتجديد رفض هذا المذهب تعزيزاً للايمان الحق فلم يتمكن هذا الاسقف من ذلك وقد جاراه عليه من وجه التساهل حتى يتخلص من ملاصقته به أو من تهمته في دينه ولم يحسب أقل حساب لما قد ينجم عن عمله هذا من التهم في مايلي من الزمان : اما الحبر الاعظم فقد أخذ هذا الامر على ظاهره كما بسطه لديه معتمده الذي أراد ان يفتخر بما أداه من الخدم الجليلة في

هذه المهمة التي ندب اليها أملاً بالجزاء فلم يجد من مجال للتدقيق في هذا الامر فقال ما قاله في ذاك الخط الرسولي المشهور :

والا فلا يمكن ان يوفّق بصواب بين ماهناك من البراهين الدامغة على كثلكة موارنة قبرس من قبل هذا العهد بمدة طويلة و بين ماصرح به البابا أوجين الرابع عن رجوع موارنة قبرس وأسقفهم كلهم دفعة واحدة مع كثرة عديدهم عن القول بالمشيئة الواحدة كمذهب مكاريس المنزيلي على يد المطران اندراوس معتمده المذكور :

وهذا آخر مارأينا ان نقف عنده في هذه المباحث التاريخية ونزفه بكل اخلاص وسلامة نية الى محبي الحقيقة لعلهم يجدوا فيه مرامي الصواب : وقد انتهينا من تحبيره في اليوم العشرين من شهر تشرين الاول المبارك سنة ١٩١١ المسيحية في كرسي ابرشية دمشق بجبل لبنان : وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

لائحة

تصحيح الاغلاط المطبعية

التي وقعت سهواً في هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١	لاهدني	الاهدني
٧	٩	وصفه	وضعه
١٣	١٥	رومنينا	دومنينا
١٧	١٠	أبناء	آباء
١٩	٢٣	ينحتم	يتحتم
٢٢	٥	لايام	الايام
٢٣	١٤	سوزيليس	سوزوپلياس
٢٩	١٦	لى	الى
٣٦	١٢	تاو	ناو
٣٧	١	ثاني	الثاني
٤٠	٢٢	ملاقفة . . . وينعث	ملافئة . . . وينعت
٤١	٦	فأبلعوا	فأبلغوا
«	٧	مشغوغاً	مشغوعاً
«	٢٣	لى	الى
٤٤	٩	واذا اجتمع	واذ اجتمع
٥٣	٢٠	لانسانية	الانسانية
٦٠	١٤	الالهي	المشري

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٠	٢١	وللفعلين	والفعلين
٦٨	١٨	القديم	القويم
٧٢	٢٢	ختلاط	اختلاط
»	٢١	هو طبعين	من طبعين
٧٤	٥	فورلس	قورلس
٧٧	٧	الوحد	الواحد
٨٠	١٦	ثلاثة	ثلاث :
»	١٨	انه	ان
٨٠	٢٠	الخاص	الخامس
٨١	١	لواجب	الواجب
٨٢	١٣	فانه	فان
٨٨	١٢	واذا أبوا	واذ أبوا
٩١	١٨	متوثقة	متوقعة
٩٤	٣	لموارنة	الموارنة
٩٦	٢١	المأيت	المائت
١٠٢	١٧	الاعطم	الاعظم
١١٨	٢٣	أحدهما	أحدها
١٢٠	١٠	«تنبيه» — ان هذه الفقرة من السطر العاشر الى الخامس عشر من هذه الصفحة قد حصل فيها تشويش مهم واغلاط مطبعية أيضاً : وصواب الجميع كما يلي — ثم بعد وفاة مقدونيس هذا في قسطنطينية أقيم مكانه بطريقة غير قانونية أيضاً رجل اسمه مقاريس وكان شديد التمسك بالمنوثيلية وقد استمر هو أيضاً في العاصمة الى أن	

صفحة	سطر	خطأ	صواب
			عُقد المجمع السادس العام سنة ٦٨٠ وقد حضره هو بنفسه وأصرّ على هذا المذهب الوخيم فحرمه آباء هذا المجمع باسمه علناً وحطوه عن مقامه ففزع الى رومية حيث قضى نحبه : وقد أقام آباء المجمع مكانه على بطريركية انطاكية في الجلسة الرابعة عشرة الخ —
١٢٤	٤	وكل ما كان	وكل من كان
١٢٧	١٦	اصالية	اضالية
»	١٨	طالب	طالب
»	١٩	وكان الحرب	وكانت الحرب
١٢٨	١٧	أشيخ	شيخ
»	١٠	لاخذ	الاخذ
١٢٩	١٥	أخيه ٦٨٧	أخيه في سنة ٦٨٧
١٣٧	١٥	لروم	الروم
»	٢١	يحفل بها	يحفل به
١٤٤	٧	أثبتنا	أثبتا
١٥٢	٩	من قبل المجمع الى الخلقيدوني	من قبلُ الى المجمع الخلقيدوني
١٥٣	١٤	يحصل عنها	يحصل عنهما
١٥٧	١٤	يحسب اصطلاحهم	بحسب اصطلاحهم
١٦٤	٤	يشتركو	يشتركا
»	٥	بصوابيته	بصوابية
١٦٧	١٤	خطوة	حظوة
١٦٨	٢١	الظمى	العظمى
١٧٥	٦	ما يثبت في رأينا	ما يثبت رأينا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٥	١٤	بذلك الا لثبت	بذلك والا لثبت
١٧٦	٢٠	فاذا منح	فاذا صحّ
»	٢٣	حسب ... وقوفهم	احبَّ ... وقومهم
١٨٢	١١	الذي وجدها	التي وجدها
١٨٣	٩	سار أسقفاً	صار أسقفاً
١٨٦	٩	أبائك	آبائك
»	١٠	ووح	روح
١٧٨	٤	المتأمل يرى	يرى المتأمل
١٨٨	٢٣	سخته	نسخته
١٩٣	٣	مركبانوس	مركيانوس
١٩٤	١٠	على الخلقيدونيين	عن الخلقيدونيين
»	٢١	لا عند	ولا عند
١٩٥	١٠	وخطيرته	وحظيرته
١٩٧	٨	مارون المناسك	مارون الناسك
١٩٨	١٠	فيه هذ	فيه هذا
١٩٩	٧	ودعى نفسه	ودعا نفسه
٢٠٠	٧	ماوون	مارون
٢٠١	١٩	اعترصته	اعترضته
»	٢٣	للمطران	المطران
٢٠٥	٢٠	الصحف	المصحف
٢١٠	٦	ومخالفون	ومختلفون
٢١١	٩	عن المحالف له	عن المخالف له

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢١١	٢١	المصريبع	المصريين
«	٢٢	بالاصبن	بالاصبعين
٢٢١	١٢	يقصد به	يقصد بها
٢١٤	١٧	دير ما مارون	دير مار مارون
٢١٧	٥	والعشرين وفي اول الرابعة والعشرون	والعشرون وفي اول الرابعة والعشرين
«	٧	الان	الاه
«	١٠	مثلثا	مثلنا
٢٢٥	٢١	مما يهما هنا	مما يهمنا هنا
٢٢٧	١٧	٢٦ في الابنية وتوابعها	٣٦ في الابنية وتوابعها
٢٢٧	١٣	من الاعياد والكبار	من الاعياد الكبار
٢٣٣	١٣	فسطاس	قسطاس
٢٣٤	١٢	ارسانبوس	ارسانيوس
٢٣٥	٧	أبي	أبي
«	١١	الديهي	الدويهي
«	١٧	الفرح	الفرج
«	٢١	الطيب	الطيّب
٢٤٠	٢٠	يذ كو	يذ كر
٢٤٣	١٠	فبله	قبله
«	٢٦	وهو الذي	انما هو الذي
«	١٧	مشت	نشأت
٢٤٤	٣	اختلقتا	اختلفتا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٤	١٢	ثبتت	ثبتتا
٢٤٧	١٧	من تكونا	من أن تكونا
٢٤٨	٥	لنقي الاثنينية	لنفي اثنينية
»	٦	عنهما	عنها
»	١٤	يشاءه	يشاؤه
٢٤٩	٦	صماء ؟	صماء :
»	١٥	يفعل	ليفعل
٢٥٢	٢١	محضاً	محضاً
٢٥٦	٢٢	غني	غنًى
٢٦٠	١٧	شرع	شرح
»	١٨	استشد	استشهد
»	٢٢	جبل	حُبل
١٦٥	١٩	بسبب	بسببه
٢٧١	١٠	ومعتقدها من ايمانها	معتقدها وايمانها من
»	١١	خطيرتها	حظيرتها
»	١٦	من	عن
٢٧٣	١٤	تماماً	تاماً
٢٧٧	١٣	المصية	المعصية
»	٢١	قبل الخطيئة	بعد الخطيئة
»	٢٠	خاصته	خاصة
٢٧٨	١٢	نبوة	بنوّة
٢٨٠	٣	على أوضحنا	على ما أوضحنا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٨٠	١٩	والافرنج وجميع	والافرنج وجميع السريان
٢٨١	١٤	ادارة	ارادة
»	١٧	لأشربه	لا أشربه
٢٩٠	٨	الى حالة	ان حالة
٢٩٤	١٥	اللاتيين	اللاتيني
٢٩٥	٢	حراب	حرب
٢٩٧	١٢	يختموها	يختومها
٢٩٩	١٨	يخطب في	يخطب له في
٣٠١	٢	١٤٤٩	١٤٩٤
»	١٩	الاشتراك في	الاشتراك معهم في
٣٠٢	١٣	القديمة	القديم
٣١١	١٩	يردري	يُزدرَى
٣١٢	١٢	وغيرهما	وغيرها
٣١٣	٢	الملايار	الملابار
٣١٥	١	واخذا	واخذوا
»	٩	مشارق ... اسفقيات	مشارف ؛... اسقفيات
٣١٦	١٥	وهذا وصفه	وقد وصفه
٣٢٢	٢٤	ولا تسع اجعلها محل سكناهم اكثر	وجعلها محل سكناهم لا تسع اكثر
٣٢٥	١٨	لانه	لان
٣٢٩	١٣	Hssasa	Hassasa
»	١٦	Russara	Bussara

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٩	١٨	—rptu	—rphu
«	١٩	Marioe	Mariae
«	«	ترجمه	ترجم
٣٣١	٣	عن	من
«	٩	فان	بأن
«	١٠	انما روح	انما هو روح
٣٣٢	٦	تطبق	تطبيق
٣٣٦	٨	ولهو	وهو
«	«	القديس الناسك	القديس مارون الناسك
«	٩	من نواحي	في نواحي
٣٣٧	٤	المنوفيزيوم	المنوفيزيون
٣٣٨	٢٠	من تخومهم	عن تخومهم
٣٤٧	٦	يتحاوز	تتجاوز
٣٥٠	٢١	ملاصقته	ملاحقته
٣٥١	٩	يجدوا	يجدون

وهذا ما لم نجد بداً من تصحيحه وقد تركنا لذكاء القارىء ما يسهل ادراكه وخاصةً ما تأتّى عن تكسير بعض الحروف أو عدم ظهور حبرها : وكل ذلك يظهر للبيب بأقل تبصر وجل من لا عيب فيه وعلا وله الحمد والشكر على الدوام فهو حسبنا في كل بدايه وختام ؟